



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

استراتيجية الخطاب في كتاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي

دراسة تحليلية سيميائية

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية
تخصص: علوم اللسان العربي

إعداد الطالبة :
فهيمة لحلوحي

إشراف الأستاذ:
د/ محمد بوعمامة

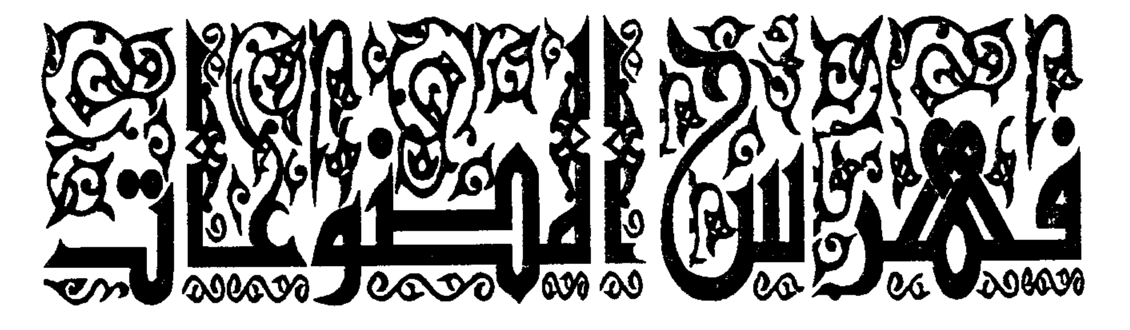
السنة الجامعية: 2003/2002

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللهم إني أسألك إيمانا دائما وقلبا خاشعا وعلما نافعا ويقينا صادقا ودينا قيما﴾

﴿اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما﴾




فهرس الموضوعات

المحتوى الصفحـــة


مقدمة

الحمد لله، نحمده حمد العارفين، والشكر له، نشكره شكر المؤمنين القانتين تنفيــذا لقوله تعــالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1] ، وإليه نتضرع تضرع المتضرعين، وعليه نتوكل توكل المتوكلين. وإليه ننيب إنابة المنيبين أن يلهمنا الصواب والتوفيق. وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجــه الكريــم، والصلاة والسلام على خير من نطق العربية بلسان عربي مبين. إنه لا ينطق عن الــهوى. ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

إن الخوض في أدبية الخطاب الصوفي مغامرة تكتنفها الصعوبات من كل صــوب بالنظر لما يطبع أدبيته من غموض في اللغة كونها لغة ترميزية إيحائية، بالإضافــة إلــى عمق في الفكر. فكانت إشكالية النص الصوفي تقوم على مفارقة مرتبطة بهويــة الكتابــة الصوفية ذاتها، فهو نص يتماهى في مرجعية دينية يتناول العقيدة، وهي الركيزة التي تقوم عليها حياة المرء لقولــه عــز وجــل ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [2]

من هنا يمكن أن نعتبر النص الصوفي ذا منحى تعبيري إنساني، وكيانــا مســتقلا بذاته له خصوصياته المتفردة التي تشي عن قيم روحية. فهو يستند إلى الحجــة الدامغــة والدليل القاطع المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وبهذا صنف الخطاب الصوفي كخطاب إقناعي حجاجي، وكما يعد سلطة فنية مــن حيث تساميه الأدبي المباين للمألوف من الأجناس الأدبية الأخرى. وهو ســلطة روحيــة

1- سورة إبراهيم، الآية 7.
2- سورة التوبة، الآية 109.

باحتوائه المجال الفكري والروحي، واعتماده معطى الإيمان بالتوحيد وبالغيب واقعا فكريا ماثلا للحس مؤسسا لليقينة الاستمرارية التي تحققها المسلمة: الإسلامية الخالدة.

إن البناء التبليغي فيه مسكوك بمقدمات خطابية تواصلية تخاطب وتحاور الآخر ولهذا فقد نزل الخطاب الصوفي من المتلقي منزلة حضورية فاعلة كما يبدو من خلال الرسائل. فهي تواجه روح المتلقي وعقله وضميره وتخاطبه من منطلق قريب وتحمله إلى عقيدة التوحيد الشامل.

وبهذا يكون الخطاب الصوفي كينونة تبدو على أنها المصدر الذي يخاطب ضمير المتلقي برسالة متكاملة لا تغفل منزعا من منازع الدين الإسلامي ألا وهو تلخيص الفرد والجماعة من نير الأسطورة واللامعقول الخرافي وتوجيه النفوس إلى خالقها للتقرب إليه.

لاختراق أفق هذا الخطاب -الخطاب الصوفي- يستلزم اتخاذ استراتيجية خاصة في القراءة للولوج إلى عالمه واستكناه بنيته بتحليل لغته المجسدة في رسائل الكتاب برمته.

وتحليل نص الخطاب يقتضي بالضرورة القيام بدراسة التركيب والدلالة، ولكنها أساسا تضمن القيام بدراسة المقاصد في تقدير أشكال التعبير وإجراءاتها، وهذا ما قاد محلل الخطاب إلى دراسة الأدوات اللغوية لتماسك الخطاب (الشكلي والدلالي) وانسجامه من خلال دور السياق والقارئ.

وفي هذا الإطار تتدرج محاولة الباحثة في بحث استراتيجية الخطاب في كتاب "الإشارات البديهية والأنفاس الروحانية" لأبي حيان التوحيدي.

ويعود سبب اختيار الموضوع (تحليل الخطاب) لقلة الأعمال اللغوية النصية خاصة في المكتبة العربية وللحاجة الماسة لتعريف هذه الدراسة النصية وتأصيلها ثم تطبيقها ثم لتطبيقها على أرقى النصوص الأدبية وهو النص الصوفي، وتحليله تحليلا نصيا معاصرا يساير ما وصلت إليه الدراسة النصية المعاصرة من نتائج أكيدة.

وهذا ما سعت إليه هذه الدراسة إلى تجسيده في هذا البحث من خلال محاولة فك شفرة النص الصوفي عبر التحليل النصي المعاصر الذي يتسم بنظرته الكلية إلى النص ثم الحكم على انسجامه، وذلك بالاتكاء مع الأبحاث والدراسات الغربية والعربية للاستفادة أكثر.

وأمام هذا الخضم المعرفي ارتأت الباحثة اختيار نص أدب صوفي بوصفه عـــالم مجهول غرره صعب مرتقاه؛ لأنه يتشكل من مواضعات لغوية قلما تستغنى الإفصاح عـن المكونات المكونة لها إفصاحا مباشرا؛ إنها بحاجة إلى فك رموزها من خلال تخطي داخل أبعادها الماورائية التي تخفيها تشكيلاتها أو علاقاتها الجوانية بكل ما يتعلق بهذه العلاقــات من خطوط عامة وخاصة. فقد يرجع بعضها إلى ما ترسمه من صور متداخلة وما تبينـــه من مواد بعضها يحيل إلى ظواهر مادية وبعضها الآخر يشتمل على جوانب روحية، كـل ذلك بحاجة إلى فكر فذ قادر على الغوص إلى أعماق تلك اللغة المنشـأة وفـك شـفراتها لإدراك أبعادها المعنوية والجمالية التي يتضمنها النص الصوفي.

قد يتساءل البعض لماذا نقرأ نص "الإشارات الإلهية والأنفــاس الروحانيــة" وقــد مضى على زمن كتابته قرونا؟ هل مثل هذا النص لا يزال قابلا للقراءة؟ وما النتائج التــي يأمل القارئ أن يتوصل إليها من خلال التحليل النصي؟

إن لتحليل هذا النص مسوغات أهمها: أنه رغم كثرة الدراسات حول أبـــي حيــان التوحيدي وكتابه فإنها دراسات تتسم بالطابع الأفقي، اهتمت بقضايا عامة وشاملة كونها لا تستند إلى منهج تحليلي نصي؛ بل كانت تتكئ على رأي هنا وهناك وتسير مع هـذه الآراء تاركة النص وحده على قارعة الطريق فكانت نتائج دراساتهم تحميل النص ما لا طاقة لـه به.

ولذلك فإن لإعادة تحليل هذا النص مسوغات إحداها أن المحلل الذي يستهلك النص فإنه يبقى بعيدا عن النص لأن علاقته بالنص هي علاقة المالك بالملك علاقة ملكية، فقـــد صار النص قريبا من الملامسة والاقتراب ومفتوحا أمام المحور القارئ ليـــد لـــف إلـــى أغواره.

ولهذه الحوافز مجتمعة جاء البحث يحمل عنوان "استراتيجية الخطاب في الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي دراسة تحليلية سيمائية"، وهو بحث تـروم صاحبته ملأورائه تحليل رسائل الكتاب في ضوء نظرية القراءة وما ينجم عن ذلك مـــن تصورات حول الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والعبودية.

هذا وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما *التمهيد* فقد حاولت فيه أن أوضح بعض القضايا العالقة بالأديب كسنة ميلاده التي تضاربت فيها الآراء والأهم من ذلك حادثة حرق الكتب بالإضافة إلى محاولة تعريف بعض المصطلحات المستعملة في البحث كالخطاب والنص والاستراتيجية.

يتلو التمهيد *الفصل الأول* المعنون بـ: استراتيجية العنوان، فقد اعتمدت فيه على جانب نظري للتعريف بقضية العنوان والتعرض إلى أنواع العنوان ووظائفه ثم العلاقة بين العنوان وبينة النص. وفي الجانب التطبيقي قمت بتحليل العناوين انطلاقا من هذه المستويات: التركيبي والدلالي والإحالي ثم العرف إلى العلاقة بين العنوان وبنية النص وهذا كله بالاستثناء إلى الجانب النظري.

أما *الفصل الثاني* المعنون بـ:"استراتيجية الفواتح والخواتم" هو الآخر يتضمن الجانب النظري، وهو يتمثل في تعريف المصطلحات: الفاتحة والخاتمة مع ذكر وظائفهما وأهمها إغراء القارئ وأسره، ثم البحث عن العلاقة التي تربط بينهما وذلك من خلال تناول المناسبة في مستوى الرسالة تقوم على ثنائية العبادة/ الاستعانة. وهي الثنائية المتكررة في كل رسالة باختلاف صورها وهي تشير إلى توحيد الألوهية والربوبية.

وأما *الفصل الثالث* الذي عنون بـ: استراتيجية انسجام النص فهو يشتمل على ثلاثة عناصر أساسية وهي تتمثل بـ: المنظور البلاغي الذي تطرقت فيه إلى قضية الفصل والوصل التي مجالها النص وهي تحقق تماسك النص (الشكلي والدلالي) وانسجامه. والمنظور البنيوي التي ركزت فيه على الإحالة ومدى مساهمتها في انسجام النص باعتباره أن الإحالة النصية تساهم في تماسك النص والإحالة المقامية تساهم في خلق النص والمنظور التداولي تناولت فيه دور السياق والقارئ في إضفاء الانسجام على النص، فالسياق يساهم في تحقيق نصية النص والقارئ يقوم بملء الفراغات حتى يصبح النص كلا منسجما.

والخاتمة تضمنت أهم النتائج المتمخضة عن هذه الدراسة البسيطة والهدف الأسمى من هذه الدراسة الوصول إلى معنى النص واكتشاف مغزى الكاتب من إنشاء هذا النص.

وأما المنهج الذي اعتمدته في هذا البحث فهو المنهج التحليل السيمائي. فـالمقصود بالمنهج التحليلي (Analyse) النظر في العلاقات بين الكلمات، وبين الجمل، وبين الفقرات في النص من خلال تفاعلها الدينامي الانطلاقة إلى العلاقات الخارجية، ومنه يـبرز دور التحليل النصي في بيان وظيفة السياق في تفسير أبعاد النص التي قد تبدو متنافرة أو غائبة فيقوم السياق بإحضارها والتقارب بينهما لتظهر واضحة متعانقة، وترتبط هـذه الوظيفـة بالتواصل وذلك من خلال إدراج دور القارئ أيضا.

وأما الاستعانة بالمنهج السيمائي إلى جانب المنهج التحليلي وذلك لوصف ظـاهرة النص بوصف النص علامة لغوية تتكون من ثنائية: الدال/ المدلول، فالدال يتمثـل فـي التمظهر السطحي لبنية النص، وأما المدلول فيتمثل في ما وراء بنية النص، لكن السـيماء تدرس العلامة اللغوية والعلامة غير اللغوية، وهي بذلك تستغل كل الوسائل في التحليـل، وتقوم بربط الصلات بين الأشياء ومرجعياتها، فهي تستنطق المكتوب (الحرف)، وتصـل بين الصوت والحرف وما يحيل إليه، وتدرس الفضاء وشكل الكتابة واللون، وهكذا.

إذن فالسيمياء تدرس العلاقة بين العلامة اللغوية ومعناها؛ علم المعنى وهـو مـا يسميه الجاجاني بمعنى المعنى (نظرية النظم).

والهدف من الدراسة التحليلة السيمائية قي هذا البحث هو الكشـف عـن بعـض السمات المميزة لعالم المعنى عند أبي حيان التوحيدي كما تشكل فـي كتابـه "الإشـارات الإلهية والأنفاس الروحانية". وهذا لا يعني أن البحث يرمي إلى تقديم صورة نهائية لعـالم المعنى في كليته عند أبي حيان التوحيدي؛ بل هو محاولة الدراسة المساعدة في منطلقاتـه المنهجية وفي ممارساته الكتابية إلى تقريب هذا العالم من الفهم وإلى فض بعض إشكالا ته الإبداعية والأيديولوجية.

وعليه يكون هذا التحليل النصي يسعى إلى وصف الشكل اللغوي ليس كموضـوع ساكن وإنما كوسيلة منظمة دينامية للتعبير عن الدلالة المقصودة.

هذا وقد جمعت للبحث بعض ما قيل حول موضوع البحث عن مادة علمية تنوعـت بين المصادر والمراجع، فمن أهم المصادر التي وظفتها في هذه الدراسة أذكر كتاب: "La marque du titre" Leo- H. Hock "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجي مفتـاح

العلوم للسكاكي ودلائل الإعجاز للجرجاني، "تحليل الخطاب" لـ ج. ب بـروان و ج يـول ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، و"فعل القراءة نظرية جماليــة التجـاوب فــي الآداب" لإيزر فولفاغنغ ترجمة حميد لحميداني والجلالي الكدية، و"مدخل إلــى علــم اللغــة النصي" لـــفولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر ترجمة فالح بن حبيب العجمي، و"علــم اللغــة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب، البلاغة علم اللغة النصي) لـــ: برند شبيلنر ترجمـــة محمود جاد الرب. بالإضافة إلى بعض التفاسير منها تحرير التنوير للطاهر بن عاشور

وأما المراجع فهي تتمثل في :"لسانيات النص (مدخل إلى انسجام النــص) محمــد خطابي "بلاغة الخطاب وعلم النص" لصلاح فضل، نسيج النص (بحث في مـــا يكــون له الملفوظ نصا) للأزهر الزنادي، "الملفوظية" لـــ جان سيرفوني ترجمة قاسم المقداد "علم اللغة النصي (مفاهيم واتجاهات) د سعيد حسن بحيري وغيرها من المصادر والمراجـــع التي ضبطت في قائمة المصادر والمراجع.وأثناء إنجاز هذا البحـــث واجـــهتني مشـــاكل وصعوبات شتى كقلة المادة العلمية في المكتبة الجامعية مما جعلني اســتنفذ طــاقتي فــي البحث عن المادة وقد أثقلت كاهلي بالإضافة إلى طبيعة المدونـــة التـــي تتســم بالطــابع الموسوعي وهذا يستدعي التسلح بمادة علمية متنوعة علني أتمكن من مقاربة هذا النــص؛ لأن القارئ أو المحلل لا يقارب النص وهو صفحة بيضاء. وكذلك طبيعة الدراسة تتطلــب سعة الاطلاع والكفاءة اللغوية والأدبية لإنجاز البحث. وفوق كل هذا الظـــروف الصعبــة التي يتخبط فيها الطالب والباحث الجامعي.

على الرغم من سلبية هذه الصعوبات والعراقيل إلا أنها منحت الباحثة قوة الإقبـــال على البحث بكل صبر وإصطبار مستعينة بالله راجية التوفيق من الله تعـــالى فـــهو ولـــي التوفيق.

وبعد جُهْد جهيد وجَهْد متواصل فقد تحول الألم إلى المتعة بإخراج هـــذا البحـــث البسيط من فوضى الأوراق إلى هذه الحلة الجميلة التي يبدو فيها.

وقد تم هذا بفضل الله تعالى ومنه وفضل الأستاذ المشرف الدكتور محمد بوعمامـــة الذي راعى البحث والباحثة طيلة فترة الإنجاز فكان نعم الأســـتاذ المشـــرف فلـــه مني فـــائق الاحترام والتقدير وجزيل الشكر. فمهما قلت وشكرت فلن أوفى بحقه فجزاه الله خيرا.

وكما اشكر الأستاذ عبد الله العشي والأستاذ الطيب بوديربالـــة والأســتاذ مســعود فلوسي على ما قدموه لي من مساعدات وتوجيهات فلهم مني جميعا جزيل الشكر.

وأخيرا أتمنى أن تكون هناك دراسة أشمل وأعمق لاستدراك ما فاتني من القضايــا وكذا معالجة ما فيه من قصور وإغفال.

وأرجو من المولى عز وجل أن يوفقني إلى ما فيه الخير والصلاح إنـــه الســميع العليم المجيب.


تمهيد

لا بد من التمهيد لصلب البحث و المجال التطبيقي لهذه الدراسة وذلك من خلال التعريف بالكتاب وكاتبه، والمصطلحات الواردة فيه: الاستراتيجية والخطاب والنص.

أولا: التعريف بالأديب و الكتاب

-الأديب أبو حيان التوحيدي

– **مولده:** هو علي بن محمد العباس أبو حيان التوحيدي "وعلى الرغم من اضطراب الآراء واختلافها حول تاريخ ميلاد التوحيدي ووفاته ولقبه وأصله فالراجح أنه عربي الأصل ولد سنة 310 هـ/ 922م ببغداد وتوفي سنة 414 هـ/1023 م، في شيراز. عاش التوحيدي حياة شاقة مهذبة، فقد ولد في أسرة فقيرة تمتهن بيع نوع من التمر يسمى التوحيد، ومن هنا جاء لقبه. وأمضى باقي طفولته يتيما في كفالة عم له كان يكرهه ويسيء معاملته"(1)

ويعد التوحيدي من أشهر أدباء القرن الرابع الهجري و مفكريه حتى أن ياقوت الحموي قد وصفه بقوله "فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام، ومتكلم المحققين وإمام البلغاء"(2)

ومع هذا فقد تجاهله مؤرخو عصره إلى أن حظي بترجمة وافية من طرف ياقوت الحموي بتأليفه لمعجمه المشهور "معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب".

– **أدبيته:** كان التوحيدي موسوعة أدبية فقد ثقف علوم ومعارف عصره اللغوية و البلاغية و الفلسفية و الصوفية والإسلامية وقد استوعبتها وتمثلها وكانت له آراء وتأملات في شتى المجالات العلمية والمعرفية والفكرية.

ويمكن إرجاع شخصيته الأدبية إلى عدة عوامل ساعدت على تكوينها وهي تتمثل في: "1- تتلمذه على أيدي كبار العلماء و الأدباء ، فقد درس النحو و التصوف على أبي سعيد السيرفي. ودرس اللغة وعلم الكلام على علي بن عيسى الروماني ودرس الفلسفة على أبي زكريا يحي بن عدي المنطقي.

1- الموسوعة العربية العالمية (و)، مؤسسة الموسوعة للنشر و التوزيع(ح)، ط2، 1914هـ، 1999م، ص: 694.
2- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: إحسان عباس، دار العرب الإسلامي بيروت / لبنان، ط1/1993م، ج:5، ص 1924.

2- حرصه على حضور مجالس الأدب و العلم والفلسفة التي كانت كثيرة الانعقاد في عصره.

3- اطلاعه الواسع على كثير من الكتب في شتى الموضوعات المعرفية آنذاك وذلك بحكم عمله مدة طويلة من عمره ناسخا للكتب وهو عمل كثير ما اشتكى منه التوحيد في كتاباته"[1].

فقد ساعدت هذه العوامل أن تجعل من التوحيدي شخصية متفننة في جميع العلوم بالإضافة إلى تأثره بالجاحظ "فكان جاحظيا يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهين أن ينتظم في سلكه"[2].

- **شخصيته الإنسانية:** عاش الأديب حياة الضنك فكان أن فقد كل شيء في عهد مبكر، كما فقد الصديق و الصاحب و التابع و الرئيس في جاري سن عمره"[3] .

وعلى الرغم من هذه المعاناة والمأساة فقد فضل الأديب الصمت "لأن الصمت أبلغ من كلام"، وكما أنه كان متفردا في صفاته فكان :"سخيف اللسان، قليل الرضى عن الإساءة إليه والإحسان. الذم شأنه والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة ومكنة؛ كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدود محارفا يشتكي ظرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه"[4]. ومع ذلك كان ذا أنفة نفس واعتداد بالكرامة فصان نفسه من الدنس والترفع عن الدنايا التي كانت آنذاك داء الشرق. هذا بقوله "إني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمة من ذلك كله ".[5]

وقد كان للأديب شركاء في هم الدنيا، ومنهم أبو بكر القومسي الذي كان ينشد أشعار العطوى فتبين للتوحيدي أنه صورة لصاحبه (القومسي) فقال" ما أعرف لك شريكا فيما انت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي ولقد استولى علي الحرف، وتمكن مني نكد الزمان إلى الحد الذي أسترزق مع صحة نقلي وتقييد حظي وتزويق نسخي وسلامته من

---

1 - الموسوعة العربية العالمية (و)، ص : 469
2 - معجم الأدباء لإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ص : 1924.
3 - الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح ع الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات: الكويت دار القلم بيروت، لبنان، ط: 1، 1981م، ص 9.
4 - نفسه، ص 1924.
5 - معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح:إحسان عباس، ص 1930.

التصحيف و التحريف يمثل ما يسترزق البليد الـــذي يمســخ النسـخ ويفسـح الأصـل والفرع"[1]. ومع هذا كله فقد كان الأديب معتدا بنفسه وبأدبه وطموحا إلا أن الحــظ لـم يحالفه فعاش أغلب حياته يعاني من صراع بين طموحه وبين واقعه المر المليـــيء بكـل ألوان الفشل و الحرمان.

– **شخصيته الأدبية:** لقد كثر الحديث عن شخصية أبي حيان التوحيـــدي الأدبيــة، فانقسم المتحدثون عنه إلى ثلاثة فرق:"فريق يراه أديبا خليفة الجاحظ (أمير البيان) أو مـن أقطار النثر الفني في القرن الرابع الهجري ويمثل هذا الرأي زكي مبارك".

وفريق ثان متفلسفا وهو ما أورده أحمد أمين في مقدمة الهوامل والشوامل وأيضـا مار جيليوث في دائرة المعارف الإسلامية.

وفريق ثالث يراه أنه يجمع بين الأدب والفلسفة. فهو فيلســوف الأدبـــاء وأديـب الفلاسفة (ياقوت الحموي) أو أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء (زكرياء إبراهيم). فهو قـد تطلع إلى نمط جديد من التفلسف فهو فيلسوف عقلاني يهاجم المتكلمين، يؤمن بضـــرورة الفصل بين الفلسفة و الدين فلا يمكن الجمع بينهما؛ لأن الجمع بينهما يحدث البلبلة ولكـن يكملان بعضهما البعض، وكان قوي الإيمان بالإسلام يرى فيه حلا لكل مشكلات النـــاس وطريقا لسعادتهم، وهو ذو جرأة مما أدى إلى اتهامه بالزندقة وإلى الإلحاد"[2].

وهناك من النقاد من يدرج الأديب في زمرة الأدباء المعاصرين منـــهم إحسـان عباس القائل "وأنا لا أنكر مدى إعجابي بهذه الموسوعة الثقافية الفذى في الأمة العربيـــة (...) ويعد أبو حيان التوحيدي أديبا معاصرا؛ لأن فكره كان شـــديد التفــاعل بمشـكلات عصره التي يمثل قسم منها مشكلات عصرنا (...) وتتمثل معاصرته في محاولـــة رفـع مستوى حرية الأديب و المفكر في التعبير".[3]

فهذه السمات البارزة في شخصية الأديب قلما توجد في غيره من أدباء عصره، فقد تفنن في تصوير حياة عصره بصدق.

– **آثاره:**كانت آثاره مرآة تعكس عصره كما تعكس أيضا حياتـــه فكـانت سـجلا

1 – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح: إحسان عباس، ص 1928/1927.

2 – ينظر: مقال أبو حيان التوحيدي والبحث عن السعادة زينب محمود الخضري، مجلة فصول، القاهرة، مج:15،ع1،ربيع 1996م،أبو حيان التوحيدي، ج3 ، ص 175.

3 – ينظر: مقال: التوحيدي معاصر، إحسان عباس، مجلة فصول، مج15،ج3، ص : 20/19.

لجهوده الفكرية و العلمية والأدبية، وكانت أول أعماله.

البصائر و الذخائر: وهو عبارة من مصنف يقع في عشر مجلدات، وهو يمثل ثمرته الأولى الناتجة عن قراءته للتراث، إذ تحول من جامع و مؤرخ للتراث إلى صاحب رأي وموقف وقضايا، فهو سجل ثقافة عصره اعتم فيه باللغة والأدب.

- **أخلاق الوزيرين:** أو (مثالب الوزيرين): ألف هذا المصنف إثر اتصال الأديب بالوزراء الثلاث وهم محمد الحسن بن محمد المهلبي في بغداد وابن العميد والصاحب ابن عباد في الري، فهنا ظهرت شخصية التوحيدي بوصفه مفكرا كان همه الإنسان والأخلاق، فقد تفنن في ذكر ووصف الأخلاق.

- **الإمتاع والمؤانسة:** ارتبط تأليف هذا المصنف بمصادقته مسكويه وعرف التوحيدي السعادة في كنفه للمرة الأولى في حياته، وقد ضمن المصنف الحوار وهنا بدأ منهج الحوار التوحيدي الشهير الذي سيكون عماد أعماله التالية، ويقع هذا المصنف في ثلاثة أجزاء، وقد عرض فيه التوحيدي موقفه من القضايا الفلسفية كعلاقة المنطق بالنحو وعلاقة البلاغة بالدين وكما ضمنه تصويره المبكر عن الخطاب النقدي بقوله:"إن الكلام على الكلام صعب"[1].

- **الهوامل والشوامل:** يتضمن هذا المصنف رؤية جديدة للتوحيدي في كل القضايا والمسائل التي عالجها الفكر الإسلامي. وهو يقوم على منهج الحوار القائم على السؤال. فكان هو السائل والمجيب. والغاية من هذا التساؤل هو التنبيه إلى منهج الفلسفة القائم على السؤال؛ لأن السؤال هو ركيزة النظرة الفلسفية، فقد نفرد بمنهجه الفلسفي في عصره فحق له أن يكون فيلسوف عصره. فقد تطرق فيه إلى البحث عن حقيقة الإنسان وماهية سعادته.

- **المقابسات:** كتاب فلسفي وهو صورة لفكر التوحيدي التي تضمنت فلسفته المركزية المحورية "وقد حوى هذا الكتاب أهم آراء التوحيدي في الإنسان و الحياة و المعرفة واللغة والأدب شعرا ونثرا. فالتفكير النقدي فيه متقدم يتعدى الحديث المباشر عن المنظوم و المنثور أو البلاغة والبيان إلى حوار شامل في أحوال متنوعة ينتظمها خط فلسفي موحد

---

1 - الإمتاع والمؤانسة،أبو حيان التوحيدي، تح: توفيق حسين، دار الأدب بيروت، ج: II، ص 13.

لبواعثها راصدا لتشعباتها جامع لمخرجاتها" [1].

كتاب الصداقة والصديق: وقد ذكر التوحيدي نفسه في هذا المصنف وسبب إنشائه بطلب من ابن السعدان أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة فإن "حديث الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب" [2].

هذه تقريبا هي أشهر مصنفات التوحيدي.

كتاب الإشارات الإلهية: كتاب في التصوف مال فيه التوحيد إلى طريقة الفقهاء. فهو تصوف سني يقع في جزئين. ويقوم على منهج الحوار، وفي هذا الكتاب نمى وتطور الحديث فصار من طرف واحد. وقد أبرز التوحيد في هذا الكتاب مفهوم التصوف السني وعارض به التصوف المسيحي والتصوف اليهودي. ونفى فكرة الحلول والاتحاد.

- حادثة حرق الكتب.

لقد أصيب التوحيدي بنكسة في حياته لما أدرك عدم جدوى العلم في عصره، فتملكه اليأس؛ اليأس من الحياة ومن الناس الذين لا خير فيهم، فلم يترك لهم مصنفاته التي لم تر النور في حياته فكيف تراه بعد موته. تأكد من حال عصره الذي يحق فيه قوله التوحيدي "بارت البضائع وثارت البدائع وكسد سوق العلم، وخمد ذكر الكرم، وصار الناس عبيد الدرهم بعد الدرهم".[3] وكان هذا الشاهد لأكبر دليل لحرق كتبه النفسية بالنار وغسلها بالماء في آخر حياته. وقد برر التوحيد فعله هذا برسالة كتبها إلى القاضي أبي سهل على بن محمد الذي كتب يعذله على صنيعه هذا أو يعرفه قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه، فكتب إليه التوحيدي يعتذر من ذلك قائلا " فعجبت من انزواء وجه القدر عنك في ذلك كأنك لم تتسمع قارئا يقرأ قوله عزوجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [*] وكأنك لم تأبه لقوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [*] وكأنك لم تعلم

---

1 - في تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة، ع القادر الرباعي، منشورات الأهلية/ ط1، 1988م، ص 70.
2 - ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح إحسان عباس، ص 1924، وما بعدها.
3 - نفسه، ص: 1929.
* - سورة القصص، الآية: 88.
* - سورة الرحمن، الآية: 26.

أنه لا ثبات لشيء من الدنيا: وكأن شريف الجوهر كريم العنصر ما دام مقلبا بيد الليل والنهار معروضا على أحداث الدهر وتعاور الأيام (...) ثم أقول فما انبريت له ولا اجترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه أياما وليالي وحتى أوحي إلي في المنام بما بعث راقد العزم وأجد فاتر النية...". [1]

وأحيانا يصرح بأنه اقتدى بأئمة كبار العلم أمثال: أبو عمر بن العلاء و يوسف بن إسباط وسفيان الثوري وغيرهم.

وفي رسالة أخري يؤكد أسباب أخرى حملته على الحرق بالنار والمحو بالماء بقوله:" إن العلم -حاطك الله- يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة فإذا كان العمل قاصرا عن العلم كان العلم كلا على العالم ، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلا وأورث ذلا وصار في رقبة صاحبه غلا"[2] ويستمر في ذكر الاحتجاج الممزوج بالاعتذار فكان التوحيدي يريد بعلمه العمل، أي أن العلم وسيلة للتكسب و الطلب الرياسة بقوله "مع أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت من ذلك كله (...) ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه أني فقدت ولدا نجيبا، وصديقا حبيبا، وصاحبا قريبا، وتابعا أديبا، ورئيسا مثيبا، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشتمون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها"[3].

وآخر رسالة كتبها التوحيدي كانت سنة أربعمائة في شهر رمضان وتبقى حادثة رمزية بطبيعة الحال فرغم الاحتجاجات المزدوجة بالاعتذارات إلا أنها تتضمن تفسيرا آخر يعبر عن عمق تجربة الكتابة فيشبه فعل حرق الكتب بالنار وتطهيرها بالماء من

حيث جوهره وجع الكتابة الذي يعقبه الصفاء بميلاد النص؛ كان في عمق هذا الفعل رغبة في العودة إلى الأصل لحظة البدء؛ لحظة اللاكتابة؛ لأن الكتابة قيد، فالاحتراق هنا يشير إلى الحياة، لأنه افتعال و الماء أيضا يشير إلى الحياة. فهو سر الحياة ومنه كان الماء رمزا للتجدد والاستمرار. فالكتاب (التوحيدي) ينشد الحرية للمثقف والمفكر والأديب

1 – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تح إحسان عباس، ص: 1929.
2 – نفسه، ص : 1930.
3 – معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق إحسان ، ص1930.

ويعانق المطلق رغبة في خلق دائم مع المطلق.

وبهذا يغدو فعل الكتابة قيد ذلك أن "الكتابة زفرة فأطلقها مع مرسلات الريح تحيا أبدا، أما إن أسلمتها إلى الثبات فقد تحجرت أبدا وفي التحجر الموت(...) فأنت عابر ووجودك عابر فاجعل كل إنتاجك عابرا فالوجود لا يتفق معه إلا الكلمة العابرة و الإنتاج العابر"[1] وكما أن الكتابة أيضا تسعى إلى المطلق ذلك أن "الكتابة من "لا" تخشى أن تقول "نعم" فتسجيلها يخشى معه إن تحجر أن تستحيل معه "لا" إلى "نعم". نعم الكتابة ضرب من الصلاة وخير صلاة ما اتجه إلى المجهول أبدا وصار سرا فإذا بدا السر أو علم المجهول فاحرق ماءك"[2].

القيمة الأدبية و الفنية للكتابة:

تتمثل في أنه يمثل قطبا في النثر الفني عامة وفي فن المناجاة خاصة التي تتسم بالروح الإسلامية وقد حظي الكتاب بالتحقيق من طرف عدة محققين نكتفي بذكر المحققين الذين توفرت نسخهم لدينا.

أولا: عبد الرحمن بدوي: حقق المخطوطة الوحيدة المعروفة حتى الآن عن هذا الكتاب وهي" المخطوطة (08) تصوف (1334) بالمكتبة الظاهرية بدمشق"[3] وطبع سنة 1981 (الطبعة الأولى).

وقد أثبت المحقق صحة نسبة الكتاب للتوحيدي اعتمادا على أدلة تؤكد صحة نسبة الكتاب لصاحبه وهي "أولا: قول حسن الزيات (أي حبيب الزيات في كتابه): خزائن الكتب في دمشق وضواحيها" القاهرة في 1902م في ص 49 أنه ورد في فهرست المكتبة(الظاهرية) أنه لأبي حيان التوحيدي وتأكيد أكثر ظهور تام هذا النص الذي أوردناه في الورقة الأولى من المخطوط. فالكتاب إذن هو الإشارات الإلهية الأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي.

ثانيا: ورود اسم هذا الكتاب "الإشارات الإلهية" مع ذكر اسم الكاتب: أبو حيان علي بناء محمد بن العباس التوحيدي في معجم الأدباء ليقوت الحموي.

1 – المصدر، ص : 25.
2 – نفسه.
3 – المصدر، ص25.

ثالثا: يوجد لهذا الكتاب مختصر مع شرح قام بهما عبد القادر ابن محمد بن بدر المقدسي الشافعي منه نسخة مخطوطة في برلين الفهرست المخطوطات العربية بمكتبة برلين" لألفيرت (Ehlwardt) ح3 برقم 2818: وعنها أخذت مصورة لإدارة الكتب المصرية تحت رقم 4179 تصوف ونصف هذا المختصر مأخوذ من الجزء الأول كتاب "الإشارات" وقرابة النصف الثاني عن الجزء الثاني".[1]

وقد ثبت المحقق عناوين الرسائل حسب ما وردت في المخطوط بحيث اعتمد الكتاب على ترقيمها بالحروف (أ، ب، جـ، د.....) وهو "مكتوب في المخطوط بالحبر لأحمر وحلي بالأحمر مع الأسود بعض الحروف في ثنايا الصفحة خصوصا إذا كان رسم الحرف ممدودا مثل السين"[2]

وإلى جانب تثبيت عناوين الرسائل ثبتت عناوين الفصول كما وردت في المخطوط ففي "ورقة [ا ب] من مخطوط المكتبة الظاهرية بدمشق رقم 1 تصوف. فقد ثبت البسملة وعنوان الفصل الأول: ميمون الابتداء مبارك الانتهاء رسالة أ".[3]

وظهر الجزء الأخير من الرسالة "يب" من عنوان الفصل الثاني: أركان المعرفة من الإشارات الإلهية "مثبتا في الورقة [41 أ] مع إثبات عنوان الفصل الثالث: ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من للإشارات الإلهية يج"[4] .وكما نجد في ورقة [89 أ] تثبيت عنوان الفصل: من استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية. والرسالة الأولى من هذا الفصل ترد لا عنوان فالرسائل الأخرى.[5] والورقة الأخيرة من المخطوطة فقد "ثبتت فيها خاتمة الرسالة الأخيرة (لح هـ) بالإضافة إلى تاريخها ودلالة إنشائها"[6].

المحقق الثاني د/ وداد القاضي اعتمدت في تحقيقها للكتاب على نسختين هما:

1-مخطوطة الجزء الأول منه المخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق (رقم 8 تصوف) ويشار إليها بالرمز (ر).

2- مخطوطة المخلص من الإشارات الإلهية، المخطوطة في مكتبة الدولة ببرلين الغربية

1 – ينظر: المصدر: ص 27/26.
2 – المصدر نفسه، ص : 31.
3 – نفسه، ص: 39.
4 – نفسه، ص: 41.
5 – نفسه، ص: 42.
6 – ينظر: المصدر: ص 40.

رقم 2818 في فهرس آ لوردت ورقم SPT-887 في المكتبة ذاتها يشار إليها برمز (ل)"[1].

تعرضت د/وداد القاضي – إلى وصف المخطوطين (ر/ل). وقد شكت المحققة في إثبات العناوين الواردة في رسائل النسخة (ر) وذلك "لقلة عدد الرسائل التي تحمل عناوين ثلاث رسائل من بين أربعة و خمسين رسالة"[2]. فهي ترجح إثبات العناوين للرسائل مـــا عمل النساخ بقولها:" ولعل أحد النساخ مسؤول عن زيادة هذه العناوين"[3].

ويلاحظ على النسخة (ل) أن رسائلها لا تأتي موازية في الترتيب لرسائل (ر) ممـا يثير تساؤلا حول الترتيب الأصلي في (ر) للرسائل في كتاب الإشارات في الإلهية"[4].

وعن عناوين الرسائل فيلاحظ عليها أنها " فقد اكتفيت بإثباتها في الحاشية لأنـــها "لا تطرد، بينما تركت العناوين في (ل)كلها في المتن لأن عنونة الرسائل متســـقة فـــي تلـــك النسخة"[5].

المحققة د/وداد القاضي تعرضت هي الأخرى إلى قضية نسبة الكتاب إلى صاحبـه (التوحيدي) باعتمادها على استقراء النصوص للوصول إلى الحقيقة بقولها "يوجد ملخص "الإشارات الإلهية" محفوظا في مكتبة برلين ثبت على الورقة الأولى منه هذه الكراريـــس ملخصة من كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان" [6].

وقد ورد عنوان الكتاب في عبارة "الإشارات الإلهية" في عنوان الملخص نســـخة برلين ولم ترد عبارة الأنفاس الروحية" ومع ذلك أن التوحيدي لا يســـتعمل الســـجع فـــي عنوانات كتبه إجمالا، فليس هناك ما يمنع أن تكون هذه التسمية أي "الإشـــارات الإلهيـــة والأنفاس الروحانية" هي التسمية الكاملة للكتاب"[7] .

ويبقى هذا رأي المحققة، ولكن ما دام العنوان ثبت كاملا فـــي المخطـــوط فـــهو العنوان الأصلي لذا ارتأيت أن اذكر العنوان كما بثـــت المخطـــوط "الإشـــارات الإلهيـــة

1 – ينظر، الإشارات الإلهية أبو حيان التوحيدي، تح د/وداد القاضي، بيروت لبنان، ط2، 1402 هـ–1982م، ص24.
2 – الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح:د/وداد القاضي، ص: 24.
3 – نفسه، ص: 25.
4 – نفسه.
5 –نفسه، ص: 26.
6 – نفسه، ص 6.
7 – نفسه،ص: 8.

والأنفاس الروحانية". والطبعة المعتمدة في هذه الدراسة هي طبعة المحقق عبد الرحمن[1] بدوي التي ضبط فيها المحقق عناوين الفصول وعناوين الرسائل. وهي عبارة عن حروف أبجدية التي تفنن فيها الكاتب في عنونة الرسائل.

ثانيا: التعريف بالمصطلحات

-مفهوم الاستراتيجية(Stratigie)

البداية ارتبط ظهور مصطلح الاستراتيجية بالميدان العسكري ثم توسع إلى ميادين أخرى، ويعني في معجم لاروس "Grand larousse enyclopedique"،"أن الاستراتيجية هي فن تركيب حركة (action) القوات العسكرية في سبيل بلوغ هدف محدد من طرف السلطة السياسية في إنشاء مشاريع حربية مع إمكانية الدولة".(1)

ومن جهة أخرى فإن مصطلح "الاستراتيجية يعني مجموعة الأفكار والمبادئ التي تتناول ميدانا من ميادين النشاط الإنساني بصورة شاملة ومتكاملة وتكون ذات دلالة على وسائل العمل ومتطلباته واتجاهات مساراته بقصد إحداث تغيرات فيه وصولا إلى أهداف محددة. وما دامت معنية بالمستقبل فإنها تأخذ في الاعتبار احتمالات متعدد الأحداث تنطوي على قابلية التعديل وفقا لمقتضياته. وهي تقع وسطا بين السياسة والخطة. (2)

إن ما نعنيه بالاستراتيجية في هذه الدراسة يتمثل في مجموع المعطيات التي من خلالها نقرأ النص وندق على بابه لندخل عالمه ورؤاه المختلفة. فلكل قارئ استراتيجية في التعامل مع النص. وسأركز هنا على انسجام الخطاب في كتاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" لأبي حيان التوحيدي من خلال توخي استراتيجية خاصة في تحليل وقراءة هذا الخطاب الأدبي (الصوفي).

وبالمناسبة أتعرض إلى مفهوم الاستراتيجية عند علماء النص كونه انتقل إلى ميدان الأدب قصد إنشاء التواصل بين منتج النص ومتلقيه؛ أي أن الاستراتيجية تشمل ثنائية: المنتج/المتلقي باعتبار أن المنتج يتوخى استراتيجية خاصة تعبر عن تخطيطه في استعمال معارفه للتعبير عن رؤاه من خلال إنتاج النص. ويقصد من وراء هذا التخطيط التأثير

1- ينظر: تدريس أدب استراتيجية القراءة والقراء، محمد حمود، منشورات ديداكتيكا، الدار البيضاء، 1993م، ص:11.

2- نفسه، ص: 12.

على المتلقي. وأما استراتيجية التلقي فتعني طرق توظيف المتلقي لمعارفه في تلقي النص، وهو حر في اختيار تأشيرة الدخول إلى عام النص.

وبهذا يصبح مصطلح الاستراتيجية في الحقل الأدبي "تحمل اليوم عمليات المعالجة الموجهة إلى الهدف والخارجية عن وعي عند إنتاج النص واستقباله ضمن هذا المصطلح. وتستخدم في ذلك استراتيجية بشكل موسع مرادفا لتخطيط المتكلم أو تخطيط القارئ"[1].فهذا القول يشير إلى ثنائية:

استراتيجية صناعة النصوص/ استراتيجية صناعة فهم النصوص. ومن ثم فإن استعمال مصطلح الاستراتيجية في الحقل الأدبي كان لغاية تتمثل في:"تعرض الاستراتيجيات الإتصالية من أجل ذلك دائما بواسطة أهداف معينة مستنبطة من التفاعل.ؤ فهي تقود إذا إلى حالة الحالة المستقبلة المستهدفة لدى المتفاعلين وترتبط بكون الهدف"[2]. فالاستراتيجية تهدف إلى خلق التواصل بين ثلاثية تلازمية هي:

المنتج ← النص ← المتلقي بغرض التأثر و التأثير بمعنى أن الاستراتيجية "تعني الموضوعية: الواقع وقد نقول الحتمية. هي أن إنتاج لغوي يصدر عن شخص ما ويتوجه إلى آخره ويتحدث عن شيء ما لاشك أن هناك حيل من شأنها تغطيه هذه الحتمية فمؤلف النص ما يمكنه الاختباء وراء صياغات أكثر حيادية من صياغات أخرى، وأيضا مع ذلك أكثر صعوبة، يمكنه محاولة جعلنا نغفل أن نصه مصوغ تبعا للمتلقي و الصورة التي يكونها عنه والفكرة التي لديه عن الصورة التي يكونها المتلقي عنه"[3]

ومما سبق فإن الاستراتيجية تعني خطة المؤلف في إنشاء النص.

- مصطلح الخطاب (le discoure)

مفهومه

قبل التعرض إلى مفهومه -الخطاب- تجدر الإشارة إلى أن هناك مصطلح آخر يتظافر معه في استعمال وهو مصطلح النص (Le texte) وقد تشعبت تعريفاتهما واختلفت باختلاف رؤى الباحثين وعلماء النص في تحديد مفهوم شامل لكلا المصطلحين.

1- مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينيه من، وديتر فيهيفجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، الناشر العلمي، والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض 1419 هـ/1999م، ص: 313.

2- نفسه، ص: 314.

3- الملفوظية: جان سيرفوني، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1419 هـ/1998م، ص: 33.

إن الاختلاف في تحديد المفهوم للمصطلحين ها هنا إنما هو أمر طبيعي يعود لاختلاف معايير التعريف منها الشكلية والدلالية و السياقية.. وغيرها من المعايير.

بداية يفترض التعرض إلى بعض المفاهيم لمحاولة استخلاص مفهوم قد يكون شاملا للمصطلحين. بالرجوع إلى معجم اللسانيات للباحث ج. ديبوا (j.dubois) نجده يحدد ماهية الخطاب في ثلاث تعاريف هي:

1- الخطاب يعني الكلام (la parlole)

2- الخطاب مرادف للملفوظ (lénoncé)

3- الخطاب مرادف للغة (Langue) وهو يعني ملفوظ أكبر من جملة؛ أي متوالية من الجمل ينتجها مرسل واحد يتلقاها المخاطب.(1)

ومن هذا التعريف اللساني يتبين أن مصطلح الخطاب رجراج لا يمكن تحديده بمفهوم شامل وعام؛ لكن الذي يمكن قوله هو أن الخطاب هو استعمال للغة أدى إلى انقسام الباحثين إلى اتجاهين أحدهما يرى أن الخطاب مرتبط بالمقول المنطوق بوصفه "العبارة التي تدل على كل ملفوظية تفترض متحدثا ومستمعا ينوي الأول التأثير على الثاني بطريقة ما ينبغي إذن فهم الخطاب على أنه تنوع الخطابات الشفهية المختلفة من حيث الطبيعة والمستوى في مجال الكتابة، هو أيضا كافة الأجناس التي يخاطب فيها أحدهم الآخر ويعلن عن نفسه باعتباره متحدثا ينظم ما يقوله في مقولة الشخص"(2). يلمح في هذا التعريف تذييل الخطاب الشفهي (المنطوق) بالكتابة، وعليه فإن الخطاب يشمل المنطوق و المكتوب معا.

وبناء عليه يمكن القول أن الخطاب يظم كل أشكال التواصل المنطوق المكتوب لاشتماله طرفا التواصل (المتحدث /المستمع).

ويمكن الاستدلال في الاتجاه الثاني بنظرة أخرى للباحث إميل بنفينست (E.benvenist) "فالخطاب عنده يظم كل أشكال التواصل الشفاهي والكتابي، زمن السرد (أو القصة) هو الماضي ويستعمل السرد ضمير الغائب. كما يتصف السرد بتجاهله لظروف

1- Voir : dictionnaire de linguistique et des sciences du langage':J. Dubois imprimerie "latipografica S.P.A " ITalie depot légal septembre 1999, PP: 152/153.

2-الملفوظية:جان سير فوني، تر: مقداد القاسم، ص: 32.

التلفظ ويتجنب السرد أيضا ربط المتلفظ بحقيقة الأقوال الملفوظة".

الخطاب يقوم على زمن الحاضر (le present) ويستعمل ضمير المتكلم كما يحيل على ظروف عملية التلفظ.

ويعبر الخطاب عن رأي المتلفظ في الأقوال الملفوظة[1].

إذن فالخطاب هو استعمال للغة في حالة النطق والكتابة يشتمل على متكلم ينوي التأثير على المخاطب بوسائل شتى في ظروف معينة (السياق) بغرض تبليغ المخاطب قصده من الخطاب.

مصطلح النص (le texte)

إن النص عند اللسانيين يشمل يختلف المنطوق والمكتوب وهو يمثل "مجموع الملفوظات اللسانية الخاضعة للتحليل، فهو إذن عينة من السلوك المكتوب والمنطوق".[2]

لا يختلف علماء النص في تعريفهم للنص عند اللسانين. فالباحثان هاليدي ورقيه (Halliday &.Hasan) يعرفان النص يقولهما "إن كلمة نص منطوقة أو مكتوبة مهما طالت أو قصرت (...) و النص هو وحدة اللغة المستعملة وليس محددا بحجمه، والنص يرتبط بالجملة بالطريقة التي ترتبط بها الجملة بالعبارة، و النص لا شك أنه يختلف من الجملة في النوع"[3].

وفي معرض آخر؛ في مؤلفهما " language,context and text" عرفا النص بقولهما "نحن نستطيع تحديد النص بطريقة مبسطة بالقول إنه اللغة الوظيفية –ببساطة– التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في السياق"[4].

لا يكاد يختلف هذا التعريف عن سابقة إلا في نقطة واحدة هي عنصر السياق، أي أن النص هو استعمال للغة في سياق ما لأداء الوظيفة.

وكما يضيفان تعريفا آخر "والنص أساسا وحدة دلالية (...) والنص إنتاج وعمليات

1- vocabulaire de l'analyse litteraire ,D. Bergez-V.Geraud-J.J.Robreux,Paris, Dunod, 1994.P :70.
2- Dictionnaire de linguistique et des siences du langage : j. dubois, P : 482.
3- Cohesion in English : Halliday M.K.A/and Ruqaya Hasan, Longman landon 1976, P.P:1-2.
4- Language, context and texte : Aspects of language in a social semiotic perspective : Halliday and hasan, oxford university press, 1989, P :10.

(...) والنص تبادل المعنى بين المشاركين في الحديث مثل الحوار".[1]

يلمس إضافة في هذا التعريف وهي تتمثل في أن النص يتضمن المعنى الذي يشارك في إنتاجه طرفا التواصل؛ المرسل بإنتاج النص والمرسل إليه بإنتاج المعنى.

وإلتفاتة إلى الباحثين المحدثين العرب نجد الباحث الأزهر الزنادي لا يختلف في تعريفه للنص عن الباحثين هالداي (Halliday) ورقية حسن (R.Hasan) فهو " يطلق النص على مابه يظهر المعنى؛ أي الشكل الصوتي المسموع من الكلام أو الشكل المرئي عندما يترجم إلى المكتوب. وهذا الشكل الصوتي يمثل آخر طول يبلغه الكلام في تولده (البنية السطحية) إذ ينطلق تركيب الملفوظ من الأساس حيث تجتمع العناصر المقولية بالصيغ الصرفية الحاصلة في المعجم ثم تنظمها القواعد التركيبية في بنية تطابقها بنية دلالية (البنية العميقة) ثم تجري على هذه البنيات تحويلات تأخذ بعدها شكلا صوتيا هو يمثل حدثا يسمع وينقل عن طريق قناة ما".[2]

ومما سبق يتبين أن كلا المصطلحين: الخطاب والنص مترادفان فكلاهما استعمال للغة سواء المنطوقة أو المكتوبة يفترض هذا الاستعمال للغة طرفا التواصل: المرسل (المتكلم) والمرسل إليه (المخاطب) في إطار سباق لأجل التواصل.

ومنه يمكن القول أنه لا فرق بين تحليل الخطاب أو تحليل النص باعتبار أن التحليل ها هنا هو تحليل للغة في الاستعمال وهذا ما يؤكده الباحث ديبوراح شيفرين (deborah schiffrin) في كتابه " discourse narkers" الذي ركز فيه على تحليل الخطاب وعرفه بأنه "تحليل للغة في الاستعمال وربط اللغة أو النص والمتلقي والسياق المحيط بوصفها عناصر الخطاب ولم ير أن هناك فرق بين تحليل النص وتحليل الخطاب ومنه فلا مبرر لتقسيم اللغة إلى الخطاب والنص فلا فرق بينهما".[3]

يعني تحليل الخطاب أو تحليل النص ذلك العلم الذي يدرس النص أو الخطاب وهو ما يعرف بعلم اللغة النصي الذي يقابله في الفرنسية مصطلح (science du textes) وفي الإنجليزية مصطلح (discourse analyse) وهو فرع من علم اللغة العام ظهر في عقد

1- Language, context and texte : Halliday and hasan, p: 11.

2 -نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا): الأزهر الزنادي، المركز الثقافي العربي 2000م،ـ ص 12.

3- See: Discourse markers: deborah schiffrin, combridge unversity press, cambridge newyork, 1988, p: 26.

السبعينات من هذا القرن يهتم بدراسة النصوص باعتبارها الوحدة اللغوية الكبرى في الدراسة. وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها الانسجام والتماسك. وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والنص المكتوب معا "وعلى رغم من أن تحليل النصوص (الخطاب) كان معروفا منذ فترة طويلة وكذلك عبارة (تأويل النصوص) خاصة في الدراسات اللغوية والنقدية تلك التي تعتني بالوصف المحدد للنصوص الأدبية، إلا أن علم النص يطمح إلى شيء أكثر عمومية وشمولا. فهو من ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة كما أنه من ناحية أخرى يتضمن جملة من الإجراءات النظرية الوصفية والتطبيقية ذات طابع علمي محدد".(1)

وتحليل النص يشير إلى نحو النص ، أو لسانيات النص، أو أجرومية النص فقد شعر الدارسون والباحثون بضرورة انتقال الدراسة من أجرومية الجملة كوحدة لغوية كبرى في الدراسة ، و التحليل إلى أجرومية النص كوحدة لغوية كبرى في الدراسة أو التحليل.

ويؤكد هذا "الاتصال الوثيق بين كل من علم النحو وعلم البلاغة وعلم النقد و علم الشعر أيضا من بين الأسباب التي أدت إلى الأساس القوي بضرورة توسيع الدراسات القائمة على الجملة إلى دراسات ذات إطار أوسع يتمثل في النص".(2)

ـ أنواع الخطاب

إن تشعب تعريف الخطاب أدى إلى تشعب تصنيفه. ورغم هذا الاختلاف يمكن تصنيفه إلى صنفين هما: الخطاب الوصفي أو العرضي أو العلمي والخطاب الأدبي الفني.

ـ الخطاب الوصفي: يمكن إدراج الخطاب اللساني ضمن الخطاب العلمي ويمكن تصوره "كبنية تفسيرية تربط عدد من الظواهر بعدد من المفاهيم والمسلمات والمبادئ عن طريق جهاز الاستنتاجي (...) وتتحدد البنية التفسيرية بصفة أدق بالنظر إلى مجال البحث ومجال التفسير ومجال الاحتجاج (...). فمجال بحث الخطاب تحدده مفاهيم ذلك الخطاب (...) ومجال التفسير مجموعة من الظواهر التي تنتمي إلى مجال البحث ربما في ذلك

1- بلاغة الخطاب وعلم النص صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164صفر 1413 هـ أغسطس، آب 1992م ، ص 248.

2- نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا) : الأزهر الزنادي، ص 52.

الظواهر التي تنتمي إلى مجال البحث ومجال الاحتجاج مجموعة من الظواهر تبطل أو تزكي التفاسير المقترحة".(1)

فالخطاب اللساني إذن هو خطاب علمي و هو "يهتم بكيفية تولد الحدث اللغوي وبلوغه ووظيفته ثم تحقيق مردوده عندما يولد رد الفعل المنشود؛ أي موضوعه هو اللغة ممثلة في مظاهرها الثلاثة مظهرها الأدائي أي كيفية تولد الحدث اللغوي ومظهرها الابلاغي؛ أي بلوغ وظيفته ومظهرها التواصلي، أي تولد ردود الأفعال المختلفة".(2)

إذن لغة الخطاب اللساني هي لغة واصفة علمية محددة تتعامل مع المفاهيم والمصطلحات فمادته اللغة وموضوعه اللغة. فهو يدرس اللغة باللغة (métalinguistique)ويندرج ضمن الخطاب العلمي أنواع أخرى كالخطاب السياسي، والخطاب الاجتماعي والخطاب الاقتصادي والخطاب الفلسفي والخطاب الثقافي والخطاب الديني والخطاب التاريخي والخطاب الصوفي.

وهذه الخطابات تختلف باختلاف موضوعاتها لكل منها خصائصها التي تضمن له التفرد عن الآخر وكما تتميز بلغة خاصة تتوافق مع نوع الموضوع.

- الخطاب الأدبي

يختلف هذا النوع من الخطاب - الخطاب الأدبي- عن النوع السابق بطبيعة موضوعه ونوع لغته، اللغة الأدبية (الشعرية).

وقد تعددت تعاريف اللغة بتعدد تعاريف الأدب لاختلاف القيم الثقافية والفلسفية والجمالية مع تطور التاريخ. فلا نكاد نعثر على تعريف جامع للأدب باعتبار أن موضوع الأدب له عدد لا متناه من الخصائص. ومنه يمكن أن نقترح هذا التعريف "فالأدب بوصفه استعمالا خاصا للغة يحقق لها التميز بانحرافه عن اللغة "العملية" المشوهة، وتستعمل اللغة العملية لتحقيق أفعال اتصالية بينما لا تمتلك اللغة الأدبية أية وظيفة عملية على الإطلاق وتقتصر على جعلنا نرى الأشياء رؤية مختلفة".(3)

1- عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن كتاب المنهجية في الأدب و العلوم الإنسانية : محمد حمود دار طوبقال، المغرب ، ص 43.

2- اللسانيات وأسسها المعرفية عبد السلام المسدى المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الدار التونسية للنشر تونس، 1986م، ص 81.

3- النظرية الأدبية المعاصرة : رامان سلون، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996م،ص 18.

إذن الخطاب الأدبي هو أداة خلق، وتعتبر لغته خالقة مبدعة مجازية فمن خلالها يستطيع الأدباء إبداع عوالم جديدة خاصة بهم وليس بالضرورة أن يطابق العالم الواقعي. والخطاب الأدبي نوعان: شعر ونثر وهذا التقسيم ناتج عن الشكل اللغوي؛ أي الخاصية البنائية لكل واحد منهما "فالخطاب الشعري بوصفه الاستعمال الأدبي الجوهري للغة فهو كلام منظوم في نسيجه الصوتي الكامل وأهم عنصر بنائي فيه هو الإيقاع".(1)

وفي مقابل الشعر يوجد النثر وهو يختلف عن جنس الشعر بغياب عنصر النظم الذي يتحول في النثر إلى المنثور، وبغياب الإيقاع أيضا. بالإضافة إلى أن النثر يعتمد العقل والمنطق والانسجام.

يعتبر الخطاب الأدبي إبداعا. وهذا الإبداع يتحول إلى إبداع ثان، وهو الخطاب النقدي، أو ما يسمى بمعنى النص المعالج؛ أي جعل النص يتكلم بنفسه. **فالخطاب النقدي** هو إبداع حول الإبداع لأن "النقد هو خلق خطاب حول خطاب متأسس. وعملية الخلق هذه في غاية الدقة؛ لأن الخطاب الثاني مطالب بأمرين: يجب أن ينفذ إلى دواخل الخطاب الأول والنص الشعري يفككه ويعيد تركيبه من ناحية ويحافظ في كل ذلك على خصوصيات ذلك الخطاب كحضور شعري متميز من خاصية أخرى لأنه إن ركبه بطريقة تسقط شعريته يكون قد ألغاه وخلق بدله وجودا وهميا لا يمت بصلة إلى أصله بأي صلة يتعلق الأمر الثاني بطبيعة تأسس الخطاب النقدي أيضا إنه لا يعني مجرد الإحاطة بالظاهرة المدروسة وإنما يعني أنه يقوم بفهمها وتقيمها ثم يصنفها ويضعها داخل المسار الذي تسلكه الحركة الثقافية عموما".(2)

ومن جهة فإن الخطاب الأدبي أيضا يتضمن شكلا آخر يتمثل في الشكل الفني الذي يعتمد على السرد، **فالخطاب السردي** يشتمل على عدة أجناس منها الرواية، والقصة والمسرح والأسطورة والخرافة...إلى غير ذلك. وكما تتميز هذه الأجناس ببنائها الخاص الذي يضمن لها وحدتها، فالرواية والقصة مثلا تقوم على عنصر أساسي وهو الحبكة "والحبكة هي التركيب الفني للأحداث التي تتألف منها القصة".(3)

1- النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلون، تر: سعيد الغانمي، ص: 19.
2- تجليات في بنية الشعر العربي المعاصر؛ محمد لطفي اليوسف، سراس للنشر© 1985م، ص 9.
3- النظرية الأدبية المعاصرة، رامان سلون، تر : سعيد الغانمي، ص 23.

تلك هي أنواع الخطابات التي يمكن أن يتلقاها القارئ ولاستزادة في الفهم أكثر يمكن الرجوع إلى المراجع المحال إليها.

طرق تحليل الخطاب

المقصود بطرق تحليل الخطاب المناهج التي بها يتم معالجة الخطاب وهي كثيرة ومتشعبة وهنا سأقتصر بالإشارة إلى أهمها.

إن هذا الاختلاف في طرف (مناهج) تحليل الخطاب راجع إلى اختلاف نظرة المحللين والدارسين للخطاب.

-منهج تحليل الخطاب

تعود جذور هذا المنهج إلى جهود الباحث هاريس (z.harris) وذلك سنة 1952 الذي "قدم منهجا لتحليل الخطاب المترابط سواء في حالة النطق أو الكتابة استخدم فيه إجراءات اللسانيات الوصفية بهدف اكتشاف بنية النص "[1].وقد اعتمد الباحث في هذا المنهج على ركيزتين هما: "العلاقات التوزيعية بين الجمل والربط بين اللغة والموقف الاجتماعي".[2]

فمنهج تحليل الخطاب ينظر إلى النص كوحدة كلية للتحليل وهو ما يعبر عنه بنحو النص تأكيدا بأن المعنى الكلي للنص؛ الدلالة الكلية للنص تنتج عنه بوصفه بنية كبرى شاملة فهي أكبر من مجرد مجموع المعاني الجزئية للمتوالية الجملية التي تكون النص، ومن ثم صارت البنية النصية هي موضوع علم النص.

لذا فإن محلل الخطاب "يعتبر الكلمات والجمل التي تظهر في المدونة النصية لخطاب ما دليلا على محاولة المنتج توصيل الرسالة إلى المتلقي مما جعله يعني على الخصوص ببحث كيفية حصول متلق ما إلى فهم الرسالة المقصودة من قبل المنتج في مناسبة معينة وكيف أن متطلبات المتلقي المفترض تؤثر في تنظيم خطاب المنتج ، وتتخذ هذه المقاربة الوظيفية التواصلية مجالا أوليا للبحث وبالتالي تسعى إلى وصف الشكل اللغوي ليس كموضوع ساكن وإنما كوسيلة منظمة ديناميية للتعبير عن الدلالة المقصودة".[3]

1- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية : جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م، ص65.
2- نفسه ص 66.
3- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل ، ص 128.

وهكذا يصبح تحليل الخطاب تعبيرا عن تلك النقلة التي عرفتها الدراسات اللغوية والنصية يتجاوزها نحو الجملة إلى نحو النص لقصورها في الوصول إلى المعنى كونها تعتمد على الجانب الشكلي، وتهمل الجانب الدلالي وكذلك الفصل بين السياق والشكل اللغوي وغيرها.

ونظرا لهذه النقائص استعاض علماء النص نحو الجملة بنحو النص لأنهم "يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية لا يزال مقتصرا على وصف الجملة بينما تتضح من يوم لأخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية وبخاصة الجوانب الدلالية التي لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النص".(1)

ومما سبق يتبين أن "التحليل لا يتوقف عند التحليل التركيبي فهذا غير كاف باتفاقهم جميعا وهنا يبدأ تجاوز إطار الجملة إذ يبدأ البحث عن عناصر تتعلق بعناصر غير لغوية حقيقية تتصل بمنطقية الجمل وصلتها بالموقف التواصلي أو عملية التواصل بصورة عامة ويستوجب البحث عن هدف سابق لوضع الجملة وأثر لاحق له فنجد حديثا عن الفروض المسبقة وأشكال التضمن والتتابع المنطقي للخطاب ككل". (2)

ومن ثم فإن تحليل الخطاب يعتمد على الوصف والتحليل من خلال وصف الأشكال اللغوية والبحث عن ما ورائها يمكن التوصل إلى وظائفها.

فتغدو وظيفة محلل الخطاب "مناقشة الكيفية التي يمكن بها لمتلق معين أي يفهم الرسالة التي يقصدها الباث في مناسبة معينة وكيف تؤثر شروط متلق معين (أو متلقين معينين) في ظروف محددة على تنظيم الباث لخطابه. إن هذه بوضوح مقاربة تتخذ من الوظيفة التواصلية للغة المجال الأولي لبحثها وتسعى بالتالي إلى وصف الشكل اللغوي لا من حيث هو ساكن وإنما بوصفه وسيلة حركية للتعبير عن المعنى المقصود".(3)

- المنهج السيميائي

لقد تعددت مترادفات هذا المصطلح فنحد السيمياء ، السيميولوجيا، السيميوطيقا إلا أنها تدل على معنى واحد، فمصطلح السيميولوجيا ارتبط استعماله مع الاتجاه الأوروبي

1- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) سعيد حسين بحيري لونجمان، القاهرة، ط1، 1997م، ص 133.
2- نفسه، ص 229/288.
3- تحليل الخطاب: ج.ب براون وج يول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، 1418هـ/1998م، ص 30.

وأما مصطلح السيميوطيقا فقد ارتبط بالاتجاه الأمريكي، وأما مصطلح السيمياء فقد وحد بين المصطلحين. ويعني هذا المصطلح "العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها لغويا أو سننيا أو مؤشريا".[1]

فالسيمياء تدرس العلامة اللغوية والعلامة غير اللغوية وهي هنا تتمثل في القارئ بوصفه عنصرا فعالا في الخطاب فهو بعلاقة مع النص ومع المنتج قصد التواصل والإبلاغ "فبعض الدارسين يراها عبارة عن دراسة لأنظمة العلامات التي تؤدي مهمة الإبلاغ عن طريق مؤشرات غير لسانية يوسع الآخرون من مجال مدلول العلامة والسنن فيجعلونهما ينتهيان إلى شكل إبلاغي ذي وظيفة اجتماعية".[2]

فهذا التعريف يشير إلى أن تحليل الخطاب مرتبطا بعنصر السياق وهو المجتمع الذي أنتج فيه الخطاب باعتبار أن منتج الخطاب ومتلقيه هو المنتج. وهنا يظهر المتلقي في الخطاب في صورة القارئ الضمني الذي يمثل العلامة غير اللسانية في الخطاب فقد أوجدته السيمياء كونه يمثل عنصرا أساسيا في الخطاب لأن غيابه يجعل الخطاب في حالة كمون، ومن ثم يغدو القارئ في فعل القراءة يمثل القطب الجمالي للعمل الأدبي بينما المؤلف يمثل القطب الفني فيه، ولهذا يعد القارئ مشاركا في إنتاج الخطاب فقد أصبحت السلطة للقارئ؛ لأن القراءة كما يقول ايزر (IZER) "تعطينا الفرصة لصياغة ما لايصاغ".[3]

-**المنهج التأويلي**

إن التأويل مرتبط بجملة من العلوم النفسية والاجتماعية والفلسفية...أو الفكر الإنساني فيقوم بإسقاط هذه العلوم والمعارف على الخطاب لذا "يسمى التأويل أحيانا تفسيرا أو تعليقا أو شرحا لنص أو قراءة أو تحليل أو ببساطة أيضا نقدا".[4] فالمحلل يقوم باكتشاف ما وراء النص انطلاقا من علومه ومعارفه.

1-محاضرات في السيميولوجيا، محمد السرغيني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء، ص 5.
2- نفسه، ص 6.
3- النظرية الأدبية المعاصرة: رامان سلوم، تر: سعيد الغانمي، ص 166.
4- الشعرية: ترفيطان طودوروف: تر شكري المجنون ورجاء بن سلامة، تم نشر هذا الكتاب ضمن السلسلة الأدبية : ط1، 1987م،ص 20.

-المنهج الأسلوبي

يقوم المحلل بتحليل ظاهرة الأسلوب لتفسير الخطاب وذلك بتتبع ظواهر أسلوبية تكررت في الخطاب، وهنا يستعين التحليل الأسلوبي بالإحصاء في رصد النتائج المتحققة من التحليل لتفسير وشرح الخطاب؛ لكن هذه الطريقة – التحليل- تتسم بالذاتية "هكذا يكون التحليل الأسلوبي ذاتي ولا يمكن تعلمه ولذا يمكن أن يصل كل مفسر إلى نتائج مغايرة للآخرين. وفي حالة تناول المنهج بناء على السلوك المشار إليه بمفهوم النظرية العلمية فإن النتيجة المتوقعة هي أنه لا يمكن التحقق من صدقه أو عدم التمكن القيام به".[1]

ويبقى اهتمام الأسلوبيين أيضا مركزا على دور القارئ إلى جانب السياق "وفي التحليل الأسلوبي ينبغي أن يوضح للقارئ ما له من أهمية أسلوبية في النص وهذا ما ينبغي استرجاعه وأي تأثير يمكن أن تكون لمثل هذه الخصائص الأسلوبية المختارة وكيف يمكن تقويمها".[2]

- المنهج الوظيفي

إن تحليل الخطاب من منظور وظيفي تداولي لغوي يشير إلى "مجاوزة البنيوية والاعتماد على السيميولوجيا من ناحية والتداولية من ناحية أخرى".[3] فالملاحظ هنا أن المناهج مصنفة إلى صنفين:

1- المنهج التداولي

2- المنهج الوظيفي

ففي تصنيف المناهج إلى صنفين نجد أن "صنف يصف قدرة المتكلم المخاطب باعتبارها مجموعة من القواعد النحوية (الصرفية). وصنف يسعى إلى وصف هذه القدرة على أساس أنها قدرة تبليغية؛ أي أنها مجموعة من القواعد النحوية والقواعد التداولية التي تمكن المتكلم من إنجاز العبارات اللغوية وفقا لطبقات مقامية معينة وقصد تحقيق أهداف

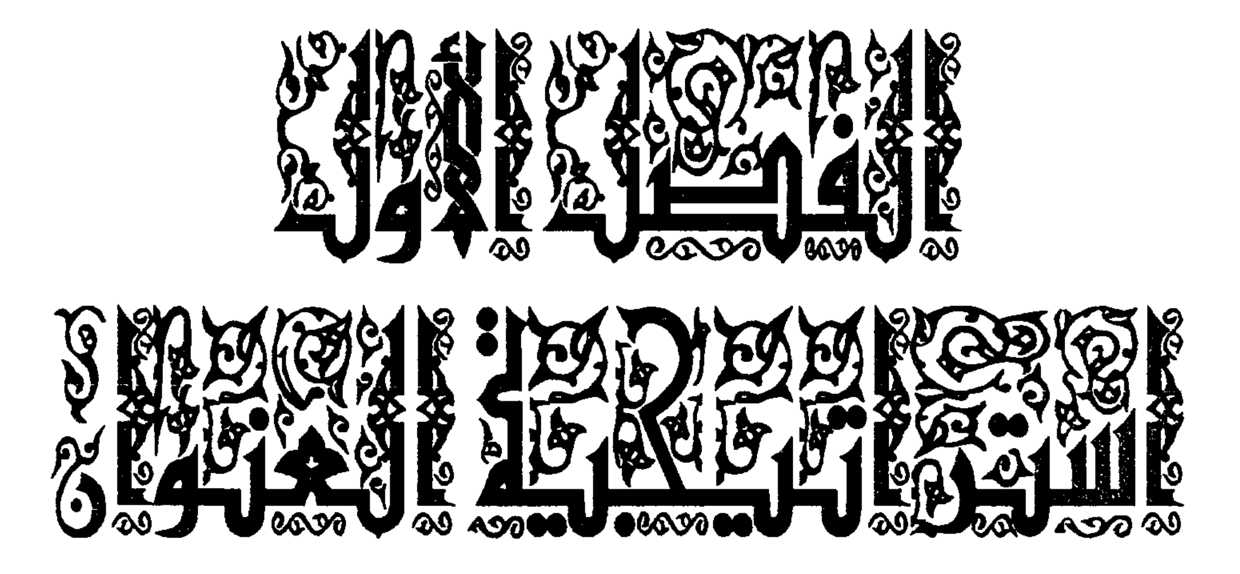
1- علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي) برند سبيلنر، تر: محمود جاد الرب، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1987م، ص 132.
2- نفسه، ص 150.
3- بلاغة الخطاب وعلم النص صلاح فضل، ص 74.

معينة". [1]

يبدو جليا من خلال التعرض إلى تلك الطرق (الاتجاهات) في تحليل الخطاب من حتمية تجاوز حدود الجملة في التحليل باعتبارها الوحدة اللغوية الكبرى في التحليل إلى الخطاب برمته بوصفه أكبر وحدة لغوية في التحليل.

والأهم في هذه المنهجية أنها بينت أبعاد الخطاب الفكرية والأيديولوجية عبر التعابير اللغوية ومؤشراتها وقد استفادت منهاجية تحليل الخطاب من النواة النظرية الصلبة للسيميائيات ونماذج تحليل الخطاب المتعددة أهمية وقيمة لكل منها وأشهرها نموذج هاريس (1952م) وكتيس (1968م) وبيتوفي (1968 م) ودانتش (1974 م) وفان ديك (1977م) وتهدف هذه النماذج جميعها إلى وصف ترابط (تماسك) الخطاب مهما كان جنسه وعلاقاتها الدلالية.

1-المنهج الوظيفي: أحمد المتوكل ضمن كتاب قضايا المنهج في اللغة والأدب م مفتاح / ألمتوكل/ ب الأخضر/ ب العطار / ت الراجي / أ الطريسي / ب حميس. دار طوبقال للنشر ط1، 1987م، ص 18.


الفصل الأول
استراتيجية العنوان

لقد درجت الدراسات التحليلية على العناية بموقف المتلقي من النص؛ أي توجيه العناية للفهم انطلاقا من الصياغة التي تخص موقف مرسل النص باعتبار أن ثنائية: المرسل(المنتج)/ المرسل إليه (الملتقي) تمثل الركنين الأساسيين في نص الخطاب وتكمن أهمية الدراسات التحليلية في الاعتراف بالدراسة النصية.

ومن جهة فإن وظيفة تحليل الخطاب تتمثل في أمرين أساسيين هما: الوصف (Descriptive) والتحليل (analyse). فالوصف يسبق التحليل،ش فهو يقوم بتوضيح مكونات النص بدء بالجملة والفقرة ثم بيان الموضوعات التي يتضمنها النص والروابط للوصول إلى بيان وظيفة هذه الروابط فمنها يبدأ التحليل النصي. وهو يتعدى الروابط الداخلية في النص إلى الروابط الخارجية. ومن ثم يبرز دور التحليل النصي في بيان وظيفة السياق.

والبحث عن طبيعة تحليل الخطاب يكمن في التركيز على عناصر هي:

من أين نبدأ التحليل؟ ما معنى التحليل؟ ما هي عناصر التحليل؟ فهذا يتضمن جملة من الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات طابع علمي محدد ويعني تحليل الخطاب تحليل اللغة في الاستعمال ضمن سياق يشمل المستعمل للغة في المجتمع (البيئة المحيطة به) بهدف تحقيق التواصل لذا نجد علماء النص يؤكدون على أن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله.

إذن فطبيعة التحليل اللغوي للخطاب، و هي أنها لا تقتصر على الدراسة الشكلية لنص الخطاب وحدها، بل تعدت إلى إبراز دور المتلقي كمشارك في العملية اللغوية و تحديدا أكثر فإن طبيعة تحليل الخطاب تكمن في تحديد المحلل/القارئ الأبنية الكبرى (Macro-structure) للخطاب وفق معارفه، و تعني هذه الأبنية ذلك "التركيب المقدر الذي يفسر أو يعلل تنظيم النص أو الخطاب".[1]

و يتم تحليل الخطاب بمعرفة العناصر المكونة له وظيفيا و بنيويا شرطا ضروريا للتمكن من بحثها، و اكتشاف شكلها، و يعني التقييم الوظيفي الوظيفة الدلالية التي تحمل المعنى. وهي تتمثل في أبنيته التركيبية. و تكمن أهمية الوحدات الوظيفية في قدرتها على التأثير في العناصر الأخرى، أي العناصر الثانوية.

1- Longmon Dictionary of applied linguistics, jack Richard, et al., , 1987,P251.

و من ثم فإن التحليل يعتمد على الدلالة النصية التي يشملها مستوى البنية الكبرى لنص الخطاب.

و مما سلف يتبيّن أن طبيعة التحليل النصي للخطاب أو تحليل الخطاب تكمن في ضرورة تحليل استعمال اللغة ضمن العلاقة التفاعلية بين المتكلم و المخاطب (السامع)/المنتج و المتلقي و السياق المحيط وتحليل الخطاب هو عملية إنتاج ثانية له.

و تمثل عناصر الخطاب: الباث (المنتج) --> الرسالة (الخطاب) ----> المستقبل (المتلقي) العناصر الأساسية في التحليل النصي للخطاب ففي الرسالة يركز المحلل/القارئ على الاستهلال كونه يمثل العنصر البارز في نص الخطاب، فهو ذو علاقة ببقية أجزاء النص للخطاب. و تكمن أهميته أكثر في تحكمه في الأجزاء التالية له، فالاستهلال هنا يعني العنوان باعتباره العلامة اللسانية التي ترتسم في أعلى النص للخطاب، وهو يوجه النص و مركز اهتمام كل من المرسل (الكاتب) و المرسل إليه (المتلقي). ثم تمتد سلطة العنوان إلى الفاتحة بوصفها الجسر الرابط بين العنوان و بنية النص، ثم المتن الذي يمثل بؤرة النص فالخاتمة أين يلفظ النص أنفاسه، و يحكم هذه العناصر علاقات شكلية دلالية.

و بهذا يكون تحليل الخطاب ذلك "التحليل النصي الذي يبدأ من البنية الكبرى (Macro-Structure) المحققة بالفعل، هي تتسم بدرجة قصوى من الانسجام و التماسك"[1]

فأين يتمركز نص الخطاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" لأبي حيان التوحيدي من خضم هذا التحليل؟

باعتبار هذا الخطاب الأدبي ينتمي إلى جنس النثر الذي قلما نجد فيه ممارسات التحليل، و من جهة فإن نص هذا الخطاب يندرج في الخطاب الصوفي و هو نص تراثي -قديم- يتميّز بلغته الترميزية المشحونة بفيض من الدلالات تعبر عن نبرة عميقة نابعة من مناجاة الصوفي بحرقة ووجد وعبارات روحانية أضفت هذه السمات على نص الخطاب هزات جمالية غير متناهية، فهو يدعو إلى قراءة ثانية، إنه رحلة استكشافية في الجانب الروحاني للإنسان، و هي تمثل قضايا معاصرة لم تستنفذ. فهذه السمات تؤكد

1 - بلاغة الخطاب و علم النص، صلاح فضل، ص: 254.

بحداثية نص الخطاب الصوفي باعتبار أن "النص الحداثي -سواء أكان قديما أو معاصرا- بمثابة تجليات الكلام دون ارتباطه بمعمارية الأشياء أو مواضعة للغة"[1].

ولتحليل هذا الخطاب الأدبي يجب الاتكاء، أو تأسيس منهج عام و شامل يتمثل في السيميائيات نظرا لنجاعتها في التحليل والوصف والتأويل ونتائجها الأكيدة(الجيدة)، وقد أصبح من المؤكد الاعتماد على السيميائيات في التحليل لا سيما بعد تصريح بعض الباحثين "إننا نظن أن السيميوطيقيات هي الأكثر مناسبة من غيرها لتحليل الخطاب"[2] فالسيميائي يستغل كل الوسائل في التحليل و يقوم بربط الصلات بين الأشياء ومرجعياتها، فهو يستنطق المكتوب (الحرف) و يصل بين الصوت و الحرف و ما يحيل إليه، و يدرس الفضاء و شكل الكتابة و اللون....وهكذا.

و بناء عليه فإن مشروعية تحليل الخطاب الأدبي لا يكتفي بالمنهج كسند له في عملية التحليل بل يتعدى إلى نظرية شاملة تحدد معالمه لأنه "لا يتم تحليل أي خطاب إلا في ضوء نظرية شاملة، و تصور واضح و شامل لمبادئ الكلية التي تكون عناصر النظرية".[3] وتتمثل عناصر هذه النظرية الشاملة في ماهية النثر، طبيعته ووظيفته وعلاقته بالحياة والحضارة الإنسانية.

فالنثر يخاطب العقل، ولكنه في هذا السياق يغوص في الأعماق فيخاطب الوجد، فهو خطاب ذوقي يهدف إلى تكوين نموذج الإنسان: الإنسان الكامل.

وتحليل مثل هذا الخطاب يستدعي تحليلا أكثر شمولية للوصول إلى المغزى ومنه فإنه "لا يتم تحليل أي خطاب إلا في ضوء أدوات مفاهيم إجرائية دقيقة، إلا أن هذه المفاهيم الإجرائية قد تختلف من جنس أدبي إلى جنس آخر، فما يشترط في هذه المفاهيم هو أن تكون منسجمة مع التصور الشامل"[4].

مما سبق تبيّن أنه على محلل الخطاب الصوفي "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" لأبي حيان التوحيدي أن يستند إلى جانب السيميائيات بمنظومة تقنية كعملية

---

1 - الشعرية العربية بين الاتباع و الابتداع: عبد الله حمادي، منشورات دار الكتاب الجزائري، ط:1 - ديسمبر 2001م ص: 201.

2 - المنهاجية بين خصوصيتي علم الموضوع و الثقافة القومية العربية (مرجع مذكور)، محمد مفتاح، ص: 18.

3 - تحليل الخطاب الشعري (مرجع مذكور): أحمد الطريسي، ص: 78 .

4 - نفسه.

ابسيتيمولوجية (معرفية) تسمح بالتحاور مع ما يبديه التمظهر السطحي لنص الخطاب بوصفه حدثا لسانيا حيا.

و في هذا الإطار يبدو مناسبا بالاستعانة بعلم العنونة (La titrologie) كمنظومة تقنية للتجاوب من خلالها مع الخطاب، و محاولة تفكيك رموزه لاستبطان ملامح الفكر فيه و المؤثرات التي تخضع لها. فالتحليل ها هنا هو قراءة استكشافية، استكشاف الكهوف البلورية في الخطاب، باعتبار أن الأدب عالم غير متناهي والخطاب لغة لا نهائية.

- إشكالية العنوان ,

قديما لم تكن إشكالية العنوان معروفة في النقد الأدبي، والتاريخ الأدبي، والنقد الفيلولوجي، واللسانيات، وباتت الإشكالية التي يطرحها العنوان عالقة، وهي كيف يعرف العنوان؟ ما هي بنيته الخاصة؟ ما هي الظروف الثقافية و السياقية التي يطرحها النص في بدايته؟ ما الوظائف التي يتضمنها العنوان؟ ما هي العلاقات التي تربط بين العنوان وبنية النص؟ وعنوان فرعي؟ ونصوص أخرى؟ ... "والعمل الحاضر يفتح مجالا واسعا لدراسة مجموع الإشكاليات النظرية للعنوان".(1)

وحديثا قد حظي العنوان باهتمام كبير من طرف النقاد والمنظرين الذين أفردوا له علما مستقلا به و هو علم العنونة (التيترولوجيا) "الذي يقوم على تركيب نصي يعد مفتاحا منتجا ذا دلالة ليس على مستوى البناء الخارجي للعمل بل يمتد حتى البنية العميقة ويستفز فواصله ويدفع السلطة الثلاثية : (المبدع --> النص --> المتلقي) إلى إعادة إنتاج تتيح لعوامل النص الانفتاح على أكثر من قراءة".(2)

لقد ارتبطت العنونة بالسيميائيات وذلك لتمثل الباحثين استراتيجية سيميائية في قراءة النص بوصفه بنية إشارية دالة، محاولين تطبيق هذا على قراءة العنوان في علاقته بالنص، وقراءة العلاقة بينهما (العنوان و النص) علاقة جدلية، إحالية مرجعية، إيحائية... لذلك يبدأ المحلل التحليل بدء بالعنوان بوصفه المفتاح الإجرائي الذي يفتح به مغالق النص

1 – دلالة العنوان و أبعاده في موتة الرجل الأخير، إبراهيم بادي، مجلة المدى، ع: 26، سورية، شتاء 1999م، ص:113 .

2 – نفسه، ص: 114 .

لتحليل مكوناته قصد إعادة بنائها ثانية في صور جديدة، لأن النص يمثل حضورا أبديا يستهلك القارئ.

و يعتبر العنوان محل إشكال بين الباحثين والدارسين، فهناك من يرى أن العنوان آخر ما يكتبه الكاتب، وهنا يصبح العنوان مفروضا على النص ولا شاعرية فيه، وفي هذه الحالة يمكن الاستغناء عن العنوان لا سيما في الشعر"فإن آخر ما يكتب في النص هو العنوان، فالنص لا يولد من عنوانه وإنما العنوان هو الذي يولد من النص فيفقد العنوان شاعريته".(1)

و هناك من يرى بأسبقية العنوان ووجوب ارتسامه على تخوم النص، و يتعلق هذا الأمر بالخطاب النثري بتعبير الناقد كوهين (Cohen) ومؤكدا "أن النثر علميا كان أم أدبيا يتوفر دائما على العنوان. والعنوان من سمات النص النثري كيفما كان نوعه، لأن النثر قائم على الوصل و القواعد المنطقية، بينما الشعر يمكن أن يستغني عن العنوان ما دام يستند إلى الانسجام ويفتقر إلى الفكرة التركيبية التي توحد شتات النص المبعثر وبالتالي قد يكون مطلع القصيدة عنوانا"(2). وعلى الرغم من هذه الاختلافات السائدة فإنه يمكن القول بأنه أحيانا يمكن الاستغناء عن العنوان لا سيما في بعض الأجناس الأدبية كالتوقيعات والدعاء...

و لكن يبقى العنوان متفردا بخصوصية في الشكل و الحجم و الصدارة "و هو أول لقاء بين القارئ والنص وكأنه نقطة الافتراق حيث صار هو آخر أعمال الكاتب و أول أعمال القارئ".(3)

و من خلال قول كوهين (Cohen) يتبيّن أن قضية العنوان مرتبطة بجنس النثر، و النثر يعتمد على العقل و من ثم فإن العلاقة بين العنوان و الخطاب هي علاقة منطقية تؤكد بأسبقية العنوان.

وبهذا يغدو العنوان ذا أهمية بوصفه نظاما سيميائيا يحمل أبعادا دلالية وأخرى

---

1 - ينظر: الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية، مقدمة نظرية، دارسة تطبيقية: عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1985م، ص: 263 .

2-Structure du langage poétique. J.Cohen: achevé d'imprimer de l'imprimerie bussiere, Saint-amond (cher), P : 159.

3 - الخطيئة والتكفير: عبد الله الغذامي، ، ص: 263 .

رمزية تستفز المحلل/القارئ.

وقبل التحليل تجدر الإشارة إلى التعريف بظاهرة العنوان و وظائفها للاستعانة بها في التحليل النصي.

I- تأسيس العنوان (الجانب النظري)

-العنوان لغة: اللسان – مادة (عنن): "عننت الكتاب وأعننته بكذا أي عرضته لـه. قال اللحياني: عننت الكتاب وعينته إذا عنونته ويقال للرجل الذي يعطي ولا يصرح قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته. قال ابن بري : والعنوان هو الأثر"[(1)].

ويتضح من هذا التعريف اللغوي أن العنوان علامة لسانية مرتبطة بالكتابة، أي أنه وسم للكتاب أو الخطاب، ومن جهة فهو يمثل مقصدية بوصفه علامة سيميائية تؤشر على دلالات مؤجلة فنية، سياسية، إيديولوجية...إلى غير ذلك.

وكما أنه يمثل دلالة بصرية من خلال الظهور و البروز بحيث يشكل أول لقاء مع القارئ، ويمثل أيضا المساواة بينه و بين الأثر؛ أي أن العنوان هو الأثر وهو الكتاب، والأثر هو العنوان، و هذا يشير إلى أن العنوان يحمل رسالة الأثر؛ أي الخطاب وذلك باختزاله للأثر لذلك هو يمثل أعلى اقتصاد لغوي* للأثر.

-العنوان اصطلاحا

يعرف المصطلح العنوان في المعجم الأجنبي بأنه "-العنوان- إشارة تتصدر العمل أو الموضوع في شكل صيغة تحيل إلى ما يقصده الكاتب"[(2)].

و من التعريفين السابقين يتبيّن أن العنوان يحتل الصدارة في الخطاب و يتضمن مقصدية المتكلم/الكاتب، و هو المؤشر الأول للدخول إلى عالم الخطاب.

ونظرا لأهمية العنوان فقد لفت انتباه الباحثين نقادا ولغويين ومنظرين، فهذا الكلاعي في كتابه "أحكام صنعة الكلام" أفرد فيه بابا للعنوان تعرض فيه إلى دراسة

---

1 – مادة (عنن) لسان العرب، ابن منظور ، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي. أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار صادر، الجيل -بيروت، ودار لسان العرب بيروت ، ط1، 1408هـ – 1988م، ج 1.

* "الاقتصاد اللغوي و هو مرتبط بالبلاغة العربية و يعتمد النظم و الإيجاز" ، ينظر: مدارس البلاغة المعاصرة، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1995 م، ص: 260

1- Dictionnaire Encyclopédique , Quillet, Paris, 1990, P : 69

العنوان. و قد بذلت قصارى جهدي للحصول على هذا المصدر القيم لإثراء الموضوع إلا أنه بات من المستحيل العثور عليه لذا اكتفيت بالإشارة إليه. وأما اللغوي أندري مـــارتيني (A.Martinie) فيرى "أن العنوان يشكل مرتكزا دلاليا يجب أن ينتبه إليه فعل التلقي بوصفه أعلى سلطة تلقي ممكنة وتميزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن ولاكتنـــازه بعلاقـــات إحاليـــة (مقصدية) حرة إلى العالم وإلى النص وإلى المرسل".(1) وفي هذا التعريف إشارة إلى تلك العلاقة المجسدة بين العنوان والمتلقي. وهي علاقة وطيدة تعبر أول لقاء بيـــن العنـــوان والمتلقي. فهذا اللقاء بدوره يحيل إلى مرحلة مـــا قبلـــه، أي إلـــى العنـــاصر الأساســـية والمتشابكة في بنية العنوان، وهي العالم والخطاب والمرسل.

ولاشك أن العنوان يشكل جسرا منه يتم العبور إلى نص الخطاب. ولتـــأكيد هـــذه الأهمية للعنوان ظهور تلك الدراسات النقدية التي بدأت معالمها تتبلور مع الناقد والمنظـــر ليو هوك (Leo H.Hock) التي مهد لها بنشر مقال عن دراسة لعناوين الرواية في المجلة ثـــم تلاه بتأليف كتابه المشهور الذي يعد مصدرا لتلك الدراسات التي تلته المعنون:

«« La Marque du titre »» (سمة العنوان). وتعد دراسته من أعمق الدراسات التـــي تنـــاولت العنوان من منظور مفتوح تؤطره السيميائيات بوصفها هي الأنجع في دراسة العنونة.

يعرف ليو هوك (Leo Hock) العنوان بأنه "مجموع العلامات اللسانية (كلمة، جملـــة، نص) التي يمكن أن تدرج على رأس نص لتحدده و تدل على محتـــواه العـــام، وتعـــرف الجمهور بقراءته"(2). ومن خلال هذا التعريف يمكن أن يستشف مفهوم العنوان من خـــلال تلك العلاقات التي يشكلها مع المرسل أين يتم الانفصال بينهما وبالتالي ينتج آخـــر لقـــاء بينهما أما مع النص ومع المتلقي فإنه ينتج عنه أول لقاء بينهم.

ومما سلف -التعاريف السابقة- يتضح أن العنوان ظاهرة لغوية تتمركـــز حـــول تخوم النص. وبعبارة أخرى فهو يمثل عتبة النص والتي يسميها النـــاقد جـــرار جنيـــت (G.Genette) النص الموازي (le paratexte) توطر كيان النص اللساني والدلالي والســـيميائي وتعلن عنه للجمهور و المتلقين.

1 – مبادئ ألسنية عامة، أندري مارتيني، ترى ريمون رزق، بيروت، دار الحداثة، 1990م ص 223.

2- La Marque du Titre dispositif sémiotique d'un pratique textuelle, Léo H.Hock, Mouton, Editeur à La Haye, Paris, new york ©, 1981, P.17

2-أنواع العنوان

إن دراسة ليوهوك للعنوان كانت مركزة على دراسة العنوان من مستوياته: التركيبي (Syntaxtique) و الدلالي (Sémantique) و الإيحالي (Sigmatique) والتداولي (Pragmatique). لذلك لم يفرد فصلا خاصا في الكتاب عن أنواع العناوين؛ بل كان ذكرها في الكتاب عرضا. وقد ركز دراسته على العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي.

وتتمثل أنواع العناوين حسب تصنيف ليوهوك في ثمانية أنواع هي :

-العنوان الرئيسي (T. Principal): وهو "يتصدر صفحة الغلاف الخارجي للكتاب"[(1)].

والملاحظ على العنوان الرئيسي أنه يرد مصحوبا بمعلومات خاصة بالمؤلف وبدار النشر وسنة النشر... إلى غير ذلك. و يتمثل العنوان الرئيسي في هذا الكتاب الذي هو قيد الدراسة في "الإشارات الإلهية" إلا أنه في الأصل كما هو مثبت في صفحة المخطوط: "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية". بخط المؤلف نفسه إذن فهذا هو العنوان الرئيسي والأصلي للكتاب كاملا.

-العنوان الفرعي: (T. Secondaire): وهو "عنوان مضاف إلى العنوان الرئيسي وينفصل عنه بواسطة علامة كتابية كـ(البياض، النقطة، الفاصلة، أو بواسطة أداة الربط.....إلخ)[(2)]. والعنوان الفرعي في هذا الكتاب يتمثل في العنوان الذي نجده مرتسما في الصفحة الأخيرة للكتاب على هذا الشكل.

الإشـــارات الإلـــهيـــة

والأنفـــاس الروحانيـــة

إن إخراج المحقق العنوان بهذه الصورة يؤكد أنه عنوان فرعي انطلاقا من وجود البياض وذلك بوقوع الجزء الثاني من العنوان "والأنفاس الروحانية"، تحت الجزء الأول "الإشارة الإلهية" تاركا البياض على جهتين. وكذلك توسط الرابط "الواو" بين جزئين، فهذا من جهة وجهة المحقق. ومن جهة وجهة المؤلف فإن علامة العنوان الفرعي تكمن في وجود الرابط "و".

1- La marque du titre, leo Hock, P :1.

2- Ibid, P :01.

يمكن تعليل إخراج المحقق العنوان بتلك الصورة بوصف "الكتابة (الخط) يخاطب بها البصر مثلما يخاطب الصوت، السمع وللكتابة وظائف منها: وظيفتها الطبيعية أي الرمز للاسم"[1]. وبتعبير حازم القرطاجني(ت 684) "تقييم في الأفهام هيئات الألفاظ"[2]. وأما الوظيفة التواصلية والجمالية إذ يعبر عنها الرازي بقوله ط وهي تقوم بوظيفة وصيلية حسب التتابع التالي الذي يأخذه المرجع في تحوله إلى لغة وصدوره من المتكلم إلى المتكلم إليه. والوظيفة الجمالية للمكتوب تتمثل في أن مزية الكلام في الحسن والجمال تارة تكون بسبب الكتابة"[3].

إذن إن مقصدية المحقق من هذا الإخراج للعنوان هي إغراء القارئ ودعوته إلى القراءة وربما هناك غاية أخرى ومن جهة فإن العنوان الفرعي يقوم بتتميم (تكميل) المعنى في العنوان الرئيسي ويتضح هذا من خلال التحليل.

تتمثل العلاقة بين العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي في أن "العنوان الفرعي يعيد العنوان الرئيسي ويتواجد معه في علاقة منطقية-دلالية"[4] .

– **العنوان الثاني (Le second titre)**: وهو يعني "العنوان الفرعي الذي يكون في نفس المستوى اللغوي للعنوان الرئيسي من جهة فإنه يرد بواسطة أداة الفصل "أو" التي تؤكد أيضا أهمية الترابط للعناوين.[5] وبالنظر إلى العناوين العربية لا نكاد نعثر على عنوان يتضمن أداة الفصل "أو" ويكون بمعنى العنوان الثاني، فهذا النوع من العنوان، يوجد في العناوين الأجنبية.

وأما العنوان الثاني في هذا الكتاب فإنه يتمثل في العنوان الفرعي الذي يعنون الصفحة الثالثة للكتاب كونه يوجد في نفس المستوى اللغوي للعنوان الرئيسي وهو كالتالي: "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية".

1 – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، تح: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1985، ص 113. نقلا عن :شعرية النوع الأدبي (في قراءة النقد العربي القديم)، رشيد يحياوي،إفريقيا الشرق، ط1، 1994م،ص 114.

2 – منهاج البلغاء، و سراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة،دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط3، 1986م، ص145

3 – نفسه، ص 145.

4- La Marque du titre, Léo Hock, P94

5-. Ibid, P 95.

- **العنوان التحتي (Le sous -titre)**: و"هو العنوان الفرعي الذي يكون مخالفا للمستوى اللغوي للعنوان الرئيسي". [1] ويعتبر العنوان التحتي عنوانا فرعيا كونه يتشظى من العنوان الرئيسي ويخالفه في المستوى اللغوي ويمكن التمثيل له هنا بالعناوين الداخلية التي يتضمنها الكتاب و هي:

1) ميمون الابتداء مبارك الانتهاء.
2) أركان المعرفة من الإشارات الإلهية.
3) ذم التفضيل بالغاشية و الحاشية من الإشارات الإلهية
4) استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية.

وتمثل هذه العناوين الأربعة امتدادا للعنوان الرئيسي.

-**العنوان المزيف(T. Imposteur)**: ويسميه أيضا جرار جنيت(G.GENETTE) بـ (le faux titre) وهو "يدرج في الصفحة الثالثة للكتاب، وتحمل العنوان الوحيد الذي قد يكون مختصرا. أجهل سبب هذه العادة المكررة لكن هذه الملاحظة الدنيا تجعل من العنوان المزيف الفضاء الأنسب للإهداء المثالي الذي نجده لذاته"[2].

وهذا لا يعني أن العنوان المزيف يأتي دائما في الصفحة الثالثة للكتاب، وقد أشار الناقد أنه قد يرد أيضا في الصفحة الأولى والثانية للكتاب. فهذه الخاصية في الكتابة تختلف من كاتب لآخر.

ويرد العنوان المزيف في هذا الكتاب في الصفحة الأولى للكتاب مختصرا كالتالي "الإشارات الإلهية" دون إضافة معلومات أخرى توضح العنوان، إلا أن هذه الصورة للعنوان هي كما سبق هي وجهة نظر المحقق لا الكاتب، لأن ثبت العنوان في مخطوطه على هذا الشكل "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية".

- **العنوان الحقيقي (T. Denotatif)**:وهو "العنوان الذي يكون منسجما مع بنية النص، فلا يحتاج القارئ إلى التأويل"[3]. وهذا النوع من العنوان ينطبق على الخطابات العلمية التي تعتمد على اللغة العادية المباشرة.

1- LA MARQUE DU TITRE LEO HOCK, P : 94.
2- Seuil, Gérard GENETTE, © Edition du seuil, 1987, P : 36..
3- Ibid, P171.

-**العنوان الإيحائي: (T. Connotatif)**: وهو عكس السابق فهو "يتنافر مع بنية النص بحيث يلجأ القارئ إلى التأويل وهو يتضمن قضايا كالإيديولوجيا والقيم الأخلاقية".[1] فهذا النوع من العنوان ينطبق على الخطابات التخيلية التي تعتمد الرمز، أي أنها تعتمد على اللغة الشعرية وهذا ما نجده في الشعر المعاصر وكذلك في الروايات لا سيما الرواية الجديدة .

-**العنوان الخاص(T. Spécifique)** : إن هذا النوع من التجريد يقتضي أن يشتغل العنوان المتفرد كجملة مفيدة يكون شكلها مختصرا، ولكنها تستدعي في عمقها بنية مماثلة لنظائرها في الجمل النحوية.

إن الاختلاف التركيبي بين العنوان الخاص والجملة النحوية هو عبارة عن اختلاف في المظهر لأن حذف عنصر الفعل كان نتيجة عملية التحول عن طريق الحذف[2].

ومما سبق يتضح أن العنوان هو بمثابة مرسلة لغوية تكون في لحظة ميلادها بمثابة النابض يربطها بالنص لحظة الكتابة و القراءة معا وأما الدكتور محمد مفتاح فإنه يجسد العنوان في صورة تشبيهية بقوله "-إن صحة المشابهة- هو بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي ينبني عليه غير أنه إما أن يكون قصيرا وحين إذن فإنه لا بد من القرائن فوق اللغوية توحي بما يتبعه".[3]

وبناء عليه يمكن تفسير سبب اهتمام المؤلفين بلعناوين كتبهم ومؤلفاتهم إدراكا لنفوذ العنوان واستغلاله لأن "العنوان الجميل هو بمثابة الوسيط الحقيقي للكتاب ويجعله سريع الرواج" [4].

-**وظائف العنوان .**

ينطوي العنوان على وظائف يمكن تحديدها بالرجوع إلى قاعدة التحليل التداولي (البراغماتي) اللغوي للعنوان؛ أي أن العنوان يمثل فعل الكلام. وتكمن أهميته في هذه الحالة في تشكيل الظروف لأجل مقبوليته معنى في سياق اتصالي، محدد لغرض الإبلاغ. فالعنوان إبلاغ من طرف المرسل (الكاتب) في وضعية إتصالية محددة مع المرسل إليه (القارئ).

1- LA MARQUE DU TITRE, Leo Hock,P : 84
2-Ibid, P 171.
3 – دينامية النص (تنظير و إنجاز) محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990م،ص 72.
4- la Marque du Titre, Léo Hock, P: 03

وبالنظر إلى العنوان يمكن تقسيم الوظائف إلى نوعين: وظائف أساسية تتمثل في الوظيفة الإعلامية والوظيفة الإنجازية والوظيفة الإقناعية. وتتفرع من هذه الوظائف الأساسية وظائف ثانوية شتى.

والتحليل التداولي للعنوان يسمح بتصنيف وظائف العنوان إلى ثلاث أصناف "حسب تصنيف ليوهوك، الذي يعتمد على نوع فعل القول". (1)

و من خلال الجدول يمكن تصنيف وظائف العنوان حسب فعل القول إلى ثلاث أنواع هي :

نوع قول الفعل	نوع الملفوظ	الوظيفة	
فعل القول (locution)	الأعلام (information)	الإعلامية (Informative)	
فعل قول الفاعل (Illocution)	التعيين (désignation) الإعلان (Déclaration) التقاعد (promission)	الإنجازية (performative)	ندائية (appellative) توجهاتية (modélisation) تعاقدية (Contractualisation)
فعل القول التأثيري (perloccution)	الإقناع (persuasive)	الإقناعية (persuasion)	

أولا: وظيفة الملفوظ المعنون بفعل القول، وهو يشتمل على وظيفة أساسية تتمثل في الوظيفية الإعلامية "وتقوم" بتزويد القارئ بالمعلومات التي يطرحها موضوع القراءة".

ثانيا: وظيفة الملفوظ المعنون بفعل قول الفاعل ويشتمل على وظيفة أساسية تتمثل في الوظيفة الإنجازية، وهي تعطي اسما لبنية النص التي تعينها، وهذه الوظيفة تتفرع إلى ثلاث وظائف ثانوية تتمثل في :

1-الوظيفة الندائية: "وتقوم بتحديد بنية النص"

2-الوظيفة التوجهاتية: "وتقوم بقراءة العنوان و فهم بنية النص"

3-الوظيفة التعاقدية: "ترتبط بالعناوين الخيالية و تشتمل على وظائف فرعية تتمثل في الوظيفة الإغرائية (Apéritive) والوظيفة التوقعية(Anticipatrice) والوظيفة التركيبية

1- la Marque du Titre, Léo Hock, P 171.

(Structuration) والوظيفة الدرامية(Dramatique) والوظيفة الشعرية (Poétique) و الوظيفة التخيلية (fictionnalisation).

و هذه الوظائف الفرعية جميعها ينصب في ممارسة فعل القراءة بماله و ما عليه".[1]

و تشتمل هذه الوظيفة على أربع وظائف ثانوية تتمثل في :

1-الوظيفة الإيحائية (Conative) "تستعمل لشد انتباه القارئ".

2-الوظيفة التحريضية (Provocatrice) "تقوم بالتأثير و بأسر القارئ".

3-الوظيفة التقويمية (Valorisante) "وجوب وضع العنوان بقيمة بنية النص".

4-الوظيفة الإشهارية (Publicitaire) "العنوان يقدم النص كشيء مبتاع، أي إنشاء النص للتسويق"[2] .

ومن خلال الوظائف يمكن استنتاج أهداف العنوان المتمثلة في:

العنوان --> الإعلام --> النداء --> التوجهاتية --> التعاقدية --> الإقناعية.

وعلى الرغم من أن العنوان يشتمل على تلك الوظائف إلا أنه ينفتح على وظيفتين أساسيتين هما:

" أولا: إنتاج تقديم/ القيمة الإيديولوجية وثانيا: توجيه خفي للقارئ"[3] وباعتبار الملفوظ المعنون بفعل قول الفاعل فإن العنوان هو نقطة التقاء أو انتباه المتلقي (المشتري/القارئ). وهذه إشارة إلى وجود علاقة مثبتة بين متكلم (المؤلف) ومخاطب (القارئ).

II- الجانب التطبيقي (تحليل عناوين الكتاب)

إن الخطاب في "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" يفتح أمامنا رؤية تجربة إسلامية تظم إلى أبعادها الكونية الإلهية بعدا باطنيا إنسانيا.

فالبحث في خطاب التوحيدي يفتح أمام القارئ متاهة كونه يبدو فيها صوفيا لا معبرا عن تجربة صوفية؛ لأن ثمة هناك فرق بينهما.

فالتجربة الصوفية هي تجربة جوانية روحانية تتحرك في إطار ذات تواجه موضوع معرفتها ومحبتها. بينما تجربة الكاتب /التوحيدي هي تعبير عن رحلة قلم تتحرك في إطار

1- LA MARQUE DU TITRE NEO HOCK , P275
2- VOIR : LA MARQUE DU TITRE, NEO HOCK, P278.
3- Ibid, P279.

تواجه فيه الحروف، والكلمات، والمصطلحات، والرموز، والمفاهيم...إلى غير ذلك. وخروج من الذاتية والجوانية -الباطن- إلى الآفاق ومواجهة الآخرين وخلق لغة جديدة في محاولة التواصل مع الآخرين.

فقد انطلق الكاتب /التوحيدي من ميدان الأحوال والمواجيد إلى منطق العلم والنظريات. وفسح المجال أمام الغرباء عن عالم التصوف للولوج إلى محراب هذا العالم . فكان خطاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحية" عالما خاصا متفردا بلغته الترميزية الإيحائية.

تعد "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" متاهة نصية ينصبها الكاتب للقارئ أو الدارس فيوهمه ببساطة الإشكالية "أما ترى فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة بصنوف العبارة في الأركان الوثيقة دالة مع الآيات الأنيقة جامعة للآراء الرنيقة؟ فجل في أطرافها طالبا نفسك فيها وغص في أعماقها محصلا حقيقتك منها"[1]الكاتب ينشر إشارته عبر جسد الكتاب بفنون من العبارة، ويطلب من القارئ تتبع آثارها واستقرائها.

فكيف يا ترى يلملم القارئ نسيج هذه الإشارات المبثوثة في ثنايا الكتاب؟

القراءة الأولية للكاتب توهم القارئ بوصوله إلى المعنى، فيتراءى له الكاتب وكأنه غارق في الوحدة والغربة ينادي ويناجي أفرادا مجهولين يعبر عنهم بألفاظ مختلفة: يا هذا، حبيبي ! ،أخي ! ، سيدي !.

إن الكاتب كله يشكل نص خطاب واحد، فهو عبارة عن دفقات شعورية متقاربة حسب ما أشار إليه الكاتب "أنا نطقت بهذه الألغاز بعد سبعين سنة وقد تحطمت قناتي، وانكمشت شواتي، وتقللت صفاتي، واضمحلت صفاتي، وبليت لحمة وسادتي، وفقدت شهوتي ولذاتي ومنيت بموت أحبتي ولداتي؛ فنطقت وغالب الهوى مغلوب، وشارد الحزم مألوف، وغراب العزة واقع، وجناح الكبر مكسور، وربع اللهو طامس، وماء الشبيبة ناضب وهدير العاذل ساكن، وعود الهوى عاس، وروض المنى خاو، وبصر العين مكفوف، وريش الغرامة منتوف، وعازب العقل رائح، ورائح الجهل سارح". [2]

1 - المصدر : ص:86.

2 -المصدر: ص' 236- 237.

وكما أن هذا الكاتب يمثل منهجا في فن المناجاة الإلهية في الأدب الإسلامي؛ فــن يتسم بالعمق في غور الحياة الباطنية، ورهافة في الحساسة الكونية.

والأحداث عند الكاتب عبارة عن رموز، وعلامات، وإشـارات علـى الجوهـر الباطني في أعماق الوجود كله. والكاتب قد لقي عنتا في دنياه؛ لوعـة الغربـة وفاجعـة الوحدة. فقد الأهل والخلة فكان القرطاس والقلم رهن إشارته ليصب فيه جام غضبه قائلا: "ولقد استولى علي الحرف فتمكن مني نكد الزمان". (1) فكانت الأربعة والخمسون رسـالة كلها عبارة عن "رسالة واحدة تحكي صيرورة ذات". (2) وكما أن هذا العدد الـهائل من الرسائل جاء على وتيرة واحدة إنها تعبير عنى فعل الكتابة عند الكاتب "إنها بوابة مشرعة على الوجع والضنى". (3)

إن هذه الإشكالية أو الضبابية الكثيفة التي تحتضن النص، وتحول دون النفاذ إليـه، يمكن أن تتجلي من خلال إنشاء القارئ أو المحلل حوارا خلاقا مع مكونات النـص بـدء بأصغر وحداته.

إن الأدب في جوهره فن لغوي، واللغة وسيلة الكاتب ومن ثم فإن الدخـول إلـى النص لابد أن يكون من بوابة هذه اللغة لاسيما في نص الخطاب الصوفي. فالعنوان هـو المفتاح السحري إلى شفرة التشكيل أو هو الإشارة الأولى التي يرسلها الكاتب إلى القـارئ إذ تمثل خيوطا أساسية تقود إلى شفرة النص كونه يمثل بؤرة الرسـالة الشـعرية التـي يمنحها الحياة والاستمرار وثراء المعنى.

يمثل العنوان "**الإشارات الإلهية والأنفاس الروحية**" آخر كتاب للتوحيدي إشـارة دالة على الروحانيات بكل ما تنطوي عليه من دلالات ورموز تنشر على جسـد الكتـاب كله.

يصطلح العنوان بتعيين مجموعة من النصوص التي تلحقه، ومنه فإن "الإشارات الإلهيـة والأنفاس الروحانية" تقوم بتعيين تلك الرسائل المتولدة منها تأكيدا أن العلاقة بين العنـوان والنص هي علاقة إنسالية تجمع بين الأب والابن، وتمنح الأب شرعية الأسـبقية فكـان

---

1 -معجم الأدباء/: ياقوت الحموي، تح: احسان عباس، مج:5، ص: 1927.
2 -تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي- لبنان، ط:1، 1992م، :149.
3 -لحظة المكاشفة الشعرية (إطلالة على مدار الرعب): محمد لطفي اليوسفي، الدار التونسية للنشر، ص:17.

العنوان يتبوأ موقع الابتداء في النص، ويمثل المسند إليه كما يقول الناقد ج. كوهين (j.cohen) "فالعنوان مظهر من مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي، وبالتالي فالنص إذا كان بأفكاره المبعثرة مسندا فإن العنوان مسند إليه. فهو الموضوع العام. بينما الخطاب النصي يشكل أجزاء العنوان الذي هو بمثابة فكرة عامة أو محورية، أو بمثابة نص كلي". (1)

إن الرابط بين المسند إليه (العنوان) والمسند (الخطاب النصي) هو رابط معنوي يتمثل في العلاقة الاسنادية. وتكمن أهمية المسند في إمكانية فهم المسند إليه.

والابتداء يمنح العنوان صفة الظهور والبروز؛ لأنه يمثل "أداة إبراز لها قوة خاصة" (2) ويظهر هذا الإبراز في الفكرة الرئيسية المبرزة في العنوان: "الإشارات الإلهية" والتي ستكون محور الخطاب النصي للرسائل. ويبدو هذا جليا من خلال تكرارها في العناوين الفرعية للكتاب. وهي في كل مرة تكتسب معنا جديدا.

يبدو أن العنوان يحمل شحنة دلالية تفتحه على تعدد المعاني؛ أي أنه يحمل فيضا من الدلالات والرؤى. ويوصف العنوان يمثل فضاء سيميائيا فإنه يفتح العمل الأدبي على خمس إشارات دلالية هي:

الإشارات/الإلهية/و/الأنفاس/ الروحانية/ وهي بدورها تمثل ما وراء الإشارة (neta-signe)؛ لأنها لا تحيل إلى محيل/ مؤشر إنساني؛ بل تحيل إلى كتاب. ولفهم هذا الكتاب يستلزم البدء بأصغر وحداته، وهي العنوان الذي ورد جملة اسمية، والجملة الاسمية تفيد الثبوت؛ ثبوت محتوى الفكرة التي ضمنها الكاتب للعنوان. وهي تشير إلى تقرير الحقيقة التي يؤمن بها الكاتب. وللوصول إلى هذه الحقيقة يجب تحليل العنوان من مستوياته: التركيبي والدلالي والإحالي والتداولي.

العنوان جملة اسمية تتكون من مركبين اسميين هما:

أولا: الإشارات الإلهية: مركب اسمي تتكون من إشارتين دلاليتين. الإشارات مفردها إشارة وهي عند السيميائي "تعني حدثا يدرك المتلقي معناه بسرعة قياسية إلى حدث آخر

1- la structure de langage poétique, J .Cohen ,p : 159.

2 -تحليل الخطاب: ج. ب براون وج.يول- تر: لطفي الزليطي ومنير التركي، ص:162.

غير مدرك" [1]. والقصد من الإشارات الإبلاغ؛ الإبلاغ بالإيماء "رب إشارة ابلغ من عبارة"؛ لكن تبقى الإشارات تحمل شحنة دلالية؛ لأنها متعلقة باللغة الصوفية التي تعبر عن المطلق وهو عصي عن القول "فاللغة الصوفية لا تقول إلا صورا منها ذلك أنها تجليات المطلق –تجليات لما لا يقال وبما لا يوصف وبما تتعذر الإحاطة به– فما لا ينتهي لا يعبر عنه إلا بما لا ينتهي. والكلام منته والمتكلم هو كذلك منته ستظل قدرة الكلام إذن إشارية ورمزية". [2]

ويبقى المدخل الرئيسي إلى عالم التجربة الصوفية هو الإشارة التي لها القدرة أن تقول ما لا يقال مجازا ورمزا. ويمكن القول أن الإشارة هي القاسم المشترك بين عالم الصوفية وعالم السيمياء في الإبلاغ فهي "تتطلب معرفة الإبلاغ بصفة عامة بالإضافة إلى دلاليتها". [3]

ويتضح معنى لفضة (الإشارات) بتحليلها إلى مكونات المباشرة:

الإشارات: اسم ورد بصيغة الجمع؛ والجمع دلالة على الكثرة. وتفيد أل التعريف فيها –الإشارات– الاستغراق؛ استغراق جنس الإشارات للدلالة على الشمول. وبإضافة لفظة الإشارات إلى لفظة الإلهية أفادت التخصيص؛ والتخصيص يفيد الوظيفة التحديدية؛ أي تحديد هذه الإشارات بالإلهية. وهذا التحديد يؤكد شمول وعموم الإشارات. الإلهية: نسبة الاسم إلى الله ومنه فإن هذه الإشارات صادرة من الله سبحانه وتعالى. وهذا العموم والشمول يشير إلى تجلي آيات القدرة الإلهية في الآفاق والأنفس لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [4] وهذا دليل على وحدانية الله تعالى. ومن ثم فإن صيغة الإفراد في

1 –محاضرات في السيميولوجيا: محمد السرغيني، ص:17.
2 –الصوفية والسريالة: أدنيس، دار الساقي بيروت– لبنان، ط:1، 1992م، ص23/ 24.
3 – نفسه، ص:16.
4– سورة فصلت، الآية:53.

لفظة (الإلهية) تثبت هذا المعنى فهو الواحد الأحد﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1)اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [1]. وأل

التعريف في الاسم (الإلهية) يعني استغراق الأحدية والوحدانية لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له.

والعلاقة بين الإشارتين الدلالتين (الإشارات الإلهية) هي علاقة اسنادية تفيد بيان حكم المتمثل في قضية التوحيد "والتوحيد شرعا هو إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والإلهية والأسماء والصفات".[2] وهو رأس الإيمان وأساس العقيدة الإسلامية.

وتعني لفظة الإلهية في المعجم: "مادة أله-فلان-إلاهة-وألوهة-وألوهية: عبد و-فلان ألهم: أجاره وآمنه.

(أله) فلان- إلاهة وألوهة وألوهية: عبد و-ألها وتحيرا ألجأ -و-عليه: اشتد جزعه. و-بالمكان أقام"[3]. فالإلهية تعني العبادة وهي إشارة إلى توحيد العبادة لله تعالى، فهي متعلقة بالالوهية.

ثانيا: الأنفاس الروحانية

والبحث في الخصوصية الدلالية لكل صيغة من هذه الصيغ يتم في المستوى الفني الكلامي لدلالة الصيغة، وهذا مرتبط بسياق الكلمة، فيشتمل هذا المركب الاسمي على إيحاءات وظلال معنوية تعطي كافة المعاني المحتملة في هذا الموقف التي تتضح من خلال تحليل هذا المركب الاسمي.

الأنفاس: اسم ورد بصيغة الجمع (جمع تكسير) يدل على القلة، وتفيد أل التعريف فيه استغراق جنس الأنفاس. ويراد من هذا الجمع المعرف كل واحد من إفرادها فيكون الحكم مسندا إلى كل فرد إثباتا. وبإضافة لفظة الأنفاس إلى الروحانية تكتسب التعريف؛

1- سورة الإخلاص، الآية 1/ 2.

2- القول المفيد على كتاب التوحيد: شرح محمد بن صالح العيثمين، دار ابن حزم الجوزي، ط:3، 1419 هـ/1999م، ص:8.

3- المعجم الوسيط: قام بإخراج هذه الطبعة: إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، ع/ الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد. واشرف على الطبع حسن عطية ومحمد شوقي أمين، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1، ج1، ص25.

تعريف الأنفاس بالروحانية.

الروحانية: نسبة اسم الروح إلى الروحانية. هي اسم مفرد؛ والمفرد يدل على قلـة. وأل التعريف تفيد استغراق جنس الروحانية.

ويوحي توظيف دلالة القلة في هذا المركب الاسمي -الأنفاس الروحانية- بـالكثرة غـير المتناهية والمركب الاسمي يعنى الدعاء أو المناجاة "والدعاء سمة العبودية وعنوان التذلل، والخضوع، والاستكانة، وتلبية للاحتياج، والافتقار الذاتي، ودليل الصدق في اللجأ والرجاء والرغبة والطمع والخوف والرهبة. فهو لب العبادة ومخها وروحها فنصرفـه لله تعـالى عبادة وتوحيدا، وصرفه لغيره تعالى شرك وتنديد". (1)

من خلال تعريف الدعاء يلاحظ ثمة علاقة بين الدعاء ودلالة الكثرة غير المتناهية.

فالداعي يكثر من الدعاء رغبة في التقرب إلى الله تعالى:﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾. (2)

وبالدعاء يحقق العبد التواصل مع ربه. وهذا التواصل يتسم بالديمومة والاسـتمرار؛ لأن حقيقة الدعاء إظهار الحاجة واللجوء إلى الله والافتقار إليه. ومن ثم كانت دلالـة الكـثرة غير متناهية بالنسبة للعبد الفقير إلى الله.

وبالمقابل فتعني دلالة الكثرة غير المتناهية أن الله تعالى لا يمل من دعاء عبده حتى يمـل العبد فهو -الله- الغني الحميد. ويؤكد هذا قوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (3).

وبهذا يكون المركب الاسمي الثاني "الأنفاس الروحانية" تعبـيرا عـن العبوديـة. والعبودية هي أعظمي مراتب القرب والمودة، ومن جهة فإن الدعاء متعلق بالربوبية.

1 -الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: أبو ع/الرحمن جيلان بن خضر العروسي، مكتبة الرشد- الرياض، ط:1، 1417هـ /1996م ، مج:1، ص6/ 7.
2 -سورة غافر، الآية:60.
3 -سورة الأعراف، الآية:43.

يتم الربط بين مكونات العنوان بصورتين إحداهما واضحة ويظهر فيها من خلال وسائل تركيبية قوية، وهي تتمثل في الربط غير المباشر لوجود الرابط الواو الذي يقوم بالوصل بين مركبين العنوان بواسطة معنى الجمع الذي تبرزه علاقة شبه تضاد. وتشير هذه العلاقة إلى وجود ثنائية شبه تضاد في بنية العنوان، وهي تتمثل في ثنائية: الله/ الإنسان والمتكلم/ المخاطب.

وتتمثل صورة الربط الثانية في الربط المباشر التي تحققها العلاقة الاسنادية بين عنصري كل مركب اسمي:(**الإشارات الإلهية**) و(**الأنفاس الروحانية**) ولذلك لا يمكن جعل المركب الاسمي الأول مسندا إليه والمركب الاسمي الثاني مسندا له؛ ولكن يمكن جعل الاثنين معا مسندا للموضوع الضمني هو موضوع العقيدة المتمثل في التوحيد والدعاء.

والموضوع الضمني يعني وجود رابط إسنادي، وهو هنا يتمثل في السؤال المطروح باعتبار أن العنوان يطرح سؤالا: ما التوحيد وما الدعاء؟ وإجابات هذا السؤال ماثلة في متن خطاب النص.

وبوصف هذا الأخير -النص- يمثل خبرا للعنوان بحكم الابتداء، فإن صياغته غالبا ما تكون مرتبطة بإخراج العنوان؛ أي بنيته التركيبية، فهي تمثل الرابط (الحبل السري) بين العنوان وبنية النص حيث "يبدو أن المتكلمين والكتاب يستعملون طريقة في صياغة الخبر لإضفاء إطار بنيوي على خطابهم يعود على مقصدهم الأساسي ويمدهم بنافذة تطل على كل ما يلحق". [1] ويتجلى مقصد المتكلم/ الكاتب في البنية التركيبية للعنوان التي توحي بوجهة نظره المتمثلة في تثبيت العقيدة الإسلامية لتسود وتعم في العالم. وتثبيتا لهذا المقتصد "ورود العنوان معرفا بالأداة يمنحه وظيفة التعميم". [2]

وبعد معرفة القارئ لمقصد الكاتب الذي يمكن اعتباره نافذة يطل على كل ما يلحق. فكيف ينفذ القارئ من هذه النافذة إلى بؤرة تلك الرسائل المتولدة من رحم العنوان؟

مؤكد أن القارئ الحصيف لا يحمل الخطاب ما لا يطيق مبتغاه؛ بل يحاول الولوج إلى عالم الخطاب وهو مزود بكفاءته اللغوية والأدبية والمعرفية.فهو لا يقارب خطابا وهو صفحة بيضاء.

---

1 -تحليل الخطاب: ج. ب براون، وج يول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، ص:168.

2- LA MARQUE DU TITRE ; LEO. HOCK, p : 164.

في هذه المرحلة القارئ يضطلع بعملية فك رموز ومغالق بنية النص من اجل إعادة بناءه دلاليا لذا يجب أن "يصغي إلى النص ويرصد اندفاعاته وتمكينه من الإخبار عـــن كيانـــه ويعلن عما يخفيه". (1)

وهذه إشارة إلى محاولة القارئ الاستئذان من النص والاستئناس به ثم مقاربته.

وقبل نفاذ القارئ إلى بنية النص تعترضه عتبات، ومن هذه العتبات النص المـــوازن (le paraTaxe) ويعني "كل ما يخص عناوين النص، وعناوينه الفرعية، والمقدمات والذيـــول، وكلمات الناشر،..."(2).

ومن بين هذه العتبات تكرار عنوان الكتا ب في الصفحتين الأولى والثالثة للكتـــاب. وهذا التكرار يوحي بأهمية العنوان لدى المحقق، فهو قارئ ؛ ولكن هذه العادة المتكـــررة موجودة عند الكتاب حيث يخصصون للعنوان صفحة كاملة فهو يمثل خطابا.

فيرصد الكاتب في الصفحة الأولى تعيين العنوان، اسم المؤلف/ الكاتب، النشر والناشـــر، تاريخ النشر،...الخ.

وقد لخص الناقد ليو هوك (leo Hock) هذه القضايا بتعبـــيره "العنـــوان بطاقـــة تعريـــف للنص"(3) ويمكن تصنيف هذه القضايا في وظيفتين أساسيتين هما:

1-الوظيفة الإشهارية بالنسبة للكتاب (التسويق).

2-الوظيفة الاغرائية بالنسبة للقارئ (القراءة).

وتلي الصفحة الخامسة التي تحتوي على تصدير عام. ويبلغ عدد صفحـــات هـــذا التصدير خمسة وأربعون صفحة، تضمنت أخبارا عن المؤلـــف والمؤلـــف، وكـــذا أراء المحقق حول بعض القضايا كالغربة. وقد ضمن المحقق هـــذا التصديـــر صـــورا مـــن المخطوط تضمنت الرسائل الأولى من كل فصل مع ضبط العناوين فيها. وفي الصفحـــة الأخيرة من المخطوط ثبت الكاتب عنوان كتابه كاملا "تمت المجلدة الأولى من "الإشـــارات الإلهية والأنفاس الروحانية"، بحمد الله ومنه ولطيف صنعه"(4).

وفي الصفة الخامسة والأربعين كرر المحقق العنوان كما ثبته الكاتب في المخطوط.

---

1 -لحظة المكاشفة الشعرية: محمد لطفي اليوسفي، ص:19.

2 - Seuil : G.Genette, p :3

3 – LA MARQUE DE TITRE : LEO .HOCK, p : 291.

4 – المصدر: ص:40.

يستهل المتكلم/ الكاتب الخطاب -الرسائل- بالاستفتاح بالبسملة فهي فاتحة الكتاب اقتداء بالسلف الصالح الأنبياء والرسل الذين كانوا يستفتحون أمورهم وأعمالهم بالبسملة. وكما أنها "هي أول شيء يستفتح به الله تعالى آيه الحكيم. فهي عنوان كلام الله المجيد. وأن سائر الأنبياء يبتدؤون عند الشروع في أعمالهم الخيرية بذكر الله عز وجل. فهي فاتحة كل كتاب وآية من القرآن المجيد. وهي من عظائم الأسرار ودقائق الأفكار. وهي تستعمل في أوائل الرسائل ومبادئ الشؤون. والبسملة متعلقة بفعل مضمر نحو إعانته بسم الله أشرع. ولا شك أن استماع هذه الكلمة ينبه العقل على انه لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله. ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله. وينبه على أنه لا يتم شيء من الخيرات إلا إذا وقع الابتداء فيه بذكر الله تعالى".[1]

وأول من استفتح كتابه بالبسملة النبي سليمان عليه السلام "ويؤول المضنون أن سليمان اقتدى في افتتاح كتابه بالبسملة بنسبة موروثة من عهد إبراهيم. جعلها إبراهيم كلمة باقية في وارثي نبوته وأن الله أحيى هذه السنة في الإسلام". [2]

والغاية من بدأ الأعمال وسائر الأمور بالبسملة لإعطائها صورة إسلامية خاصة. وتأكيد التوكل على الله تعالى والاستمداد منه، وإفراد الله تعالى بالاستعانة به فيه إقرار بربوبيته "بأن الرب سبحانه وتعالى -هو المالك وفيه أيضا معنى الربوبية والإصلاح والمالك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء". [3]

إن التلفظ بالبسملة يعني ذكر اسم الله باللسان واستحضار عظمة الذات الإلهية والإحساس بها في القلب وتعميق الشعور في أبعادها، ويعني هذا الإشعار بالعبودية - والعبودية هي عبودية القلب، والغنى هو غنى النفس، وكلما ازداد القلب حبا له ازداد عبودية وكلما ازداد عبودية ازداد له حبا وفضله عما سواه. والقلب فقير بالذات إلى الله بوجهين: من جهة العبادة وهي العلة الغائية، ومن جهة الاستعانة والتوكل وهي العلة الفاعلة فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يصيب ولا يسكن إذ فيه

---

1 - روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي، دار الفكر بيروت، مج:1، ج:1، 1403هـ/ 1983م، ص:47.

2 -التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر- تونس، ج:1، 1984م، ص:151.

3 -مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار أنور البار، مج:1،توحيد الألوهية والربوبية، ج:1، دار الوفاء- دار ابن حزم. ط:2، 1419 هـ/ 1998م ، ص:69.

فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه وبذلـــك يحصـــل لــه الفـــرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة". [1]

يبدو جليا أن المتكلم/ الكاتب قد أدرك سر البسملة مصداقا لقوله صلـــى الله عليـــه وسلم "كل امرئ ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر". [2]

وفي هذا غاية الإظهار لعظمة الله تعالى وقدرته ورحمته الواسعة ونعمته المتصلة بـــدوام فضله.

يتلو البسملة البدء والشروع في الفعل المراد. فكان أول البـــدء معنونـــا بـــ: "**ميمـون الابتداء مبارك الانتهاء**".

ففي هذا التركيب اللغوي تلمس الألفة الحميمة بين الألفاظ المنتقاة المنســـجمة. وان هذا الاختيار للعنوان صادر عن بعد نفسي إبلاغي جمالي يتمثل في ثبوت رغبة المتكلـــم في الابتداء في فعل الكتابة؛ إنه تعبير وإشعار بلحظة ميلاد الخطاب (الرسائل).

وفي هذا السياق يجب على القارئ البحث عن الانسجام بين العنوان والخطاب مـــن خلال فاعلية التأويل انطلاقا من تحليل بنية العنوان إلى العناصر الأساسية المكونة له.
توحي البنية التركيبية للعنوان عن انتقاء ناتج من مستوى فني لتلـــك الألفـــاظ والصيـــغ. ومراعاة الخصائص الفارقة بين الصيغ. وإدراكا لأثر كل اختلاف شكلي بين الصيغ.
ورد العنوان مركبا اسميا يتكون من مركبين هما:
أولا: ميمون الابتداء؛ يقوم هذا المركب على الإضافة وتعني الإضافة نسبة اسم إلى اسم آخر وإسناده إليه" [3]ومن هذا التعريف يمكن القول أن نسبة اسم (ميمون) مضافة إلى اســم (الابتداء)، وبحكم العلاقة بين المضاف والمضاف إليه يصبح الابتداء ميمونا.

---

1 -العبودية: تقي الدين أحمد بن ع/الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، المكتب الإسلامي، تقديم ع/الرحمٰن الباني، ط:5، 1399هـ بيروت، ص:108.
2 -روح المعاني الآلوسي، ج 1، ص49.
3- معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/ 1420هـ/ 2000م، ج: 3، ص:113.

وتوضيحا اكثر فإن اختيار المتكلم/ الكاتب اسم مفعول (ميمون) بدل المصدر (اليمن) للدلالة على حدث اليمن الدائم، وتعلقه بالابتداء (اسم مصدر) الذي ورد بصيغة (الافتعال) وهي صيغة مبالغة للدلالة على المبالغة في الابتداء. واستعمال هاتين الصيغتين في هذا السياق يدل على طلب العون من الله لممارسة فعل كتابة الرسائل للآخر.

ثانيا: مبارك الانتهاء؛ يشبه هذا المركب سابقه في التركيب (مضاف ومضاف إليه) فقد آثر المتكلم/ الكاتب مبارك (اسم مفعول) على صبغة المضارع (يبارك) والمصدر (البركة)؛ لأن المقصود منه طلب العون من الله لتكون نهاية هذا الفعل مباركة.

إذن فالعنوان هو دعاء؛ دعاء مسألة؛ أي أن المتكلم/ الكاتب يستعين بالله في انحلز هذا الكتاب ليكون مباركا للناس. والتكرار سمة الدعاء رغبة في دوام المطلوب ودلالة اللفظين ميمون ومبارك تعني الزيادة النماء، والمقصود من النماء معنى الرحمة أي أن يكون لهذا الكتاب أثر طيبا في حياة الناس. وعملا صالحا يساهم في بناء الحضارة الإنسانية.

فهذا الكتاب كان باسم الله وفي سبيل الله ليكون للخير والفضيلة وسعادة الناس أجمعين.

ونتيجة لما سبق فإن العنوان الفرعي (الميمون الابتداء المبارك الانتهاء) يعني الدعاء، وهو يتضمن معنى الاستعانة (دعاء المسألة).

فالدعاء والاستعانة إشارة إلى الإقرار بالربوبية لله تعالى ألزم من الإشعار بالعبودية. ومن ثم كان وجوب إفراد الله تعالى والدعاء والاستعانة. وهذه إشارة إلى توحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية "[1]وهو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده خالق كل شيء وهو الذي يرزق" مخلوقاته وله الأمر كله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ *﴾.

تنفتح إشارة العنوان الرئيسي مع فاتحة الكتاب (البسملة) والعنوان الفرعي الأول (ميمون الابتداء مبارك الانتهاء)، فيظهر شيئا ويغيب أشياء، فهو يتضمن المعنى المؤجل؛ لأن توحيد الربوبية يمثل قسما من عقيدة التوحيد الشامل.

1- شرح العقيدة الواسطية: شرح محمد صالح العيثمين، اعداد فهد بن ناصر ابراهيم السليمان، مؤسسة الرسالة، دار الثريا للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية، ط:1/ 1419هـ/ 1998م، ص:239.

* سورة الأعراف / رقم الآية 54

لقد اقر النقاد بوجود علاقة بين العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي. وتتمثل هذه العلاقة في ثلاثة أنماط من العلاقات كما يحددها الناقد ليوهوك (Leo Hock) "هناك ثلاثة نماذج من العلاقات المنطقية التي يمكن إثباتها بين العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي وهي: التخصيص والتعميم والمماثلة" [1].

ويمكن تصنيف العلاقة الرابطة بين العنوان الرئيس (الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية) والعنوان الفرعي (ميمون الابتداء مبارك الانتهاء). إلى التخصيص؛ لأن توحيد الربوبية التي يتضمنها العنوان الفرعي هي جزء من عقيدة التوحيد الشامل.

إذا كانت العلاقة بين العناوين تتمثل في تلك الأنماط من العلاقة المنطقية. فما نوع العلاقة الرابطة بين العنوان وبنية النص؟

هناك بعض من النقاد والمنظرين الذين يعتبرون العنوان نصا موازيا للنص الذي تولد منه. وهذا ما يؤكده الناقد ليوهوك من خلال بحثه وتحليله لهذه العلاقة بأنها "هي قبل كل شيء علاقة بين نصين" [2]. ومنه فإن العلاقة بين العنوان والنص هي علاقة موازاة بينما يرى البعض الآخر من النقاد أن "العنوان هو ما وراء النص (metatexte) بالنسبة لبنية النص؛ لأنه ينشئ لغة تتكلم بلغة أخرى" [3]. فهذا التعريف يشير إلى أن العنوان يقوم بتأويل بنية النص وتتضح هذه القضايا أثناء التحليل النصي.

يتخذ المتكلم/ الكاتب استراتيجية خاصة في إنشاء الرسائل بحيث يعنونها بحروف أبجدية يتبع فيها طريقة خاصة في تقاليبها. فهو ينحو منحى الصوفي في الكتابة، لأن "الصوفية تعتمد على الحروف في استنباط المعاني منها بطريق الرمز والإشارة" [4]. ففي هذا الانتحاء نلمس انحراف المتكلم/ الكاتب أهو انحراف لأجل الانحراف؟ أم أنه انحراف إلى الحقيقة؟

وفي المرجعية الصوفية أن للحرف معان "فهو حرف إلهي من الانحراف هو التوجه، والحروف كلها انحرافات إلهية بمعلومات كونية منها وجهان وجه إلى الرب

1 - LA MARQUE DU TITRE : LEO .HOCK, p : 300
2 -Ibid , p : 162
3- Ibid, p :163.

4 –ينظر: هامش روح المعاني، الألوسي، مج:1، ج:1، ص:37.

ووجه إلى العبد".[1] فهذه الحروف تعبر عن حقائق غير كاملة لذلك تنحرف إلى الله (الحق) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وفي انحراف هذه الحروف انحراف المتكلم/ الكاتب في الكتابة بحيث اتخذ بناء خاصا في كتابة الرسائل، وهو يتمثل في أن الرسالة تتكون من الفواتح والخواتم وما يليها وهي تقوم على نظام تراتبي فكل رسائل هذا الكتاب تقوم على هذا البناء. وقد خص المتكلم/الكاتب كل عنصر من هذه العناصر بسمة خاصة به تفرده عن العناصر الأخرى.

اتسمت الفاتحة في رسائل الكتاب بالتنوع، فهي تجمع بين الدعاء والقرآن والتعريف بقضايا معرفية، أن سمة الدعاء هي الأكثر اطرادا.

وأما المتن (ما يلي الفاتحة والخاتمة) فقد اتسم بطابعه الخاص المميز، فهو يقوم على الحوار، وهو عبارة عن حوار من طرف واحد؛ أي أن المخاطب ليس طرفا مشاركا فعلا فيه. فوجوده وجود سلبي.

أما الخاتمة فقد اتسمت بطابعها الخاص وهو الدعاء. وكما يذيل الدعاء بعبارة (يا ذا الجلال والإكرام) في أغلب الأحيان.

إن لهذا "البناء سواء من جهة وحدته أو من جهة طبيعة مكوناته مرتبط بالمتلقي وموجه لتحقيق توقعاته وأفق انتظاره".[3] وهذا يعني أن هناك رابط معنوي بين بناء الرسالة والمتلقي باعتباره عنصرا فعالا في التراسل وذلك من خلال الوظيفة التداولية التي رصدوها للاستهلال وهي "ما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع أو أن يثري ما يؤدي فيها انفعالا ويشير لها حالا من تعجب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك".[4]

وكما سلف أن العنوان (**ميمون الابتداء مبارك الانتهاء**) ورد جملة اسمية "والجملة الاسمية هي أقل استقلالية من الجملة الفعلية، فهي تطلب باستمرار تعيينا لاحقا يكون غالبا

1 -ينظر: هامش المعجم الصوفي الحكمة في حدود الكلمة: سعاد الحكيم/، الناشر أندره، ط:1، 1401هـ/ 1981م، ص:321.

2 -سورة الحديد، الآية:3.

3 -شعرية النوع الأدبي (في قراءة النقد القديم) رشيد يحياوي، ص:110.

4 -منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ابو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار العرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986، ص:310.

حاصلا ببنية النص"[1]. فهذا التعريف يوجب على القارئ تحليل بنيـــة النـــص للرســـالة لتعيين العنوان.

تتشظى من بنية هذا العنوان اثنتا عشرة رسالة. ونظرا لطبيعة البحث اكتفيت بنموذجيـــن من هذه الرسائل وهما: رسالة (و) ورسالة (يا).

الرسالة (و):

وهي الرسالة السادسة في الترتيب الكتابي للرسائل في الكتاب. وتمثل وحدات البناء فـــي هذه الرسالة النقاط الاستراتيجية التي يتم من خلالها الإبلاغ والتواصـــل بيـــن المرســـل/ الكاتب والمرسل إليه/ القارئ.

يستفتح المتكلم/ الكاتب الرسالة (و) بآية قرآنية﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾.[2] وتكمن براعة هذا الاستهلال فـــي التفريع؛ تفريع المخاطب للاعتبار بالأمم السالفة تأكيدا لإخلاص العبادة لله تعالى وحـــده. فهذه الآية إشارة إلى عبادته بما اقتضت ألوهيته من الأمر والنهي؛ أي أن العبادة لله تعالى وحده والألوهية له وحده. ويعني هذا توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهيـــة "هـــو الاعتقـــاد الجازم بان الله وحده المستحق للعبادة دون سواه. فمن توجه بالعبادة لصنم أو بشر أو نحو ذلك فقد كفر بالله تعالى. وهذا النوع من التوحيد هو الذي بعث الله بـــه رســـلهم عليـــهم الصلاة والسلام﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ*﴾.[3]

يتمفصل الخطاب في هذه الرسالة بواسطة وسائل لغوية تتمثل في اســـم الإشـــارة الذي تصدره ياء النداء كما تجسده الصورة اللسانية "يا هذا أما تسمع هذا الخطاب بحضور بال ويقظة فؤاد وفكر ظاهر واعتبار حاضر؟"[4].

1 –LA MARQUE DU TITRE, LEO. HOCK, p :65.

2 – سورة إبراهيم: الآية:45.

* سورة النحل/ الآية 36:

3 –شرح العقيدة الواسطية: محمد صالح العيثمين ، ص239.

4 –المصدر، ص:79.

قد يتساءل القارئ عن ماهية الياء التوحيدية مما يستدعي استقاء كتابات توحيدية أخرى للاستعانة بها في رؤية أصدائها –الياء– هنا.

للياء مع التوحيدي تاريخ فني مديد بدايتها كانت مع البصائر والذخائر، الهوامل والشوامل، الامتناع والمؤانسة...الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية. فياء التوحيدي متلاحمة مع السؤال في الفلسفة التوحيدية والتصوف.

من الواضح أن الياء ليست نداء ولا مخاطبة؛ ولكنها تشكل بؤرة الحوار فكأن التوحيدي بالحوار يخلق الذوات من جديد. وكما انه قد أدرك قيمة الحوار ففيه توليد الأفكار هذا ما جهة، ومن جهة أخرى فإن أدب التوحيدي أدب تفسيري لا تعبيري.

يلمس في ياء التوحيدي إيحاء تفاعل التوحيدي مع ثقافة عصره في كل السياقات، وهي تدل على التفكك السياسي والاجتماعي والعقائدي الذي عاشه التوحيدي وعانى منه كثيرا.

وأخيرا يمكن القول أنّ" ياء" التوحيدي مرتبطة بالأخلاق فامتد نفس التوحيد مع الياء والآخر.وبالتأكيد أن اللغة والكتابة تعبير عن حركة الذات وتفاعلها مع الآخرين.

وهكذا تتراءى للقارئ الوسيلة اللغوية الثانية التي يتمفصل بها الخطاب في الرسالة (و) والتي تتمثل في لفظ (اللهم)؛ لأن الخاتمة عبارة عن دعاء رد اللهم إنا قد أبلينا وجددنا في محبتك وسافرنا وحضرنا في طلب رضاك..." [1]. وتكمن براعة الخاتمة في ترغيب المخاطب /القارئ بالتوجه بالدعاء إلى الله تعالى وحده طلبا لله الاستعانة به في العبادة؛ لأن الاستعانة مطلوبة في العبادة، ومن ثم يتحقق أفراد الله تعالى بالدعاء (الاستعانة) وفي هذا إشارة إلى توحيد الربوبية؛ لأن الدعاء (الاستعانة) متعلق بالربوبية.

وهكذا يتم تعيين العنوان (ميمون الابتداء مبارك الانتهاء) عبر وحدات الرسالة المتمثلة في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية الذي يوصل إلى العبودية.

وتتمثل العلاقة بين العنوان وبنية النص في تلك العلاقة المعنوية المتمثلة في عنصر الإحالة "فبنية النص تحليل إلى العنوان؛ فالعنوان هنا يلخص بنية النص بالإحالة ويقوم بتقديم سمة لمواقع استراتيجية للنص التي تكون تحوم النص"[2] .

1- المصدر، ص:84

2-LA MARQUE DU TITRE, LEO. HOCK, p : 163.

وانطلاقا من التعريف فإن العنوان يقوم بتلخيص بنية النص المتمثلة هنا في توحيد أنه لوهية وتوحيد الربوبية باعتبار أن العنوان يتضمن الاستعانة، والاستعانة مطلوبة في العبادة وفي كل الأمور (الدين والدنيا). ومن جهة فإن توحيد الربوبية تقتضي توحيد الألوهية فهناك تلازم بينهما "ومن هنا يتضح التلازم التام بين الربوبية والألوهية وأنهما لا ينفصلان من حيث الحقيقة الشرعية ومن حيث الوجود الواقعي:

أولا: لأنهما وصفان لذات واحدة لا يوجدان في غيرهما ولا يجتمعان ياسوءهما ولا يتحققان بمعناهما الصحيح إلا (لله) الواحد الأحد.

ثانيا: لأنهما يجتمعان في المعنى المشترك وهو المعنى: (المستعلي على عباده الخليق بالطاعة فيما أمر ونهى) من كل منهما وإن اختص كل منهما بمعنى خاص به كما رأينا في المعنى: (المعبود الذي يستحق وحده أقصى غايات التذلل والخضوع من صلاة وذكر وحب وخوف وتوكل ودعاء ونذر وقسم به سبحانه وتعالى الخ "[1].

وهذا يؤكد أن التوحيد شامل لا يقبل التجزئة.

والعلاقة الثانية التي تنشأ بين العنوان وبنية النص هي أن "العنوان يحيل إلى بنية النص باختتامه للنص الذي تضمنه فيصبح النص تمطيطا للعنوان"[2]. فهذه العلاقة تشير إلى أن العنوان يتمطط عبر مقاطع النص التي تمثل عناصر البناء النصي للنص؛ أي أن الاستعانة التي يتضمنها العنوان تمتد إلى بنية النص وتشمل العبادة والدعاء وذلك لأن الاستعانة مطلوبة في أمور الدين والدنيا.

الرسالة "يـا"

يأنس المتكلم/الكاتب في روضة الأبجدية فينساق وراء كل حرف ويغضي إليه بالأسرار فهو جوالة في الابجدية يستوطن اللغة لأن اللغة تحقق الكينونة ويمضي في هذه الرسالة سائلا ومجيبا "سألتني رفق الله بك وعطف على قلبك –أن أذكر لك الغريب ومحنه وأصف لك الغربة وعجائبها" [3]. ينهض هذا المقطع على ثنائية السائل/المجيب وتقوم هذه

1-المدخل إلى التفسير الموضوعي: ع/ الستار فتح الله سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط:1 1406هـ/1986م،ص110.

2 -LA MARQUE DU TITRE; LEO .HOCK; p163

3-المصدر، ص: 112.

الثنائية على جدلية (حركة) التخاطب فينمو ويتطور إلى الحـوار ومـدار هـذه الجدليـة (الحركة) الإحاطة بمسار الغربة والغريب.

يتخذ الإخبار عن الغربة أكثر من مظهر ويتجلى وفق أكثر من طريقـة فينكسـر مفهوم الغربة العادية (المادية) ويصبح عبارة عن غربة معنوية (روحية) تشمل أكثر مـن بعد إنها:

غربة الغريب في المكان (الوطن) "هذا وصف رجل لحقته الغربة فتمنى أهلا يأنس بـهم ووطنا يأوي إليه ونديما يحل عقد سره وكأسا ينتشي منها وسكنا يتوادع عنده"[1].

الغربة المعنوية غربة الحال: "الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعيا إليه بل الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلا عليه؛ بل الغريب من توجه إلى الله قاليا لكل من سواه؛ بـل الغريب من وهب نفسه لله متعرضا لجدواه" [2].

هكذا تتجلى الغربة حسب اكثر من وجه وتتخذ أكثر من مظهر فتشمل اكـثر مـن بعد، (الاجتماعي /السياسي/ العقائدي/ الفكري/ الفني).

وفي هذه الرسالة يمثل البعد العقائدي نواة بنية النص، لأن الغربة، غربـة الحـال (الغربة المعنوية) هي "خلق من أخلاق القرآن الكريم وفضيلة من فضائل الإسلام العظيـم وجزء من هدي الرسول عليه الصلاة والتسليم والدليل على هذا قوله تعـالى:﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (*) والمقصود بهذه الغربة غربة الباطن وهي غربة العـارفين"[3]. وغربـة العارفين تعني الإخلاص في عبادة الله انطلاقا من العلاقة الجدلية بين العبـادة والمعرفـة فأكثر الناس عبادة لله أعرفهم بالله؛ أي أن العبادة تستلزم المعرفة والمعرفة تستلزم العبادة.

1- المصدر ، ص:114.

2- نفسه، ص: 117.

* سورة هود، الآية: 112.

3- ينظر موسوعة أخلاق القرآن لكريم أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بـيروت لبنـان ط1، 1401ه / 1981م، ج6، ص112.

وبهذا تكون غربة الحال هي غربة العارف، وهو المستغرق مع معبوده؛ أي الـذي يبقى بالله مع الله وحده لا شريك له وهذه إشارة إلى عبادته بما اقتضته ألوهيته من المحبـة وهذا إقرار بتوحيد الألوهية له (الله) .

وختام الرسالة (يا) كالعادة بالدعاء "اللهم تفضل علينا بعفوك أن لم نستحق رضـاك ياذا الجلال والإكرام "[1]. فتخصيص الله تعالى بالدعاء والتوجه إليه دون سواه للعبوديـة وهي أرقى مقاما للعبد وكما أن الدعاء يقرر مبدأ عبادة الله وحده ومبدأ عجـز الإنسـان واحتياجه إلى معونة ربه وتقطعان عليه سبيل التوجه إلى غير الله بالعبادة والاستعانة ومن ثم فإن التوجه بالدعاء إلى الله تعالى وحده هو توحيد لربوبيته.

إذن فنواة بنية النص لهذه الرسالة (يا) تتمثل في توحيد الألوهية وتوحيد الربوبيـة وهذا التوحيد يلزم الإشعار بالعبودية*.

- أركان المعرفة من الإشارات الإلهية (يب)

يتضمن هذا العنوان رسالة واحدة هي رسالة "يب" وهو يختلف عن العنوان السابق بحيث تتكرر فيه عبارة (الإشارات الإلهية). وهذه العبارة تمثل المركب الأول من العنوان الرئيسي فما السر في تكرارها في هذا العنوان؟ يتكون هذا العنوان من مركبين اسـميين هما:

أولا: أركان المعرفة وهو مركب إضافي.

ثانيا: من الإشارات الإلهية وهو مركب شبه جملة (جار ومجرور) من خـلال المركـب الإضافي يبدو أن العنوان يطرح موضوع المعرفة فما نوع هذه المعرفة التـي يطرحـها العنوان؟ وللإجابة عن السؤالين يجب تحليل العنوان إلى عنـاصره الأوليـة ومركباتـه المباشرة.

المركب الأول: أركان المعرفة؛ تمثل لفظه أركان (المضاف) الذي ورد بصيغـة الجمـع (تكسير) تفيد معنى القلة. وهو مضاف إلى اللفظة الثانية المعرفة (مضاف إليه) وقـد ورد بصيغة المفرد ومعرف (التعريف وصيغة المفرد تفيد معنى القلة. والغرض منه توظيـف

1-المصدر، ص: 119.

* العلاقة نفسها التي لاحظتها مع العنوان السابق والرسالتين "و" و"يا". وتفاديا للتكرار لم أذكر تلك العلاقة فـهي تمثـل السمة الخاصة التي تتميز بها كل عناوين ورسائل الكتاب.

هاتين الصيغتين الوصول إلى معنى آخر يتحدد من خلال التركيب والسياق فهو "يضفي إلى الكلمة من ظلال وإيحاءات مختلفة تنوع بها دلالة تلك الصيغ"[1].

وان علاقة الإضافة هنا تفيد التعريف، تعريف الأركان بأنها خاصة بالمعرفة وهذه المعرفة تتسم بسمة الخاصية انطلاقا من دلالة القلة (جمع التكسير + المفرد) ومن ثم يتحدد نوع المعرفة وهي المعرفة الخاصة وتبقى هذه المعرفة غير واضحة ولا تتضح الا بتحليل المركب الثاني والعلاقة بين المركبين هي علاقة إسنادية باعتبار أن المركب الأول يمثل"المسند إليه.والمركب الثاني: يمثل المسند.

المركب الثاني: (من الاشارات الالهية) وهو يتكون من حرف جر+اسم+اسم.

ويتم الترابط بين المركبين بواسطة اصطناع العلاقة المعنوية (الإسناد) رابطا لفظيا يتمثل في حرف الجر من). وهو يفيد قوة التعليق بين المسند إليه (المركب الإضافي) والمسند (المركب شبه جملة) فيضفي الرابط (من) معنى المسند (الإشارات الإلهية) على المسند إليه (أركان المعرفة) فتصبح هذه المعرفة متعلقة بالإشارات الإلهية.

وانطلاقا من أن حرف الجر (من) في هذا السياق يفيد البعضية فإن هذه المعرفة تصبح بعضا من الإشارات الإلهية. ومن ثم يتحدد نوع المعرفة الخاصة التي يطرحها العنوان وهي المعرفة الإلهية والمعرفة الإلهية من اختصاص العارفين لذلك كانت خاصة.

والمعرفة من لوازم العبادة والعبادة لا بد فيها من معرفة الله والانابة إليه والتذلل له والافتقار إليه وهذا هو المقصود" [2].ومن ثم فإن العلاقة بين المعرفة والعبادة هي علاقة تلازمية ذلك «أن عبادته متضمنة لمعرفته وذكره وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته»[3]. فيصبح العارف هو المستغرق في عبادة الله والعابد هو العارف بالله.

وهكذا تكون عبادة الله بما اقتضت ألوهيته من المعرفة وتصبح إشارة المعرفة الإلهية إشارة من الإشارات الإلهية وهي تتمثل في توحيد الألوهية.

وتتمثل العلاقة بين العنوان الفرعي (أركان المعرفة من الإشارات الإلهية) والعنوان الرئيسي (الإشارات الإلهية وفي نفس الروحانية) في العلاقة الشكلية والدلالية من خلال

1- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة عبد المجيد أحمد يوسف هنداوي المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط: 2، 1401هـ – 2001 م، ص:51.
2- مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، ج : 2 ، ص 14..
3- ينظر: نفسه، ص : 17

وتتمثل العلاقة بين العنوان الفرعي (أركان المعرفة من الإشارات الإلهية) والعنوان الرئيسي (الإشارات الإلهية وفي نفس الروحانية) في العلاقة الشكلية والدلالية من خلال تكرار لفظي للازمة العنوان الرئيسي (الإشارات الإلهية) في العنوان الفرعي «فمثل هذا التكرار يعد ضربا من ضروب الإحالة إلى سابق يمكن أن يكون الثاني منها يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما»[1]. فهذا التكرار يشير إلى وجود علاقة بين العنوانين وهي تتمثل في علاقة الجزء بالكل باعتبار أن العنوان الفرعي يتضمن فكرة توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يمثل قسما من عقيدة التوحيد الشامل وهي الفكرة المتضمنة في العنوان الرئيسي.

وكما سبق فإن العنوان أيضا يشكل علاقة مع بنية النص، وتتمثل هذه العلاقة في وجود رابط بينهما باعتبار أن العنوان يحيل إحالة لاحقة إلى بنية النص فيمتد فيها. وكما يبدو في الرسالة (يب)«عدنا إلى حديث الأعمال وآفاتها وإلى حديث الأفكار ومنافاتها وإلى حديث الأذكار وموافاتها وإلى حديث العبودية وصفاتها وإلى حديث الربوبية ومصافاتها»[2]. يعبر هذا المقطع عن موضوع المعرفة من خلال الأعمال والأفكار والأذكار والربوبية والعبودية. وهذه القضايا المطروحة تقوم على مبدأ العلم والعمل؛ لأن أصل العلم هو العلم بالله وأصل العمل هو العمل لله وليس العمل للعبد صلاح إلا في معرفة ربه وعبادته.

ويمكن تصنيف هذه المعرفة إلى نوعين، وهما حسب تصنيف أحمد بن عطاء «معرفة حق ومعرفة حقيقة ، فمعرفة الحق هي معرفة وحدانية الله على ما أبرز لخلقه من أسمائه وصفاته. ومعرفة الحقيقة هي إدراك أنه لا سبيل إلى إدراك هذه الحقيقة لقوله تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا *﴾ [3].

1 –البديع بين البلاغة واللسانيات النصية جميل ع/المجيد، ص: 79.
2- المصدر ، ص: 121
* سورة طه ، الآية 109.
3- الفتوحات المكية: أبو بكر محي الدين بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاكمي والمعروف بابن عربي، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط1/ 1420هـ/1999م.ج: 4، ص: 110.

وفي المقطع التالي وصف لحال العارف «لا تسلك سبيل الغاوين وأهجر عرصلت المذنبين، واعتبر بالماضين واعلم، أنك منهم في الباقين وكاثر، الباكين وداخل، في جملة الواحدين، وأنطلق عن زمرة الله رب العالمين، واتق عنه سوء ظن الظانين وتقرب إليه بذم العاصين، وضف طاعة الطائعين، وأمدح حزب الغالبين وانظر إلى قدرته على الخلق أجمعين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[1]. يبدو من المقطع أن العارف ينطلق من معرفة وجود الله ثم معرفة صفاته وأسمائه والطريقة الموصلة إلى ذلك هي الإيمان والقرآن.

ويختم الرسالة بدعاء المسألة «اللهم فسلمنا من هذه الكربات المتصلة بالكربات يا ذا الجلال والإكرام»[2] . والدعاء هو توحيد للربوبية وإشعار بالعبودية.

والأفكار في هذه الرسالة متجاورة ومتجانسة ومنسجمة؛ لأن الرسالة تقوم على ثنائية. العبادة /والاستعانة، وهي تمثل حدود الخطاب المتماسك المنسجم باعتبار أن العبادة تقتضي الاستعانة ، وتوحيد الألوهية يقتضي توحيد الربوبية.

- ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية.

تتشضى من هذا العنوان خمسة عشر رسالة ونتناول بالدراسة نموذجين من الرسائل هما: رسالة "يج" ورسالة "يه".

يعد هذا العنوان من أطول العناوين الفرعية ينفتح على ثماني إشارات دلالية هي : ذم /التفضيل / بالغاشية /و/ الحاشية/ من / الإشارات/ الإلهية/.

ذم: مصدر يقوم مقام الفعل (ذم) التعدي بنفسه لإحداث الأثر مباشرة على الاسم الذي يليه وهو (التفضيل). والمصدر (ذم) يدل على حدوث الفعل (ذم) ثم حدوث أثره بواسطته. واختيار صيغة المصدر بدل إنما الفعل لرعاية لمعنى الفني الدقيق المراد من العنوان، وهو يتمثل في إثبات حدث الذم واثباته فيه. لماذا ذم التفضيل؟ لأنه متعلق بالجار والمجرور: (بالغاشية والحاشية).

ولاسم الغاشية دلالة العامة وتقديمه على الاسم الآخر الحاشية لأن الذم مرتبط بالغاشية أكثر من الحاشية فالغاشية تمثل الطبقة الدنيا بالنسبة للنظام الطبقي وأما اسم

1- المصدر ، ص : 112

2- نفسه، ص: 125

الحاشية فيمثل الطبقة الراقية. وهي مرتبطة بالمدح بالنسبة للنظام القائم على الطبقية. فهو يحمل دلالة الخاصة؛ لكن في هذا السياق التركيبي (الذم) يشمل الغاشية والحاشية؛ لأن حرف الجر (الباء) يفيد معنى المصاحبة؛ أي أن (الذم) يخص الغاشية والخاشية معا فهو متعلق بهما معا؛ لأن حرف الجر يفيد قوة التعليق. وحرف العطف (و) هنا يفيد الاشتراك في الحكم باعتبار أن الاسمين معطوفان فالمعطوف والمعطوف عليه ككلمة واحدة. ومن ثم فإن أثر الذم يشمل الاسمين معا فسبب ذم التفضيل هنا لتعلقة بالغاشية والحاشية. ومنه فإن نوع التفضيل قد عرف من المصدر الذي قام مقام الفعل (ذم). وأفعال الذم تستعمل الذم الجنس على سبيل المبالغة والمقصود بالجنس فرد يسمى المخصوص بالذم وهما الغاشية والحاشية فهما المذمومان؛ لأن حرف الجر الباء يفيد قوة التعليق بين المصدر (ذم) ومتعلقه (التفضيل). والفاعل هو الله تعالى وهو الفاعل الدلالي؛ وهو الذي ذم التفاضل (التفضيل) القائم على الجانب المادي (الغاشية والحاشية). والفاعل النحوي هو من يقيم التفضيل على الجانب المادي المذموم عند الله تعالى.

والتفضيل المطلوب هو ذلك التفضيل المحمود القائم على الجانب المعنوي وفاعله هو الله تعالى وأساس هذا التفضيل هو التقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].وكما ورد أيضا في روض السنة الشريفة قول -صلى الله عليه وسلم-"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبشاركم بل ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[2].

وكما سبق أن الفاعل الدلالي هو الله تعالى فهو الفاضل وذو الفضل والفضل بيده يؤتيه من يشاء "والله ذو الفضل العظيم"[3].

1- سورة الحجرات، الآية : 13.

2- صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، واحتقاره وذمه وعرضه وماله. رقم الحديث 4651، الإمام أبي الحسن المسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه، وتصحيحه، وترقيمه وعد كتبه وأبواب وأحاديث وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمة اللغة خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه- توزيع دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

3- سورة آل عمران، الآية : 74.

فهذه الألفاظ تتآزر فيما بينها لتمثل المسند إليه. وتعينه يتم بالمسند وهو هذا المركب "من الإشارات الإلهية" الذي تكرر في هذا العنوان الفرعي ليحيل إلى العنوان الرئيسي لوجود علاقة بينهما تتمثل في علاقة الجزء بالكل باعتبار أن العنوان الفرعي يتضمن فكرة التوحيد، وهذا التوحيد يتمثل في توحيد الأسماء والصفات*. وهو يمثل قسما من أقسام عقيدة التوحيد الشامل.

فالرباط بين المركبين الاسنادين يتم بواسطة اصطناع العلاقة المعنوية (الإسنادية) برابط لفظي (من) الذي يفيد التعليق بين المركبين، وهذا التعليق يشير إلى تعيين المسند اليه؛ أي التفضيل والفاضل (ذو الفضل) هي إشارة من الإشارات الإلهية، وهي تشير إلى فكرة توحيد، توحيد الأسماء والصفات وقد أفادت (من أن هذا التوحيد هو بعض من عقيدة التوحيد الشامل أي أنه يمثل قسما من أقسام التوحيد الشامل.

وتكرار عبارة (الإشارات الإلهية) في هذا العنوان يشير إلى وجود علاقة شكلية دلالية تتمثل في الاحالة؛ أي أن العنوان الفرعي يحيل إلى العنوان الرئيسي للدلالة على قوة الترابط بينهما باعتبار علاقة التلازم بين الجزء والكل لتحقيق التكامل بينهما. وهذا ما تؤكده علاقة التوحيد الشامل.

وبالنظر إلى الأسماء الإلهية والصفات الإلهية فإن هذا العنوان يشير إلى توحيد الصفات؛ لأن الفضل وذا الفضل من الصفات الإلهية ويمتد هذه الفكرة عبر مقاطع الخطاب لتصل إلى بنية النص أين يكتمل المعنى، لأن معني هذه الفكرة المطروحة تتوالد عبر مقاطع الخطاب.

الرسالة "يج".

يفتتح المتكلم /الكاتب هذه الرسالة بالتنبيه لإثارة المخاطب /القارئ "ألا قارع لباب الله؟ ألا قاصد إلى الله؟ ألا راغب فيما عند الله؟..."[1].

---

* توحيد الأسماء والصفات "وهو الاعتقاد الجازم بأن الله متصف بجميع صفات الكلام ومنزه عن جميع صفات النقص وأنه منفرد بهذا من جميع الكائنات ويتطلب هذا النوع من التوحيد الايمان بجميع الاسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه في القرآن أو اثبتها له نبيه صلى الله عليه وسلم منزهين الله عن مشابهة الخلق وعن كل نقص وعدم الزيادة على ما ورد في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات مع الايمان بها كما أرادها الله لذاته القدسية (وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا" • شرح العقيدة الواسطية:محمد صالح العيثمين، ص239.

1- المصدر، ص: 126.

فهذا المقطع يتضمن جانبا روحيا يتمثل في العبادة فتكرار للفظ الجلالة (الله) في نهاية كل جملة يشير إلى توحيد العبادة وهو يقال لاعتبارين: باعتبار اضافته الى الله يسمى توحيد الألوهية وباعتبار اضافته الى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة.

والعبادة وسيلة تقرب العبد إلى الله وبالمبالغة في العبادة يرتقي إلى العبودية وهذا المقام مصروف الى خاصة الخاصة وهذه الخاصة هي التي خصها الله تعالى بفضله، فكان الفضل خاصا والنعم عامة. ولما كانت النعم عامة فهي تشمل الخاص والعام؛ أي "أن الله عم بنعمه وخص بفضله وجعل العام لا تزاحم عليه ولا تنافس فيه. وجعل الخاص مصروفا إلى أهله"[1]. فالله هو ذو الفضل والفضل بيده ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[2]. أن تخصيص الله فضله لمن يشاء يعني أنه يؤتيه للأتقياء فالتقوى يعني الجانب الروحي في الإنسان لذا كان تفضيل الله تعالى لعبادة قائم على هذا الأساس.

ومن هذا الأساس انطلق المتكلم/الكاتب في تأسيسه للتفضيل بين الناس "وإذا فضلت إنسانا على إنسان فلم لا تفضله بالفضائل والعادات والأفعال؛ ولكن تفضله بالدراهم والدنانير والغاشية والحاشية" [3]. يتمثل الجانب الروحي الذي يقوم عليه التفضيل في الفضائل والأخلاق والعادات والأفعال وهو الأساس في التفضيل المحمود عند الله تعالى (ذو الفضل) ويقابله التفضيل المذموم القائم على الجانب المادي المتمثل في الدراهم والدنانير الغاشية والحاشية.

والملاحظ في هذه الرسالة (يج) تكرار للفظة الإشارة "ما أغرب" هذه الإشارة وما ألخص هذه العبارة "[4]. إن ورود لفظة الإشارة هنا بصيغة المفرد بأل التعريف ونهي تشير إلى جنس التفضيل بنوعية (المذموم /المحمود) والغرض من استعمال لفظ الإشارة

1- المصدر، ص: 126.
2- سورة الحديد، الآية: 28
3- المصدر، ص 131/132
4- نفسه، ص: 131.

في هذا السياق هو الإفادة استغراق التفضيل (المحمود /المذموم). لأن الاستغراق في المفرد كما أثار اليه السكاكي وغيره من البلاغين "أنه يكون اشمل من الاستغراق في الجمع"[1] ومنه فإن جنس التفضيل (المذموم / المحمود) فهو مستغرق على سبيل المبالغة. وختام الرسالة الدعاء (الاستعانة)

ومما سبق يمكن القول أن النقاط السابقة تقوم بتقديم سمة لمواقع استراتيجية للخطاب في الرسالة (يج) وهي تتمثل في العبادة المتعلقة بتوحيد الألوهية له، والفضل والتفضيل ذو الفضل والمنعم المتعلقة بتوحيد الأسماء والصفات والدعاء المتعلق بالتوحيد الربوبية.

وهكذا تكون هذه الرسالة (يج) مؤسسة لعقدية التوحيد الشامل إلا أن بؤرتها تتمثل في توحيد الأسماء والصفات لأنها ركزت على موضوع الفضل والتفضيل وذو الفضل

الرسالة (يه)

تتمحور هذه الرسالة (يه) حول (موضوع الآلاء وقد مهد لها بالمحبة والآلاء هي النعم وهي تتسم بالعموم لقوله تعالى:﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [2].والآلاء في القرآن ارتبطت بالرحمة ويظهر هذا من خلال سورة الرحمن التي تكررت فيها لفظة الآلاء احدى وثلاثون مرة والآلاء في هذه السورة مصنفة الى صنفين؛ صنف يخص آلاء الحياة الدنيا وهي مذكورة في بداية السورة ﴿الرَّحْمَانُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[3]. والصنف الآخر من الآلاء يخص الحياة الآخرة، وهي ترد في نهاية السورة ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (47) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (48) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [4] .

1- ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ع/ الحميد أحمد يوسف هنداوي ص 82.
2- سورة إبراهيم ، الاية : 24.
3- سورة الرحمن، الآية : 1-2
4- سورة الرحمن الآية: 46/48.

ومن أعظم آلاء ونعم الله تعالى على عبده الخلق بأن أخرجه من ظلمات العدم إلى نور الوجود ثم أنعم عليه بالإسلام والإيمان.

وترتبط الآلاء والنعم بالشكر "افحص عن ودائع الحق فيك وانفض خزائنه قلبك وأشهد آلاءه عندك وأطلب مزيده بالشكر على ما نولك "[1].

ويعني الشكر الثناء على النعمة وهو بالقلب واللسان والجوارح فهو مثل الحمد إلا أن الشكر خاص والحمد عام (أعم من الشكر) وهو أيضا مرتبطة بطلب الزيادة في النعم والآلاء أي دوامها ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2]. والشكر عبادة؛ لأن يشكل نصف الإيمان والنصف الآخر [3]. يكمن في الصبر "فالشكر هو الاعتراف بالفضل إزاء نعمة صدرت من المشكور بالقلب أو باللسان أو باليد".

إن معرفة النعم تستلزم معرفة المنعم ومعرفة الآلاء تستلزم معرفة اللائي والأفضل.

وتكمن ثمرة هذه المعرفة في المحبة أو الحب، وهو مقام الهي لخلقه وقد وصف به الله تعالى نفسه وسمي بالودود﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [4]. وفي الخير بالمحب﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[5].

والمحبة مشتركة بين الله وعبادة كما جاء قوله عز وجل:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

1- المصدر، ص140
2- سورة ابراهيم الآية: 14.
3- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي دار الفكر بيروت ط1304/3هـ /1974م، ج: 1، ص: 29.
4- سورة البروج/ الآية : 14.
5- سورة العاديات، الآية : 8

مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].فمحبة الخلق الله تعالى عبادة. ومحبة الله لخلقه محبتان؛

محبة إمتنان: وهي عطاء عام وتعني العناية الإلهية.. ومحبة جزاء وهي عطاء خاص، وهي استحقاق العبد لها نتيجة قيامه بنافلة أو عمل"[2].

وتتكرر لفظة إشارة في هذه الرسالة (يه) "والتصوف اسم يجمع أنواعا من الإشارة في وضروبا من العبارة وجملته التذلل للحق بالتعزر على الحق" [3].

ترد لفظة الإشارة في هذه الرسالة (يه) أيضا مفردة معرفة بأل التعريف لتدل في هذا السياق على استغراق جنس الإشارة في عالم التصوف. وهي توحي بالتعبير عن المطلق. وتعني هذه الإشارة عبادة الله بما اقتضت ألوهيته من المحبة. وهي تمثل بؤرة نص الرسالة (يه).

وفي ختام الرسالة (يه) المتكلم /الكاتب كعادته يختمها بالدعاء (الاستعانة) وهو إشارة إلى توحيد الربوبية.

وهكذا تبدو من خلال التحليل أن مشاهد الألوهية (المحبة) والربوبية (الآلاء، الشكر، الدعاء) تقتضي توحيد الألوهية والربوبية.

وبعد تحليل الرسالتين (يج) و(يه) تبرز العلاقة بين العنوان "ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الالهية" وبنية النص للرسالتين (يج) و(يه) كالتالي:

ففي الرسالة (يج) التي تقوم على ثنائية: توحيد الألوهية/الربوبية تنطلق من العلاقة التلازمية بين العبادة والفضل ثم الدعاء. وأما في الرسالة (يه) التي تقوم أيضا على ثنائية: توحيد الألوهية والربوبية إلا أنها تنطلق من العلاقة التلازمية بين المحبة والآلاء والشكر ثم الدعاء.

ومنه فإن الرسالتين (يج/يه) تقومان على ثنائية: توحيد الألوهية/الربوبية.

1- سورة المائدة، الآية : 56.

2- ينظر: المعجم الصوفي: سعاد الحكيم، ص: 1020 - 1021.

3-المصدر، ص: 142.

وانطلاقا من أن العلاقة بين العنوان وبينة النص هي علاقة إحالية (لاحقة /سابقة) فإن توحيد الألوهية والربوبية يقتضي توحيد الأسماء والصفات باعتبار أن علاقة التوحيد الشامل يقوم على توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

"استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية"

ينفتح هذا العنوان الأخير على خمس إشارات دلالية هي:

استعلام/الفطانة/ من/ الإشارات /الإلهية/.

ترد الإشارة الأولى (استعلام بصيغة استفعال. وهي لفظة مشتقة من فعل علم والزيادة التي لحقته أضفت عليه معنى آخر. فمن من المعبود في فقه اللغة أن زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى بحيث "أن زيادة تطرأ على الكلمة فتكسبها معنى مضاد عليه معنى أصل المادة"[1]. وتمثل حروف الزيادة (الهمزة والسين والتاء) الطلب فيصبح معنى استعلام أبلغ من استعلم في معنى العلم فهذا التغير في المعنى يحقق الألفة والانسجام مع الإشارة الثانية (الفطانة) التي وردت بصيغة فعالة، وهي صيغة مبالغة من فعل فطن فطنة وفطانة. وهي تعني المبالغة في الفهم؛ ولكن التركيب هو المسؤول عن تحديد المعنى المراد عن طريق القرائن السياقية.

العنوان يتكون من مركب اسمي يشتمل على مركبين اسمين هما:

المركب الإضافي: استعلام الفطانة يفيد التعريف، تعريف المتضايفين يفني للوصول إلى المعنى، وهو يتمثل في المبالغة في الفهم أو العلم إلا أن هذا المعنى ناقص يحتاج إلى متمم وباعتبار المركب الإضافي مسند إليه فانه يستلزم مسندا ليقوم بتعينه ويتمثل هذا المسند في المركب الاسمي (جارو جرور) : "من الإشارات الإلهية" يمثل هذا المركب لازمة العنوان الرئيسي التي تكررت ثلاث مرات مع العناوين الفرعية. وتكرارها يشير إلى أنها تمثل بؤرة الرسالة؛ بل بؤرة الكتاب كله. وهي تعني عقيدة التوحيد الشامل.

وانطلاقا من أن الرابط (من) -حرف جر- يفيد قوة التعليق بين المسند إليه والمسند فإن المبالغة في الفهم أو العلم متعلقة بعقيدة التوحيد الشامل؛ أي أن العلم المقصود

1- مبحث في القضية الرمزية الصوتية: البداروي زهران، دار المعارف ط:1، 1986 م / 1987 م، ص75

هنا هو العلم اللدني وهو بيد الله تعالى. فهو العليم والعالم والعلام كما جاء في كتابة العزيز ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [1].

فالملاحظ على هذه الصيغ (العليم/العالم/العلام) أنها مرتبطة بالحكمة والغيب وهي تمثل أسماء الله الحسنى فيعني العليم أنه "العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم"[2].

ومن خلال الربط بين المركبين بالرابط (من) لبيان حكم، وهو أن فكرة أسماء الله الحسنى هي إشارة من الإشارات الإلهية تتمثل في الإقرار بالأسماء والصفات الإلهية. وهذا العنوان يوحي بارتقاء العبد إلى مقام استعلام (تلقي) العلم اللدني .

بعد التحليل يفصح العنوان عن فكرته الخفية المتمثلة في توحيد الأسماء والصفات. وهو يمثل قسما من عقيدة التوحيد الشامل وباعتبار الصيغة الاسمية (المبالغة) المشتقة من مادة علم فإن العنوان متعلق بتوحيد الأسماء الإلهية لا ثباتها لله تعالى ونفي مماثلة الخلق له فيها. وهذا الفصل لا يعني التجزئة بين الأسماء والصفات الإلهية؛ بل لمعرفة الأسماء من الصفات.

تتوالد من بنية رحم هذا العناوين ستة وعشرون رسالة فهو يفوق العناوين السابقة في عدد الرسائل أكتفي بنموذجين من الرسائل في التحليل وهما رسالة (زمج) ورسالة رسالة (لح هـ).

تتميز هذه **الرسالة (زمج)** بافتتاحها واختتامها بالدعاء فهذه إشارة إلى الإشعار بالعبودية. والغاية من الدعاء هو طلب القرب ونتيجته النصرة والتأييد. ويوحي تكرار الدعاء افتقار العبد إلى افتقار العبد إلى الخالق الغني. فهو هنا على وجه السؤال بتذلل وافتقار ومن جهة فان المتكلم/ الكاتب يريد إبراز حال الداعي الذي يكثر من الدعاء فهو

---

1 -سورة الأنفال، الآية :71.

2- الأسماء والصفات: ابو بكر احمد بن الحسين ابن علي البيهقي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه عبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت ، ج ط1، 1417هـ/ 1997م، ج/1، ص80/81.

"يقول تعالى أنا عند ظني عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني . فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته ملأ خير منهم . وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا . وإن أتاني يمشي أتيته هرولة"[1].

تكمن بؤرة هذه الرسالة(زمج) في استعلام مشاهد الربوبية في العبد كما تظهر من خلال هذا المقطع "كنت كونا بائدا من أنت به فكأن كونك مطلقا ثم تكونت بإمداد ثم تكونت بإمداد من كنت له فصار كونك امتداد لكونك فلما بلغت آخر التكوين بنت وإنما بنت لمن كنت به فلما بنت تبينت أعني ظهرت خالدا بعدما كنت غبت بائدا إلا أن بيدودتك كانت بالحس وخلودك كان بالقدس"[2].

وتتمثل مشاهد الربوبية هنا في الخلق، أن أخرجه من ظلمات العدم إلى نور الوجود﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [3]

وفي الخلق تتجلى آثار رحمته ورعايته وأنعامه وإحسانه﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7)فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [4]

1 -صحيح الأحاديث القدسية أول موسوعة تستوعب الأحاديث القدوسية الصحيحة مشروحة مبوبة، باب حديث، انا عند ظن عبدي بي، رقم الحديث 259 ابو عبد الرحمن عصام الدين الصبالطي، دار الحديث القاهرة، ط4، 1415هـ/1994م، ص:265.
2 - المصدر ص: 360.
3-سورة الإنسان ، الاية: 2/1
4 -سورة الانفطار، الاية: 8/7

والمشهد الثاني يتمثل في الملك:﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] فالله هو الذي يحي ويميت...

والمشهد الثالث: التدبير، أي أن الله يهدي من يشاء يغفر لمن يشاء ويعفو عن من يشاء يدخل جنته من يشاء...

فالربوبية هي ربوبية رحمة ورعاية وحفظ وإحسان فهي تثبيت الصلة بين الخالق والمخلوق أي أن علاقة المرء بربه علاقة رحمة ورعاية وإحسان وأنعام لقوله –صلى الله عليه– يقول الله تعالى:" يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيته، فسلوني أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من عافيتم، فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت لهم ولا أبالي"[2].

ومن آيات القدرة والرحمة خلود الإنسان، وفي هذه الإشارة التفاتة إلى أصل فالإنسان عبارة ثنائية: الجسد /الروح. وأصل الجسد هو التراب والماء (الطين)﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾[3]ومن هذا الأصل وصف الجسد بالجسم الكثيف (ظلماني) وكان مصيره الفناء .

---

1 –سورة الملك، الآية: 1.

2 –صحيح الأحاديث القدوسية اول موسوعة تستوعب الأحاديث القدسية الصحيحة مشروحة مبوبة، باب حديث حرمت الظلم على نفسي، رقم الحديث 168، ابو عبد الرحمن عصام الدين الصبالطي ، ص 176.

3– سورة السجدة، الاية: 8/7

(البيدودة) والروح تختلف عن الجسد، فهي تنتمي إلى العالم النوراني ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ (1).

فلما كانت الروح من عالم النوارني، والنور أقوى من الظلمة لذلك كان الخلود للروح والفناء للجسد والسر في هذا هو«أن هذه اللطيفة هي الساعية إلى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها وإليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها»(2) وفي هذه الإشارة لمعة الفطانة القادرة على كشف سمة الربوبية.

وبعد التحليل تتجلى ثنائية: توحيد الأسماء والصفات/ وتوحيد الربوبية. هي نواة نص الرسالة (زمج)؛ لأن السمة الجامعية بينهما تتمثل في تثبيت الصلة بين الخالق والمخلوق؛ أي أن علاقة المرء بربه هي علاقة رحمة ورعاية وأنعام وإحسان؛ ولكن الحقيقة الشرعية توجب أن يكون التوحيد شاملا؛ أي أن العبد يؤمن بأن الله تعالى هو وحده صاحب كل صفات التأثير والكمال. ومن ثم فإنه مستحق للعبادة والطاعة. وهذا يشير الى العلاقة بين العنوان وبنية نص الرسالة (زمج). وهي علاقة تلازمية إذ أن توحيد الربوبية يقتضي توحيد اللوهية وتوحيد الأسماء والصفات باعتبار أن التوحيد عقيدة شاملة.

الرسالة (لح هـ)

تعد هذه الرسالة (لح هـ) الرسالة الأخيرة في الكتاب. فهي تجمع بين التصوف والفلسفة وتقوم على ثنائية: العبادة /الاستعانة (الاستعانة)المتعلقة ثنائية: الألوهية/ والربوبية تبتدئ بالعبادة "حرام على قلب استنار بنور الله أن بفكر في غير عظمة الله! حرام على لسان تعود على ذكر الله أن يذكر غير الله ! حرام على نفس طهرت من أدناس الدنيا لله أن تتدنس من شيء من مخالفة الله ! حرام على عين نظرت إلى مملكة ما أن تحدق إلى غير الله ! وحرام على كبد ابتلت بالثقة باله أن تطمئن إلى غير الله! يتضمن هذا المقطع مفهوم

1 – سورة السجدة، الاية: 9.

2 – إحياء علو م الدين: أبو حامد الغزالي ، تخريج الحافظ، العراقي ، دار الغد العربي، ط: 2، 1986م، ج1، ص:91.

العبادة التي تقوم على النهي والأمر، ولكن في هذا السياق فضل المتكلم/الكاتب الزجر؛ لأنه الأبلغ من النهي للإشارة إلى معنى الطاعة ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، وأيضا بمعنى التوحيد والإخلاص ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [1].

فهذا يعني إفراد الله تعالى بالعبادة، أي بتوحيد العبادة بنفي الشرك. وهي تمثل أعلى مراتب الخضوع.

وتتمثل نوع العبادة التي يسعى إليها العبد " أنه يعبد الله تعالى تشرفا بعبادته أو لقبوله بتكاليفه أو بالانتساب إليه . وهذه مرتبة متوسطة وتسمى العبودية "[2].

وللعبادة مفهوم شامل يضم جميع أنواع العبادات وهي تقوم على ثنائية: الظاهر/الباطن " إنما أنت بوجوارحك وجوارحك بك فإذا رتبتها في مراتبها كانت لك وكنت لها فإذا فسدت نظامها كانت عليك لا لك"[3] ، الجامع بين المظاهر والباطن هو التلازم بينهما. والحكمة من خلق هذه الجوارح في الإنسان تكمن في أنها مطية الروح في التوجه والقصد إلى الله تعالى.

تشذ خاتمة هذه الرسالة (لح هـ) عن السابقة بحيث يختمها المتكلم الكاتب بالاستعادة "ونعوذ بالله من" ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ*﴾ [4]. وتعني الاستعاذة" استجير بجناب الله وأعتصم به من

---

1 -سورة البينة، الآية: 5.

2 -تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين بن محمد بن إبراهيم ايغدادي الشهير بالخازن ضبطه وصححه ع إسلام محمد على شاهين دار الكتب العالمية بيروت لبنان ط1، 1415هـ/ 1995م ، ج 8، ص20

3 -المصدر، ص: 375.

* سورة الناس/ الآية 6/4.

4 -المصدر، ص: 388..

شر الشيطان العاتي المتمرد أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، وأحتمي بالخالق السميع العليم من همزه ولمزه ووساوسه فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله رب العالمين"[1] ، وتعد الاستعاذة نوعا من الدعاء وهو ما كان مختصا بالاستعمال في دفع المكاره والمضار ومن هذا النوع كلمة الاستعاذة والاستغاثة والاستجارة واللياذة والاستغفار والشفاعة"[2]. والاستعاذة تتضمن الاستعانة.

وهكذا تكون الرسالة (لح هـ) مبنية على ثنائية: العبادة / الاستعانة. والعبادة متعلقة بتوحيد الألوهية والاستعاذة (الاستعانة) متعلقة بتوحيد الربوبية وفي هذا إلزام بالإشعار بالعبودية بحيث "كان العبد يقول أنا مع لوم الإنسانية ونقص البشرية وفيت بعهد عبوديتي حيث قلت أعوذ بالله فأنا مع نهاية الكرم وغاية الفضل والرحمة أولى بأن تفي بعهد الربوبية فتقول إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم" [3].

بعد تحليل الرسالة (لح هـ) تبين أنها تقوم على ثنائية: توحيد بأن ألوهية/والربوبية. والعنوان يتضمن فكرة توحيد الأسماء والصفات.

وبناء عليه فإن العلاقة بين العنوان "استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية" وبنسبة نص الرسالة (لح هـ) للي علاقة تلازمية؛ لأن توحيد الألوهية والربوبية يقتضي توحيد الأسماء والصفات لأجل عقيدة توحيد شامل. فهو لا يقبل التجزئة .

وبعد تحليل الرسائل تتجلى شعرية العنوان " الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" في نشر دلالاتها عبر جسد الكتاب في شكل ثنائية: العبادة الاستعانة المتعلقة لتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ذلك أن عقيدة التوحيد المنشودة هي عقيدة شاملة. وكما يمثل التوحيد رأس الإمان والأصل الذي ينبغي أن يتقرر في النفس والقلب ثم في العمل والسلوك.

ويبدو جليا حرص المتكلم/ الكاتب إبلاغ المخاطب / القارئ عقيدة التوحيد التي أمر بها الله تعالى عباده تفاديا للاعتقادات الفاسدة التي لا تقر بالتوحيد الشامل. وهي ما نجدها عند

---

1 -صفوة التفاسير محمد على للصابوني دار الضياء قسنطينة قصر الكتاب الجزائر مج 1 ج 1 ص23.

2 -تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: محمد الرازي فخر الدين العلامة ضياء الدين عمر دار الفكر لبنان بيروت، ط1 / 1401 هـ/ 1981 م

3- الدعاء ومنزلقة من العقيدة الإسلامية : أبو ع/الرحمان جيلان بن خضر العروسي ،ص 53.

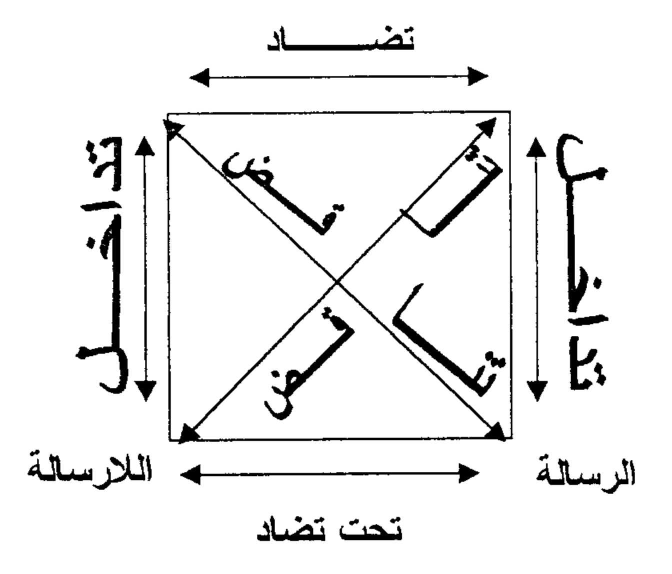
فئة الكفار والمشركين الذين يسلمون بتوحيد الربوبية ولا يسلمون بتوحيد الألوهية ، بعكس المؤمنين الذين يسلمون بالتوحيد الشامل .

وكما تمثل العناوين الفرعية في فصول الكتاب التي تختلف عدد الرسائل فيـــها. فـــهذه الرسائل بعنواناتها الفرعية المختلفة تشكل رسالة واحـــدة يتضمنـــها ويختزلـــها العنـــوان الرئيسي.

وهناك علاقة جدلية بين هذه العناوين الفرعية المتآزرة والمتظافرة فـــي الفضـــاء النص للخطاب مع العنوان الرئيسي محدثة وحدة نفسية وأثرا جماليا واضحـــا للقـــارئ. وتشير عنونت الفصول إلى حالة من الوعي والمعرفة وإثبات الوجود الحقيقي. والكتـــاب يجسد صورة كاتب واعي.

العنوان يتضمن خطابا خلاقا يتمثل في الاتجاه الأيدلوجي المتمثـــل فـــي معالجـــة العقيدة الإسلامية وفي مقدمتها التوحيد الذي يمثل رأس الإيمان فيغد الـــهدف منـــه خلـــق التواصل بين المتكلم/ الكاتب والمخاطب/ القارئ الذي يمثل المجتمع؛ بل العالم كله رغبـــة في الإصلاح؛ لإصلاح الأمة والرجوع بها إلى عهد النبوة والصحابة ونشـــدان الســـعادة الأبدية.

ويمكن التمثيل لهذه الفكرة بالمربع السميائي.




الفصل الثاني
إستراتيجية الفقراء والعولمة

إن تحليل النص الأدبي يلزم القارئ/ المحلل الانطلاق من النص ذاته؛ لأن القـراءة المقصودة هنا هي قراءة فاعلية تفرض على القارئ اتخاذ إستراتيجية خاصة تتمثـل فـي التسلح بالكفاءة اللغوية والأدبية.و لمقاربة النص يحاول القارئ خلق علاقة حميمية معـه والاستئذان منه والاستئناس به فالنص الأدبي ليس للراحة والاستجمام كما يخاله البعـض؛ بل أصبح هاجسا ملازما للقارئ يرصد إندفاعاته رغبة في خرق أفقه، ذلك أن " النـص الأدبي يتشكل في هيكل أو بنية مؤطرة تقوم في أجزاء منها على الإبهام الناشـئ عمـا تشتمل عليه من فجوات أو فراغات يتعين على لقارئ ملؤها. ولذلك فهو فـي حاجـة – دائما– إلى القارئ المبدع الذي يكمل هذا العمل ويحققه عيانا".[1]

إن تلك الإشكالية أو الضبابية الكثيفة التي تحيط بالنص وتعيق الولوج إليه يمكن أن تتجلي من خلال إنشاء القارئ حوارا خلاقا ومستمرا بين مكونات النـص بـدء بـأصغر وحداته وهو العنوان ويمثل هذا الأخير عند جنيت (GENETTE) إحـدى عتبـات النـص (SEUILS) وهذه العتبة تنفتح على أكثر من قراءة توحي بالمعنى دون البوح بـه، تظـهر شيئا وتغيب أشياء، فهي تتضمن المعنى المؤجل وهذا ما جعل منـها علامـة سيميائية تفرض على القارئ/ المحلل الولوج إلى عالم المغامرة، وتجبره على التـأويلات وذلـك بتقديم التنبؤات حول محتوى النص ووظيفته المرجعيـة وطاقاتـه الترميزيـة ومعانيـه المصاحبة بوصف النص الصوفي نظرة للعالم وطريقة حضوري فيه.

والعناصر المراد استقراؤها أو دراستها هنا تتمثل في الفاتحة النصية والخاتمة النصية وما يليهما، والتعرف إلى المناسبة بينهما وتمثل هذه العنـاصر عتبـات النص، وهي بمثابة مفتاح إجرائي في مقاربة النص الأدبي ينتمي هذا النص إلـى جنـس الرسالة الصوفية الموجهة إلى الآخر تتميز ببنيتها اللغوية والتركيبية (البناء الأفقي) وكمـا أنها تتكون من وحدات (البناء العمودي) تتمثل في الفواتح والخواتم وما يليهما. وهي تقـوم على النظام التراتبي.

أثناء هذه المرحلة التي تتسم بالتفكيك لرموز النص ومغالقـه؛ أي تحليـل النـص

1 –نظرية التلقي: روبيرت هولب، تر: عزالدين إسماعيل، النادي الأدبي جدة، ص 12.

بطريقة عملية حيث يضطلع القارئ /المحلل " بعملية فك البناء لغويا وتركيبيا من أجل إعادة بنائه دلاليا وهذا يستدعي ضرورة تحديد الأجزاء المراد تحليلها وبيان دورها وكشف العلاقات بينها، وتفسير الإشارات الواردة فيها وملاحظة التدرج التعبيري لها وتوافق العناصر المكونة لها تضادها وتوازنها ؟أو توازيها وتمايز بعضها من بعض وإيضاح الإحالات القابعة فيها وطريقة نسيج العلائق في شبكة القصيدة المحكمة وتعانق كل خيوط منها مع الآخر من أجل تكوين بنية لغوية ذات صبغة فنية خاصة".(1)

وانطلاقا من وظيفة العنوان الشعرية والسيميائية في الكتاب فهو يشكل دالا مركزيا تقوم عليه الإستراتيجية للنص الجملي للكتاب.

وأي قراءة استكشافية تنطلق من هذا الفضاء الرحب الذي يشتمل على:

العنوان ← الفاتحة ← الخاتمة. وهي بدورها تشكل أماكن استراتيجية متميزة للبعد التداولي للنص، أي أثرها على القارئ . بداية أرى أنه من الضروري التعريف بأهم المصطلحات التي سأتعامل معها في ممارسة التحليل، وذلك بمحاولة إعطاء مفهوم لها. ومن ثم التعرض إلى كيفية تحديدها، وعلاقتها ببعضها البعض ووظائفها.

الناضر في النثر العربي يجد أغلب النصوص الأدبية تتوفر على الفاتحة والخاتمة والرابط بينهما المتن. وتحكمها علاقة مصاحبة، ويشكلان كيانا خاصا بذاته.

I- الفواتح والخواتم

- تعريفها اصطلاحا

لقد حظيت الفواتح والخواتم باهتمام كبير من طرف المبدعين لاسيما الفواتح التي يرصدون فيها صيغا لغوية ذات بروز أسلوبي للتأثير على القارئ، فكانت تعرف بحسن المطالع.

ومن النقاد الذين استقطبتهم هذه القضية النقدية الرندي الذي تنبه إلى مطالع القصائد إدراكا للقيم الفنية والجمالية معبرا عن ذلك بقوله:" إعلم أن الابتداء مطلع الكلام وعنوان النظام ومحله من القصيدة محل الوجه من الإنسان والذي يحسنه مع اللفظ الرائق

1 – منهج في التحليل النصي للقصيدة تنظير وتطبيق دراسة محمد حماسة، ع/اللطيف، مجلة فصول، مج15، ع2، صيف 1996م، ص 108.

والمعنى الفائق أن يفتتح بالجمل الابتدائية والفعلية والنداء والاستفهام ونحو ذلك مـــا لـــه صدار في الكلام وإن كان ذلك يجرى مجرى المثل فتلك العناية في الجودة." (1)

يبدو أن الرندي استقطبه الابتداء فانبهر بحسن المطالع ولم يلتفت إلى الانتهاء وأمـا ابن سنا فقد حاول الربط بين الابتداء والانتهاء انطلاقا من أنه " إذا كان الابتداء له دلالـــة الإفضاء إلى ما بعده فإن للخاتمة دلالة تضمن ما قبلها؛ أي أنها ضرورية كحد ملمـــوس للنص، فهي جمع ما ثبت وتذكيره دفعة واحدة على سبيل التوديع للقول." (2)

ففي هذا القول نلمس ميزة للخاتمة وهي تتمثل في أنها تتضمن النـــص بأكملــه- (جمع ما ثبت وتذكيره دفعة واحدة على سبيل التوديع)- رغم أنها جزء منه. ومن جهـــة فإنها تمثل لحظة الانفصال بين المرسل (المبدع) والمرسل إليه (القارئ). ويشـــير هـــذا الانفصال إلى اعتبار الخاتمة "قفل" للنص؛ لأنه يعلن عن اختتامـــه وإغلاقـــه إلا أن هـــذا الانفصال مؤقت ونسبي؛ لأنه إشارة إلى انتهاء البناء التركيبي اللغوي للنص الذي يتســـم ببروز أسلوبي؛ ولكن على المستوى الدلالي غير منته. فهي تتضمن المعنى المفتـوح؛ لأن النص الأدبي كائن لساني حي مستمر الوجود بفعل القراءة التي تنقله من حالـــة الســـكون والكمون التي يكون وجوده فيها بالقوة مع المبدع إلى حالة الحركة فيكون وجوده بـــالفعل مع القارئ.

وفي المقابل تعني الفاتحة (الابتداء) "المفتاح" الذي يدخل منه القارئ/المحلل النص. تمثل الفضاء الممهد للنص الذي يشكل مجموع المساحة الموصلة إلى بؤرة النص. وكمـا أنها تعد الإشارة الثانية بعد العنوان التي يرسلها المرسل (المبـــدع) إلـــى المرســـل إليـــه (القارئ) ذلك أن "الفاتحة النصية تمثل لحظة بدء الاتصال بين قطبي الإبـــلاغ: المرســـل والمرسل إليه". (3)

وبهذا تصبح الفاتحة النصية في النثر العربي تشكل جسرا تعبر عليه القراءة مـــن الفضاء الممهد للنص الذي يشكل مجموع المساحة الموصلة إلى بؤرة النص.

---

1 -الوافي في نظم القوافي: الرندي ، ص 107/103، (مخطوط)، نقلا عن شعرية النوع الأدبي في النقد العربي القديم، رشيد يحياوي، ص 110.

2 - الخطابة من كتاب الشفا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سناء، تح: محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية القاهرة 1954م، ص237.

3 - في إنشائية الفواتح والخواتم: أندري دي لنجو، تر:سعاد بن ادريس نبيغ، مجلة النوافذ، ع10، س 1420 هـ شعبان -ديسمبر 1999م، ص 27.

- وظائفها

لاشك أن الفواتح والخواتم تنطوي على متعدد من الوظائف أذكر منـــها الوظيفــة التداولية التي تتمثل في تنبيه ذهن القارئ وذلك من خلال أساليب لغوية منبهة كالاستفهام والنداء "ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس الســـامع أو أن يثير ما يؤثر فيها انفعالا ويشرب لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غـــير ذلك".(1)

والشيء نفسه في الخاتمة أو المقطع في دلالته عليها لأنه "آخـــر مـــا يبقـــى فـــي النفس"(2) فهي كذكرى "توديع" النص لدلالته على ما سبق وانتهاء النص إليه "وإنما وجـــب الاعتناء بهذا الموضع لأنه منقطع الكلام وخاتمته".(3)

ومن خلال التعرض إلى الوظيفة التداولية للفواتح والخواتم النصية فإنه يمكن القول أنه إذا كانت الفاتحة هي أول جملة تقذف بالقارئ في خبايا النص من خلال اســـتراتيجية اغرائية تمكن من المحافظة على عملية الإبلاغ بإحداث عامل الرغبة، فإن الخاتمة هي مـــا يبقى في ذهن القارئ لحظة انفصاله؛ وهي إما أن توسع أفق انتظاره أو أن تخرق انتظاره وتوقعه، وإما أن تخيب أمله لأنها لم ترق.

- كيفية تحديدها

إن مسألة تحديد الفواتح والخواتم النصية لعلى درجة كبيرة من التعقيد "فيجـــب أن التساءل أولا عن مكان انتهاء الفاتحة ثم نقترح أثر ذلك معايير ممكنـــة لتقطيـــع تســـمح بفصلها عن بقية النص ". (4)

فتحديد الفواتح والخواتم ليس عملية اعتباطية؛ بل" هناك بالفعل طرق للتعرف علـــى حدود المقاطع الخطابية التي تميز مقطا من الخطاب عن المقاطع الأخرى فيمكن مثـــلا أن

---

1 -منهاج البلغاء وسراج الأدباء أبو الحسن حازم القرطاجي تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ص 31.

2 -الصناعتين: الكتابة والشعر الحسن بن ع/الله بن سهل أبو هلال العسكري تح: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي، القاهرة ط2، 1971م، ص 228.

3 -نفسه ، ص 265.

4 - في إنشائية الفواتح النصية: أندري دي لتجو، تر سعاد بن ادريس بليغ، ص 29.

تستعمل قوالب جاهزة (من قبيل كان يا مكان في قديم الزمان ... وعاشوا بقية حياتهم في سعادة وهناء) صراحة لابراز مقطع من المقاطع".[1]

ولما كانت طبيعة النصوص تختلف من جنس لآخر، فطبيعة الخطاب النثري تختلف عن طبيعة الخطاب الشعري، باعتبار أن المطلع في القصيدة يتكون من وحدة البيت، وأما في الرسالة فإن المطلع فيها فيتكون من الفقرة ولكن بناء الرسالة كنمط نثري لا يفتقر إلى ما يشبه وحدة البيت؛ لأن "كل فقرة منه بمنزلة بيت من الشعر".[2]

وأحيانا تعترض القارئ/المحلل نصوصا يصعب تحديد الفواتح والخواتم فيها، وهنا "يجد المحلل نفسه في الغالب مضطرا إلى الاعتماد على مفاهيم حدسية لتحديد نهاية جزء معين من المحادثة وبداية آخر؛ لكن ذلك لا يعني أن كل تعبير في أطراف المحادثة تؤدي بالضرورة إلى انتهاء مقطع معين متجانس من المحادثة".[3] ولكن تبقى الإشكالية عالقة ما لم تشمل الأجناس النثرية الأخرى كالرسالة والخطابة وغير ذلك.

ورغم الدراسات التي حظيت بها إشكالية الفواتح والخواتم بوصفها إشكالية أهم لمراكز النص الاستراتيجية كما تبرز من خلال بعض الدراسات التي تناولت نماذج من الخطاب الشعري (القصيدة) والخطاب السردى (الرواية) والخطاب المحكي (المحادثة) إلا أن دراسة الفواتح والخواتم النصية لا تزال غظة ما لم تؤطر بمنهجية ونظرية شاملة.

II- المناسبة

-تعريفها اصطلاحا

المقصود بالمناسبة هنا ليس مناسبات الكتابة -كتابة الرسائل- أي الأحداث الملازمة لكتابتها؛ بل المقصود بالمناسبة في هذا السياق مناسبة ترتيب رسائل الكتاب بهذه الكيفية، وكذلك ترتيب وحداته المتماسكة بهذه الصورة من التماسك والتناسب والانسجام.

إن البحث في المناسبة بين فواتح الرسائل وخواتمها، وبين فاتحة رسالة لخاتمة رسالة سابقة، وبين الفاتحة والمتن للرسالة الواحدة، وبين الرسالة واسمها ...يحتاج إلى

1- تحليل الخطاب، ج ب براون و ج يول ، تر محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، ص 84.
2- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، ج3، ص341.
3 -تحليل الخطاب : ج ب براون، و ج يول، تر محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، ص 85.

كثرة إعمال للفكر وإمعان للنظر حتى يمكن ملاحظة المناسبة بين المقاطع -وحدات الرسالة- أو بين الرسائل.

وعلم المناسبة تناولته الكتب التفسيرية وعلوم القرآن وذلك لدراسة التماسك والانسجام النصي في القرآن الكريم. فقد عولجت المناسبة بين الآيات وبين السور .. ولهذا قيل "المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها -الله أعلم- إلى معنى رابط بينهما: عام أو خاص أو عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلوم والنظيرين والضدين ونحوه. أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر".[1] يشير هذا التعريف إلى وجود رابط بين الفواتح والخواتم، ويقصد به شرط وجود المناسبة والمراد بالرابط الاستمرارية المحققة عبر كلمات وعبارات وجمل وفقرات ومكونات النص؛ بل عبر أكثر من نص لأجل دراسة التماسك النصي والانسجام النصي في القرآن الكريم. وتتجلى هذه الغاية في قولهم " إن ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني." [2]فهذا الاتساق والانسجام في القرآن الكريم مرده إلى الإعجاز في القرآن.

وبالنظر في التراث النقدي والبلاغي عند العرب يلاحظ تردد مصطلح المناسبة فيه كثيرا فيظهر في عدة صور كالتناسب بين الفواصل (الخطاب النثري) وبين الصدر والعجز (الخطاب الشعري) وتشابه الأطراف وحسن التخلص إلى غير ذلك . ويعني علم المناسبة عند البلاغيين كما عرفه السجلماسي "ليس ينبغي أن يظن بنا أننا نريد حاسم المناسبة الذي ترادف به التكرير المعنوي، أن يكرر المتكلم المعنى الواحد بالعدد في القول مرتين فصاعدا ؛ لأن ذلك ليس من القول معسولا خلوا من البديع، وعطلا عريا من البيان فقط، مرذولا غثا مستكرها رثا".[3]

---

1 -البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل بيروت، 1408 هـ، 1988م، ج1، ص35.

2 - تناسق الدرر في تناسب السور، حقق ونشر بعنوان: أسرار ترتيب القرآن ع/الرحمن جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق ع/القادر أحمد عطا، سلسلة نوادر التراث دار الاعتصام مصر، 1978م ص 40.

3 -المنزع البديع في تحسين أساليب البديع ابو القاسم السجلماسي تح، علال الفازي مكتبة المعارف الرباط، 1980 م، ص 517.

فالسجلماسي ينفي أن تكون المناسبة تعني التكرير المعنوي ؛ إلا أن المناسبة أشمل منه، فهي تشمل الجانب اللفظي والجانب المعنوي ؛أي التمظهر السطحي والدلالي للنص.

- أنواعها

ولتحديد أنواع المناسبة يمكن الاستناد إلى تقسيمات ابن أبي الأصبع المصري(ت654هـ) والسيوطي(ت 911هـ)، ومحاولة المزاوجة بين تصوراتهما للوصول إلى تصور شامل عام.

لقد قسم ابن أبي الأصبع المصري المناسبة إلى نوعين: مناسبة في المعاني ومناسبة في الألفاظ "فالمعنوية أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقوله تعالى:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ(*)﴾.

لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة وأضاف إلى نفسه جعل الليل سرمدا إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير، وظرف الليل ظرف مظلم لا تنفذ فيه البصر لاسيما وقد أضاف الآتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصار إلى غيره، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة فصار النهار كأنه معدوم ... والليل كأنه لا موجود سواه فاقتضت البلاغة أن يقول "أفلا تسمعون" بمناسبة بين السماع وظرف الليل الذي يصلح للإسماع ولا يصلح للأبصار. أما المناسبة اللفظية فهي توخي الآتيان بكلمات متزنات وهي على ضربيين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة وأخرى ليست مقفاة ومن شواهد التامة قول الرسول -*صلى الله عليه وسلم*- " أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة" فقال (لامة) ولم يقل ملمة وهي لقياس بمكان المناسبة اللفظية التامة. ومن أمثلة المناسبة الناقصة قوله -*صلى الله عليه وسلم*-

* - سورة القصص، الآية : 71.

" إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم أخلاقا الموطئون أكنافا"

تناسب بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان دون تقفيه".[1]

هذا بالنسبة لتقسيم ابن أبي الأصبع المصري أما السيوطي فقد قسم المناسبة إلى "ثمانية أنواع وهي تتمثل في:

1- بيان مناسبات ترتيب سورة وحكم وضع كل سورة منها.

2-بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها.

3-وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها.

4-مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له وذلك براعة الاستهلال.

5- مناسبة أول سورة لأواخرها.

6- مناسبة ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها وتناسبها.

7-بيان فواصل الآي ومناسبتها للأي التي ضمت إليها.

8. مناسبة أسماء السور لها. [2]

ويشترط السيوطي وغيره وجود مرجع رابط بين الآيات " إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه".[3]

رغم تعدد أنواع المناسبة عند السيوطي إلا أنها لا تكاد تخرج عن المناسبة في المعنى والمناسبة في اللفظ كما تتجلى في تصنيف ابن أبي الأصبع المصري.

- أهميتها وظيفتها

لقد حصر المفسرون وعلماء علوم القرآن وظيفة المناسبة في "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم

1- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن ابي الأصبع المصري، تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة دار التعاون للطبع والنشر 1995 م ص 363.368.

2- تناسق الدرر في تناسب السور، السيوطي ص 65.66.

3- الإتقان في علوم القرآن ،الحافظ جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1418هـ-1998م، ج2، ص 108.

المتلائم الأجزاء".[1] ففي هذا التعريف إشارة إلى مصطلح التماسك النصي من خلال فكرة جعل عناصر الكلام ويقصد بها النص متماسكة شكليا ودلاليا وهذا الأخير يضفي على النص الانسجام، لأن التماسك من عناصر الانسجام.

وهنا تتجلى وظيفة المناسبة في جعل النص القرآني متماسكا ومنسجما حتى صار كالكلمة الواحدة.

ولما كانت المناسبة تقتضي وجود علاقة بين المتناسبين قد تكون ظاهرة وقد تكون غير ظاهرة. والبحث عن الرابط بين المتناسبين يعني التوصل إلى العلاقة. وهذه العلاقة بدورها تقتضي مرجعية من أحد المتناسبين إلى آخر. وإذا تحققت هذه المرجعية تحقق التماسك بينهما. وهنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة والتماسك النصي ثم انسجامه .واستعمالهما هنا في التحليل النصي كالتالي:

المناسبة ← العلاقة ← المرجعية ← التماسك ← الانسجام.

وهكذا تكون وظيفة المناسبة في إبراز التماسك النصي وانسجامه. والهدف من البحث في علم المناسبة يكمن في ذلك التحول في الدراسات اللغوية والنصية المتمثل في التحول من نحو الجملة إلى نحو النص بوصفه الوحدة الكبرى في التحليل والدراسة النصية.

لقد أنطلق علماء النص من نظره علماء التفسير وعلوم القرآن بوصفه كالكلمة الواحدة لشدة تماسكه وانسجامه أنه يمكن اعتبار الكتاب الكامل نصا متماسكا ومنسجما وذلك لوجود جهة جامعة بين نصوصه وتعني الجهة الجامعة المناسبة ووظيفتها تحقيق اتصال الكلام (النص)؛ أي تماسكه وانسجامه.

وبهذا تظهر تلك العلاقة بين المناسبة والانسجام في ضوء التحليل النصي وتصبح المناسبة من العوامل المساهمة في تماسك النص وانسجامه.

وكما أنها تعد من أهم الأسباب التي تبين إدراك القدامى للتحليل النصي بصورة تقترب من التحليل المعاصر. وهذا ما سيتضح في التحليل النصي لرسائل الكتاب في الفصل التالي من خلال التعرض الاستراتيجية الفواتح والخواتم.

---

1 – البرهان في علوم القرآن ، الزركشي، ج1، ص 36.

فالرسائل المعتمدة في التحليل ليست مرتبة كما هي واردة في الكتاب؛ لأن الدراسة مركزة على نماذج من الرسائل المختارة في الدراسة التحليلية وهي كالتالي الرسالة "و" والرسالة "يا" من العنوان الأول: ميمون الابتداء مبارك الانتهاء .والرسالة "يب" ما العنوان الثاني أركان المعرفة من الإشارات الإلهية. والرسالة "يج" والرسالة "يه" من العنوان الثالث ذم التفضيل بالغاشية والحاشية من الإشارات الإلهية). والرسالة "زمج" والرسالة "لح هـ" في العنوان الرابع: استعلام الفطانة من الإشارات الإلهية.

وكما يبدو من خلال هذا الاختيار أن الرسائل المنتقاة ليست متجاورة وهي تختلف في شكلها (الطول/القصر) وتتمحور حول موضوع عقيدة التوحيد الشامل. وسأناقش في هذا الفصل أنماطا من التحليل النصي عبر المناسبة في رسالة مفردة دون التعرض إلى المناسبة بين الرسائل؛ لأن النماذج المعالجة ليست متجاورة وبالتالي يكون التركيز على قضية واحدة وهي تناول المناسبة على مستوى الرسالة المفردة، ويتم ذلك عبر مستويين هما:

أ- المناسبة بين الفاتحة والمتن.

ب- المناسبة بين الفاتحة والخاتمة.

إن المناسبة على مستوى الرسالة المفردة أول ما تبدأ به عنوانها -اسمها- ثم الفاتحة ثم المتن فالخاتمة بالترتيب ولكل من هذه الأقسام المكونة للرسالة مناسبة تؤدي وظيفة إما مع موضوع الرسالة أو بين أولها وآخرها أو بين عنوانها[*] ومضمونها إلى غير ذلك من علاقات المناسبة التي تقوم بدورها بوظيفة التماسك النصي والانسجام النصي.

* - تتمثل عناوين رسائل الكتاب في الحروف الأبجدية وهذه الأخيرة تمثل رموزا عند الصوفية. والبحث في هذه القضية يتسم بالغموض والدقة بالاضافة إلى عدم توفر مصادر ومراجع للإستعانة بها في التحليل فتجاوزت هذه القضية وركزت على قضيتين أساسيتين هما: المناسبة بين الفاتحة والمتن والمناسبة بين الفاتحة والخاتمة.

III- التحليل النصي للرسائل

-المناسبة على مستوى الرسالة المفردة.

- المناسبة بين الفاتحة ومتن الرسالة.

إذا كانت الفاتحة منطقة إستراتيجية لتحقيق التواصل بين طرفي الرسالة، المتكلم/ الكاتب والمخاطب/ القارئ، والتأثير على المخاطب / القارئ بأسره فإن تأثيرها يسري على النص بحيث تجعل أجزاء النص التالية منتظمة المبنى ومتسقة المعنى بما قبلها مما يضمن استمرار التواصل حتى النهاية "فالنص ذو بداية ومجال ووسطا قد يطول وقد يقصر ونهاية وهي نقاط يمكن التوقف عند أي واحدة منها وفصلها عن غيرها؛ ولكنها لا يمكن أن تفهم معزولة عنها فكل مكون من مكوناتها يمثل معلما أو نقطة (Repère) تتقدم بها الأحداث إن كانت حدثا وتتعدد بها الذوات إذ كانت ذاتا الخ وهي يمكن العودة إليها عن طريق الإحالة وبالقياس عليها تجري ترتيب عالم الخطاب وبناء النص بالإستتباع"[1]

وهذا الإستتباع المحقق عبر النص يتعدى إلى نصوص أخرى مما يؤكد إبراز العلاقة بين المناسبة والتماسك النصي وانسجامه.

ويبدو هذا جليا عند أبي حيان التوحيدي إذ نجده يولي اهتماما كبيرا بفواتح رسائله. ويوحي هذا الاهتمام بأهمية الفاتحة بل أهمية الجملة الأولى فيها "ففي الغالب يركز المرسل كل جهوده في هذه الجملة، إذ يكون ما بعدها غالبا تفسيرا لها وتمثل كذلك المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد، إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص بالجملة الأولى بوسيلة ما".[2]

ويتضح هذا من خلال تحليل نماذج من الرسائل.

---

1 – نسيج النص(بحث في مايكون له الملفوظ نصا): الأزهر الزنادي، ص 43.

2 – نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصيدة جاهلية سعد مصلوح مجلة فصول مج العاشر، العددان الأول والثاني، أغسطس 1991م ص 144/145.

الرسالة "و"

- المناسبة بين الفاتحة والمتن

- الفاتحة

تتميز هذه الرسالة "و" بتفردها في الفاتحة من الرسائل الأخرى فقد إستفتحها المتكلم/الكاتب بآية قرآنية من سورة إبراهيم:﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾.(1)

ففي هذه الآية تلمس براعة الاستهلال المطلوبة؛ لأن نص الفاتحة يتضمن قضايا معرفية يريد المتكلم /الكاتب التنبيه إليها. وهي تتمثل في اشتمال القرآن على قضية العقيدة الجديدة التي كلف بها الرسول – *صلى الله عليه وسلم* –بتبليغها "لقد كان القرآن يعالج القضية الكبرى والقضية الأساسية في هذا الدين الجديد قضية العقيدة قاعدتها الرئيسية الألوهية والربوبية والعبودية وما بينهما من علاقة".(2)ومن جهة تشويق المخاطب /السامع سماع الخبر الذي سيخبر عنه المتكلم. وبذلك يتحدد الفهم المعرفي للنص.

يمكن تصنيف هذا النص حسب المنظور الفكري اللغوي العربي بوجه عام الذي يقسم الكلام إلى خبر وإنشاء حسب الكلمة الأولى في الجملة. فهي الموجه الأساسي للنص ويتمثل الموجه النصي للنص في فعل "سكنتم" وهو فعل ماضي مثبت يشير إلى الأخبار ومنه تكون الفاتحة النصية خبرية.(*)

يعد الفعل "سكنتم" فيها النواة الأساسية في النص. وتقوم شبكة من الوسائل اللغوية بالربط بين هذه النواة وبين الجمل الأخرى فالنص يتكون من ثلاث جمل فعلية متتالية قائمة على التراتب وفعلها في صيغة الماضي؛ ولكن الفعل في القرآن الكريم لا يحتكم إلى الزمن الذي يرد فيه وهذا راجع إلى الإعجاز فالأفعال (سكن، تبين، فعل ، ضرب) أفعال خالدة مستمرة غير مرتبطة بالزمن. ففعل سكن: يدل على الإقامة؛ سكن ويسكن وسيسكن؛

1- سورة إبرهيم،الآية : 45.
2- في ظلال القرآن سيد قطب، مصر، ط16، 1401 هـ /1990م، ج3، ص 124.
* - الخبر: هو قول يحتمل الصدق والكذب والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع والغرض منه اعلام المخاطب بالحكم الذي تتضمنه الجملة الخبرية.

فهو فعل مستمر باستمرار وجود البشرية. وكذلك فعل تبين: يتبين، سيتبين؛ يدل على رسوخ آثار العذاب اللاحق بالسلف الفاسد. وفعل فعل: يفعل وسيفعل؛ يدل على صدق الوعيد. وفعل ضرب: يضرب وسيضرب؛ يدل على استمرار الأمر والنهي. والغاية من هذه الأفعال التذكير؛ تذكير المخاطب /السامع. فالذكرى تنفع المؤمن الذي يتعظ ويعتبر وتبقى هذه الأفعال خالدة مستمرة باستمرار وجود البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وانطلاقا من هذه الأفعال يمكن تقسيم النص إلى ثلاث جمل فعلية مثبتة هي كالتالي :

1- وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم.

2-وتبين لكم كيف فعلنا بهم.

3- وضربنا لكم الأمثال.

فالجملة الأولى تتكون من عمليتين اسنادتين : سكنتم في مساكن/ الذين ظلموا أنفسهم يمثل اسم الموصول (الذين) الرابط بين السكن والظلم. وهو -اسم الموصول- وصلته يفيد وصف السكن بالظلم للنفس. يحيل إلى تلك الأمم السالفة التي ذكرت في بداية السورة وهي قوم موسى (الآية :5) ثم قوم نوح وعاد و ثمود والذين من بعدهم (الآية :9). فهؤلاء الأمم جميعا وصفت بظلم النفس؛ لأنها كفرت بالنعم؛ أي لم تشكر الله على نعمته ومن جهة فإنها -الأمم- عصت الرسل المرسلة إليها لإخراجهم من ظلمات الضلال إلى أنوار الهداية إلى الإسلام ومنه فإن الخطاب في هذه الجملة "و سكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم يعم جميع أمم الشرك عدا الأمة الأولى من أهل الشرك لم تسكن في مسلكن مشركين".[1]

وكما أن هذا الخطاب يتضمن معنى الخصوص؛ لأن المخاطب هنا هو أمة -***محمد صلى الله عليه وسلم***- التي اتبعت ملة سلف المشركين فحلت محلها فكانت ظالمة لنفسها بالكفر والمعصية والشرك؛ لأنها لم تعتبر على الرغم من أن "العرب كانوا يمرون على

1 - تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج13، ص249.

ديار ثمود في رحلتهم إلى الشام ويحطون الرحال هناك ويمرون على ديـــار عــاد فـــي رحلتهم إلى اليمن".[1]

ويستأنف الخطاب في الجهة الثانية (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) ، فهذه الجملة أيضا تتكون من عمليتين اسنادتين : تبين لكم /كيف فعلنا بهم.

فتبين لكم: بمعنى ظهر لكم. وضمير الخطاب (كم) يحيل إلى أمة محمد ***-صلى الله عليه وسلم*** –(المخاطب) المراد تذكيرها وتنبيهها.

ويمثل ضمير الغيبة (هم) في قوله (كيف فعلنا بهم) يحيل إلى أمم الشرك الســـالفة وضمير المتكلم (أنا، نحن) يحيل إلى المتكلم وهو الله تعالى الذي يخاطب أمـــة ***-محمد صلى الله عليه وسلم-*** على لسانه وهو هنا يدل على التعظيم والتنبيه إلى العقاب الشـــديد والعذاب الأليم.

والغاية من الالتفات من الخطاب إلى الغياب لربط الماضي بالحاضر للتذكير لعلـهم يعتبرون ويهتدون لذلك لم يخص الاستفهام (كيف) الفعل (فعل) لعلم المخاطب بحال الأمـم السالفة من خلال مشاهدة آثارهم "لأنهم علموا أن أولئك المتقدمين كانوا طالبين للدنيا ثـــم أنهم فنوا وانقرضوا فعند هذا يعلمون أنه لا فائدة في طلب الدنيا والواجب الجد والاجتـهاد في طلب الدين. والواجب على من عرف هذا أن يكون خائفا وجلا فيكون ذلك زجرا لـــه إذا قرئ بالتاء أما إذا قرئ بالنون فلا شبهة فيه، لأن التقدير كأنه تعالى قال أو لم نبين لكم كيف فعلنا بهم وليس كل ما بين لهم تبينوه".[2] ومنه يكون الاستفهام للإنكار والذم.

والجملة الأخيرة (وضربنا لكم الأمثال) فهي تقوم على صيغة تركيبيـــة مخالفـــة للصيغة التركيبية السابقة للجملتين؛ لأنها تقوم على عملية إسناد واحدة كالتـــالي: فعـل + فاعل + شبه جملة + مفعول به. يتوسط الفاعل (أنا) ضمير المتكلم والمفعول به (الأمثال) شبه جملة (لكم) وهي تحيل إلى المخاطب السابق. والغرض من هذه الإحالة التخصيـــص أي تخصيص الخطاب بالمخاطب – ***أمة محمد (صلى الله عليه وسلم)-*** لا غيرها لأجـل تذكيرها ووعظها على لسان رسولها ***-صلى الله عليه وسلم-***مما " أورده الله في القـــرآن

1 -تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب الرازي مج، 10، ص146.
2 -نفسه.

مما يعلم أنه قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المعجل".[1]

هذه الجملة تزيد الاستنكار التقريع والزجر ويصبح الخبر في الفاتحة يفيد الزجـــر والتقريع. وهو إشارة إلى عبادة الله بما اقتضت أولوهيته من الأمر والنهي .

ملاحظة: يمكن اعتبار الفاتحة إنشائية لتضمنها فعل (قال) المسند إلى الله تعـــالى(المســند إليه) وتكون الجمل الثلاثة في محل جملة مقول القول مفعولا به لفعل قال فاعله الله تعالى.

المتن: يتلو الفاتحة مباشرة وهو يتكون من عدة مقاطع نصية يتكرر في رؤوسها المركب لاسمي "يا هذا !" الذي يتكون من أداة النداء "يا" والمنادى اسم إشارة هذا والمنادي وهـــو المتكلم /الكاتب. يتضافر في هذا المركب الاسمي النداء والتعجب (!) لغرض التنبيه. ومنه فإن المتن إنشائي طلبي[*] .

تتحول شفرة النص بتحول المرسل للنص، أي أن المرسل الأول لنـــص الفاتحــة (الآية) هو الله تعالى والملتقي هو أي إنسان مسلم؛ يتلقى هذا النص. والمتلقي هنا هو أبــو حيان التوحيدي ثم يتحول هو بدوره إلى مرسل لنص الفاتحة من خلال تضمـــن النــص القرآني فعل قال في مثل هذا السياق؛ أي للاستدلال لأن الخطاب الصوفــي يقــوم علــى استراتيجية هادفة إلى الإقناع باستدلالات خاصة تتمثل في القرآن الكريم والحديث الشريف وهما عماد التصوف الإسلامي.

وهكذا تصبح الفاتحة الخبرية تتضمن الطلب؛ لأن فعل قال من الأفعال الانجازيــة (الطلب) والمناسبة بين الفاتحة والمتن تتمثل في وجود الرابط المتمثل في وجود الجـــامع الأساسي بينهما وهو ذات المتكلم " إذ يمثل الحقيقة الفيزيائية القارة التـــي يصـــدر عنـــها النص".[2]

1 – تفسير الفخر الرازي، الرازي، ص146.

* – الطلب وهو: "أن لا ارتياب على أن الطلب من غير تصور إجمالا أو تفصيلا لا يصلح أنه يستدعي مطلوبا لا محالة ويستدعي فيما هو مطلوبه أن لا يكون حاصلا وقت الطلب والطلب نوعان: نوع لا يستدعي في مطلوبه مكان الحصول، وقولنا لا يستدعي أن لا يمكن، ونوع يستدعي فيه، مكان الحصول، المطلوب بالنظر إلى أن لا واسطة بين الثبوت والإنتفاء يستلزم انحصاره في قسمين حصول ثبوت متصور، وحصول انتقاء متصور".

–مفتاح العلوم (السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابي بكر بن علي) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 535 هـ/1937م، ص 145.

2 –نسيج النص (بحث فيما يكون له الملفوظ نصا)، الأزهر الزنادي، ص 124.

يتكون هذا المتن من سبعة مقاطع نصية يتكرر في رؤوسها المركب الاسمي"يا هذا!" وهو يمثل مؤثرا يتم بواسطته تعالق مقاطع المتن وتأكيد "عناية بالأمر وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير".(1)

ومن خلال التحليل تبرز المناسبة بين الفاتحة والمتن بوجود علاقة شكلية ودلالية بينهما فالشكلية تتمثل في عامل الإيحالة الرئيسي المتمثل في استمرار لوجود ضمير المتكلم وهو المرسل للنص. والدلالية تتمثل في وجود ترابط دلالي بين الفاتحة والمتن وذلك من خلال التناسب الحاصل بين المخاطب في الفاتحة والمتن "يا هذا! **أما تسمع هذا الخطاب بحضور بال ويقظة فؤاد وفكر ظاهر واعتبار حاضر؟**". (2)

فالمخاطب في المتن يحيل إلى المخاطب في الفاتحة لاشتراكهما في صفة ظلم النفس بالشرك رغم ثبوت دلائل التوحيد، والكفر لإهمال الشكر، والإقتداء بالأسلاف هم بأسلاف من أهل الضلالة بدل أسلاف أهل الهداية.

ويعد تكرار الملفوظ (يا هذا!) في رؤوس المقاطع النصية عاملا لغويا من عوامل تجسيد الاستمرارية في النص؛ استمرارية(*) نفس المتحدث عنه، وقد أستثمر المتكلم/الكاتب هذا التكرار في الانتقال من موقف لآخر وهي كلها تتمحور حول موضوع العبادة وتعدد المقاطع إشارة إلى تعدد صور العبادة التي رصدها المتكلم في كل مقطع والعبادة تقوم على مبدأ الترغيب والترهيب فالترغيب إشارة إلى الجزاء الإلهي وهو خاص للمتقين والترهيب إشارة أيضا في المتن إلى الجزاء الإلهي إلا أنه خاص للمنافقين.

---

1 -المزهر في علوم اللغة وأنواعها: العلامة ع/الرحمن جلال الدثن السيوطي شرحه وظبطه صححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد حاد المولى على محمد البخاري محمد أبو الفضل ابراهيم -دار الجيل بيروت، دار الفكر، ج1، ص 332.

2 -المصدر ص 79.

* - الاستمرارية ' وهي قائمة على افتراض الأقوال المختلفة في النص والسياقات المحيطة بهم يربط كل منها الآخر. وكل قول يساعد في الوصول في بعض الأقوال الأخرى'.

introduction to text linguistics : robert de beaugrand and wolfgrang dressler, longmon london 1981, p48.

بدأ المتكلم/ الكاتب المقطع الأول بالترهيب وختم بالمقطع السابع بالترغيب لقوله "يا هذا! ارفق بعباد الله إذا دعوتهم إليه وشوقهم بالآية التي تتابعت على كل بعيد عنه وقريب منه، ولا تعجب من قلة إجابتهم فإن تلك من قلة إخلاصهم في دعائهم".[1]

وتكمن أهمية تكرار الملفوظ (يا هذا!) في بنائه نص (المتن) بإنشاء التناسب بين المقاطع النصية للمتن. فهي تمثل الوتد اللساني الذي تتفرع منه الدلالات ذلك أنه في كل مرة يشعر القارئ باستنفاذ الدلالة والانتقال إلى دلالة أخرى. فهو ينشط ذاكرة المستمع أو القارئ. ومن جهة فإنه يحقق التماسك النصي بين المقاطع طلبا لدوام موضوع العبادة.

ويشير الترغيب في العبادة إلى الإخلاص فيها بما اقتضت الشريعة الإسلامية، فهذه الحقيقة الدينية التي تشير إلى عبادته بما اقتضت ألوهيته من طاعة أمر ونهي الله تعالى "وهذه العبادة متعلقة بالألوهية لله تعالى ولهذا كان عنوان التوحيد (لا إله إلا الله) بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده أو يعبد معه إله آخر".[2]

النتيجة أن كلا المخاطبين يحيلان إلى مرجعية واحدة تتمثل في إعراضهم عن العقيدة الجديدة التي ارتضاها الله تعالى لعباده.

والمتكلم/ الكاتب يحيل إلى أولئك الرسل والأنبياء المكلفين بتبليغ رسالة الله تعالى وهداية الناس إلى الصراط المستقيم؛ أي الاقتداء بالسلف الصالح .

وبهذا تصبح المناسبة بين الفاتحة والمتن تتمثل في أمر الدعوة إلى عبادة الله تعالى بما تقتضيه من الأمر والنهي.

- المناسبة بين الفاتحة والخاتمة

الخاتمة عبارة عن دعاء ؛ والدعاء صفة من صفات الرسل الذين كانوا يدعون لأممهم بالمغفرة والتوبة والهداية والرحمة.

1 -المصدر ص 84.
2 -العبودية، ابن تيمية، ص 51.

ويظهر المتكلم /الكاتب هنا مقتديا بسنة سيدنا إبراهيم -*عليه السلام*- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.(1)

وفي المرجعية الزمنية يعتبر الدعاء الصوفي متولدا من ثراء الدعاء النبوي الشريف الذي استقى منه ما يحتاج إليه من عناصر حتى استكمل كليته وصار خطابا أدبيا متضمنا في طياته لنصوص سابقة كالقرآن الكريم والدعاء النبوي الشريف فكان متعدد المعاني في جوهره.

يمكن تقسيم نص الخاتمة إلى فقرتين هما:

الفقرة الأولى:

"اللهم إنا قد أبلينا وجددنا في محبتك، وحضرنا في طلب رضاك، وقلنا وسكتنا واجدين بك، وسلمنا وتعرضنا طامعين في قبولك، وصبرنا وجزعنا عند تصاريف قضائك، وجرنا وعدلنا في مقاصدنا إليك، وأصبنا وأخطأنا في الطاعة لك، وبالغنا وقصرنا في جميع أحوالنا معك".(2)

استفتح النص لفظ (اللهم) : لفظ جلالة (الله) منادى، حذفت ياء النداء وعوضت بميم مشددة (ياالله) فالدعاء في اللغة هو نداء ومعناه الطلب والسؤال فهو صادر من الطالب (الداعي) إلى المطلوب منه (المدعو) فالطالب هو العبد الفيقر والمطلوب منه هو الخالق الغني والعلاقة بينهما هي علاقة تذلل وافتقار .ومنه فالخاتمة إنشائية طلبيه.

يمكن تحليل هذا النص -الخاتمة – بالاعتماد على المستويين : المستوى الشكلي والمستوى الدلالي. وعلى العموم الخطاب الدعائي يقوم على ثنائية شبه ضدية على مستويين لمكون الجمل : العميق /السطحي فعلى المستوى الأول ثمة ثنائية الإنسان /الله (المتكلم /المخاطب)؛ لأن الخطاب صادر من الإنسان إلى الله وعلى المستوى الثاني هنالك

1 -سورة:التوبة الآية:114.
2 -المصدر، ص 84.

ثنائية الخير /الشر؛ لأن مضمون الخطاب هو طلب تحقيق الخير أو تجنب الشر.

وفي هذا الخطاب استعاض المتكلم / الكاتب صيغة المفرد (أنا) بصيغة الجمع (نحن) وذلك إقتداء بالقرآن الكريم -كما ورد- في سورة الفاتحة (إياك نعبد وإياك نستعين) ورد بصيغة الجمع بدل صيغة الإفراد "لأن في الجمع يقصد تغليب المتقين والمقربين، وهذا يعني أن واحد من هؤلاء الأصفياء فلما كان موجود في الفرد فعوضه بالجمع".[1] والبعض الآخر يرى في صيغة الجمع في الدعاء "الاعتراف بقصور العبد عن الوقوف في باب ملك الملوك فكأنه يقول: أنا يا رب العبد الحقير الذليل لا يليق بي أن أقف هذا الموقف في مناجاتك بمفردي؛ بل أنضم إلى سلك المؤمنين الموحدين فتقبل دعائي في زمرتهم فنحن جميعا نعبدك ونستعين بك".[2]

يمكن اعتبار الفقرة الأولى جملة كبرى تقوم على علاقة اسنادية واحدة المسند إليه هو المتكلم /الكاتب (أنا/نحن) والمسند هو مركب فعلي يتكون من ثمان جمل فعلية متتالية ومتجانسة لغويا.

يتصدر المسند إليه (أنا/ نحن) أداة توكيد (إن)التي تقوم بوظيفة توكيد مضمون الجملة وأما المسند فتتصدره أداة توكيد (قد) التي تفيد مع الماضي التحقيق. ومنه تكون الجملة مؤكدة بمؤكدين (إن وقد).

والملاحظ على المسند في هذه الجملة أنه عبارة عن جملة فعلية ممتدة بواسطة الرابط الواو. ويغلب عليها عنصر الفعل الذي تكرر ستة عشر مرة ويشير هذا التكرار إلى الحركة والتجدد، وكما أن صيغة الفعل هنا الماضي تتضمن المستقبل؛ لأن الدعاء يراد به الحاضر والمستقبل معا.

والغرض من تكرار المؤكدين (إن وقد) لتأكيد الطلب أكثر؛ لأن طبيعة الدعاء الإلحاح في الطلب تضرعا وطمعا في الإجابة. ويبرز هذا أكثر من خلال قراءة هذه

1 -روح المعاني : الألوسي مج1، ج1، ص 88.
2 -صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني دار البيضاء قسنطينة قصر الكتاب البليدة ، الجزائر مج1، ج1، ص 27.

الأفعال المتتالية القائمة على التتابع؛ تتابع الأضداد.

1- أبلينا وجددنا في محبتك.

2- سافرنا وحضرنا في طلب رضاك.

3- قلنا وسكتنا واجدين بك.

4- سلمنا وتعرضنا طامعين في قبولك.

5- صبرنا وجزعنا عند تصاريف قضائك.

6- جرنا وعدلنا في مقاصدنا إليك.

7- أصبنا وأخطأنا في الطاعة لك.

8-بالغنا وقصرنا في جميع أحوالنا معك. (1)

الملاحظ على هذه الجمل أنها تتكون من ثنائية ضدية تقوم على علاقة تضاد وهي تمثل العنصر المنتج لنص الدعاء وبواسطتها ينمو بفعل تداعي الأضداد. وعلاقة تضاد هنا تشمل الجانب اللغوي للأفعال فحسب؛ لأنها في الحقيقة علاقة تكامل. فالتضاد الدلالي قد لا يعني التضاد على مستوى الحقيقة؛ لأن بنية كهذه تترجم تلك الأحوال التي يقوم بها المتكلم/الداعي أساسها الإخلاص الذي تؤكده التراكيب اللغوية. وتكرار أدوات التوكيد (إن وقد) والفعل (الحركة والتجدد) .ومن جهة رغبة في الإجابة وطمعا في المحبة والرضا والوجد والقبول والطاعة.

ويتلخص مضمون هذه الفقرة في قضية العبادة؛ أي أن هذه الفقرة تتضمن معنى الآية (إياك نعبد) "فالدعاء عبادة لأنه معرفة إذ يتطلب أن يكون الداعي عارفا بربه تمام المعرفة وأنه القادر على كل شيء والقاهر فوق عباده لقوله تعالي:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي

1 -المصدر ص 84.

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ عَنْ عِبَادَتِي يَسْتَكْبِرُونَ الَّذِينَ إِنَّ أَسْتَجِبْ لَكُمْ

دَاخِرِينَ ﴾.[1]

والعبادة تصور علاقة العبد مع ربه التي بواسطتها يكون العبد في تواصل دائم مع الله والتقرب إليه ومن ثم كانت العبادة مستمرة ومطلوبة من العباد؛ لأن المعبود خالد.

الفقرة الثانية

بعد استنفاذ النواة الدلالية في النمط التشكيلي الأول ينتقل المتكلم /الكاتب (الداعي) إلى نمط تشكيلي آخر يقتضي نواة دلالية أخرى. وهو يتكون من هذا التركيب اللغوي "فنسألك بإلاهيتك" فالفاء تسمح بتفريع النص بحيث "يتناول التصور التفريعي التراكب من وجهة نظر أسبقية المكونات بعضها على بعض وتتابعها، ولكنه لا يكاد يعني بترابط العناصر التركيبية في البنية السطحية".[2]

ويتضح هذا من خلال تحليل نص هذه الفقرة "فنسألك بإلاهيتك المشتملة على عبوديتنا وبقدرتك المستوفية لعجزنا، وبحكمتك المحيرة لعقولنا، وبرحمتك المتلافية لكل خل منا [إلا] أغضيت عنا، وخففت علينا، وقبلتنا على عوارنا، وصنتنا عن الشفيع إليك، وأكرمتنا عن اليأس منك، يا ذا الجلال والإكرام".[3]

يتصدر هذه الفقرة فعل "سأل" تكرار معنوي للفظة (اللهم) هذه الإلتفاتة تشير إلى إحياء اللفظة ذاتها في شكل قوة ابتدائية تعطي دفعا إضافيا للنص ومن ثم انتقالا بالنص من نمط تشكيلي إلى نمط تشكيلي آخر، وهو على النحو التالي:

1- بإلاهيتك المشتملة على عبوديتنا.

2- وبقدرتك المستوفية لعجزنا .

1 -التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر بيروت لبنان دار الفكر دمشق، سورية، ط1401/1 هـ/1991م، ج1،ص58.

2 -النص والخطاب والاجراء: روبيرت دي بوجراند تر: تمام حسان، ص 141.

3 -المصدر : ص:85/84

3- وبحكمتك المحيرة لعقولنا.

4- وبرحمتك المتلافية لكل خلل منا..

تقوم هذه الجمل الاسمية المتتالية على نمط تشكيلي مختلف عن النمط السابق فهي تركيبيا تتكون من: حرف جر+ اسم+ ضمير الخطاب + اسم+ حرف جر+اسم+ضمير المتكلم. ودلاليا تتكون من عنصرين هما الموصوف (حرف جر + اسم + ضمير الخطاب)، والصفة (اسم + حرف جر + اسم + ضمير المتكلم)، والصفة والموصوف من التوابع؛ والتابع والمتبوع ككلمة واحدة ومنه فإن هذه الفقرة تتضمن الإستعانه؛ أي أنها تتضمن معنى الآية (وإياك نستعين).وذلك من خلال هذا التركيب فنسألك بالإهيتك... فسأل يعني السؤال بالصفات الإلهية (الألوهية والقدرة والحكمة والرحمة) والباء تفيد الاستعانة. "والاستعانة ترادف التوكل على الله وهي من كمال التوحيد والعبادة الخالصة له تعالى وبها يكون المرء مع الله عبدا خاضعا مخبتا. ومع الناس حرا كريما لا سلطان لأحد عليه لا حي ولا ميت. وفي هذا فك الإرادة من أسر الرؤساء والدجالين وإطلاق العزائم من قيود الأفاكين الكاذبين".[1]

والغرض من استعمال الجملة الاسمية التي لها دلالة الثبوت هنا لإثبات معنى الاستعانة والتوكل الذين يفيدان الاستسلام والخضوع لله تعالى وهذا لا يقتضي التجدد كفعل العبادة.

ومن خلال التحليل يتبين أن الخاتمة النصية تقوم على ثنائية العبادة الاستعانة ومنه "فإن عبادة الله تعالى هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لألوهيته. واستعانته هي غاية الشكر في القيام بما يجب لربوبيته".[2]

وكما سبق أن الخاتمة عبارة عن دعاء والدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة وكلاهما متلازمان لا يمكن الفصل بينهما لذلك فابن تيميه يقول في هذا الشأن " فإذا أريد به المسألة والطلب يدل على العبادة بطريق التضمين".[3] فالعبادة متعلقة بالألوهية لله وحده

---

1 - تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي ، ج1،ص 34.

2 -تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، (أعيد طبعة بالأوفست) ج1، ص60.

3 - مجموع الفتاوى (توحيد الألوهية والربوبية): ابن تيمية مج10/1، ص110.

والاستعانة متعلقة بالربوبية له وحده والإقرار بتوحيد الألوهية والعبودية ألزم الإشعار بالعبودية وهذه إشارة إلى معنى الاستعانة بالله لبناء الذات ماديا وروحيا.

وفي تقديم العبادة على الاستعانة إشارة إلى تلك "النكتة من تقديم العبادة على الاستعانة وهي أن الثانية ثمرة للأولى أو لا ينافي هذا أن العبادة نفسها من يستعان عليه بالله تعالى ليوفق العابد الإتيان بها على الوجه المرضي له عز وجل لا منافاة بين الأمرين، لأن الثمرة التي تخرج من الشجرة تكون حاوية للنواة التي تخرج منها شجرة أخرى. فالعبادة تكون سببا للمعونة من وجه، والمعونة تكون سببا للعبادة من وجه آخر كذلك الأعمال تكون الأخلاق التي هي منا شيء الأعمال فكل منها سبب ومسبب وعلة ومعلول".[1]

وتتمثل المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في أن الفاتحة تتضمن توحيد العبادة المتعلقة بالألوهية والخاتمة دعاء تقوم على ثنائية: العبادة /الاستعانة والدعاء والاستعانة متعلقان بالربوبية.

يذيل المتكلم/الكاتب الدعاء (الخاتمة) بجملة يا ذا الجلال و الإكرام فهذه الجملة تختلف عن سابقتها فهي تمثل خاتمة موحية بانتهاء النص ولذلك استقلت بنظامها.

فالنداء هنا بالياء يتضمن معنى الدعاء وتصبح الجملة (يا ذا الجلال والإكرام طلبيه ومن ثم فإنه يمكن القول أن الدعاء يتمفصل عبر هذه الصيغ اللفظية اللهم وفعل سأل وياء النداء، فهي تمثل ألفاظا شبه مترادفة لها نفس المعنى (الطلب) فهذا التكرار المعنوي يشير إلى الضراعة في الدعاء. ومن جهة فهو يشير إلى إحياء اللفظة ذاتها في شكل قوة ابتدائية تعطي دفعا إضافيا للنص ومن جهة أخرى فهو يؤكد ميزة خاصة للدعاء وهي الإلحاح.

وبالنظر إلى هذه الجملة (يا ذا الجلال والإكرام) تبدو قصيرة العبارة وعميقة الدلالة فهي تمثل الدعاء بالأسماء الحسنى وهذا النوع من الدعاء يشمل دعاء المسألة (الطلب)

---

1 - تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، ج1، ص 61.

ودعاء العبادة؛ ولكن في هذا السياق يمثل دعاء العبادة (*) ونص الدعاء كله يمثل دعاء العبادة وفي هذا الشأن قال :الرسول صلى الله عليه وسلم "الدعاء مخ العبادة".(1)

وبالرجوع إلى الأثر وروض السنة النبوية الشريفة يمكن تخريج تذييل المتكلم/الكاتب الدعاء بجملة (يا ذا الجلال والإكرام) ويستشف هذا من رواية معاذ بن جبل التي روى فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول " أتى النبي صلى الله عليه وسلم على رجل يقول: يا ذا الجلال والإكرام قال: استجيب لك فسل" (2)

فالداعي هنا افتتح دعاءه بالاسمين : يا ذا الجلال والإكرام رغبة في الاستجابة و في معرض آخر يوجد خبرا يؤكد على ختم الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام للاستجابة أيضا مصداقا لقول رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم "ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام".(3) فمثل هذه الأحاديث تمثل آداب الداعي في دعائه الله تعالى لحصول الاستجابة.

وتمكن أهمية الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام في أن "معناه المستحق لأن يهاب لسلطانه ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه وهذا قد يدخل في باب الإثبات على معنى أن للخلق ربا يستحق عليهم الإجلال والإكرام ويدخل في باب التوحيد على معنى أن هذا الحق ليس إلا المستحق وحده".(4)

ويصبح الدعاء بالأسماء الحسنى توحيدا للأسماء والصفات لقوله تعالى: قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمان أيا ما تدعون فله الأسماء الحسنى".(5)

وهكذا تبرز المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في تلك العلاقة التلازمية بين توحيد العبادة المتعلقة بتوحيد الألوهية التي تستلزم الاستعانة بالله وحده. وهي تتمثل في الدعاء

---

* – ودعاء العبادة هو " ما يكون المقصود منه أنه تملأ القوة الفكرية بملاحظة جلال الله وعظمته، أو يحصل حالات الخضوع والاخبات فإن لتعبيير اللسان عما يناسب هذه الحالة أثرا عظيم في تنبيه النفس لها وإقبالها عليها".الدعاء ومنزلته من العقيدة: أبو ع/ الرحمن جيلان بن خضر العروسي، مج1، ص: 114.

1 – التصريح بزوائد الجامع الصحيح – سنن الترمذي- كتاب الدعوات، أبو الحسن بن سورة، رقم الحديث 3371/1006، إعداد محمود نصار، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ/ 2001م، مج: II، ص 179.

2 – ينظر الأسماء والصفات: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البهيقي، حقق نصوصه وأخرج أ :حاديثه ع الرحمن عميرة دار الجيل بيروت، ط1، 1417هـ/ 1997، ص 150.

3 –التصريح بزوائد الجامع الصحيح، سنن الترميذي كتاب الدعوات، أبو الحسن بن سورة، رقم الحديث 3525/1053، ص 179.

4 – الأسماء والصفات، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البهيقي ،ص 150.

5 –سورة الإسراء، الآية 110.

فكلاهما متعلقان بتوحيد الربوبية. وهي أيضا تستلزم توحيد الأسماء والصفات؛ لأن التوحيد عقيدة شاملة لا تقبل التجزئة .

الرسالة : " يا "

- المناسبة بين الفاتحة والمتن.

الفاتحة : استفتحت هذه الرسالة "يا " بملفوظ "سألتني " وهو يمثل الموجه الأساسي للنص والفعل سأل ينتمي إلى زمرة الأفعال الإنجازية التي تتضمن الطلب .فالفاتحة إنشائية طلبيه تقوم على ثنائية السؤال /الجواب الثاوية في متن هذا النص : "سألتني - رفق الله بك، وعطف على قلبك-(و) أن أذكر لك الغريب ومحنه ، وأصف لك الغربة وعجائبها ، وأمر بأضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة إما معرضا وإما مصرحا، وإما مبعدا؛ وإما مقربا، فكنت على أن أجيب إلى ذلك ثم انني وجدت في حالي شاغلا عنك، وحائلا دونك، ومفرقا بيني وبينك، وكيف أخفض الكلام الآن وأرفع، وما الذي أقول وأصنع، وبماذا أصبر، وعلى ماذا أجزع؟ وعلى العلات التي وصفتها والفوارق التي سترتها أقول:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ مَا حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلُ

وَيَدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ وَلِسَانُهُ أَبَدًا كَلِيلُ

وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَنَاصِرُهُ قَلِيلُ

وقال آخر:

وَمَا جَزَعًا مِنْ خَشْيَةِ الْبَيْنِ أَخْضَلَتْ دُمُوعِي وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ[1]

يمكن تقسيم هذا النص إلى فقرتين :

الفقرة الأولى: تتضمن السؤال وهي تبدأ من: سألتني ...كيف أخفض الآن وأرفع وما الذي أقول وأصنع وبماذا أصبر وعلى ماذا أجزع؟.

1 - المصدر ص 113.

والفقرة الثانية: تتضمن الجواب وهي تبدأ من وعلى العلات التي وصفتها ... ولكن الغريب غريب.

قد يتساءل سائل عن غرض تصدير النص بالملفوظ (سألتني) ففي هذا الاستعمال إثارة المخاطب/السامع، وتشويقه للاستخبار.

فمن السائل؟ ومن المسؤول؟ وهل هناك سائل حقيقي؟! للإجابة على هذه الأسئلة يجب تفكيك الملفوظ (سألتني) الذي يمثل نواة النص "فنواة النص أحيانا تكون جملة وأخرى كلمة واحدة، وهي بمثابة نواة الذرة تدور حولها كثير من الإلكترونات التي يمكنها الانفصال عن النواة. وقد تكون فكرة يدور حولها النص. ومن هذه النواة يتطور النص ويسند جمل أخرى تشير إليها وتتعلق بها من خلال الروابط." [1] فالملفوظ (سألتني)هنا يمثل جملة فعلية تتكون من:

فعل سأل والفاعل ضمير الخطاب المتصل (ت) والمفعول به ضمير المتكلم المتصل (ـي) لكن الفاعل في هذه الجملة هو فاعل نحوي، أي أنه لم ينجز الفعل (سأل) فالمنجز للفعل (سأل) هو الفاعل الدلالي ويمثله الضمير (ـي) الذي يحيل إلى متلفظ الملفوظ (سألتني) وهو المتكلم.

فأنا ← ـي: المتكلم يهدف الحديث عن نفسه.

وأنت ← ت : المخاطب وهو الفرد الذي خاطبه المتكلم بهدف الحديث.

وسأل فعل إنجازي: يشير إلى الرسالة اللغوية.

وهذا ما أشار إليه رومان جاكبسون (R.JAKOBSON) عند تقسيمه للرسالة اللغوية إلى ثلاثة أقسام "أنا له دلالة عامة وحيدة وثابتة تكمن في أنها تدل على موجه الرسالة ومتلقيها أنت".[2] وتربط بين أنا وأنت علاقة وجودية مع الموضوع الذي يمثلانه وهو السؤال – سأل– وهي علاقة حقيقية نتجت عن تلفظ هذا الفرد بالملفوظ (سألتني)؛ لكن المتلقي (أنت) هو فاعل نحوي؛ أي أنه لا يوجد مخاطب وبالتالي العلاقة بين أنا وأنت علاقة مجازية وهذا يعني أن السائل والمسؤول هما وجهان للمتكلم الذي يهدف للحديث عن نفسه بصيغة أنت.

---

1 –دراسات في النحو واللغة العربية الوظيفي أحمد المتوكل دار الثقافة البيضاء ط1، 1406هـ/ 1996 م، ص 168.

2 – الملفوظية جان سيرفوني، تر قاسم المقداد، ص 17.

ويصبح السائل هنا -المنجز الملفوظ- بتعبير تشو مسكي المتكلم- المستمع القادر على إنتاج وتأويل جمل اللسان.

وتظهر أهمية الجملة الأولى -الاستفتاحية- في وقوعها في موقع استراتيجي لتقديم الموضوع "فتبدأ الخطة بحالة استهلالية ثم تقدم إلى الحالة النهائية من خلال توال حالات متوسطة إذ تكون الحالات محددة من وجهة نظر واضع الخطة: وتعد الخطة ناجحة إذا انسجمت الحالة النهائية مع الغرض الذي يرمي إليه واضع الخطة".[1] وعلى أساس هذه الخطة يتمفصل النص إلى فقرتين:

الفقرة الأولى: تقوم على فعل سأل.

والفقرة الثانية: تقوم على فعل قال.

تتمحور الفقرة الأولى حول نواة دلالية تتمثل في فعل سأل الذي تتوالد منه هذه الجمل المتتالية التي تجد أفعالها مضمون السؤال وهي قائمة على تتابع دلالي للمترادفات تتابعا تواليا يسلم بعضه إلى البعض باستثناء الجملة الاعتراضية (رفق الله بك، وعطف على قلبك). وهي تتضمن معنى الدعاء. وتكمن فائدة الاعتراض في تثبيت الكلام (السؤال).

ويمكن تقسيم هذه الفقرة إلى مقطعين: المقطع الأول يتكون من جملة كبرى تتضمن مضمون السؤال وهي تتمثل في هذا التركيب اللغوي الممتد: سألتني -رفق الله بك، وعطف على قلبك- أن أذكر لك الغريب ومحنه وأصف لك الغربة وعجائبها وأمر في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة إما معرضا وإما مصرحا ، وإما مبعدا، وإما مقربا .وينقسم هذا التركيب بدوره إلى ثلاث جمل هي:

أ- أن أذكر لك الغريب ومحنه.

ب- أن أصف لك الغربة وعجائبها.

ج- أمر في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة.

تمثل أفعال الجمل (أ، ب، جـ) : أن أذكر← أ صف ← أمر التي خصها الاستعمال بمفاعيل للملفوظ سألتني . وهو فعل متعدي بنفسه .وهذه المفاعيل تمثل ملفوظا

1 - النص والخطاب والاجراء روبيرت دي بوجراند ، تر تمام حسان، ص 381.

نقل نقلا مباشرا فكونت خطابا ذلك أن "كل خطاب منقول يمثل ملفوظا داخل ملفوظ ورسالة داخل رسالة .وهي في ذلك الوقت كلام على كلام (...) وهذا النوع من الخطاب المنقول أو المتحول على حد تعبير بلومفيلد يمكنه أن يشغل حيزا هاما في الكلام ذلك أنه يستحيل الاقتصار في المحاورات على ما يعيشه المتكلم من أحداث فننقل كلام غيرنا وننقل كلاما لنا كان قد سبق "[1]

وهذه الفقرة يمكن تقسيمها إلى مقطعين:

المقطع الأول: يتضمن مضمون السؤال الذي يتمثل في هذه المفاعيل :

المفعول (أ) : أن أذكر لك الغريب و محنه؛ وهو يشير إلى حصول الإجابة مستقبلا.

المفعول (ب): أصف لك الغربة وعجائبها؛ وهو متعلق بوصف الغربة وعجائبها.

المفعول (ج): أمر في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة ... وهو متعلق بالمفعولين السابقين وقد امتد وأتسع فيه التركيب اللغوي؛ لأنه تفصيل لهما بواسطة وسائل لغوية منها تكرار النعوت (أسرار لطيفة، معان شريفة) بالإضافة إلى استعمال صيغ مثل اسم المفعول (معرضا/مصرحا، مبعدا/مقربا) فهذه الصيغ قائمة على علاقة التضاد في المستوى اللغوي وهو يشير إلى التكامل الدلالي.

وهنا يكتمل تصور السؤال المطروح عن مفهوم الغربة والغريب.

المقطع الثاني: يتضمن فكرة التمهيد للجواب على السؤال المطروح. ويظهر هذا من خلال هذه الجمل:

1- فكنت على أن أجيبك إلى ذلك.

2- ثم إني وجدت في حالي شاغلا عنك وحائلا دونك ومفرقا بيني وبينك.

فمن خلال الروابط اللغوية الفاء هنا للترتيب؛ ترتيب الأحداث؛ أي أن الجواب يتلو السؤال مباشرة. وهذا يشير إلى شروع المتكلم /الكاتب في الجواب؛ لكن الجملة الثانية تغير المعنى من الشروع إلى التأجيل وذلك من خلال الرابط (ثم) الذي يفيد هنا الانتقال (الالتفات) وتفسر هذه النقلة الفجائية هذه الصيغ المبالغة المتمثلة في تكرار لاسم الفاعل

1 -نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا): الأزهر الزنادي، ص32.

(شاغلا، حائلا، مفرقا) الذي يتضمن وصفا لحال المتكلم/الكاتب (الشغل، الحول، الفرق).وهذا الوصف مؤكد فيه لسببين أداة التوكيد ومجيء اسم الفاعل منونا؛ لأن لدلالة "تنوين اسم الفاعل علم لزمان معين هو المستقبل".[1] ومنه فإن أداة التوكيد (إن) واسم الفاعل يمثلان مؤشرين لتأجيل الجواب. وتأتي هذه الجملة تبريرا لتأجيل الجواب ويبدو هذا من خلال تلك الوسائل الشكلية والدلالية المتظهرة في الجملة: وكيف اخفض الكلام الآن وأرفع وما الذي أقول وأصنع وبماذا أصبر وعلى ماذا أجزع؟

فتكرار الاستفهام بتنوع أسمائه (كيف، ما، لماذا) يؤكد تبرير تأجيل الجواب. ويتبعه تأكيد ثان بشكل آخر يتمثل في تكرار الأفعال (أخفض/ أرفع، أقول/أصنع، أصبر/أجزع) وهي قائمة على علاقة تضاد. فمن إستتباع للمترادفات والأضداد يتأكد الحكم ويقوى في نفس المخاطب/السامع، ويعلم سبب تأجيل الجواب. وهو يتمثل في دلالة الغربة والغريب.

الفقرة الثانية:

يشير الانتقال من فعل سأل إلى فعل قال إلى اكتمال النواة الدلالية في الفقرة السابقة وإشعار المخاطب /السامع ببداية جديدة تتضمن نواة دلالية جديدة تقوم على فعل قال كما تتمظهر في البنية السطحية في نص الفقرة بقوله: وعلى العلات: التي وصفتها والقوارف التي سترتها أقول:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ ... مَا حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلُ
وَيَدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ ... وَلِسَانُهُ أَبَدًا كَلِيلُ
وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ ... بَعْضًا وَنَاصِرُهُ قَلِيلُ

وقال آخر:

وَمَا جَزَعًا مِنْ خِشْيَةِ الْبَيْنِ أَخْضَلَتْ ... دُمُوعِي، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ. [2]

يمثل الفعل قال الإجابة المؤجلة عن سؤال الغربة والغريب وترد هذه الإجابة في جملتين **الجملة الأولى:** ورد فعل قال فيها في صيغة الحاضر، وتمثل الأبيات الثلاثة وصفا

1 -الفعل زمانه وأبنيته: ابراهيم السامرائي، مطبعة العاني بغداد 1386هـ / 1986 م.، ص 40.
2 - المصدر، ص113.

ماديا لحال للغريب في الغربة. وهذا الوصف يخص الغربة العادية التي تتضمنها جملة مقول القول الواقعة مفعول به لفعل أقول.

يتكرر فعل قال بصيغة الماضي (وقال آخر) وبالتلفظ يصبح القول منقولا ومضافا إلى المتلفظ به (المتكلم/ الكاتب) ويتحول من الماضي إلى الحاضر. والبيت كله وصف لحال الغريب في الغربة (الغربة العادية). فهذا التكرار يشير إلى تأكيد وصف الحال الغريب في الغربة (غربة عادية) وهي تمثل شقا من الإجابة المؤجلة بامتداد ثنائية الغريب/ الغربة إلى المتن.

المتن

ينتقل المتكلم/ الكاتب بالمخاطب/ السامع نقلة حسنة بما يحققه من انسجام في المتن وتناغم في المعنى معتمدا على مبدأين أساسين هما:

مبدأ التناسب (حسب غرايس) وهو "أن المتكلم يظل يتحدث عن نفس المكان والزمان ونفس الأطراف المشاركين ونفس الموضوع وأن مبدأ التوقع وهو أن يكون الخطاب متماسكا معنويا".[1]

ويعني هذا أنه يمكن الانتقال من السؤال (سأل) والقول (قال) إلى النداء (يا هذا!) لتضمن النداء الطلب وهو ما يمثل نفس المشاركين باعتبار اسم الإشارة (هذا) المنادى في المتن يحيل إلى المخاطب /السامع في الفاتحة. والمتلفظ للملفوظ (يا هذا!) يحيل إلى المتكلم / الكاتب وهو يمثل ثنائية :

السائل /المسؤول في الفاتحة والمنادى في المتن ونفس الموضوع يتمثل في امتداد ثنائية: الغريب /الغربة إلى المتن بواسطة علاقة دلالية تتمثل في: إجمال ← تفصيل. تتمطط ثنائية: الغريب/الغربة في المتن عبر ستة مقاطع نصية. وهي تقوم على عامل لغوي يتمثل في التماثل في نظام العناصر اللغوية المكونة لها، وعامل دلالي، يكمن في اكتمال المقطع دلاليا، وعامل نصي يشير إلى عودة الخطاب للمقطع من جديد عبر ملفوظين: يا هذا، أيها السائل.

تمثل هذه المقاطع توال حالات محددة لتفصيل ثنائية: الغريب /الغربة يحكمها

1 – تحليل الخطاب ج. ب براون، ج يول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، ص 80.

الانسجام. فهي تبدأ بداية لغوية واحدة ثم تتشكل داخليا من مجموعة من التراكيب المتجانسة لغويا، وأخيرا تنتهي بجملة ختامية تشير في ذاتها إلى نهاية المقطع فالعودة في بداية كل مقطع إلى الملفوظ (يا هذا!). ويشير "هذا النوع من إعادة اللفظ أنه يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة".[1]

تقوم هذه المقاطع على مبدأ التدرج من مفهوم بسيط للغريب والغربة (الغربة العادية) إلى مفهوم عميق بحيث يكون كل مقطع مفسرا للمقطع السابق، أي أن هذه المقاطع تقوم على علاقة دلالية تتمثل في علاقة: الإجمال ← التفصيل ، ويمكن تمثيلها كالآتي: إجمال ← تفصيل ← تفصيل ← إجمال.

يتمحور المتن حول ثنائية: الغربة المادية (عادية) /الغربة المعنوية التي تنمو عبر هذه المقاطع.

المقطع الأول

"يا هذا ! هذا وصف غريب نأى عن وطن بني بالماء والطين".[2]

يتضمن هذا المقطع وصفا للغريب والغربة وصفا عاديا (الغربة المادية) المرتبطة بالوطن.

المقطع الثاني

"يا هذا ! الغريب من غربت شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعذاله، وأغرب في أقواله وأفعاله وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره وسرباله".[3]

ففي هذا المقطع وصف للغريب وصفا ظاهريا (الجانب المادي)؛ لكن بتفصيل يشمل مظهره وحركته.

المقطع الثالث:

"يا هذا ! الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة، ودل عنوانه على الفتنة عقب

1 -النص والخطاب والإجراء، روبيرت دي بوإجراند، تر: تمام حسان ص 306.
2 - المصدر، ص 113.
3 -نفسه، ص 114.

الفتنة وبانت حقيقته فيه في الفينة حد الفينة".(1)

ويمتد الوصف في هذا المقطع للغريب ليشمل باطنه حتى يكتمل وصفه وتصبح المقاطع السابقة (الأول / الثاني/ الثالث) جوابا للسؤال المطروح في الفاتحة وهو يتمثل في المفعولين: أ(أذكر لك الغريب ومحنه)، وب (أصف لك الغربة وعجائبها)، وهي تمثل وصفا للغريب والغربة وصفا ماديا وكما أنها تمثل شقا من الجواب المؤجل.

وانطلاقا من هذه النقطة يبدأ وصف الغريب والغربة في التدرج نحو الأعمق، ويتمثل هذا العمق في الوصف للغريب والغربة السبب الثاوي في الجواب المؤجل.

يتوالد من الوصف المادي للغريب والغربة وصفا آخر "هذا وصف غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعز عن مهب أنفاسه وأغرب الغرباء من صار غريبا من وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود ويغمض عن المشهود".(2)

فالغربة هنا لم تعد غربة الوطن (الغربة المادية) لأن الغريب صار غريبا في وطنه وبعيدا في قربه، أي أنه صار مغتربا. فالغربة تحولت إلى الاغتراب وهو يعني الشعور بالغربة الروحية أو الباطنية أو المعنوية. وهي تهدف إلى البحث في المطلق، فتصبح هذه الفكرة محور المقاطع الآتية فتنمو عبرها.

المقطع الرابع

"يا هذا ! الغريب من إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زجر. الغريب من إذا أسند كذب، و إذا تطاهر عذب. الغريب من إذا امتار لم يمر وإذا قعد لم يزر".(3)

فالغريب في هذا المقطع هو الذاكر للحق والداعي إلى الحق والغربة هنا هي غربة الحال "ويراد بالحال هنا الوصف الذي قام به من الدين والتمسك بالسنة، وهذه الغربة محمودة، لأن صاحب هذه الغربة أحد ثلاثة أنواع: صاحب صلاح ودين بين قوم فاسدين وصاحب علم ومعرفة بين قوم جهال، وصاحب صدق وإخلاص بين أهل كذب ونفاق،

1 -المصدر، ص.114.
2 -نفسه.
3 -نفسه.

فإن صفات هؤلاء الغرباء وأحوالهم تنافي صفات من هم بين أظهرهم فمثل هؤلاء كمثل الطير الغريب بين الطيور".[1]

يتمظ هذا المفهوم عبر المقطعين الآتيين:

المقطع الخامس

"يا هذا ! الغريب في الجملة من كله حرقة وبعضه فرقة وليله أسف ونهاره لهف (...)، الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعيا إليه، بل الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلا عليه؛ بل الغريب من توجه إلى الله خاليا لكل من سواه بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضا لجدواه".[2]

فالغريب هنا هو العارف بالله والعالم بالله والمستغرق في عبادة الله والذاكر لله ، والمتوكل على الله؛ أي أن الغريب أدرك أنه لا دافع للحاجات إلا الله ولا معطي للخير إلا هو فعندها فر من نفسه ومن كل شيء سوى الحق مدركا سر قوله تعالى﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.[3] وبهذا يصير مفهوم الغربة المعنوية مفهوما شاملا يجمع بين التوجه قلبا وقالبا إلى الله وإخلاص العبادة له؛ لأن الحكمة من خلق الإنسان هو العبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.[4]

المقطع السادس

" يا هذا ! أنت الغريب في معناك"[5] يوحي هذا المقطع بانتهاء النص واكتمال المعنى وذلك بتخصيص الغريب بالغربة المعنوية.

1 –موسوعة أخلاق القرآن الكريم، أحمد الشرباصي، ص 22.
2 – المصدر : ص 117.
3 –سورة الذاريات الآية: 50.
4 –سورة الذاريات الآية 56.
5 – المصدر، ص 117.

فقد ربط أبو حيان التوحيدي وصفه بالغربة المعنوية التي يقابلها مصطلح الاغتراب في التصور الحداثي الذي يستند إلى المذهب الوجودي (الإلحاد) بالتصور الإسلامي الذي يدعو إلى التوحيد والإيمان فكانت الغربة المعنوية تعني استغراق العارفين في عبادتهم المعبود بحق.

وهكذا تكون الغربة المعنوية الجواب للمفعول (ج) : (وأمر في إضعاف ذلك) فهي تمثل الشق الآخر من الجواب المؤجل. فهي السبب الخفي في تأجيل الجواب.

وبعد التحليل يمكن تحديد المناسبة بين الفاتحة والمتن انطلاقا من العلاقات الشكلية المتمثلة في إحالة ضمير المخاطب أنت إلى المتكلم – المستمع في الفاتحة وهو يمثل ثنائية السائل / المسؤول عن الغريب والغربة.

وبناء عليه فإن ثنائية السائل(المتكلم)/ المسؤول (المستمع). في الفاتحة التي تمثل شخصا واحد هو المتكلم/ الكاتب(التوحيدي) والذي أبدع في تصوير الحوار من طرف واحد. والغاية من السؤال التأسيس لمفهوم الغربة المعنوية. فما ثنائية السؤال /الجواب إلا تعبيرا عن منهج التوحيدي الفلسفي في الفكر والعلم والمعرفة .

والعلاقة الدلالية بين الفاتحة والمتن تكمن في العلاقة التلازمية بين السؤال والجواب.

-المناسبة بين الفاتحة والخاتمة

الخاتمة

يتخذ المتكلم/ الكاتب وسائل شتى في تصميمها " بحيث يجعلها مثيرة للاهتمام ومقنعة بسبب كثافة ترابطها ".[1] باللجوء إلى صيغ أسلوبية تثير الانتباه: كالنداء والاستفهام والنهي والدعاء فتصنف الخاتمة إلى إنشائية طلبيه.

يستثمر المتكلم/ الكاتب تكرار الملفوظ (يا هذا!) في الخاتمة للربط بين المتن والخاتمة.

يرتكز تصميم الخاتمة على جمل قصيرة كثيفة الدلالة ووسائل لغوية لتحقيق التماسك النصي.

---

1 – النص والخطاب والاجراء، روبيرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 419.

وحسب النمط التركيبي للنص يمكن تقسيمه إلى فقرتين : الفقرة الأولى تتكون من سبع جمل متتالية.

1 - أحجر أنت ؟.

2 - فما أقسى قلبك!.

3 - وما أذهبك فيما يغضب عليك ربك!.

4 - أبينك وبين نفسك ترة أو كيد ؟

5 - هل يفعل الإنسان العاقل بعدوه ما تفعله أنت بروحك؟

6- لا ينفعك وعظ وإن كان شافيا.

7- ولا ينجع فيك نصح وإن كان كافيا! [1]

استفتحت هذه الفقرة بالاستفهام، الاستفهام بالهمزة وتقديم الخبر على المبتدأ فإن للتقديم والتأخير مع الاستفهام وللهمزة أسرار بلاغية وأغراض نفسية فتقديم الخبر(حجر) على المبتدأ (أنت) يشير إلى وجود الشك في الخبر نفسه (الحجر)، والغرض من هذا الاستفهام العلم بوجوده؛ أي أن المتكلم /الكاتب يريد أن يقر للمخاطب (أنت) إسناد التحجر إليه (إثبات وجوده له) وبهذا تكون الهمزة في هذا السياق تقرير لحكم (التحجر) الذي قد ثبت في المخاطب وإنكار له لما كان وتوبيخ للمحكوم به عليه.

والبعد الرمزي للحجر (الصلابة) دلالة على الخشونة وهي كناية عن القسوة وهي توحي بالجحود والكفران لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.[2]

تتوالد عن هذه الجملة عدد من الجمل تقوم على النظام التراتبي فيتلو الاستفهام التعجب. والتعجب أسلوب إنشائي يفيد الإفصاح- غير طلبي- والعلاقة بين الجملتين علاقة تلازمية قائمة على السببية فتمثل الجملة الأولى (أحجر أنت؟) السبب الجملة الثانية (فما أقسى قلبك!) المسبب فهي تعبير عن استعظام أمر القسوة؛ قسوة قلب المخاطب

1 -المصدر ص 119.

2 -سورة الإسراء الآية 50.

يضيف إلى هذه الصفة صفة أخرى وهي (كيد) وهي أيضا صفة ثابتة في نفس المخاطب. لإعطاء صورة كاملة للنفس وذلك بواسطة الرابط "أو" الذي أباح به المتكلم/الكاتب الجمع بينهما بالربط بين الصورتين لتقوية الحكم على النفس؛ لأن الاستفهام بالهمزة يشير إلى هجس في نفس المتكلم /الكاتب في ظهور المخاطب بهذا الوصف فأراد إثباته (طاعة النفس).

ويؤكد هذا ورود الجملة الخامسة مصدرة بـ: هل؛ لأنها "أشد قوة في الاستفهام"[1] كما يظهر من خلال هذه الجملة (هل يفعل الإنسان العاقل بعدوه ما تفعله أنت بروحك؟) ترد الروح مرادفة للنفس وهي تتخذ الجسد مطية لها في بلوغ غاياتها.

إن المتكلم /الكاتب كان يتوقع الجواب بالنفي؛ لأن الاستفهام هنا استنكاري توبيخي لفعل المخاطب (بروحه) فقد حولت (ما) الفعل إلى الحال وفعل الإنسان العاقل بعدوه لم يحصل بعد لتحويل "هل" الفعل إلى المستقبل.

وهكذا تضيف هذه الجملة صورة أخرى تتمثل في التمادي في الكفر بالنعم وهي صورة أدى من الصورة الأولى. والاستفهام هنا في عمومه يفيد تقريع المخاطب .

يكمن محور هذه الفقرة في إثبات صفة التحجر في المخاطب وقد تأكد هذا عبر ثلاث صور متفرعة عنها: صورة القلب وصورة النفس وصورة الروح.. وهذه الصور قائمة على التراتب: فالقلب هو أساس الانسان مصداقا للحديث الشريف "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله".[2] ثم تلي النفس التي توجد لها في القرآن الكريم ثلاث صور: النفس الأمارة ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3] والنفس اللوامة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[4] والنفس المطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً

1 – معاني النحو: فاضل صالح السامرائي دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ/2000م ، ج4، ص 248.
2 – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ بدينه؛ رقم الحديث 50، ص 24.
3 – سورة يوسف:الآية:53.
4 – سورة القيامة، الآية 1.

مَرْضِيَّةً(28)فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(29)وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.[1] ثم الروح "فالنفس والروح اثنان بالقول واحد بالموضوع".[2]

يختم المتكلم/ الكاتب الفقرة بالنفي تأصيلا لصفة تحجر المخاطب من خلال تكرار النفي عبر جملتين يحكمهما التماثل والتشاكل:

لا ينفعك وعظ وإن كان شافيا.

لا ينجع فيك نصح وإن كان كافيا.

يربط بين الجملتين الرابط (الواو) الذي يفيد الجمع بينهما "فيربط مطلق الجمع صورتين أو أكثر من صور المعلومات بالجمع بينهما إذ تكونان متحدتين من حيث البيئة أو متشابهتين".[3] فالنفي مؤكد على المخاطب من خلال تكرار الترادفات : الوعظ/النصح، ينفع /ينجح، شافي /كافي، ومن جهة تكرار لا النافية. والنفي مستأنف؛ لأنه يخص المخاطب وذلك من خلال القرائن اللغوية: تخليص (لا) الفعل للاستقبال وتقدم المفعول به (ك الخطاب ← المخاطب) الفاعل (الوعظ /النصح) فالوعظ والنصح نافعان إلا مع هذا المخاطب الذي تأصلت فيه صفة التحجر والكفر والمعصية.

هذه الجملة الختامية توحي بعجز المتكلم في توجيه المخاطب لذلك يلجأ إلى أسلوب آخر وهو يتمثل في الدعاء.

الفقرة 2: عبارة عن دعاء تتكون من جملتين هما:

1- **اللهم تفضل علينا بعفوك إن لم تستحق رضاك.**

2- **يا ذا الجلال والإكرام !.** [4]

تقوم هذه الفقرة على نظام لغوي يختلف عن نظام الفقرة السابقة فهو يتكون من جملتين: الأولى فعلية مركبة -شرطية - تنهض على أكثر من عملية إسناد.

---

1 – سورة الفجر، الآية:27-29

2 –الموسوعة الفلسفية: ع/الرحمان بدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 1984م، ج1، ص 14.

3– النص والخطاب والأجراء روبيرت دي بوجراند ، تر: تمام حسان، ص 346.

4 – المصدر ص 119.

الطرف الأول

جملة الشرط: (تفضل علينا بعفوك) جملة فعلية ذات عملية اسناد واحدة فعلها في صيغة الأمر. والأمر في الدعاء يفيد الإلتماس؛ لأنه صادر ما ذات بشرية (الداعي) إلى المدعو (الله). اختار المتكلم فعل تفضل وهو مشتق من الفضل* والفضل مرتبط بالعفو** وذلك من خلال التعليق بين الفعل (تفضل) والمفعول به (بعفوك) بواسطة حرف الجر (الباء) التي تفيد قوة التعليق بين الفعل والمفعول به وفي هذا إشارة إلى المناسبة بين الفضل والعفو فهو يعفو كونه ذو الفضل الكبير ومن ثم فإنه "عفو بما يعطي من قليل العذاب وهو عفو بما يعطي من كثير من المغفرة والتجاوز".[1]

الطرف الثاني

جواب الشرط:(إن لم نستحق رضاك)، الفعل في هذه الجملة منفي بلم وهو يفيد المضي؛ لكن في الدعاء يتحول إلى زمن الاستقبال والفعل المضارع يقتضي تكرار الحدث وتجدده واستمراره. وهذه إشارة إلى أن العبد في استحقاق دائم إلى العفو والرضا ذلك أن علاقة العبد مع ربه هي علاقة افتقار وحاجة دائمة إلى الله تعالى فهو الغني. ومنه يكون استمرار الفضل والعفو والرضا لاستمرار استحقاق العبد لها.

ويذيل الدعاء بهذه الجملة (يا ذا الجلال والإكرام*)، وهي جملة تختلف في تركيبها عن سابقتها، فهي تمثل خاتمة موحية لانتهاء النص واستنفاذ دلالته.

ويصنف الدعاء في هذه الرسالة (يا) إلى دعاء المسألة (الطلب) فهو مختص بالاستعمال في دفع المكاره والمضار ومن هذا النوع كلمة الاستعاذة والاستعانة والاستجارة واللياذة والاستغفار والشفاعة".[2] وهذا النوع من الدعاء يشير إلى طلب

* – الفضل ومنه والفضل من صفات الله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) آل عمران 74. والفضل مرتبط بالإنعام "وهو المنعم بما لايلزمه" الأسماء والصفات ، (مرجع مذكور) البهيقي، ج1، ص 144.

** – العفو: ومنه العفو وهو من الأسماء الحسنى "إن الله لعفو غفور" الحج /14. والعفو أشمل من المغفرة "و العفو هو الصفح عن الذنب". الأسماء والصفات البهيقي ص 160.

1 – الفتوحات المكية، بابن عربي، مج: 8، ص 28.

* – ذو الجلال والإكرام من الأسماء الحسنى يذيل بها للدعاء رغبة في الاستجابة .

2 – الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية أبو ع/ الرحمن جيلان بن خضر العروسي، ص 77.

المنافع والمسار. والنسبة بين الدعاء والسؤال (الطلب) هي العموم والخصوص المطلق؛ لأن الدعاء يعم ما كان لجلب المسار ودفع المضار. والسؤال خاص لجلب المسار.[1]

وتتمثل المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في وجود علاقة شكلية ومعنوية فالشكلية تتمثل في تكرار السؤال باختلاف مضمونه، ففي الفاتحة السؤال مرتبط بمعرفة خاصة متعلقة بالغريب والغربة والمراد منهما الغربة المعنوية التي تعني توحيد العبادة. والعبادة متعلقة بالألوهية وأما السؤال الوارد في الخاتمة فهو متعلق بالدعاء؛ الدعاء بالأسماء والصفات الإلهية الذي يقتضي توحيد الأسماء والصفات والدعاء متعلق بالربوبية.

وبهذا تكون العلاقة المعنوية بين الفاتحة والخاتمة هي علاقة تلازمية بين توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات؛ لأن التوحيد عقيدة شاملة.

الرسالة (يب)

- المناسبة بين الفاتحة والمتن

- الفاتحة

يبتدئ نص هذه الفاتحة بجملة استفتاحية : "العلم بلاء" في موضع استراتيجي لتقديم موضوع المعرفة الذي يمثل النواة الدلالية للرسالة (يب) فتتمظهر هذه البنية الدلالية في صورة سطحية تتجسد وفق نظام لغوي يقوم على جملة اسمية بسيطة مثبتة لتقرير مفهوم المعرفة ويتمفصل النص حسب المؤشر (فأما) إلى فقرتين.

الفقرة الأولى

تتكون من سبع جمل اسمية متتالية تقوم على عملية إسناد واحدة وهي كالتالي:

1- العلم بلاء.

2- والجهل عناء.

3- والعمل رياء.

4-والقول داء.

5-والسكوت هباء.

1 - نفسه ، ص 97.

6-والنظر عداء.

7- وكل ذلك سواء.[1]

الناظر إلى هذه الجمل البسيطة المتتالية يجد أنها تقوم على تركيب نحوي تمثله الجملة الاسمية، وعلى غياب تام للفعل. والغرض من هذا الاستعمال اللغوي تأسيس مفهوما للمعرفة. وكما أن هذه الجمل تنهض على إيقاعية داخلية تتمثل في التشابه التركيبي الذي يقوم على عنصرين: المسند إليه/ المسند. والعلاقة الإسنادية تقوم ببيان الحكم، فالمسند إليه هنا يشتمل على هذه الأسماء (العلم، الجهل، العمل، القول، السكوت، النظر)، وأما المسند فيشتمل على هذه الأسماء (بلاء، عناء، رياء، داء، هباء، عداء)، وهي تمثل حكما تسنده إلى المسند إليه مجازا؛ لأن هذا الحكم موجه إلى اسم مضمر المسند إليه يمكن الاصطلاح عليه بالفاعل ويقصد به الذي أنجز هذه الأسماء (العلم، الجهل، العمل، القول، السكوت، النظر) ويتضح هذا في تحليل الفقرة الثانية وكما أن هذه الأسماء -السابقة- تقع جميعا ضمن حقل دلالي واحد يمكن تحديده بالرجوع إلى العنوان. "أركان المعرفة من الإشارات الإلهية" والكلمة المركزية هنا التي يمكن أن تكون الكلمة ذات الثقل الدلالي في النص وهي كلمة "المعرفة" ومنه تكون دلالات الأسماء السابقة التي تمثل المسند تنتمي إلى حقل دلالي يمكن أن يتمثل في العجز.

وبهذا يكون تتابع الأضداد بتتال الجمل الذي تحكمه علاقة تضاد يمثل صورة للمعرفة الحسية، التي قوامها هذه الأركان والتي تتسم بالمساواة فيما بينها وهذا ما تؤكده هذه الجملة الأخيرة "وكل ذلك سواء" لأن لفظ كل من الأسماء التي تعم وتؤكد.

الفقرة الثانية

تتكون هذه الفقرة أيضا من سبع جمل متتالية؛ لكنها تختلف في بنيتها التركيبية عن سابقتها وهي عبارة عن جمل مركبة تنهض على أكثر من عملية إسناد وهي كالتالي:

1- فأما بلاء العلم فلأنه يهوي بصاحبه إلى لجج الفكر.

2- وأما عناء الجهل فلأنه يقحم صاحبه في شعاب النكر.

1 - المصدر ص 119.

3- وأما رياء العمل فلأنه يجلب على صاحبه جميع الكــد.

4- وأما داء القول فلأنه يصب العجب على أهله في كل قبول ورد.

5.- و أما هباء السكوت فلأنه يعري صاحبه من كل فائدة.

6- وأما عداء النظر فلأنه يعود على صاحبه بكل آيــده.

7- وأما سواء كله فلأنه علو لذوي النهى بإحتمال كله[1].

إن ما يميز هذه الفقرة عن سابقتها هو أنها تتضمن الشــرط وذلك من خلال تصديرها بأداة "فأما" وهي "شرطية لاقترانها بالطرق الثاني بالفاء فاء الربط بين الشــرط والجزاء".[2] وتكرار هذه الأداة في بدايات الجمل يؤدي وظيفتين: الشرط والتفصيل.

إن الاعتماد على الشرط في هذا السياق كان لأجل تأكيد العلاقة التلازميــة بيــن الشرط وجوابه. وتتمثل جملة الشرط في هذا المركب الإضافي الذي يفيــد (التعريــف).. الذي كان يمثل سابقا المركب الإسنادي (مسند إليه / مسند: الإخبار) فالانتقال من الأخبــار إلى التعريف في الجملة الشرطية "يشير إلى عموم الترابط المفهومي مع تجنــب الرتابــة التي تؤدي إليها مجرد التكرار".[3]

وتقوم جمل هذه الفقرة على المماثلة في الجانب التركيبي الذي يضفــي الانســجام على الفقرة.

والجملة في هذه الفقرة تتكون من طرفين وهي صورة تفصيلة للفقرة الأولى لأجل إثبات الحكم وتأكيده.

- جملة الشرط: جملة اسمية تفيد إثبات الحكم.
- جملة الجواب: جملة فعلية تفيد استمرار الحكم السابق مع التعليل.

1 - المصدر ص 119.

2 - ينظر: دراسات في الأدوات النحوية مصطفى النحاس، اشركة الربيعيان، للنشر والوزيع، ط1، 1997م، ص127.

3 - النص والخطاب والاجراء روبيرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 306.

ففي جملة الجواب الفاعل النحوي فيها ضمير الغيبة (هو) فهو يحيل إل الفاعل النحوي في الجملة الشرطية (الاسمية) لوجود الرابط الهاء في الأداة (فلأنه) الذي يقوم بالربط بينهما.

ها هنا يمثل الضمير "هو" الشخص الثالث الذي يتضمنه الاسم في هذه الأسماء (العلم، الجهل، العمل، القول، السكوت، النظر) فهذا "الهو هو السند الأدنى والمجرد جدا لعمومية لا يمكن تجاوزها. وما يرمز إليه الهو في هذه الحالة يعني بكل بساطة ربط الحديث بعالم موجود قبله ويشكل حتما جزءا منه وهو العالم الذي سماه جورج مونيه خص العالم. وتبين أن شخص العالم هو الشخص الأساسي وأن أي نوع آخر من الأشخاص يتدخل بالنيابة عن ذلك الشخص".(1)

وانطلاقا من هذا التعريف يمكن تحليل الجمل المركب الإضافي في جملة الشرط يشير إلى التعريف؛ تعريف الجنس الذي يفيد العموم؛ عموم الحكم. والمركب الفعلي في جملة الجواب يشير إلى التجدد والاستمرار؛ أي استمرار الحكم السابق لارتباطه بالعالم الموجود قبله، ولكونه يشكل جزءا منه فمنه يكون:

1- استمرار عموم البلاء في العلم لارتباطه بالفكر، والفكر جزء من العلم.

2- استمرار عموم العناء في الجمل لارتباطه بالإنكار والإنكار جزء من الجهل.

3- استمرار عموم الرياء في العمل لارتباطه بالكد، والكد جزء من العمل.

4- استمرار عموم الداء في القول لارتباطه بالعجب في كل قبول ورد والعجب جزء من القول.

5- استمرار عموم الهباء في السكوت لارتباطه بالتجرد من كل فائدة، والتجرد جزء من الهباء.

6- استمرار عموم العداء في النظر لارتباطه بالعودة بالأبدة، والعودة جزء من النظر.

أما تكرار لفظ صاحب في جملة الجزاء فإنه يضيف في كل مرة دلالة جديدة إلى دلالته الأولى بفضل مايرتبط به من ألفاظ سابقة لكونه يحيل إلى الفاعل النحوي في الجملة الاسمية السابقة بوجود رابط بينهما يتمثل في ضمير الهاء، وبألفاظ تالية لكونه يقع مفعولا

1 – الملفوظية، جان سيرفوني،تر: قاسم مقداد، ص 20.

به متعلقا بفعله بواسطة حرف الباء. وهو منصهر في عناصر الإسناد ويحيل إلى الشخص الثالث الذي تتضمنه هذه الأسماء : (العالم، الجاهل، العامل، القائل، الساكت، الناظر). وكما يمثل أيضا الفاعل المنطقي في جملة الجواب؛لأنه أنجز الحدث (العلم، الجهل، العمل، القول، السكوت، النظر). والفاعل المنطقي "هو البرهان الذي نحتاج إليه لتقرير شيئا آخر غير ذاتها على أنها تستطيع أيضا أن تقدم شيئا في هذا المجال كما يبينه الاستخدام الما وراء – لغوي Metalinguistique للألسن الطبيعية"(1).

ويختم بالمساواة "أما سواء كله فلانه علم لذوي النهى باحتمال كله"، وهذه المساواة ماثلة بين الأحداث –الأسماء– السابقة التي تمثل أركان المعرفة؛ لأنها تقوم على العقل، والمعرفة التي قوامها العقل تكون حسية.

والمعرفة التي ينشدها المتكلم /الكاتب هي المعرفة الحدسية (الباطنية) التي تقوم على الذوق تجمع بين العلم والعمل والحال ويسمى هذا النوع من المعرفة بحال المعرفة وهو يتسم بالتغير؛ لأنه بحث في المطلق. ومعرفة المطلق تتسم بالنسبة فأول حال المعرفة الزهد في الدنيا وآخرها تطهير القلب من كل ما يشغله عن الله. فهي تجمع بين العقل والنقل؛ لأنها "عند القوم محجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك فهو معرفة؛ لأنه كشف محقق لا تدخله شبه والحيرة فيه، والقبح في الأمر الموصول إليه".(2)

فهذه المعرفة باطنية (حدسية) تقوم على الذوق محلها﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.(3)

– المتن

في كل رسالة يتخذ المتكلم /الكاتب أنماطا تركيبية لتصوير علاقته بالمخاطب بوسائل لغوية تتمثل في الملفوظ "يا هذا !" المؤشر الذي يشير إلى المخاطب فيتكرر في رؤوس مقاطع المتن فيحقق التعالق بينها ومن جهة فإنه ينشط ذاكرة القارئ /المستمع ومن

---

1 –الملفوظية جان سيرفوني، تر: قاسم المقداد، ص 21.
2 – الفتوحات المكية، ابن عربي، مج 2، ص 477.
3– سورة الأنعام الآية 103.

جهة أخرى فإن هذه النقلة تناسب التفريع؛ أي أن المعنى يتفرع من معنى إلى آخر كما يتجلى في البنية السطحية للنص.

المقطع الأول: "يا هذا! إلى كم أستميك إلى حظك وأتقلب معك إلى مرادك؟! لست منك؛ لم تعني على ذلك ولست مني إن سلكت طريق المهالك".[1]

ففي هذا المقطع صورة تأسيس حال المعرفة الذي يبتدئ بمعرفة الذات بذاتها لذاتها.

المقطع الثاني: "يا هذا قد وصفتك ووصفت غيرك وأنا غيرك، ففي وصفك وصفي وفي وصفي وصفك حتى نتعاون على نيل هذه الخيرات بالمبالغة في الطاعات والمداومة على العبادات".[2]

تتجلى في هذا المقطع صورة أخرى تناسلت من الصورة السابقة؛ فالنص يقوم على تناسل المعاني لاستكمال بنيته الدلالية.

ويبدو هذا جليا من خلال العلاقة بين المقطعين (الأول والثاني): إن معرفة الذات تستلزم معرفة الله وكما ورد في الأثر "من عرف ذاته عرف ربه" فهذه المعرفة هي معرفة كشفية لتجلي آيات القدرة والحكمة والرحمة الإلهية التي تستلزم عبادته والعلاقة بين المعرفة والعبادة هي علاقة جدلية؛ أي أعرف الخلق بالله أكثرهم عبادة له. فهذه إشارة إلى عبادة الله بما اقتضت ألوهيته من معرفته.

المقطع الثالث: "يا هذا ! ارحم غربتي في هذه اللغة العجماء بين هذه الدهماء والغبراء وتعجب من بدائي في هذه الفلاتة الغبراء بين السماء والأرض".[3]

ففي هذا المقطع يؤكد المتكلم /الكاتب دقة قضايا موضوع العقيدة كالألوهية والعبادة فالحديث عنها ومعرفتها صعبة.

تتحدد المناسبة بين الفاتحة والمتن في هذه الرسالة (يب) في وجود علاقة معنوية تتمثل في ذلك التلازم بين المعرفة وتوحيد العبادة؛ لأن العبادة تتلزم العلم بالله والعمل لله.

1 – المصدر، ص 122.
2– نفسه، ص 123.
3 – المصدر : ص 124.

-المناسبة بين الفاتحة والخاتمة.

- الخاتمة

اختار المتكلم /الكاتب خاتمة طلبيه لهذه الرسالة (يب) وقد ضمنها الإستفهام لغرض التوبيخ والإنكار. يمكن تقسيم هذا النص إلى فقرتين حسب المؤشر "اللهم" وهما مختلفان تركيبيا ودلاليا.

الفقرة الأولى

تتكون من ثمان جمل اسمية متتالية متمظهرة في شكل بنية تتمثل في هذا التركيب النحوي (استفهام + اسم + اسم +...) يتكرر اسم الإستفهام (أين) ستة عشر مرة كما تبدو في البنية السطحية للنص.

1- أين العقول الصاحية؟

2-أين الآذان الصاغية؟

3-أين الألباب الثاقبة؟

4-أين القرائح الصافية؟

5- أين الأذهان المتوافية؟

6- أين الألسن الفصيحة ؟

7- أين الأخلاق السجسة؟

8-أين الأيدي المبسوطة إلى الخيرات؟

9- أين التواصي بالنصائح والعظات؟

10- أين الإقبال على إنجاز العدات؟

11- أين ملازمة الأساطين في المساجد لانتظار الصلاة بعد الصلاة؟

12- أين الخوض في استبانة المعارف عند سوانح الخطرات؟

13- أين محاسبة الأسرار عند خائنة الأعين في النظرات بعد النظرات؟

14- أين الأعين الراشحة بالعبرات عند تذكر العثرات في عقب العثرات؟

15-أين الندم القارح للأكباد على الفرطات بعد الفرطات؟

16- أين الحرق المتوالية على ما سلف من التقصير مع الحسرات على الحسرات؟ [1]

يقوم هذا النص بوصف الجانب المادي والجانب الروحي للذات وعليه يمكن تقسيم نص هذه الفقرة إلى مستويين:

المستوى الأول

يتضمن الجمل الثمانية الأولى التي تقوم على التوازي " إذ التوازي الموسوم في البنية هو الذي يولد التوازي الموسوم في الكلمات والمعاني".[2]وهذا التوازي ناتج عن التشابه في النمط التركيبي الذي يتمثل في هذا الشكل: (اسم استفهام+اسم+اسم).

تنهض متتاليات جمل هذا المستوى على نظام تراتبي فيقوم اسم الاستفهام (أين) الذي يتضمن معنى الظرفية بعملية استقصاء واسعة حتى يحيط بكل آليات المعرفة التي يجب استغلالها في حال المعرفة. وهي كما سبق تشمل الجوانب المادية والروحية للإنسان .وهي تتمثل في هذه الأسماء: (العقول، الأذان، الألباب، القرائح، الأذهان، الألسن، الأخلاق، الأيدي) التي تشير إلى العناصر الأولية في المعرفة الحسية التي تقوم على العقل والتأمل والأخلاق؛ لأن المعرفة في هذه المرحلة تتطلب العلم والعمل.

ومن الناحية الدلالية فإن هذه الجمل المتتالية تتكون من عنصرين هما: الموصوف وهو يتمثل في الأسماء السابقة (العقول، الآذان....). والصفة تتمثل في هذه الأسماء (الصاحية، الصاغية، الثاقبة، الصافية، المتوافية، الفصيحة، الجسة، المبسوطة)، واستعمال

---

1 – المصدر ص 125.

2 – لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م. ص 203.

صيغة الجمع في الأسماء التي تمثل الموصوف للدلالة على العموم؛ لأن المتكلم /الكاتب لا يعني مخاطبا معينا. والاستفهام هنا واقع على الأسماء التي تمثل الصفة؛ لكن الصفة والموصوف من التوابع؛ والمتبوع يمثل امتدادا نصيا للتابع، ومن ثم كانت الصفة والموصوف ككلمة واحدة.

وبناء عليه يكون الاستفهام هنا يفيد معنى التوبيخ والإنكار الذي يشمل المركب الاسمي كله (الموصوف والصفة)؛ لأن المتكلم /الكاتب يريد استحضار العقول الصاحية والآذان الصاغية، والألباب الثاقبة، والقرائح الصافية، والأذهان المتوافية، والألسن الفصيحة ، والأخلاق السجسة، والأيدي المبسوطة إلى الخيرات.

المستوى الثاني

يشتمل هذا المستوى على ثمان جمل وهي من (التاسعة /السادس عشرة)[1] ، تختلف هذه الجمل في بنيتها الشكلية عن السابقة فقد امتد واتسع فيها التركيب لامتداد واتساع المعنى. فهو تعبير عن حال المعرفة بصور متعددة اعتمد فيها المتكلم /الكاتب على الصيغ الاسمية المختلفة الدلالة لتجسيد حال المعرفة .

من خلال استقراء النص يبدو أن هناك مناسبة بين حال المعرفة وحال الكتابة عنها وذلك بوصفها " أنها كتابة بالأعصاب والإرتعاشات والتوترات الجسمية والروحية كتابة بالشهيق والزفير كتابة انبهار كتابة يأس على حدود أمل وأمل على حدود اليأس كتابة تدخل في الكلمات نفسها أعصابا وتتيح لها أن تمارس الشهيق والزفير".[2]

الفقرة الثانية

يختلف البناء اللغوي والتركيبي والدلالي لهذه الفقرة عن سابقتها. فهي عبارة عن دعاء تتكون من جملتين: الأولى فعلية والثانية اسمية كالآتي:

1- اللهم فسلمنا من هذه الكربات المتصلة بالكربات.

2-يا ذا الجلال والإكرام !. [3]

---

1 – المصدر ص 125.
2 – الصوفية والسوريالية :أدونيس، ص :116.
3 – المصدر ص 159.

يتصف هذا الدعاء بالإيجاز والعمق، ويمكن اعتباره جملة ختامية للفقرة السابقة.

تتكون الجملة الفعلية -الأولى- من عملية اسناد، المسند إليه فيها مضمر وهو يحيل إلى متلفظ هذه الجملة وهو الداعي والمسند يتكون من جملة فعلية ممتدة تتصدرها فاء السببية والفعل سلمنا في صيغة الأمر يفيد الإلتماس؛ لأنه صادر من الداعي (العبد) إلى المدعو (الله). وزمن هذا الفعل مفتوح؛ يتضمن الحاضر باعتبار أن السلامة مطلوبة في الدنيا والآخرة كما ورد في روض السنة النبوية الشريفة "**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام**".[1]

ويعود سبب اختيار المتكلم /الكاتب للفعل (سلمنا) إلى ركن التكملة المقيد بالفعل بواسطة حرف الجر الباء (قوة التعليق) ويمثل هذا التركيب الاسمي (من هذه الكربات المتصلة بالكربات) مفعول فيه يفيد الظرفية وتعليقه في المسند بوصفه عنصر من عناصر الإسناد يفيد تخصيص العموم؛ أي تخصيص طلب السلامة ابتداء من الكربات المتصلة؛ مركب نعتي وهو يمثل كلمة واحدة يأخذ حكم النعت وتعريفه بأل التعريف هنا يفيد العهد.وهو يحيل إلى تلك الكربات المذكورة في المتتاليات الجملية المنفية في الفقرة السابقة (بأين). وأما الكربات الثانية فهي تفيد عموم الجنس؛ أي هناك كربات أخرى تتصل بالسابقة وهي تشير إلى جميع كربات الدنيا مضافا إليها كربات الآخرة باعتبار أن الفعل (فسلمنا) للاستقبال.

ومنه فإن طلب السلامة مستمر؛ لأنه يشير إلى طلب السلامة من كربات الدنيا وكذلك من كربات الآخرة، ويعبر عن هذا ورود لفظ الكربات جمعا معرفا (بأل) الذي يشير إلى الكثرة. وتكراره يشير إلى استعظام الأمر (التهويل).

ومن ثم يكون اختيار الفعل (فسلمنا) في هذا السياق التركيبي مناسبا ذلك أن السلامة مطلوبة في الدنيا للقيام بالعبادة وفي الآخرة لتبوء دار السلامة.

وتمثل الجملة الثانية (يا ذا الجلال والإكرام) دعاء بالأسماء الحسنى وهي الجملة الوحيدة التي يذيل بها المتكلم /الكاتب الدعاء.

1 - صحيح مسلم ،باب استحباب الذكر، رقم الحديث 1286، ج1، ص 414.

ويمكن تعيين المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في هذه الرسالة (يب) من خلال العلاقة التلازمية بين توحيد الألوهية من خلال العلاقة الجدلية بين المعرفة والعبادة وتوحيد الربوبية بتخصيصه بالدعاء بالأسماء الحسنى؛ لأن التوحيد عقيدة شاملة.

الرسالة "يج"

- المناسبة بين الفاتحة والمتن

الفاتحة

تتكون من خمس وأربعين جملة اسمية بسيطة يتصدرها محدد (ألا-) الاستفهامي الذي يوجه نص الفاتحة إلى الإنشاء (الطلبي). وهو يفيد التخصيص. يقوم النظام النصي لهذه المتتاليات الجملية كما تتمظهر في البنية السطحية للنص على عنصرين أساسين هما: المسند إليه الذي يتمثل في اسم الفاعل والمسند الذي يتمثل في مكون اسمي يتصدره حرف الجر الذي يقوم بوظيفة التعليق بين طرفي الإسناد. والنص كله يشير إلى شيء واحد هو العالم الروحي للإنسان أو الإنسان في بعده الروحي.

واختيار اسم الفاعل في هذا النص مسندا إليه ووروده في سياق تركيبي يتمثل في تصديره بـ:ألا؟) للتحضيض واتباعه بمسند يشتمل على لفظ الجلالة (الله)، والرابط بينهما حرف الجر والربط بحرف الجر فيه قوة التعليق ومنه فإن هذه العلاقة تشير إلى علاقة الإنسان مع الله. وتمثل هذه العلاقة في العبادة أقصى الخضوع والتذلل. والتعليق (العلاقة الاسنادية) تعني افتقار العبد إلى الله تعالى وحاجته الدائمة إلى الله فهو الغني الحميد. والإشعار بتوحيد العبادة ألزم الإشعار بالعبودية.

ومن التحليل تبرز المناسبة من اختيار اسم الفاعل في هذا السياق للدلالة على التجدد والاستمرار؛ لأن العبادة تقتضي الاستمرارية وهي تستلزم الرغبة والإرادة. انطلاقا من تصنيف "غيوم" للأفعال بالقرابة "استطاع، وجب، أراد، عرف، اسم أفعال القوة".[1]

يمكن تصنيف النص إلى فعل الإرادة الذي يتضمن القوة للقيام بالعبادة: ولما كانت العبادة تقوم على التدرج؛ أي من القول إلى الفعل (العلم /العمل) فقد انعكست هذه الدلالة في النظام التراتبي الذي تقوم عليه المتتاليات الجملية للنص كما يبدو من خلال التحليل.

---

1 - الملفوظية جان سيرفوني، تر: قاسم المقداد، ص 52.

1- ألا قارع لباب الله* ؟ يتضمن القوة. والقارع هو المريد والراغب في الله باستمرار.

2- ألا قاصد إلى الله ؟ القصد هو التوجه إلى الله بالإرادة. والقاصد هو اللاجـــئ إلـــى الله رغبة.

3-ألا راغب فيما عند الله؟ – رغبة – عبادة الله رغبة فيه. والراغب هو الزاهد في الدنيا طمعا في رضوانه.

4-ألا عائف لنهي الله؟ العيف اجتناب النواهي. والعائف هو المتقي للفواحش رهبة من الله.

5- ألا قابل لأمر الله؟ القبول ويعني الطاعة. والقابل هو المسلم لأمر الله.

6- ألا هائم في الله؟ الهيام وهو مرتبة من مراتب الحب. والهائم هو المنصرف كلية إلـــى الله.

7-ألا واجد بالله؟ الوجد وهو مرتبة من مراتب الحب. ويعني وقوع العبد في عظمـــة الله وجلاله.

8- ألا متوكل على الله؟ التوكل وهو الخضوع. والمتوكل هو المستسلم لله.

9- ألا مناجي لله؟ المناجاه؛ الدعاء .والمناجي هو المخاطب بحرقة ووجد الله.

10- ألا باذل لروحه في الله؟ البذل هو العطاء. والباذل هو المستسلم لله.

11-ألا ناظر لنفسه مع الله؟ النظر هو التأمل. والناظر هو الراغب في معرفة نعم الله عليه.

12- ألا آخذ بخطام سره بحق الله؟ هو الممسك بسره رغبة في مكاشفته الحق.

13- ألا محاسب لنفسه على حق الله؟ المحاسبة هي مراجعة النفس ما لها وما عليها.

14- ألا متوجه إلى ما عند الله؟ التوجه وهو القصد رغبة في الله.

15- ألا مخاطب لما عند الله؟ المخاطبة هي الرغبة في القرب والرضا والرحمة.

* - المصدر ص 126.

16- ألا مسرور بتوحيد الله؟ السرور هو حصول التصديق بالقلب رغبة في الإيمان.

17- ألا نادم على ما فرط له من مخالفة الله؟ الندم هو الشعور بالذنب رغبة في المغفرة والتوبة.

18- ألا مشير بالحقيقة إلى الله؟ المشير المتأمل في آيات الخلق رغبة في المعرفة.

19- ألا معظم لشعائر الله؟ التعظيم وهو التسبيح والإكثار من النوافل رغبة في التقرب ومحبة في العبادة.

20-ألا متبحبح في روض الله؟ التبحبح : التنعم بنعم الله. والمتنعم هو الشاكر رغبة في العبادة.

21- ألا مقتدي بسفراء الله؟ الإقتداء بأثر السلف الصالح طاعة لله.

22- ألا شارع في غدير الله؟ الشروع في طريق الله رغبة في محبته.

23- ألا واثق بالله؟ الثقة هي الاستسلام لله.

24- ألا طامع في وعد الله؟ الطمع في ثواب الله ورحمته رغبته في الجنة.

25- ألا خائف من وعيد الله؟ الخوف هو الرهبة من العقاب .والخائف هو اللاجئ إلى الله تعالى لتقرب إليه والخضوع له.

26- ألا راحم لعباد الله؟ الرحمة رقة القلب والعطف. الراحم هو المستغفر والداعي والهادي لعباد الله محبة في عبادته.

27- ألا عامر لبلاد الله؟ التعمير هو الخلافة والأنس رغبة للعبادة.

28- ألا منتحي لفناء الله؟ الانتحاء هو التوجه. والمنتحي هو اللاجئ إلى الله.

29- ألا ناشر لكلمة الله؟ النشر التبليغ؛ تبليغ الدعوة رغبة في العبادة.

30- ألا داعي إلى الله؟ الدعاء: التواصل مع الله رغبة في إقامة علاقة حضور دائم مع الله.

31-ألا مجيب لله ؟ المجيب هو المنقاد للأمر؛ أي اللاجئ إلى الله رغبة في طاعته.

32- ألا شفيع لعبد الله إلى الله؟ الشفاعة هي الرغبة في المغفرة والرحمة والهداية.

33- ألا مشفق من خيانته على نفسه من الله؟ الشفقة مراقبة النفس ومعاقبتها.

34- ألا ذاكر بالتحقيق لله؟ الذكر: والذكر يتقدم العبادة ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.(1)

35- ألا عابد بالإخلاص لله؟ العبادة بالإخلاص تعني توحيد العبادة وهو وجهان: وجه لتعظيم الله أي الإقرار بألوهيته ووجه آخر إثبات للعبودية.

36- ألا شاكر لنعمة الله؟ الشكر وهو مرتبط بالنعم. والشاكر هو اللاجئ إلى الله رغبة في محبته وعبادته. والشكر مقترن بالصبر.

37- ألا صابر على البلوى لوجه الله؟ الصبر هو إرجاع النفس إلى الله تعالى والصبر مقترن بالإيمان.

38- ألا مصغي لكتاب الله في كتاب الله؟ الإصغاء: الاستماع والمصغي هو اللاجئ إلى الله رغبة في الطاعة.

39-ألا مشتاق لرضوان الله؟ المشتاق هو الراغب لرضوان الله.

40- ألا منافس في طاعة الله؟ المنافسة في الطاعة رغبة في الثواب.

41-ألا متحول من أوطان المخالفة إلى جوار الله؟ التحول: الرغبة والمحبة في لقاء الله تعالى.

42- ألا راضي بقضاء الله؟ الرضا بالقضاء رغبة في رضا الله.

---

1 -سورة الرعد/ الاية 28.

43-ألا محدث عن الله؟ المحدث :المخبر عن الله رغبة في تحبيبه لعباده.

44-ألا دال على قدرة الله؟ الدال هو الراغب في معرفة دلائل التوحيد.

45-ألا باسط للرجاء في عفو الله؟[1] الباسط من أسماء الله الحسنى. والباسط للرجـــاء هــو الراغب في العفو.

من خلال التحليل يتبين أن النص يتضمن مفهوم العبادة وهو مفهوم شامل كما يبدو من خلال النص، إلا أنه يقتضي توحيد العبادة (إياك نعبد) وهي إشارة إلى عبادتـــه بمـــا اقتضته ألوهيته من الأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء.

وبالإضافة إلى هذا فإن العبادة تقوم على مبدأين النية وهـــي أســـاس كـــل شـــيء والاستعانة؛ لأن الاستعانة مطلوبة في العبادة فالعابد يستعين بالله في عبادتـــه إيـــاه (الله) "رب اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك".[2]

ـ المتن

يرتكز على مفهوم الفضل والتفضيل ويتمطط هذا المفهوم عـــبر خمســـة مقـــاطع نصية.

المقطع الأول

"يا هذا ! خلت العراص من ناس كانوا إذا تنفسوا أحرقوا الحجب بينـــهم وبيـــن الله تيها به، وثقة بوعده، ورضا بفعله، وحطا في اختياره وتسليما لحكمه".[3]

ففي هذا المقطع تذكير بالصوفية وبأخلاقهم.

---

1 – المصدر ص 127

2 – سنن النسائي، باب الدعاء بعد الذكر، رقم الحديث 1302، شرح الحافظ جلا ل الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، حققه ورقمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة:بيروت–لبنان، ط1 1411هـــ–1991م ج3 ص، 61

3 – المصدر ص 126– 127.

المقطع الثاني

"يا هذا عد عن ذكر قوم بانوا بأشخاصهم وأرواحهم وإن كانوا قد أبقوا عندنا من تراثهم ما يشوقنا إلى اللحاق بهم".[1]

الترغيب في اقتفاء أثر الصوفية فهم يمثلون السلف الصالح.

المقطع الثالث

"يا هذا ! إن الله عم بنعمته وخص بفضله وجعل العام فوضى لا تزاحم عليه ولا تنافس فيه، وجعل الخاص مصروفا إلى أهله".[2]

إن عموم النعم مرتبط بالنعم الدنيوية التي تخص المؤمن الكافر وخصوص الفضل مرتبط بالمؤمن المقر بالتوحيد. والتوحيد من مقتضيات الإيمان ويمثل رأس الإيمان.

المقطع الرابع

"يا هذا ربما فضلت حمارا على حمار وبغلا على بغل وفرسا على فرس وهرة على هرة وكذلك الحيوان كله -فلم لا تفضله بالفضائل والأخلاق والعادات والأفعال؛ ولكن تفضله بالدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية".[3]

يلمس في هذا المقطع تأسيسا للتفصيل؛ التفصيل أو التفاضل بين الناس فميز بين نوعين من التفضيل؛ التفضيل المذموم الذي يرتكز على الجانب المادي المتمثل في الدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية، والتفضيل المحمود الذي يرتكز على الجانب المعنوي وهو يتمثل في الفضائل والأخلاق والعادات والأفعال.

1 - المصدر ص 127.
2 - نفسه ص 129.
3 - المصدر،ص 130-131.

المقطع الخامس

"يا هذا ! صارف نفسك في أنفاسها وفي خواطرها فإن لم تقدر ففي نياتها وعزماتها".[1]

يرتكز هذا المقطع على مجاهدة النفس.

ومما سبق يتبين أن التفضيل بين الناس يقتضي الجانب الروحي، وحصول الفضل للعبد أيضا يقتضي الجانب الروحي ويمكن حصر هذا الجانب في قضية عقيدية ألا وهي التوحيد؛ لأن الفضل بيد الله، وهو ذو الفضل. ومن أدرك هذه الإشارة أدرك التفضيل المحمود.

وفي هذه الرسالة (يج) تتضح المناسبة بين الفاتحة والمتن من خلال تلك العلاقة التلازمية الماثلة في توحيد العبادة المتعلقة بتوحيد الألوهية بوصفها سببا يقتضي نتيجة تتمثل في حصول الفضل للعبد والتفضيل المحمود بين الناس.

-المناسبة بين الفاتحة والخاتمة

- الخاتمة

يعد نص هذه الخاتمة من أطول نصوص خواتم الرسائل. فهو عبارة عن دعاء إذن الخاتمة إنشائية طلبية يمكن تقسيمها حسب المؤشرات :إلهنا /إلهنا/ اللهم إلى ثلاث فقرات وهي تختلف في بنيتها التركيبية والدلالية.

الفقرة الأولى

"إلهنا زاغت الأبصار حين سرحت نحوك، وارتدت خاسئة حين رامتك، وحارت الألباب حين فحصت عنك، وانكفأت على أعقابها فرقة منك: فالإحساس تنزه عنها لأنها أحسن من أن توجد بها، والألباب تحيرها فيك لأنها - على كل حال - خلقك ولست تأذن لخلقك إلا في

1 -المصدر، ص 131.

لزوم حده وطاعته لك، فقد أضربنا ننزهك في الأول وتحيرك في الثاني ولذلك ما قد تبرمنا بهذا الشوق الدائم وبهذه الحركة المتصلة وبهذا النزاع القائم".[1]

يمكن تقسيم هذه الفقرة إلى ثلاث مقاطع هي:

أ-المقطع الأول

يتكون من جملتين مركبتين هما:

1- زاغت الأبصار حين سرحت نحوك وارتدت خاسئة حين رامتك.

2- حارت الألباب حين فحصت عنك وأنكفأت على أعقابها فرقة منك.

يمثل هذا المقطع صورة المعرفة الحسية، التي تقوم على الأبصار والألباب فالأبصار تقوم على العلاقة الضدية (زاغت /ارتدت). ويشير التضاد هنا إلى العجز الذي يكمن في الأبصار والجملة الثانية المعطوفة على سابقتها تأخذ الحكم نفسه بوصف المعطوف امتدادا نصيبيا للمعطوف عليه. ففي هذه الجملة التي لها نفس تركيب سابقتها؛ أي أنها تقوم على علاقة ضدية (حارث /انكفأت) تشير إلى عجز الألباب فقد أصبح العجز قاسما مشتركا بين الأبصار والألباب في معرفة الله.

ب- المقطع الثاني

يمثل صورة متفرعة عن صورة سابقة -المقطع أ- بوسائل شكلية تتمثل في حرف الفاء ودلالية تتمثل في العطف السببي بين المعطوف عليه والمعطوف؛ لأن البنية المنطقية التي تحكمها متماثلة وهي بنية السبب والنتيجة.

يختلف هذا المقطع تركيبا عن السابق بتقديم الفاعل على الفعل لتفسير العجز الذي يكمن في الفاعلين (الأبصار /الألباب) فالإحساس متعلق بالتنزه بعلاقة الفاعلية والضمير الهاء في الجار والمجرور (عنها) يحيل إلى الصيغة الاسمية التي تسبقه وهي الأبصار

1 - المصدر ص 131.

ومنه فإن تنزه الإحساس ناتج عن سبب عجز الأبصار ﴿ لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[1]

ويمتد عجز الأبصار إلى الألباب في معرفة الله بالبرهان العقلي ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.[2]

ونتيجة لهذا العجز الكامن في الأبصار والألباب في معرفة الله تعالى ندرك العلاقة بين الخالق والمخلوق. وتتمثل هذه العلاقة في الخضوع والافتقار مصداقا لقول أبي بكر الصديق *-رضي الله عنه-* "الحمد لله لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفة الله إلآ بالعجز".[3]

ج- المقطع الثالث

يمثل صورة ثالثة متفرعة عن الصورتين السابقتين؛ أي أن المقاطع الثلاثة قائمة على ترتيب تلازمي منطقي يفيد تأكيد ارتباط اللاحق بالسابق. والجملة الفعلية (فقد أضربنا ...) تفيد تأكيد حصول حدث الضرر المتعلق بالتنزه والتحيز. والجملة الفعلية (ما قد تبرمنا..) تفيد نفي التبرم المتعلق بإقرار المتكلم/الكاتب بعجزه عن معرفة الله بالأبصار والألباب .ومن جهة فهو يقر برغبته وتعلقه بالمعرفة ويظهر هذا من خلال الجملة الاسمية المعطوفة (بهذا الشوق الدائم وهذه الحركة المتصلة وبهذا النزاع القائم) وتقوم هذه الجمل المعطوفة على مبدأ قيد التناظر. فهي بمثابة النظائر التي تمثل مجموعة من العلاقات النحوية: البدل والصفة والعطف وهي كلها تفيد تأكيد التعليق؛ تعليق المعطوفات الواقعة

1 -سورة الانعام الآية: 103

2 - سورة البقرة الآية: 255.

3 -احياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ج1، ص 191.

في محل مفعول به بالفعل (ما قد تبر منا) بالتعدية؛ تعدية نفي التبرم بالشوق الدائم إلى المعرفة.

الفقرة الثانية

تبتدئ بنفس لفظ الفقرة السابقة (إلهنا) فإعادة اللفظ "تتطلب وحدة الإحالة بحسب مبدأ الثبات* والإقتصاد**".(1) وهي كالتالي "إلهنا فإن لم يكن محالا من أحد هذين الوجهين فجد علينا بذلك؛ وإنا لديك شاكرون وله مستحقون و إن كان محالا، فنحن أعلم بك من أن نسألك المحال ونطلب ما لا يجوز أن يطلب فأبرد أكبادنا من حر الشوق إلى ذلك بالقناعة والتسليم حين نتثبت لك على الصراط المستقيم، راضين بما قسمت شاكرين لما وهبت متقبلين لما تفضلت مفوضين إليك، راغبين فيك، عالمين بأنك المنعم الأول والمحسن الأفضل".(2)

تمثل هذه الفقرة صورة أخرى متفرعة من الفقرة السابقة والعلاقة بينهما علاقة السبب بالنتيجة ومضمون هذه الفقرة هو إعادة استعمال المحتوي الذي سبق تنشيطه في السابق وهي تتكون من ثلاث جمل مركبة :جملتان شرطيتان (2/1) تفيدان الإمكان والجملة الثالثة شبه شرطية.

الجملة الأولى: "فإن لم يكن محالا من أحد هذين الوجهين فجد علينا بذلك ..." يتصدر هذه الجملة أداء (إن) الشرطية وهي "تقتضي تعليق شيء ولا تستلزم وقوعه ولا إمكانه بل قد يكون ذلك في المستحيل عقلا".(3)

تتكون هذه الجملة من طرفين:

---

*- مبدأ الثبات "وهو بوصفه عاملا أكبر على الترتيب التنظيمي للنوع الذي النصوص وتمنح هذه المبادئ أفضلية كبرى للطرق الإجرائية من أجل تناسق العبارات من تفعيل السطحية التي تشترك معا في محتوى مفهومين لعالم متلائم".النص والخطاب والاجراء روبيرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، ص 103.

**- مبدأ الإقتصاد ويعني " أنه عند وجود المناسبة أو الشك يتطلب وجوب اعطاء الأولوية لإعادة استعمال المحتوى الذي سبق تنشيطه بدلا من تنشيط محتوى جديد ويترتب على ذلك أن تؤدي وسائل الترابط"، نفسه،ص 303.

1 - نفسه ص 303.

2 -المصدر ص 132.

3 -معاني النحو فاضل صالح السامرائي ج4، ص69.

- **جملة الشرط:** (فإن لم يكن محالا) فعلها في صيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار التجددي ونفيه يفيد الاستقبال والجملة الشرطية تفيد استحالة حصول الطلب عقلا وذلك من خلال إحالة اسم الإشارة (هذين) إلى التنزه والتحير المتعلقين بالأبصار والألباب.

- **جملة الجواب:** فجد علينا بذلك فعلها في صيغة الأمر يفيد الالتماس؛ التماس الجود والفضل؛ أي تفضل الله تعالى بالمعرفة "يؤتى فضله لمن يشاء" وهذا يلتزم الشكر والاستحقاق.

الجملة الثانية

(وإن كان محالا فنحن أعلم بك من أن نسألك المحال ونطلب ما لايجوز أن يطلب، فهذه الجملة معطوفة على سابقتها.

جملة الشرط

(وإن كان محالا) فعلها في صيغة الماضي لكنه يفيد الاستقبال إلا أن مجيئه بهذه الصيغة يعود إلى أسباب منها: "إيهام جعل غير المحاصل كالحاصل ومنها إظهار الرغبة من المتكلم في وقوعه".[1] والجملة في هذا السياق تشير إلى رغبة المتكلم /الكاتب في تحصيله للمعرفة.

- **جملة الجواب:** (فنحن أعلم بك من أن نسألك المحال ونطلب ما لا يجوز أن يطلب) جملة اسمية تتضمن اسم تفضيل (أعلم) وهي إشارة إلى إثبات المبالغة في طلب العلم من السؤال وطلب المحال.

الجملة الثالثة -شبه شرطية- "فأبرد أكبارنا ...المحسن الأفضل" يمكن اعتبار هذه الجملة كلها جملة الجواب لجملة شرطية كبرى تتضمن الجملتبن السابقتين (2/1).

ورد فعل هذه الجملة في صيغة الأمر (فابرد). المتكلم /الكاتب يلتمس برد الأكباد من حر الشوق إلى المعرفة بالقناعة والتسليم؛ لأن حصول المعرفة مرتبط بالمشيئة والفضل لذا يفوض المتكلم /الكاتب أمره إلى الله تعالى ويستسلم ويتوكل على الله ويؤكد هذا من خلال هذه الجملة الاسمية المتتالية (راضين بما قسمت، شاكرين بما وهبت،

1 - البرهان في علوم القرآن الزركشي ج2، ص 358.

متقبلين بما تفضلت، مفوضين إليك، راغبين فيك، عالمين بأنك المنعم الأول والمحسن الأفضل) فهي تمثل مستوى الحاجة الإنسانية إلى الله (العلاقة بين الخالق والمخلوق).

الفقرة الثالثة

تمثل الفقرة صورة متفرعة عن الصورتين السابقتين ويمكن اعتبارها نتيجة للفقرتين السابقتين ففي الفقرة الأولى ذكرت جوانب مادية من الإنسان في تصوير حال المعرفة وهي تتمثل في الأبصار والألباب(التأمل). وفي الفقرة الثانية ذكرت الأكباد (الشوق) وفي هذه الفقرة ذكر اللسان (الشكر). تمثل هذه الأعضاء الجوارح التي يستغلها الإنسان في العبادة.

تبتدئ هذه الفقرة بلفظ (اللهم) بدل لفظ إلهنا لكسر نمطية التركيب وتنشيط ذاكره القارئ ومن جهة فهي إشعار باستنفاذ النواة الدلالية الأولى والانتقال إلى نواه دلالية جديدة؛ أي أن المتكلم /الكاتب يشعر القارئ بتنشيط محتوى جديد كما تجسده البنية السطحية لهذا النص "اللهم احذف عن ألسنتنا فضول القول معك خاصة في وقت مسألتك واجعل هيبتنا لك بقدر توكلنا عليك، ولا تجعل بعض أقاويلنا وبالا، إلا ما أنت أولى به، يا ذا الجلال والإكرام!".[1]

تتكون هذه الفقرة من ثلاث جمل فعلية أفعالها طلبية وردت في صيغة الأمر والنهي : (احذف ، اجعل، لا تجعل) فهي تفيد الالتماس ومن جهة تفيد استمرار تجددي للحاجة الإنسانية إلى الله؛ أي الخضوع والافتقار إليه.

والجملة الأخيرة (يا ذا الجلال والإكرام!) تمثل دعاء عبادة؛ لأن الدعاء بالأسماء الحسنى عبادة.

يمكن تصنيف هذا الدعاء إلى صنفين هما: دعاء عبادة الذي يشمل الفقرتين الأولى والثانية وقد تضمن موضوع المعرفة والصنف الآخر يتمثل في دعاء الطلب الذي يشمل الفقرة الثالثة. والجملة الختامية تمثل دعاء عبادة (الدعاء بالأسماء الحسنى)؛ ولكن كلا النوعين من الدعاء متلازمين والدعاء بصفة عامة هو إقرار بالربوبية.

---

1 -المصدر ص 132.

وبعد التحليل النصي الفاتحة والخاتمة، لهذه الرسالة (يج) تبرز المناسبة بينهما في العلاقة التلازمية التي تتمثل في عقيدة التوحيد الشامل الذي يكمن في توحيد العبادة المتعلقة بتوحيد الألوهية التي تقتضي توحيد الربوبية بما اقتضت من دعاء واستعانة وتوحيد للأسماء والصفات (الدعاء بالأسماء).

الرسالة (يه)

- المناسبة بين الفاتحة والمتن

الفاتحة

يتميز نص فاتحة هذه الرسالة بنظامه اللغوي القائم على تركيب نحوي تمثله الجملة الفعلية موجهه الأساسي هو الفعل في صيغة الماضي البسيط المثبت ومنه تصنف الفاتحة إلى خبرية.

انطلاقا من صيغ أفعال النص الواردة بصيغتين المبنى للعلوم والمبنى للمجهول يمكن تقسيم النص إلى فقرتين:

الفقرة الأولى: تتكون من ستة جمل فعلية فعلها في صيغة المعلوم هي:

1- أشرقت الأكوان بالأشباح.

2- أشرقت الأعيان بالأرواح.

3-تجلت أسرار الحق فيها بين الافتراح والارتياح.

4- وتناجت النفوس على بعد الديار بما تتخافت فيه الأفواه على قرب المزار.

5- رُدَتْ على الناظرين خوائن الأبصار.

6- التقت في الغيب سوانح الإقرار والإنكار. [1]

إن اختيار المتكلم /الكاتب في هذه الفقرة نقطة بداية تتمثل في الابتداء بالفعل باعتبار أن "هذه النقطة ستؤثر في فهم المستمع /القارئ لكل ما يليها في الخطاب حيث

1 - المصدر ص 139.

أنها تشمل السياق النصي الأولي لكل ما يلحق".[1]

تقوم جمل هذه الفقرة على تتابع المترادفات تتابعا توالديا يسلم بعضها إلى بعض. وتكرار الأفعال يشير إلى الحركة والتجدد والحركة في هذا السياق هي "عبارة من حركات الفاعلين وليست في الحقيقة أفعالا للفاعلين، وإنما هي عبارة عن أفعالهم وأفعال المعبرين عن تلك الأفعال".[2]

والفاعلين الذين أسندت إليهم الأفعال هم فاعلين نحويين. والفاعل المنطقي في هذه الأفعال هو المنجز لهذه الأفعال.

والتجدد يشير إلى ذلك الانفعال الذي يؤدي إلى تتال الأحداث بالتسلسل الطبيعي والذي يعبر عنه (لافت): "هناك نظام تسلسلي طبيعي يمكننا من أن نتوقع في غياب مؤشرات توحي بخلاف ذلك أن الحدث الذي ذكر أولا هو الذي حدث أولا والحدث الذي ذكر ثانيا تلاه زمنيا".[3]

يتصدر الفقرة حدث الاشراق، والاشراق يوحي بالإضاءة والإنارة، لكن إسناده إلى الأكوان تحول المعنى إلى الظهور وفعل أشرق متعدي بواسطة الهمزة إلى المفعول به (بالأشباح) جار ومجرور متعلق بمسنده بواسطة حرف الجر (ب) الذي نقل معنى الفعل إلى متعلقة (المفعول به) وبواسطة التعدية تكتسب الأشباح صفة الظهور وهذه إشارة أن هذه الأشباح كانت في حالة خفاء وظهورها كان بالإشراق وفي الإشراق معنى القوة.

والحدث الثاني يتمثل في فعل (شرفت) المسند إلى الفاعل النحوي (الأعيان) وقد تعدى إلى مفعول به بواسطة حرف جر (ب) (بالأرواح) وقد نقل الحرف (باء) التشريف إلى الأرواح والأرواح "هي لطيفة ربانية أودعها خالقها في جسد ترابي كانت في عالم الاظلة ظلا ذلك العالم سابق لوجود الأشباح والأجساد ويقولون عنه عالم الظلال عالم الأمر. وهو مجموع ثمة عوالم (عالم الشر وعالم الروح وعالم النفس وعالم الصورة)".[4]

---

1 -تحليل الخطاب، ج.ب براون و ج. يول،تر: تمام حسان، ص 145.

2 - الإيضاح في علل النحو: الزجاجي تح: مازن المبارك القاهرة، ص 153.

3 -تحليل الخطاب ج.ب.براون، ج بول،ترجمة: تمام حسان، ص146.

4 --المنتجب العاني وعرفانه، أحمد علي ، دار الرائد العربي بيروت-لبنان، 1400هـ-1982م،ط2، ص 30.

ومن علاقة الربط بين الجملتين (الأولى والثانية) بواسطة الرابط الواو الذي يفيد الجمع مع الترتيب يشير إلى صورة الخلق التي تتمثل في ثنائية الجسد / الروح ومنه تكون دلالة الفعلين أشرق وشرف تتمثل في القدرة الإلهية.وهذه إشارة إلى أن الفاعل المنطقي هنا هو الله تعالى.

ترد الجملة الثالثة موضحة للسابقتين: تجلت أسرار الحق فيها بين الافتراح والارتياح. التجلي يعني الكشف. تختلف هذه الجملة تركيبيا عن سابقتيها : التجلي مسند إلى أسرار الحق (الفاعل النحوي). وتجلي أسرار الحق واقع في الأكوان التي شرفت بالأرواح بدليل الرابط ضمير الهاء في لفظ (فيها) فهو يحيل إليها إحالة قبلية. والجملة الظرفية متعلقة بالفعل (تجلى) تعلقا قويا. وتنصهر في عناصر الإسناد ، وتضيف إلى حدث التجلي وصف حال التجلي. والفاعل المنطقي في هذه الجملة هو الله تعالى ؛ لأن حدث التجلي يتضمن القدرة الإلهية.

وبهذا تصبح الجمل الثلاثة التي يتكرر حرف الحاء في نهايتها تمثل تجلي آيات القدرة الإلهية في الخلق.

يتمفصل الحديث عند الجملة الرابعة التي تختلف في تركيبها عن سابقتها. فهي تتكون أكثر من عملية إسناد كما تبدو من خلال الشكل:

المركب الأول: تناجت النفوس على بعد الديار : يتضمن الفعل (تناجى) معنى المشاركة من خلال الصيغة (تفاعل) ؛ أي مشاركة النفوس في المناجاة، وهي تحيل إلى ثنائية الأشباح/الأرواح. والنفوس (الفاعل المنطقي) والجار والمجرور (على بعد الديار) مفعول فيه يدل على الحالية؛ حال مناجاة هذه النفوس التي توحي بتفاعلها مع بعضها.

المركب الثاني: بما تتخافت فيه الأفواه على قرب المزار، ففعل تخافت فيه همس؛ أي أنه يتحاقل مع الفعل تناجى، ويختلف عنه في الدرجة. والجملة الفعلية تفيد وصف حال مناجاة النفوس. وهي تدل على تآزر هذه النفوس المتناجية وتفاعلها مع بعضها.

والجملة الخامسة يرد فعلها في صيغة المبني للمجهول (ردت) والمبني للمجهول يطلب نائب الفاعل وهو "عند عبد القاهر الجرجاني والزمخشري فاعل اصطلاحا".[1]

1 – الفعل زمانه وأبنيته: ابراهيم السامرائي ، ص :94.

ويمكن تحديد عناصر هذه الجملة كالتالي: فعل + مفعول به (جـار ومجـرور)+ نائب فاعل (مركب إضافي). والغرض من تقديم المفعول به على نائب الفـاعل (الفـاعل الاصطلاحي*) للتعريف به. وكذلك بسبب العلاقة النحوية التي تستلزم في علاقة الإبـدال التي تلتزم تقديم المبدل منه على البدل. فالناظرين مبدل منه وخوائن الأبصار بدل بعـض من كل.

وانطلاقا من أن البدل والمبدل منه ككلمة واحدة فإن وقوع الحدث (ردت) مؤكـد على الناظرين. والناظرين يحيل إحالة قبلية إلى النفوس. والفاعل المنطقي للفعـل (ردت) هو أسرار الحق المتجلية في النفوس. وهي تشير إلى آيات القدرة والخلق في النفوس؛ لأن آيات القدرة والخلق متجلية في النفوس وفي الكون. وهذه الآيات منزهـة عـن المعرفـة الحسية (خوائن الأبصار).

والجملة الأخيرة يتصدرها فعل (التقت) الذي يوحي بمعنى التجمع من خلال صيغة الفعل (افتعل). وتقديم المفعول به (في الغيب) على الفاعل (سوانح الإقـرار والإنكـار). والمفعول به متعلق بالفعل (التقت) بواسطة حرف جر (في) التي لها دلالة التضمـن؛ أي أن يتضمن أسرار الحق.

والفاعل (سوانح) يحيل بالترتيب بواسطة الرابط الواو إلـى النفـوس المتناجيـة المتعلقة بالإقرار، وهذه إشارة إلى دلالة ثبوت معرفة أسرار الحق بـالبصيرة (المعرفـة الباطنية). ويحيل (الفاعل) إلى الناظرين المتعلقين بالإنكار. وهذه إشارة إلى ثبوت عجـز الأبصار في معرفة أسرار الحق (معرفة حسية) التي تستلزم التنزه. والمعرفة الباطنية هي حال تتسم بالتغير؛ أي أنها ترفض المسبق والثبات على حال. فهذه الفقرة تعالج موضـوع المعرفة وثمرة المعرفة المحبة ويتجلى هذا في:

الفقرة الثانية

تختلف هذه الفقرة عن سابقتها في التركيب بحيث يتصدرها فعـل (قـال) مبنـي للمجهول الذي يتكرر في بداية كل جملة كما يبدو في خلال الصورة اللسانية البصرية.

* – الفاعل الاصطلاحي هو نائب الفاعل وسمي بهذا المصطلح لأنه يأخذ حكمه ؛ أي أن نائب الفاعل يحل محل الفاعل اصطلاحا. الفعل زمانه وأبنيته: ابراهيم السامرئي، ص 94.

1- قيل لصاحب الشوق: هم ولها وغب علها.

2- قيل لصاحب الوجد: زد ثمدا أو مت كمدا.

3- قيل لصاحب العيب: احسأ مهينا وأنا مشينا.

4-قيل لصاحب الحب: هات برهانا وبرز بيانا.[1]

إن لتكرار فعل (قال) في هذه الفقرة دور في وصل أول الكلام بآخره؛ أي أن وصل هذه الأحوال الواردة في الفقرة وهي كالتالي: الشوق والوجد والعيب والحب قائم على التراتب؛ أي أن العلاقة بينها - الأحوال - تلازمية:

الشوق ← الوجد ← العيب ← الحب.

وفعل قال فعل انجازي (طلبي) تكراره هنا يفيد معنى طلب دوام هذه الأحوال للوصول إلى مقام المحبة.

وورود فعل (قال) في صيغة المبنى المجهول يستدعي وجود فاعلا دلاليا وهو يتمثل في لفظ (صاحب) الذي يرد مركبا إضافيا ويدل لفظ صاحب على العموم (نكرة). وهو يحيل إلى النفوس المتناجية، واللام هنا تفيد معنى تخصيص؛ تخصيص هذه النفوس المتناجية بإنجاز هذه الأحوال. والفعل (قال) يتطلب مفعولا به لأنه متعدي، وهو يتمثل في جملة مقول القول. والفاعل الناطق لهذه الفقرة يتمثل في المتكلم /الكاتب الذي أنجزها بالتلفظ.

إن تكرار لفظ صاحب في كل جملة يحقق الربط بين المسند وعناصره في الجملة وكما يفيد التوكيد؛ أي أن الطلب موجه إلى ذات واحدة (النفوس المتناجية) ومن الناحية المعجمية فإن التكرار يضيف دلالة جديدة إلى الدلالة الأولى بفضل ما يرتبط به من ألفاظ تالية (الشوق /الوجد/ العيب /الحب).ومن الناحية الدلالية يشير إلى تأسيس العالم الروحي للإنسان القائم على التراتب.

1 -المصدر ص 139.

ففي معرفة الذات معرفة لنعم وفضائل الخالق على عبده التي توجب على العارف الشكر. فالشكر معرفة وعبادة ومحبة، ومن هذه المعرفة يرتقي العارف إلى معرفة أسرار الحق المتجلية في الخلق.

2– المستوى الثاني: معرفة أسرار الحق في الكون وهي مرتبطة بالتوحيد؛ لأن العالم قائم على الأضداد وانسجامها فهي تشير إلى أن الخالق واحد. وترتبط هذه المعرفة بالكشف "و الكشف يعني الاصلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا".[1]

إن اعتماد المعرفة على الكشف لأنه الأهم في المعرفة باعتباره أن له القدرة على إيصال المعارف إلى قلب العارف وعقله مهما بدت هذه المعارف للعقل غريبة ومستحيلة؛ لذلك يقوم العارف بسلوكات أخلاقية وممارسات لترويض النفس وصقل القلب لإدراك الحقائق "..حتى تصحب كونك بفراق كونك، وتبيد في عينك عن عينك وتنأى عن شاهد زينك وشينك وتمحو أثر المكان في أينك وحتى يبقى "أنت" منسلخا عنك ونعتك منفسخا عليك".[2]

ففي هذا إشارات إلى مراحل حصول المعرفة وهي تبدأ بالمجاهدة ثم الكشف ثم المشاهدة؛ لأن هذه المعرفة صوفية تقوم على الانفصال عن الذات "بقدر ما تكون أجنبيا عن نفسك تكون قادرا على المعرفة".[3]

وهذه المعرفة موصولة بالذوق؛ لأن العارف يشعر باللذة، وثمرة المعرفة المحبة "وتردد بين الفصل والوصل ثم ارق على الكل في الكل فإن محقق الكل فوق الكل".[4]

بهذه الممارسات السلوكية والأخلاقية تتحقق المعرفة والمحبة.

تتمثل المناسبة بين فاتحة ومتن الرسالة (يه) في وجود علاقة دلالية تتمثل في:

---

1 –تعريفات على بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان بيروت 1985، ص 184.
2 – نفسه، ص 141.
3 –الصوفية والسوريالية أدونيس ص 141.
4 –نفسه ص 142.

الإجمال (المعرفة) ← تفصيل (المحبة) ← تفصيل (المعرفة /المحبة) ← إجمال (المحبة)؛ لأن النواة الدلالية للرسالة (يه) تتمثل في المحبة؛ أي عبادة الله تعالى بما اقتضت ألوهيته من محبة.

- المناسبة بين الفاتحة والخاتمة .

- الخاتمة

يتمثل نص هذه الخاتمة في دعاء فهي إنشائية طلبية يبتدئ بالطلب (اللهم) وينتهي بالطلب (خلنا عليك) من غير التركيز على صفات الضعف البشري، ولا على صفات القدرة الإلهية. فالنص كله أفعال طلبية تتضمن نواه دلالية طرافاها الخير والشر، ومنه فإن هذا الدعاء ينتمي إلى دعاء المسألة وهو يتمثل في طلب الخير و تجنب الشر.

تتدرج أفعال النص ضمن فعل الرغبة الذي يتضمن معنى القوة. ومن الناحية الشكلية يتمظهر ضمير الشخص المتمثل في: ضمير المتكلم (أنا/نحن) وضمير الخطاب (ك/ أنت) فالضميران يحيلان في عملية الاتصال على أساس أن ضمائر الشخص معلم مدمج في الزمن؛ زمن الحاضر المشروب بالمستقبل وهذا يوحي بالتواصل الدائم بين الداعي والمدعو عبادة ومحبة.

يقوم النظام النصي لهذه الجمل المتتالية على ثلاث فقرات هي:

الفقرة الأولى

تتكون من ثمان جمل متتالية تتضمن نواه دلالية تقوم على القوة تهدف إلى تحقيق الخير

الفقرة الثانية

تتكون من تسع جمل متتالية بسيطة وهي تتضمن النواه الدلالية نفسها؛ لكنها تهدف إلى تجنب الشر.

الفقرة الثالثة

تتكون من خمس جمل متتالية وهو يتضمن نواه دلالية تقوم الرحمة تهدف إلى تحقيق المحبة، تشتمل الفقرات الثلاث على نقطتين مركزيين هما: القدرة الإلهية والرحمة الإلهية.

وبالنظر إلى هذه الفقرات التي تتكون من مجموعة من المتتاليات المتراصة تقــوم على التراتب ذلك أن "انتظام الجمل في النص دليل على انتظام العناصر المكونة لعالم ذلك النص فالروابط وسائل لغوية تنسج الخيوط التي يتوسل بها الفكر لتنظيم عنـاصر عـالم الخطاب عند الباث مركبا وعند المستقبل مفككا".(1)

الفقرة الأولى

تقوم على نظام الجملة البسيطة ذات عملية إسناد واحدة هي:

1- وقونا بعزيمة الراجعين إلى بابك.

2-بيض وجوهنا عند مناجاتك.

3- اغمرنا بموارد مواهبك ومنحك.

4- آونا إلى كنف أمنك بالأمن منك.

5-أمطر علينا سحائب جودك وعطفك.

6- وفقنا لأقصد السبيل إليك.

7- خفف علينا في كل الأمور التوكل عليك.

8- وسهل علينا طلاب ما أعددته لأوليائك لديك. (2)

ينهض هذا النص على ثنائية الرغبة /القوة وهي وسيلة الذات البشــرية لتحقيــق غايتها؛ البقاء مع الله بالله.

1- ها هنا الموجه (قونا) يشير إلى رغبة الداعي في القوة والمركب الإضــافي (بعزيمــة الراجعين) حال والجار والمجرور (إلى بابك) ظرف. فكل من الحال والظرف متعلقــان بالمسند (قوي) بواسطة حرف جر (الباء) الذي يفيد معنى الاستعانة وحرف الجر (إلــى) يفيد الغاية. وهذا يؤكد رغبة الداعي في القوة للجوء إلى الله.

2- بيض متعدي إلى الوجوه ومفعول به و" عند مناجاتك" ظرف فــالتعليق بيــن المســند

1 -نسيج النص (بحث فيما يكون له الملفوظ نصا): الازهر الزنادي ،ص :67.

2 -المصدر،ص: 144.

وعناصره يشير إلى الرغبة في الإجابة (التواصل).

3-أغمرنا: طلب العطاء (بموارد مواهبك ومنحك) جملة اسمية تفيد الوصف وهي تفيد ثبوت القوة والنعم.

4- آونا: الرغبة في الإيواء لتحقيق الأمن؛ لأن الأمن والإيواء ثابت عند الله .

5- أمطر: طلب العطاء (الجود والعطف) وهذه إشارة إلى اشتمال الذات الإلهية على القوة والجود والعطف.

6- وفقنا: طلب التوفيق في التقرب إلى الله؛ الاستعانة به.

7- خفف: طلب التخفيف رغبة في تجاوز الضعف لتحقيق الواجب.

8- سهل : طلب التسهيل للتقرب إلى الله.

تبرز من خلال التحليل عناصر تجليات البنية الأولى للخبر وهي (القوة والإرادة والعطف والعطاء والجود والنعم والأمن).

الفقرة الثانية

تنهض على نظام لغوي يختلف عن السابق فهي تتكون من عنصرين: مكون فعلي وجار مجرور يتكرر فيها ضمير المتكلم (نا /نحن) ظاهرا و المخاطب (أنت) مضمرا، واعتمد المتكلم /الكاتب نوعين من الأفعال الطلبية الأمر والنهي وهما يفيدان الالتماس؛ أي طلب تجنيب الشر وهي كما يلي:

1- اسلبنا هنا.

2- شردنا عنا.

3- خذ لنا.

4- بقنا علينا.

5- لا توالينا بالنعم استدراجا.

6- لا تمهلنا بالتطاول احتجاجا.

7- جد علينا إذا صدرنا أشتاتا.

8- إليك وكلنا كلنا.

9- عليك طرحنا كلنا.[1]

إن الأفعال الأربعة الأولى (اسلب /شرد /خذ /بق) هي أفعال متحاقلة تنتمي إلى حقل دلالي واحد تختلف في الدرجة وهي بمعنى تحقيق الانسلاخ أو الانفصال عن الذات؛ أي الفناء في الذات والبقاء مع الله وهي تشير إلى الحاجة الإنسانية للذات الإلهية؛ طلب الاستعانة بها.

5- نفي توالي النعم بسبب الاستدراج لتحقيق البقاء مع الله.

6-نفي تمهل التطاول بسبب الاحتجاج للبقاء مع الله.

7- جملة شرطية قدم الجواب على الشرط؛ لأن الغاية هي طلب الجود للبقاء مع الله.

الجملتان (9/8) تشملان على دلالة واحدة هي التوكل؛ أي الخضوع والتسليم لله تعالى ومنه تكون رغبة الداعي في البقاء مع الله للعبادة والمحبة.

الفقرة الثالثة

تقوم على نظام لغوي يختلف عن النظامين السابقين فهو يقوم على النداء (يا) وهو يفيد الدعاء والتكرار يشير إلى ضراعة الدعاء. ومن جهة فإنه يشير إلى كسر نمطية الخطاب وإشعار المتلقي بإنتاج نواة دلالية جديدة تتمثل في الرحمة. فهذا يساهم في إثراء الخطاب وتنشيط ذاكرة المتلقي .

1- يا من هو أرحم بنا منا.

2-أنظر لنا من أنفسنا.

3- ألطف بنا من آبائنا وأمهاتنا.

4- إمح عنا صفاتنا باستيلائك.

5- خلنا عليك علينا فيك بولائك.[2]

---

1 -المصدر ص 144.

2 - نفسه، ص 144.

ينهض نظام هذه الجمل على تتابع المترادفات تتابعا تواليا يسلم بعضها إلى بعض فاستعمال صيغ أفعل التفضيل (أرحم /أنظر /ألطف) تعود إلى نواة الرحمة والتكرار هنا يشير إلى توكيد سعة وشمول وعموم الرحمة الإلهية .

وقد جاءت الجملتان الأخيرتان خاتمة موحية بانتهاء النص لذلك استقلت بنظامها الخاص المختلف عن التركيبان السابقة "وكما تحققان الترابط فيما بينمها يكون مدلولهما أي الظروف المنسوبة إليهما في التأويل مرتبطة فيما بينهما".(1)

وتكون الغاية من طلب الرحمة هو تحقيق استيلائها على العبد لتأهيله للارتقاء إلى مرتبة الولاية "وهي مرتبة من مراتب القرب الإلهي يتولى فيها الحق من حيث أسمائه الحسنى التي هي أرباب العبد هذا القرب الإلهي هو في الواقع قرب نسبة خاصة .فالوالي يخص الحق هنا وينتسب إليه أنه للحق وليس لذاته لذلك يتولاه".(2)

والغرض من طلب مرتبة الولاية التقرب إلى الله تعالى . وتعني ولاية الله موافقته بالمحبة بما يحب والبغض لما يبغض والرضا بما يرضى والسخط بما يسخط والأمر بما يأمر به والنهي عما ينهي عنه والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه مصداقا لقوله – *صلى الله عليه وسلم*- "يقول تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمقاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما أقررت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافع حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن

1 –بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص 261.
2 – المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، ص 12234.

شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته".[1]

وهذه الخاتمة تختلف عن الخواتم السابقة فهي تهدف إلى تحقيق مرتبة الولاية وهذه المرتبة تخص خاصة الخاصة التي تشملها فضل الله، والدعاء يتضمن الاستعانة، وهو متعلق بتوحيد الربوبية.

وبناء عليه تكون المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في الرسالة (يه) متمثلة في تلك العلاقة التلازمية الماثلة في توحيد الألوهية التي تقتضي توحيد الربوبية.

الرسالة (زمج)

- المناسبة بين الفاتحة والمتن.

ـ الفاتحة

تتفرد الرسالة (زمج) عن الرسائل الأخرى بافتتاحها واختتامها بالدعاء والدعاء يتضمن الطلب فالفاتحة إذن إنشائية طلبية.

يتكون النص من خمس متتاليات جملية تقوم على التراتب الناتج عن ترتيب الأحداث المتضمنة (الواردة) في النص، ويغلب عليها طابع المجاز "والمجاز بحسب التجربة الصوفية جسر يربط بين المرئي وغير المرئي، وبين المعروف والغيب وبما أن الغاية هي الكشف عن هذا المجهول، فإن الصورة تحديدا إنما هي ابتكار محض (...) تولد من التقرب والجمع بين عالمين متباعدين بحيث يصبحان وحدة".[2]

ويمكن تصنيف هذا الدعاء إلى دعاء المسألة الذي يتضمن طلب الخير، كما يبدو من خلال تمظهر البنية السطحية للنص.

1- اغرس أشجار كلامنا في خطها قلوبنا.

2- ثم اسقيها بصوت تأييدك عند رقدتنا وانتباهنا.

3- ثم استخرج أوراقها وأزهارها في تصاريف أحوالنا.

---

1 – صحيح البخاري – الرقاق – البخاري، الجزء 2، ص 65.
2 –الصوفية والسوريالية،أدونيس ص 160.

4- ثم حمل ثمارها بصيرنا ووفائنا على اختلاف سرائننا وضرائننا.

5- فإنك إذا دبرتنا هذا التدبير شمرنا من قصدك أجد التشمير.[1]

يقوم النص على أربعة أفعال رئيسية (اغرس /اسق /ستخرج /حمل)، تدل على أحداث قائمة على الترتيب كما هي في عالم الواقع.

الغرس ←— السقي ←— الإيراق والأزهار ←— الأثمار. ويحكم هذه الأحداث الترابط والانسجام باعتبار أن الأحداث في عالم الواقع تكون مترابطة المعنى أنها تترتب على بعضها فالنتيجة تترابط مع الأحداث السابقة عليها. ومن ثم تكون أنها تترتب على بعضها فالنتيجة تترابط مع الأحداث السابقة عليها ومن ثم تكون الأفكار التي تعبر عن المقدمات والنتائج مترابطة ترابط الأحداث ويتوسل النص للتعبير عن هذا الترابط وسائل كثيرة يرتبط هذا النمط بالمناسبة من جهة المناسبة بين ترتيب الأحداث الواقعة وبين الجمل المعبرة عنها.

تبدو الأحداث في هذا النص متعاقبة ومرتبة ومتسلسلة حسب الترتيب المنطقي للأحداث والمقدمات والنتائج.

والنص يتناص مع الآية الكريمة﴿أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ(24)تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.[2]

الناظر في هذا يدرك كيفية التقاط المتكلم / الكاتب (الداعي) للألفاظ وتوزيعها في الخطاب، لأنه خطاب منفعي، وذلك أنه كل فعل القول يهدف إلى التأثير على المخاطب/المتلقي والإمساك بتلابيبه. والكلمة المحورية في هذا النص "أشجار كلامنا" التي

---

1 -المصدر، ص355.

2 -سورة ابراهيم،الاية 25/24.

تتمطط عبر هذه الأفعال الطلبية.

1- "اغرس أشجار كلامنا في خطط قلوبنا" : فعل الغرس يتضمن معنى التثبيت. والفاعل النحوي هو متلفظ هذه الجملة وأما الفاعل الدلالي فيتمثل في المخاطب (المدعو) وهو الله تعالى وأشجار كلامنا مركب إضافي وهو مفعول به متعلق بفعل اغرس بواسطة علاقة التعدية ويحيل (المفعول به) إلى الشجرة الموصوفة في

القرآن الكريم بالطيبة "وذلك يحتمل أمورا أحدها كونها طيبة المنظر والصورة الشكل وثانيها كونها طيبة الرائحة، وثالثها كونها طيبة الثمرة (...) ورابعها كونها طيبة تجب المنفعة (...) ويجب حمل قوله: شجرة طيبة على مجموع هذه الوجوه؛ لأن اجتماعها يحصل كمال الطيب".[1]

وأما لفظ كلامنا فيحيل إلى الكلمة الطيبة المشبهة بهذه الشجرة (في خطط قلوبنا) جملة اسمية تفيد الثبوت يتصدرها حرف الجر (في) يفيد الظرفية والجار والمجرور يفيد التمكين؛ أي ترسيخ وهو يمثل متمما للفعل اغرس ويتعلق بالمسند بواسطة حرف (في) ويصبح المتمم منصهرا في عناصر المسند ويصبح معنى الجملة؛ أن الغرس (التثبيت) واقع في خطط القلوب وهذه العبارة مجاز تحيل إلى أن المقصود منها "معرفة الله تعالى والاستغراق في محبته وطاعته وفي خدمته".[2]

وهذه إشارة إلى ترسيخ معرفة الله في القلب لأنها معرفة حدسية (باطنية) تقوم على الذوق. والجملة الثانية معطوفة على الجملة الأولى بواسطة حرف "ثم" وهي تستعمل في حالة الترتيب مع التراخي".[3]

وهذا يشير إلى أن أفعال هذا النص مرتبة مع التراخي؛ أي الاستبطاء في الانتقال من حدث إلى آخر؛ لأن كل حدث يتطلب وقتا كافيا للتحول إلى آخر وهذا ما ينطبق على حال المعرفة الذي يقوم على العلم والعمل؛ أي المجاهدة والرياضة والأحوال والمقامات. فالأحوال تتميز بالتحول والتغير وأما المقامات تتميز بالثباب والرسوخ. يتلو فعل الغرس فعل السقي والهاء تحيل إحالة قبلية على أشجار كلامنا ومنه يكون السقي واقع في خطط

1 -تفسير الفخر الرازي، الرازي مج19، ص 117.
2 -نفسه، ص 117.
3 -دراسات في النحو اللغة العربية الوظيفي، أحمد المتوكل ص 44.

القلوب والمركب الإضافي (بصوب تأييدك) يفيد الوصف؛ وصف فعل السقي الذي يشير إلى فضل الله. والجملة الظرفية (عند قدرتنا وانتباهنا) تدل على الزمن؛ الزمن المطلق وهذا يشير إلى أن الله ذو فضل كبير في تثبيت المعرفة في القلب. ومنه يكون "أثر رسوخ شجرة المعرفة في أرض القلب أن يكون نظره بالعبرة كلما كان رسوخ شجرة المعرفة في أرض قلبه أقوى وأكمل كان ظهور هذه الآثار عنده أكثر".[1]

3-استخرج: فعل مزيد يفيد التحويل وهذا الفعل يحيل إحالة خارج النص وهي أن هذه الشجرة لها الصفة الثانية "وهي كون الشجرة ثابتة الأصل" فهذه الصفة في شجرة معرفة الله تعالى أقوى وأكمل وذلك لأن عروق هذه الشجرة راسخة في جوهر النفس القدسية وهذا الجوهر مجرد في الكون والفساد بعيد عن التغير والفناء .وأيضا مدد هذا الرسوخ إنما هو من تجلي الله تعالى وهذا التجلي من لوازم كونه سبحانه في ذاته نور. النور مبدأ الظهور وذلك مما يمتنع عقلا زواله لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته واجب الوجود في جميع صفاته".[2]

والمعنى الثاني للفعل -استخرج- يتمثل في الإشارة إلى الصفة الثالثة "فرعها في السماء" لأن الفعل تعدي إلى مفعولين على الترتيب الأوراق والأزهار وهذه الجملة تشير إلى كمال حال هذه الشجرة والجملة الاسمية (في تصاريف أحوالنا) هو متم متعلق بالمسند بواسطة حرف الجر (في) التي تفيد الحال. والحال هنا يفيد تبين هذه الأحوال التي يعيشها العارف"وأعلم أن شجرة المعرفة لها أغصان صاعدة في هواء العالم الإلهي وأغصان صاعدة في هواء العالم الجسماني أما النوع الأول فيجمعها قوله *-صلى الله عليه وسلم-* "التعظيم لأمر الله" ويدخل فيه التأمل في دلائل معرفة الله تعالى في عالم الأرواح وفي عالم الأجسام.. ويدخل فيه محبة الله تعالى والشوق إلى الله تعالى والمواظبة على ذكر الله تعالى والاعتماد بالكلية على الله تعالى والانقطاع بالكلية عما سوى الله تعالى وأما النوع الثاني فيجمعها قوله عليه السلام والشفقة على خلق الله ويدخل فيه الرحمة والرأفة والصفح والتجاوز عن الذنوب والسعي في إيصال الخير إليهم ودفع الشر عنهم ومقابلة

1 -تفسير الفخر الرازي، الرازي، ص 119.
2 -نفسه ص 118.

الإساءة بالإحسان وهذه الأقسام أيضا غير متناهية وهي فروع ثابتة من شجرة معرفة الله تعالى فإن الإنسان كلما كان أكثر توغلا في معرفة الله تعالى كانت هذه الأحوال عنده أكمل وأقوى وأفضل".(1)

4- حمل فعل مزيد بالتضعيف يدل على التكثير؛ أي نكثر ثمارها (بعلاقة التعدية)،أي ثمار شجرة المعرفة وهي تتقاطع مع الآية "توتي أكلها كل حين" أي "آن ثمارها لابد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات".(2)

وهذا يشير أيضا إلى "الإلهامات النفسائية والملكات الروحانية التي تحصل في جوهر الأرواح". (3) والمركب الإضافي (بصبرنا ووفائنا) يفيد الوصف؛ وصف الإلهامات والملكات الروحانية فالصبر والوفاء أيضا أحوال يعيشها العارف "ثم لا يزال يصعد منها في كل حين ولحظة ولمحة كلام طيب وعمل صالح وخضوع وخشوع وبكاء وتذلل كثمرة هذه الشجرة"(4) والجملة الاسمية على اختلاف سرائنا وضرائنا متمم متعلق بالمسند بحرف الجر (على) يفيد المجاوزة، أي أن شجرة المعرفة تتجاوز السراء والضراء ذلك يدل على ديمومة معرفة الله تعالى في القلب (الاستيلاء) والاستغراق في محبته وفي طاعته وفي خدمته وكما أننا نتقاطع أيضا مع القول "بإذن ربها".وذلك لأن عند حضور هذه الأحوال السيئة والدرجات العالية قد يفرح الإنسان بها. من حيث هي وقد يترقى وقد يفرح بها من حيث هي. وإنما يفرح بها من حيث أنها من المولى وعند ذلك فيكون فرحه في الحقيقة بالمولى لا بهذه الأحوال. (5)

يختم بجملة اسمية مؤكدة بحرف "إن" لكسر نمطية التركيب وإشعار المتلقي بانتهاء النص. وردت هذه الجملة مؤكدة لتأكيد ما فصل في السابق - فهي مجملة- وهي مركبة من طرفين هما: الطرف الأول مؤكد بمؤكدين إن + المصدر تأكيد فعل "دبر" فهو النواة الدلالية هنا. وهو يحيل إحالة قبلية إلى الأفعال السابقة (اغرس، اسق، استخرج، حمل)

1 -تفسير الفخر الرازي، الرازي،ص 118-119.
2 - نفسه ، ص 117.
3 -نفسه ص 119.
4 -نفسه.
5 -نفسه.

والطرف الثاني يقوم على فعل (شمر) وهو مؤكد بأفعال التفضيل؛ أي المبالغة في التشمير. وأما العلاقة بين الفعلين فهي تلازمية. وأما الضميران (نا) و(ك) فيحيلان إلى وظائف. فالضمير (نا) يحيل إلى وظيفة المفعولية و الضمير (ك) يحيل إلى الوظيفة الفاعلية وهما يقومان بوظيفة الربط الإحالي بين السابق واللاحق "والربط الإحالي يمد جسور الاتصال بين الأجزاء المتباعدة في الجملة".[1]

تضمن نص الفاتحة -دعاء- موضوع المعرفة وهي مرتبطة بالعبادة.و الدعاء يتضمن الاستعانة والاستعانة مطلوبة في العبادة.

وبهذا يكون النص أشعار بالإقرار بالألوهية والربوبية وإلزام بالإشعار بالعبودية.

- المتن

يتكون المتن من عدة مقاطع نصية تمثل امتدادا لموضوع المعرفة فالمقاطع الثلاثة الأولى تمثل تمهيدا للمعرفة. فيبدأ العارف بالزهد في الدنيا "يا هذا ! أعلى الدنيا تعرج وفي طلبها تؤجج ونيرانها تؤجج؟". [2] فالزهد في الدنيا يوصل إلى البقاء مع الله وذلك بالإكثار من الذكر والعبادة والدعاء "يا هذا! الزم باب الافتقار إليه بالدعاء فإنك ما دمت على هذا الالتزام رجوت لك الفوز".[3] فالدعاء هو إقرار بالربوبية المتعلقة بالتوكل والتسليم والتفويض وإثبات العبودية فبالعبادة والاستعانة بالله يتوصل العارف إلى المعرفة "يا هذا! من عرف في الشاهد لم يخل بالغائب ومن اعتنق الغائب لم يلتفت إلى الشاهد، ومن تذبذب بينهما فهو الساقط".[4] إن المعرفة المرتبطة بالشاهد تتوجه إلى معرفة سر الربوبية أي أن الملك والتدبير كله بيد الله تعالى لقوله﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى

1 -نسيج النص: (بحث فيما يكون له الملفوظ نصا): الأزهر الزنادي، ص: 112.
2 -المصدر ص 355.
3 -نفسه ص 360.
4 -نفسه: ص 361.

﴿كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1] العارف يتوصل إلى حقيقة هي أن الفاعل والخالق هو الله تعالى وحده، فهذا يمثل الشهود ويعني سر الكلمات الكونيات وهو ما يعرف بعلم صفة الربوبية. والمعرفة المرتبطة بالغائب تتوجه إلى معرفة سر الألوهية المتمثل في كشف سر الكلمات التكليفيات وهو ما يعرف بعلم صفة الألوهية.

ومن خلال التحليل تبرز المناسبة بين الفاتحة والمتن في تلك العلاقة الدلالية التي تقوم على : الإجمال ← التفصيل ذلك أن موضوع المعرفة امتد و اتسع عبر مقاطع المتن.

- المناسبة بين الفاتحة والخاتمة.

- الخاتمة

وكما سبق الرسالة (زمج) تكرر فيها الدعاء وهذا التكرار يؤكد رغبة المتكلم/ الكاتب (الداعي) "اللهم إنا نفتتح كلامنا بذكرك ودعائك استعطافا لك ليكون نصيبا منك بحسب تفضلك لا بحسب استحقاقنا؛ ونختم أيضا كلامنا بما بدأنا به رغبة في رحمتك لنا وتجاوزك عنا ورفقك بنا واهدائك ما لا ندريه ولا نتمناه إلينا".[2] فالخاتمة إنشائية (طلبية) يتضمن نصها نواه دلالية تتمثل في الرحمة والرأفة. وحسب التمظهر السطحي للنص يمكن تقسيمه إلى فقرتين:

الفقرة الأولى

تقوم كل نمط تركيبي ينهض على جملة بسيطة ذات عملية إسناد واحدة، تتميز بتقديم المفعول به على الفعل والفاعل فالتقديم عند أهل البيان "يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرور".[3]

وتتكون هذه الفقرة من جملتين هما:

---

1 -سورة الملك، الآية 1.

2 -المصدر ص 203.

3 -الإتقان في علوم اللغة، السيوطي، ج2، ص 55.

1- رحمتك نرجو.

2- رأفتك نتمنى.[1]

وتقوم الجملتان على نمط تشكيلي كالتالي:

مفعول به (اسم +ك الخطاب) + فعل + فاعل مقدر (نحن).

إن تقديم الرحمة هنا يشير إلى حصر طلب المتكلم في الرحمة وكذلك الشيء نفسه مع الرأفة فتقديمها يشير إلى حصر طلب المتكلم في الرأفة.

ويحيل النمط التركيبي إحالة داخلية في نص الفاتحة فالرحمة والرأفة يحيلان إلى النوع الثاني من الأغصان الصاعدة لشجرة المعرفة في هواء العالم الجسماني.

وتمثل الجملتان – الأولى والثانية – النواة الدلالية للنص التي تتوالد منها المتتاليات التالية لهما.

يركز المتكلم على الانتقال من نمط تركيبي لأخر حتى لا يشعر المتلقي بالملل وكذلك نزع الآلفة بكسر نمطية التركيب بالإضافة إلى هذا أن الانتقال يمهد لنهاية النص. وهذا الشكل يعبر عن مرحلة التكوين وبناء الشخصية.

الفقرة الثانية

يقوم على نظام لغوي يختلف عن النظام السابق والجملة هنا لم تعد جملة بسيطة بل هي جملة مركبة تتكون من أكثر من عملية إسناد فالنمط التركيبي لهذه الجملة يتكون من طرفين: الأول يتكون من عنصرين هما: مفعول به (مقدم) + فعل + فاعل مقدر (نحن) وأما الطرف الثاني فيتكون من عنصرين : أداة (إذا) + فعل + فاعل مقدر +(نا) مفعول به و إذا هنا بمعنى حين وتفيد ربط طرفي الجملة.

1- إليك نضرع إذا صفونا.

2- و إلى فنائك نسير إذا خطونا.

3-وإياك نطلب إذا عطونا.

1 –المصدر ص 362.

4- وبـك نستجير إذا نبونـا.

5- وباسمك نـلهج إذا صفونا.

6- وآلاءك ننشـر إذا صبونا.

7- إلى بابك نقصد إذا حبونا.

8- وعفوك نلتمس إذا هفونا.

9- بجنتك نتقـي إذا رمونـا.

10- فكـن لنـا ولا تكن علينا.

11- يا ذا الجلال والإكرام.[1]

الطرف الأول: يقوم على نمط تركيبي واحد يتمثل في تقديم المفعول بـه علـى الفعـل. والغرض من هذا التقديم الحصر والتخصيص لأن المتقدم هنا هو المخصوص بـالطلب. والمطلوب هنا يحيل إلى الله تعالى (المدعو) . وهذه إشـارة إلـى أن الله تعـالى هـو المخصوص بالدعاء والاستعانة. تشير الأسماء الواقعة مفعول به (مقدم) (فنائك ،إسـمك، آلائك، بابك، عفوك، جنتك) إلى الألوهية المتعلقة بالعبادة. وتشير هذه الأفعال (نضـرع، نسير، نطلب، تستجير، نلهج، ننشر، نقصد، نلتمس، نتقي) إلى الاستعانة والدعاء . وهـي متعلقة بالربوبية. ومنه فإن الإقرار بالألوهية والربوبية يستلزم الإشعار بالعبودية.

الطرف الثاني: يتكون من جملة فعلية تتصدرها أداة (إذا) الظرفيـة الزمانيـة غـير متضمنة للشرط. وهي بمعنى حين في محل نصب مفعول به مقدم. والجملة الفعلية تفيـد الحال. الحال هنا يفيد وصف هيئة المتكلم /الداعي. وتكرار " إذا " يفيـد الربـط، ربـط طرفي الجملة لخلق الانسجام في النص. وأما الأفعال (صفونا، خطونا، عطونـا، نبونـا، صبونا، حبونا، هفونا، رمونا) فيلاحظ عليها التماثل في البنية، وهي
أفعال معتلة تنتهي بحرف الواو وتكرار هذا الحرف أضفى على النص موسيقى داخلية.

1 – المصدر، ص 362.

إن النواة الدلالية الرحمة والرأفة تتشكل في أكثر من صورة لغوية تنتقل من نمط تركيبي إلى نمط تركيبي مختلف عن السابق يساعد في إنماء النص.

فالجملتان الأخيرتان تختلفان تركيبيا عن الجمل السابقة كونهما تمثلان ختامة توحي بانتهاء النص.

الجملة العاشرة تقوم على جملة مركبة من عنصرين مثبت ومنفي؛ ولكنهما يحققان دلالة واحدة وهي الدلالة الأولى في قوله: (كن لنا) تقتضي الدلالة الثانية (لا تكن علينا) أين دلالتهما تصب في حقل دلالي واحد هو طلب العون (الاستجابة).

والجملة الأخيرة (يا ذا الجلال والإكرام!) تمثل خاتمة موحية بانتهاء النص واستنفاذ دلالته. ومن جهة فهي تتضمن الدعاء بالأسماء الحسنى. والدعاء يتضمن معنى الاستعانة وهو متعلق بالربوبية. ويتمحور حول ثنائية: الرحمة /الرأفة.

فما دلالة الرحمة في الربوبية؟ إنها السمة البارزة في ربوبية الخالق الشاملة العامة وتثبيت الصلة الدائمة بين الخالق والمخلوق وتقرير أن علاقة المرء بربه علاقة رحمة ورعاية وأنعام وإحسان ومودة ومحبة فإذا كانت الرحمة تتسم بالعموم وتعني الخير والنعمة. والرأفة تعني العطف فإن الربوبية تتسم بالشمول واسعة وهي تعني الخلق والملك والتدبير.

وبهذا يكون موضوع الدعاء في الخاتمة يشير إلى المحبة، وتصبح المناسبة بين الفاتحة والخاتمة هي علاقة تلازمية لاعتبارين:

أولا: المعرفة (الفاتحة) تستلزم المحبة (الخاتمة) انطلاقا من أن ثمرة المعرفة المحبة.

ثانيا: وهذه إشارة إلى عبادته بما اقتضت ألوهيته (الله) من محبة. والألوهية تقتضي الربوبية وهي هنا تتمثل في الدعاء والدعاء بالأسماء الحسنى. فهذه العلاقات التلازمية تشير إلى توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات؛ لأن التوحيد عقيدة شاملة.

ملاحظة: إن لتكرار اختتام الدعاء (بياذا الجلال والإكرام) دلالة العبادة إلى جانب المسألة وذلك "باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها وتمتلئ القلوب بأجل المعارف فمثلا أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلب تعظيما لله وإجلال له. وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود

تملأ القلب محبة لله وشوقا له وحمدا له وشكرا. فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته وتعبده بها لله لا يحصل العبد في الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها وهي أفضل العطايا من الله لعبده .وهي روح التوحيد وروحه. ومن انفتح له هذا باب انفتح باب التوحيد الخاص والإيمان الكامل الذي لا يحصل للكمل من الموحيدين. وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى".[1] وقد ورد في روض السنة النبوية الشريفة أن الدعاء بالأسماء الحسنى عبادة لقوله – ***صلى الله عليه وسلم*** – "لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة، وإن الله وتر يحب الوتر".[2]

الرسالة (لح هـ)

-المناسبة بين الفاتحة والمتن

الفاتحة

الموجه الأساسي للجملة المنفية في هذا النص يتمثل في لفظ (حرام) الذي يدل على الزجر وهو يتضمن معنى "لا" النافية للجنس لكنها ليست عاملة هنا نظرا للفصل بينها وبين اسمها بحرف الجر "على" .فالفاتحة إنشائية يتمفصل النص حسب المؤشر اسم الموصول (من) إلى فقرتين:

الفقرة الأولى

تتكون من خمس جمل متتالية مركبة تنهض على أكثر من عملية إسناد وتقوم على التراتب وهي تمثل المستوى المادي للإنسان كما يبدو في البنية السطحية للنص.

1- **حرام على قلب استنار بنور الله أن يفكر في غير عظمة الله!.**

2- **حرام على لسان تعود ذكر الله أن يذكر غير الله!.**

3- **حرام على نفس طهرت من أدناس الدنيا أن تدنس بشيء من مخالفة الله!.**

---

1 – القول السديد في مقاصد التوحيد: السعدي ، ص 133-134. نقلا عن الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: ابن خضر العروسي ، ج1، ص 129.

2 – صحيح مسلم – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب (2) في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها- رقم الحديث 2677، ج4، ص 2062.

4- حرام على عين نظرت إلى مملكة الله أن تحدق إلى غير الله!

5- حرام على كبد ابتلت بالثقة بالله أن تطمئن إلى غير الله!.[1]

يقوم النظام اللغوي لهذه الجمل على نمط تركيبي يتكون من طرفين:

الطرف الأول

يتميز بشكله التركيبي : نهي +فاعل + فعل + مفعول به، الملاحظ على الفاعلين في الجمل تقدمها على أفعالها لكونها مخصوصة بالنهي وأما مجيئها منوتة وتصديرها بحرف الجر (على) لإثبات النهي في الفاعلين.

وقد استفتح النص بالقلب لأنه "الساعي إلى الله تعالى لينال قربه دون البدن، ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس؛ بل هو سر من أسرار الله عز وجل، لا يدركه الحس لطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الأولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة".[2] العلاقة الفاعلية بين القلب واستنار تشير إلى أن "المعرفة الإلهية ليست عقلية بل ذوقية".[3]

والعلاقة المفعولية تشير إلى تعلق نور الله بفعل استنار الذي يفيد معنى التحول؛ أي تحول القلب من ظلام الجهل إلى نور المعرفة؛ لأن المعرفة عبارة عن نور يقذفه الله في قلب المؤمن وتكرار استنار ونور يفيد تأكيد الفعل بالمصدر الذي يشير إلى أن المعرفة نورانية، لأن المعروف هو الله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.[4]

الطرف الثاني

يقوم على الفعل المضارع المؤكد بأن والجملة الفعلية تفيد الحال وهو يشير إلى تأكيد اختصاص تفكير (انشغال) القلب في عظمة الله فهو الأساس في الإنسان كما ورد في

1 -المصدر ص 374.
2- إحياء علوم الدين: الغزلي ج1، ص 91.
3- الصوفية والسوريالية، أدونيس ص 117.
4 -سورة النور، الاية 35.

الأثر "القلب ملك وله جنود".[1]

يتلو القلب اللسان لأنه تابع للقلب وهو كما وصف "اللسان ترجمان".[2] قدم اللسان لتخصيصه بذكر الله والمبالغة فيه حتى يصير ذاكرا فالذكر يحقق الطمأنينة في القلب ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.[3] يشير إلى تأكيد اختصاص اللسان بذكر الله فالقلب واللسان تجمعهما النفس "وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي".[4]

والنفس هنا نائب فاعل. والفاعل هو الإنسان الذي قام بتطهيرها من أدناس الدنيا للتقرب إلى الله والطرف الثاني يشير إلى تأكيد اختصاص النفس بالطهارة لأن الله تعالى يحب المتطهرين.

تمثل العين آلة المعرفة الأولى –النظر والتأمل – كما ورد في حديث أبي سعيد "العينان والأذنان قمعان واللسان ترجمان".[5]

وتشير الجملة إلى تأكيد اختصاص العين بالنظر إلى الله والتأمل في الخلق والله يدعو إلى النظر والتأمل والتدبر ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.[6]

ويختم بالكبد وهو مختص بالابتلاء لتحقيق الثقة بالله. وهذه إشارة إلى التسليم والخضوع للإبقاء على الطمأنينة.

تمثل الجمل السابقة الجانب المادي في الإنسان (الجوارح) ومفرداته المرجعية هي القلب واللسان والنفس والعين والكبد فهي تحيل إلى آليات المعرفة التي تؤهل العبد في تحصيل المعرفة.

الفقرة الثانية

تمثل المستوى الروحي للإنسان وهي تتكون من إحدى عشر جملة مركبة تقوم على

1 – ينظر: روح المعاني، الألوسي مج1، ص 16.
2 –نفسه.
3 – سورة الرعد، الآية28
4 –تاريخ الفلسفة العربية جميل صليبا دار الكتاب اللبناني بيروت ط2، 1983م، ص491.
5 –روح المعاني، الألوسي، مجلد1، ص 16.
6 – سورة الغاشية، الآية: 18/17.

أكثر من عملية إسناد وتقوم على تتابع المترادفات تتابعا تواليا كما تجسده الصورة اللسانية البصرية.

1- حرام على من لم ير الخير إلا من الله أن يجدد طمعا في غير الله!

2- حرام على من شرف بخدمة الله أن يتضع بخدمة غير الله!

3- حرام على من ألف فناء الله أن يعرج إلى غير الله!

4- حرام على من تلذذ بمناجاة الله أن يناجي غير الله!

5- حرام على من رتع في نعمة الله أن يعبد غير الله!

6- حرام على من سكن حرم الله أن يتعرض لحرم الله!

7- حرام على من دعا إلى الله أن يجيب غير الله!

8- حرام على من عبد الله أن يتخذ مولى سوى الله!

9- حرام على من أنس بالله أن يأنس بغير الله!

10- حرام على من عرف قدر الله أن يتعرض لسخط الله!

11- حرام على من عرف عفو الله أن يغلب اليأس من الله![1]

يختلف النظام اللغوي لهذا المقطع عن النظام اللغوي السابق حيث استبدلت الأسماء القلب اللسان النفس العين الكبد بالضمير الموصولي (من) للعاقل فهو "يحيل إلى الورى إلى الصيغة الاسمية التي تسبقه".[2]

وتتمثل وظيفة الضمير (من) في دلالتها على مطلق غائب -شخص- يقوم بعلاقة الربط بين المستوى المادي و الروحي بإحالته الدلالية في النص إلى الورى واستمرار تكرار لفظ حرام في بداية كل جملة تشير إلى التأثير التراكمي في تثبيت وترسيخ المعرفة في القلب.

1 -المصدر،ص 375.

2 - تحليل الخطاب ج ب براون ج يول، تر : محمد لطفي الزليطي ومنير التركي،ص 257.

وإعادة الضمير الموصول (من) في هذه الجمل "يتطلب وحدة الإحالة بحسب مبدأ الثبات والاقتصاد".[1] وهذا يشير إلى وحدة الفاعل. وهو العارف ووحدة الموضوع موضوع تثبيت المعرفة في قلب العارف.

1- تفيد تأكيد النهي والزجر من الطمع في غير الله.

2- تفيد تأكيد النهي والزجر من الاتضاع لغير الله.

3- تفيد تأكيد النهي والزجر من العروج إلى غير الله.

4- تفيد تأكيد النهي والزجر من مناجاة غير الله.

5- تفيد تأكيد النهي والزجر من عبادة غير الله.

6- تفيد تأكيد النهي والزجر من التعرض لحرم الله.

7- تفيد تأكيد النهي والزجر من إجابة غير الله.

8- تفيد تأكيد النهي والزجر من اتخاذ مولى سوى الله.

9- تفيد تأكيد النهي والزجر من الاستئناس بغير الله.

10- تفيد تأكيد النهي والزجر من التعرض لسخط الله.

11- تفيد تأكيد النهي والزجر من تغليب اليأس لله.

الملاحظ على المستوى الروحي أنه يشتمل على إحدى عشرة لفظا مركزيا هي (الطمع، الاتضاع، العروج، المناجاة، العبادة، التعرض، الإجابة، الاتخاذ، الاستئناس، التعرض، الاستيآس). وهي تمثل مفردات مرجعية بالنسبة إلى علاقة المخلوق بخالقه ورغبة المتكلم في تحقيق هذه المرجعيات للمخلوق إنما هي تهيئة له حتى يكتمل روحيا فيقوى على تثبيت وترسيخ شجرة المعرفة في أرض القلب.

يبرز هذا التحليل معنى التربية و الامتنان والفضل والأنعام فيكون الإقرار بها الزم من الإثبات بالعبودية ويمكن تحديد أصناف العبودية. من خلال الفقرة الأولى وهي كالتالي:

1- التصديق بالقلب.

2- الإقرار باللسان.

---

1 -النص الخطاب والاجراء روبيرت دي بوجراند، تر: تمام حسان،ص 303.

3-والعمل بالجوارح لقوله تعالى ﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾.[1]

تتضمن الفاتحة إشارة إلى عبادة الله بما اقتضت ألوهيته من نهي وإدراك معنى التربية والامتنان والفضل والأنعام الذي يشعر الإقرار بالربوبية واثبات العبودية.

- المتن

تضمن المتن الحديث عن الجوارح وهو يتكون من مقطعين:

المقطع الأول

"يا هذا ! إنما أنت بجوارحك وجوارحك بك، فإذا رتبتها في مراتبها كانت لك وكنت لها فإذا فسدت نظامها كانت عليك لا لك".[2]

ويقصد بالجوارح الجانب المادي في الإنسان القلب والعين واللسان ...إلى غير ذلك. والجانب الروحي كالضمير والنفس والروح ...إلى غير ذلك.

والمقطع الثاني

تضمن آيات القدرة الإلهية في الكون "يا هذا! أما ترى حدثان الدهر؟ أما تحس مصائب الدنيا؟ أما تشعر بأحكام الوقت؟ أما ترى دوران الشمس؟".[3]

فكلا المقطعين يشتملان على مشاهد الربوبية في الإنسان والكون من خلق وتدبير وملك.

وبهذا تكون المناسبة بين الفاتحة والمتن تتمثل في العلاقة التلازمية بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية.

1 -سورة آل عمران، الآية 191.
2 -ينظر: المصدر، ص375.
3 - المصدر، ص375.

- المناسبة بين الفاتحة والخاتمة

- الخاتمة

تختلف هذه الخاتمة عن الخواتم السابقة؛ لأنها خاتمة لمجموع أربع وخمسين رسالة ويمكن اعتبارها إجابة للسؤال الضمني في الكتاب؛ أي التعريف بالتصوف الإسلامي.

يتصدر النص جملة "هذا الواصل إلينا من إشاراتك" يمكن اعتبار هذه الجملة من الجمل المسكوكة التي تستعمل في تحديد النهايات وهي جملة خبرية تشير إلى ختم (نهاية) الكتاب. فالخاتمة خبرية ويمكن تقسيم النص إلى ثلاث فقرات.

الفقرة الأولى

"هذا الواصل إلينا من إشاراتك فأما ما اعتاص والتوى من مثل قولك:

تَبَارَكَتْ خَطَرَاتِي فِي تَعَالَيْنِي فَلَا إِلَهَ إِذَا فَكَّرْتُ إِلَّا نِي.

وقولك فيه:

لَآيَةُ السُّمُوِّ فِي هُوِيَّةِ الْأَنِي مِثْلُ الدَّوَاءِ الَّذِي تَبْغِيهِ لِلدَّاءِ.[1]

تتكون هذه الفقرة من أربع جمل تقوم على نظام لغوي ينهض على أنماط تركيبية تختلف من جملة لأخرى فهي قائمة على علاقة التفريع؛ لأن المتكلم / الكاتب يحاول أن يؤسس لمفهوم التصوف في عصره (القرن الرابع الهجري) الذي تميز بتلاقح الثقافات والحضارات :

عربية إسلامية/ أعجمية هندية يونانية، فارسية، رومية ... إلى غير ذلك ومن جهة اختلاط الأديان السماوية والوضعية.

تمثل الجملة الأولى "هذا الواصل إلينا من إشاراتك، معلما لتوجيه النص. إن استعمال لفظ الإشارات في هذا السياق يشير إلى مفهوم التصوف وقد شاع هذا الاستعمال في القرن الرابع الهجري وقبله. وارتبط التصوف آنذاك بالاشتغال بموضوع المعرفة

1 -المصدر،ص 388.

والمحبة. وهذا الأخير مرتبط بالغيب "والغيب يظل قائما بذاته ولذاته لا يمكن وضعه في صورة نهائية وهو أبعد من كل معرفة ليس للغة أن تحيط به".[1] وضمير الخطاب (ك) يحيل إلى مخاطب مفرد، لكن المراد من المفرد هنا هو الجمع وانطلاقا من أن المضاف (إشارات) والمضاف إليه (ك) ككلمة واحدة يصبح مضمون هذا المركب الإضافي يحيل إلى مفهوم التصوف عند صوفية عصر التوحيدي وما قبله.

والجملة الثانية (فأما ما اعتاص والتوى من مثل قولك، فهي جملة تفسيرية، وتمثل جملة مقول القول المفسرة).

تَبَارَكَتْ خَطَرَاتِي فِي تَعَالاَئِي   فَلاَ إِلَهَ إِذَا فَكَّـرْتَ إِلاَّئِي.

وتتضمن جملة مقول القول فكرة الاتحاد. وأما جملة مقول القول الثانية المعطوفة على سابقتها:

لآيَةُ الْهَوَ فِي هَـوَيْهِ إِلاَّئـي   مِثْلُ الدَّوَاءِ الَّذِي تَبْغِيهِ لِلدَّاءِ.

فهي تتضمن فكرة الحلول. فتمثل فكرة الاتحاد والحلول مفهوم التصوف في عصر التوحيدي. وهي تخص اتجاهات التصوف المسيحي واليهودي وغيرهما.فأصحاب هذه الاتجاهات يعتمدون التماهي في مصطلحاتهم الصوفية؛ أي تماهي الذات مع الموضوع.

ومنه فالبيتان قد تضمنا قول الملاحدة؛ الاتحادية والحلولية الذين يقرون بفكرتي : الاتحاد والحلول للتقرب إلى الله تعالى؛ ويعني هذا أن التقرب يكون بين الذاتين، ذات الخالق وذات المخلوق.

الفقرة الثانية

تتكون من أربع جمل "**فإليك بيانه، وعليك برهانه، ولسنا نشاحك فيه، ولا ننافسك به، لأن اللفظ كدر والمعنى عسر والإراحة في شق والعبارة في شق، وبهاؤه منتزع وتصحيحه ممتنع**".[2]

تتضمن هذه الفقرة إثبات رأي التوحيدي الرافض للرأي الآخر؛ صوفية عصره

1 –الصوفية والسريالية،أدونيس، ص 13،
2 – المصدر ص 388.

وقبله الذين يؤمنون بفكرة الاتحاد والحلول في إثباتهم للتوحيد. ويعلل التوحيدي رأيه الرافض للآخر الذي تجسده الجملة الرابعة التي امتد واتسع فيها التركيب لامتداد المعنى (ولا تنافسك به لأن اللفظ كدر والمعنى عسر ......وتصحيحه ممتنع).

فالتوحيدي يرفض كل التعابير والأقاويل التي تحمل في طياتها معنى التماهي فكل ما يمكن قوله أو التعبير عنه بالإشارة والمجاز لأنه "نستطيع أن نقول صورا عنه وتجربة في رؤيته وفهمه لكنها ننقلها مع ذلك بشكل مداور بالصورة والرمز والإلماح والإشارة".(1)

وبهذا يكون التعبير عن التوحيد بالاتحاد والحلول مرفوضا؛ لأنه ادعاء بالتقرب إلى ذات الله والاتحاد بها أو الحلول فيها؛ فالمؤمن الذي يمثل اتجاه التصوف الإسلامي المؤسس على القرآن والسنة فهو يقر بتوحيد الله بإفراده بالعبادة والاستعانة ويؤمن به بالقلب والجوارح فإيمانه يجمع بين علم قلبه وحال قلبه؛ أي تصديق القلب وخضوعه ويجمع بين قول لسانه وعمل جوارحه. فأصل الإيمان هو ما في القلب واللسان فلابد أن يكون في قلبه التصديق بالله والإسلام تعبيرا عن قول قلبه وعمله وهو الإقرار بالله تعالى أنه الأحد الواحد."﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (2)فالتوحيد يقتضي الإيمان بالله ومعرفة أسمائه وصفاته فلا اتحاد ولا حلول بالذات الإلهية؛ لأن المعروف والمحبوب هو الموصوف بالنور لقوله تعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.(3) وعليه يكون القرب والتقرب إلى الله تعالى بالإيمان لا بالذات. والإيمان هو نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فيكون الله في قلب عبده بالمعرفة والمحبة مصداقا لقول الرسول -*صلى الله عليه وسلم*- "**اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا**

1 -الصوفية والسوريالية،ادونيس،ص139.
2 - سورة الإخلاص، الآية:1-2.
3 - سورة النور، الآية:35.

وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا".[1]

الفقرة الثالثة

تتكون من جملة واحدة " ونعوذ بالله من ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾*".[2]

جرت العادة أن الاستفتاح يكون بالبسملة والاختتام يكون بالحمدلة؛ لكن المتكلم/الكاتب شد عن هذا العرف فقد استفتح بالبسملة وختم بالاستعاذة لماذا؟.

إن الاختتام بالاستعاذة في هذا السياق ملائم ومناسب لسياق الموقف.

فالاستعاذة مطلوبة دائما للإنسان فهو يستعيذ بالله من الشيطان (الوسواس الخناس)؛ لأنه العدو الألد للإنسان فهمه الوسوسة والإغراء والإضلال والإغواء وغايته هلاك الإنسان وخسرانه لتأصيل العداوة بينهما. وهذه الاستعاذة موجهة إلى الحلوليين والإتحاديين، لأن عملهم من عمل الشيطان.

والاستعاذة هي دعاء يتضمن الاستعانة بالله لتجنب الشر، فيذكر اسم الله في الاستعاذة لأنه الأبلغ في الزجر عن المعاصي من جميع الأسماء والصفات؛ لأن الله هو المستحق للعبادة ولا يكون كذلك إلا إذا كان قادرا عليما حكيما ومنه فإن هذا التركيب ونعوذ بالله جرى مجرى نعوذ بالقادر العليم الحكيم. وهذه الصفات هي النهاية في الزجر، ومن ثم فإن جملة نعوذ بالله تعني عروج من الخلق إلى الخالق ومن الممكن إلى الواجب وهذا هو الطريق المتعين في أول الأمر، لأن في أول الأمر لا طريق إلى معرفته إلا أن يستدل باحتياج الخلق على وجود الحق الغني القادر".[3]

1 -صحيح البخاري - باب الدعاء رقم الحديث 6316 ، البخاري مج4، ج7، ص 191.

* - سورة الناس، الاية:4/6.

2 - المصدر، ص388.

3 - تفسير الفخر الرازي، الرازي مج1، ص 103.

والغرض من استعمال صيغة المضارع في الاستعاذة لدلالته على الحال لأنه يمثل الحقيقة وعلى الاستقبال حملا على المجاز. ومنه تكون جملة نعوذ بالله تدل على أن العبد مستعيذ في الحال وفي المستقبل لأنه يدل على أن هذه الاستعاذة باقية في الجنة.والرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يستعيذ بالله من الشيطان بهذه الصيغة "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه".[1]

والاستعاذة مطلوبة دائما، لأن الشيطان ملازم للإنسان وساكن في صدره في محل القلب الذي يمثل أرضا للمعرفة والمحبة فمن لم يستعذ بالله منه كان عمله غير صالح.

والغاية من الاستعاذة هي :"أن العبد ما لم يعرف عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصلح منه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم".[2]

المناسبة بين الفاتحة والخاتمة في الرسالة (لح هـ) تتجسد في تلك العلاقة التلازمية بين العبادة والاستعاذة التي هي نوع من دعاء المسالة (الاستعانة) ويحيل هذا إلى العلاقة التلازمية بين الألوهية والربوبية.

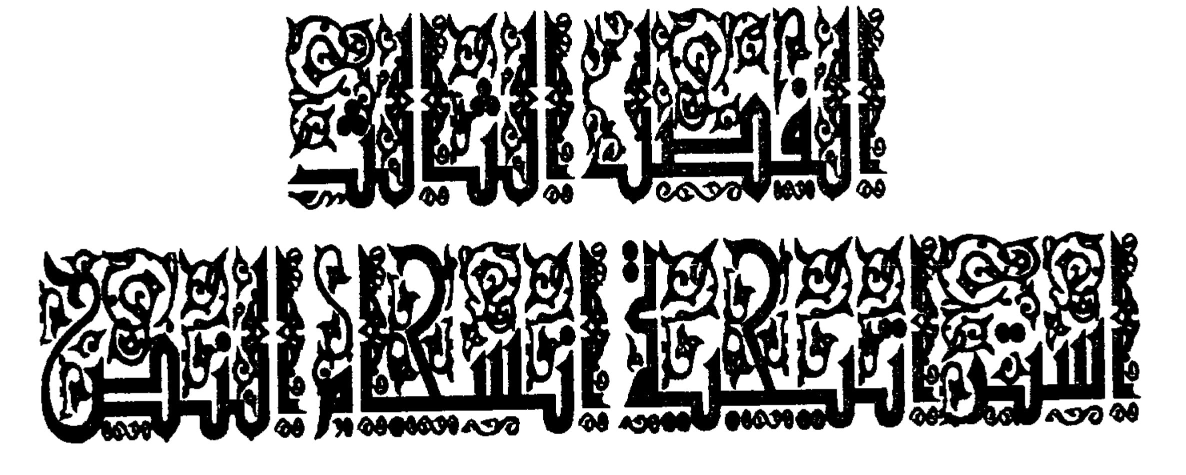
وتتمثل النسبة بين الدعاء والاستعاذة في أن "الاستعاذة خاصة بدفع الضرر الحاصل أو المتوقع وأما الدعاء فإنه يعم ما كان لحصول منفعة وطلب خير".[3] ومنه فإن النسبة بين الدعاء والاستعاذة تتمثل في العموم والخصوص المطلق. والدعاء أهم مطلقا .

يتضح من خلال التحليل للرسائل أن المناسبة بين الفاتحة والخاتمة وما يليهما في مستوى الرسالة الواحدة تتكرر مع كل الرسائل. فهي تقوم على ثنائية: العبادة/الاستعانة باختلاف صورهما؛ لأنها "تعتمد جميعا بناء متشابها في التركيب الأصلي يقوم على ركنين أساسين هما: المناجاة ومخاطبة شخص ما والرسالة غالبا ما تبدأ بالدعاء وتنتهي بالدعاء.وتتراوح فيما بين ذلك بين الخطاب والدعاء وأغراض أخرى أبرزها شكوى الحال والزمان وفي حوالي ثلثي الأحوال تنتهي بعبارة يا ذا الجلال والإكرام.[4]

---

1 – ينظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني مج1، ج1، ص 23.
2 –تفسير فخر الرازي، الرازي، ج1، ص 73.
3 – الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: ابن خضر العروسي، ج1، ص:88.
4 –الإشارات الإلهية،أبو حيان التوحيدي تح:وداد القاضي، ص 12.

ورغم أن التوحيدي قد كتب هذه الرسائل في مراحل متفاوتة إلا أنها تعبر عن دفقة شعورية واحدة تتسم بالتماسك والانسجام فهي كرسالة واحدة تقوم على ثنائية: العبادة/الاستعانة التي تحيل إلى عقيدة التوحيد الشامل.






- **الانسجام**

يعد مصطلح الانسجام جانبا من الجوانب المهمة في دراسة النص أو تحليل النص باعتباره الوحدة الكبرى؛ فهو ذو طبيعة دلالية متعلقة ومشروطة بمدى التماسك الكلي للنص لذلك فإن الذي يجدد إطارها هو المتلقي".[1] و عليه يكون تناول الانسجام مركزا على المستويين: المستوى الدلالي، والمستوى التداولي.

انطلاقا من أن الانسجام بمثل السمة "البارزة التي يتم بها التمييز بين النص واللانص.

والسؤال الذي يفرض نفسه نتيجة لما سبق : هل يعد الانسجام النصي كل شيء في تحليل النص؟

إجابة هذا السؤال تقتضي العرض الموجز لمفهوم الانسجام وأهميته وعناصره.

وفي محاولة التعرض لمفهوم الانسجام تبرز إشكالية تعدد المصطلحات، سواء الغربية : (Cohérence / Cohésion)، أو العربية التي تشعبت فيها أكثر : الترابط، التماسك، الاتساق، الانسجام، التعليق، التضام...إلى غير ذلك.

ولتحديد مفهوم الانسجام ينبغي على الباحث المزوجة بين المنظورين الغربي والعربي رغبة في الوصول إلى مفهوم يمكن من مقاربة انسجام الخطاب الصوفي بوصفه خطابا إقناعيا حجاجيا لاعتماده على حجج دامغة وبراهين قاطعة تتمثل في القرآن والسنة.

- **مفهوم الانسجام**

يعد مفهوم الانسجام في المنظور الفلسفي : "أحد أهم المفاهيم والمصطلحات الوظيفية التي يتأسس عليها أي نظام وظيفي في الحياة الإنسانية، فبدون انسجام العناصر والمعطيات المكونة لهذه الظاهرة أو تلك لا يمكن للحياة أن تتسق وتنتظم، ثم إنه لا يمكن أن نأخذ الحياة اتجاه البناء الذي يؤدي إلى تحقيق مردود كمي ونوعي يكافئ الجهد المبذول من جهة ثانية".[2]

فمن خلال هذا التعريف يتبين أن الانسجام يتطلب النظام في عناصر ومكونات كل

---

1 –ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص:260.

2 – ينظر : المعجم الفلسفي جميل صليبا، مكتبة لبنان بيروت 1987م، ص : .159- 161.

شيء ليؤدي وظيفته الخاصة بالإضافة إلى الوظيفة الجمالية.

أما عند النصاتيين الغربيين فيلا حظ تتابع المصطلحين: Cohérence/ Cohésion فأيهما يعني الانسجام؟

إن مصطلح Cohésion حسب الباحثين هاليداي ورقية حسن (HASAN HALLIDAY) فإن مصطلح Cohésion : "لا يركز على ماذا يعني النص بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحا دلاليا".[1]

ففي هذا التعريف إشارة إلى الاهتمام أو التركيز على العناصر اللغوية التي تحقق العلاقات المعجمية والنحوية التي تجعل النص متماسكا؛ أي خلق التواصل الشكلي بين عناصر النص، ولما كان التتابع الحظي للنص سيستلزم عناصر أخرى وقد أشار الباحثان بوصفهما: "أن كل نص له سياق والنص بصفته يتميز بالتماسك ... فأي نقطة أو جملة تعد البداية –أي بداية النص – ترتبط بما سبقتها وبالبيئة المحيطة وترتبط بما سوف يأتي بعد وتسهم عناصر أساسية في التماسك مثل المرجعية والإبدال والحذف والعطف والتماسك المعجمي وهي علاقات دلالية تسهم في تحديد النص كما يسهم السياق كذلك.[2]

إن التعريف الثاني يشير إلى إضافة عنصر أساسي جديد يتمثل في السياق إلى العناصر اللغوية المذكورة كالمرجعية والإبدالي والحذف والعطف والتماسك المعجمي لإضفائها التماسك على النص؛ وهي في مجملها تشكل تظافر علاقات التماسك الشكلية والدلالية في إطار السياق لتحقيق التماسك النصي.

وتكمن أهمية التماسك النصي في التمييز بين ما هو نص ومما هو لا نص، من خلال معرفة العلاقات الشكلية الدلالية التي يتلاحم النص من خلالها ولهذه الأهمية فقد أصبحت: "روابط التماسك بين الجمل هي المصدر الوحيد للنصية".[3]

ويؤكد الباحثان على أهمية التماسك النصي التي تكمن في تحقيق النصية أي؛ خلق

---

1 - Cohesion In English : A .Halliday.M.A.K.And Ruqaya Hasan.P26.

2 - langage, contesct and texte: aspects of langage in a social simiotic prespective Halliday and hasan. axford université presse (1989) p:48 .

3 –تحليل الخطاب ج.ب براون وج يول،تر، محمد لطفي الزليطي ومنير التركي ص 194.

بنية النص ذلك أن "للنص بناء نصي مما يميزها لا يمثل نصا ... فتحصل على هذه الحبكة عن طريق علاقة الترابط".(1)

وهذه النصية مرتبطة بعلاقة التماسك داخل النص "حينما يعتمد فيه عنصر معين في الخطاب على عنصر آخر فالأول يفترض الثاني بمعنى أننا لا يمكننا فك شفرته بنجاح إلا بالعودة إلى الثاني".(2)وهذا يعني أن النص تحكمه علاقة داخلية وهي نوعان؛ إما قبلية وإما بعدية تقوم بالربط بين عناصر الخطاب لتحقيق بنيته النصية.

ومما سبق يتبين أن مصطلح (cohesion) يهدف إلى تحقيق نصية النص التي حددها لـ روبيرت دي بوجراند(Robert de beaugrand)بسبعة معايير : "1السبك (Cohesion)، 2 الالتحام (Coherence) ، 3 القصد(Intentionnality) ، 4القبول (Acceptability) ، 5رعاية الموقف Situation ality) ، 6 التناص(Intertesctuality)، 7. الإعلامية(Informativity)". (3)

وتجدر الإشارة هنا إلى استعمال دي بوجراند De Beaugrand لمصطلح Cohesion بمعنى : "الترابط الصرفي وبحيث يمكن استعادة ووسائل التضام التي تشتمل على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة المشتركة والحذف والروابط".(4)

أما في التراث النقدي والبلاغي عند العرب يلحظ فيها إهتمامات قدامى النقاد في تذوقهم للشعر من خلال التعرض إلى مدى تماسك النص ابتداء بالجاحظ وابن طباطبا ... بتعبيرات شتى منها : " المتلاحم الأجزاء" وورد عند أسامة بن منقذ [باب الفك والسبك]، وقد عرف السبك بقوله: "وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره ولهذا قال: خير الكلام المحبوك والمسبوك والذي يأخذ بعض برقاب بعض".(5)

فمصطلح السبك هنا يتضمن العلاقات الشكلية التي تحقق التماسك النصي ومن جهة فإن مصطلح "Cohesion" هذا تقابله في العربية عدة مصطلحات تمخضت عن الدراسات

---

1 – ينظر : تحليل الخطاب ج.ب.براون وج يول ،تر، محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، ص 288.
2 –نفسه.
3 –ينظر: النص والخطاب والإجراء روبرت دي بوجراند ،تر، تمام حسان ،ص 104.102.
4 –ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد ، ص 78.
5 –نفسه.

اللغوية والنقدية كالترابط، التماسك، التعليق، النضام، والسبك..

وقد حاول "تمام حسان" في قراءته: (في ضوء الدراسات اللغوية والنقدية المعاصرة) التعرض إلى مفهوم هذه الكلمات والعبارات لصياغة ما فهمه في لغة محددة المصطلحات.واضحة المقاصد بتعريفه لمصطلح السبك "فالسبك أحكام علاقات الأجزاء ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة . وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى واستصحاب الرتب النحوية إلا حين تدعوه دواعي الاختيار الأسلوبي ورعاية الاختصاص والاختصار في تقريب الجمل".(1)

فالسبك هنا يعتمد على الوسائل الشكلية (معجمية ونحوية) وكذا الوسائل الدلالية (كقرينة الربط النحوي مثل علاقة الاسناد...) بهدف ترابط أجزاء النص /الكلام.

وبهذا يكون للسبك (النحوي / المعجمي) دورا فعالا في خلق النص، وهذا ما أشار إليه الباحثان هاليداي وحسن.

ونتيجة لما سبق يمكن القول بأن المصطلحات السابقة تؤكد على العلاقات الشكلية والدلالية التي تساهم في خلق النص في سياق ما، وتضمن له وحدته بثبات واستقرار عناصر بنيته الداخلية؛ أي نصيته.

وأما المصطلح الثاني "Coherence الذي استعمله الباحث دافيد كارتر David Carter مرادفا للمصطلح السابق Cohesion وهو يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين البيئة المحيطة من ناحية أخرى. (2)

فحسب هذا التعريف فإن المصطلح (Coherence) مرادفا للمصطلح Cohesion ذلك أنه يؤكد على نصية النص من خلال العلاقات الشكلية والدلالية بالإضافة إلى عنصر السياق إلا أن هناك ثمة رأي آخر يخالف السابق بإستعمال مصطلح Coherence بمفهوم شامل عن المفهوم السابق وهو المفهوم الوارد عند الباحث اللغوي مارتان Marten Rand

1 – البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل ع/ المجيد، ص 79/78.

2-Interpreting Anapbaras in Natural Language Texts - David Carter :, Ellis Horwood Limited, England, (1987), P: 32

فالانسجام عنده "يستخدم حالات ومقاصد ومعارف كونية ومدونات غير لغوية فهو من شأن البرغماتية الحقيقية التي يعتبرها مارتان مستقلة لا تدخل في اللسانيات إلا جزئيا". (1)

فالتعريف يشير إلى عناصر غير لغوية تحقق الانسجام وهي كما ذكرها الباحث بالترتيب: حالات / مقاصد /معارف كونية/ مدونات غير لغوية. وهي تمثل أيضا العناصر الأساسية للعمل الأدبي منها السياق الذي يشمل الذاتين المرسلة والمستقبلة والرسالة (كلام/نص) والذي قد عبر عنه الباحث بـ: حالات وأما المقاصد فتعني المغزى الذي ضمنه المنتج لنصه، والمستقبل للنص يتساءل عن المغزى من إنشاء النص وأما المعارف الكونية والمدونات غير لغوية فهي تشير إلى المعرفة الخلفية التي يمتلكها كل من المنتج والمستقبل، بهدف تحقيق مبدأ التناسب بينهما لأداء وظيفة التفاعل والتواصل فكما أن للمنتج خطة استراتيجية في إنشاء النص فإن للمستقبل أيضا خطة استراتيجية خاصة في الدخول إلى عالم النص لسبر أغواره واستنطاق دواله؛ أي أن المستقبل (القارئ) جوالة في عالم النص.

فهذه القضايا المطروحة في هذا السياق إنما هي من اهتمام البراجماتية كما ذكر الباحث (Pragmatique) وقد آثر بعض الباحثين اللغويين ترجمته إلى مصطلح علم المقاصد وهو يشير إلى أحد ثلاثة أقسام من السيميائية ويهتم بدراسة الوسائل اللغوية التي يستعملها المتكلم في عملية التواصل وعوامل المقام المؤثرة في اختياره أدوات معينة دون أخرى للتعبير عن قصده كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلم والمقاصد من الكلام ... الخ والذي دعانا إلى اختيار هذا المصطلح دون غيره هو أن مفهوم "pragmatics " يبنى أساسا على القصد والمقصدية (intentionality) في بعدهما الاجتماعي. (2)

ومن هنا تكون نظرة النصانيين للنص "بوصفه حدثا اتصاليا: communicative accurrence واعتبار محور اللسانيات النص هو كيف تؤدي النصوص وظيفة التفاعل

1 -الملفوظية جان سير فوني ، تر، قاسم المقداد، ص 111.
2 -ينظر: هامش 26 تحليل الخطاب ج.ب.براون وج يول تر محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، ص 32.

الإنساني (human interaction)".[1]

ومما سبق يتضح الفرق بين المصطلحين الغربيين (cohésion و cohrence) فالأول يعني (التماسك) و ينصب اهتمامه على عنصر من عناصر العمل الأدبي (الرسالة/النص لمعرفة بنيته الداخلية (النصية). وأما الثاني فيعني (الانسجام) فيهتم بعناصر المرسلة اللغوية (النص) مركزا اهتمامه بالمستقبل باعتباره يمثل مدارا لنظرية الاتصال.

والتفاتة إلى التراث النقدي العربي يلمس الوعي النظري لدى النقاد القدامى الذي يمثل هذه القضايا الحداثية. وخير دليل على ذلك كتاب "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن " لابن أبي الأصبع المصري الذي ناقش فيه فكره النظم والذوق تأثرا بالجرجاني. ففكرة النظم والذوق تعبر عن مفهوم الانسجام وعناصره وقد خصص ابن أبي الأصبع المصري في هذا الكتاب بابا عنوانه بـ: (باب الانسجام) فعرفة بقوله: "وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره".[2]

فهذا التعريف لا يكاد يختلف عن التعريف السابق (اللساني الحديث الغربي) إذ يمكن القول أن المنظور النقدي القديم كان سباقا لمعرفة الانسجام إلا أن الأهم في هذا السياق هو الإجماع على أن الانسجام لا تحققه العناصر اللغوية بل العناصر غير اللغوية.

وفي هذا التعريف نظرة بلاغية تبين الاستراتيجيات البلاغية والسياقات البلاغية وتأثيرات التلقي يمكن تصنيفها إلى مستويين: دلالي وتداولي.

ففي المستوى التداولي ينصب الاهتمام على المنتج وعملية الإنتاج لقوله: (يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم ... سلامة التأليف) وهذا يستلزم الاهتمام بطرف الآخر لا يقل أهمية عن الأول ألا وهو المتلقي السامع ولعملية التلقي (وقع في النفوس وتأثير في القلوب ما ليس لغيره) . والغاية من هذا كله خلق التفاعل والتواصل بين هذه

1 - introduction to text linguistices, Robert de Beaugrand & wolfgang dressler, p3.
نقلا عن البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية جميل ع/ المجيد ص 68.
2 -تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري ج2، ص 352.

العناصر الثلاثية:

[المنتج ⟵ النص ⟵ المتلقي] .

والنتيجة هي حصول اللذة والمتعة لدى المتلقي وأما في المستوى الدلالي فيمكن البحث عن توليد المعنى في النص، والبحث عن المعنى الكلي للنص.

- أهمية الانسجام

تكمن أهمية الانسجام في النظرة إلى النص نظرة تتسم بالشمولية، (الكلية) أي الاهتمام بعناصر الرسالة الأدبية (المرسل ⟵ النص ⟵ المتلقي) بحيث أصبح لمحلل النص غاية تتمثل في تلك "المهمة التي يطمح إلى تحقيقها أو إنجازها هي مناقشة النص في سياق الإبلاغ الأدبي (Poetic Communication) من حيث إنتاجه والاستقبال (Réception) والعوامل الأدبية الاجتماعية (Socio-Poetic) والنفسية (Psycko Poetic)التي تؤثر في النص أو الخطاب".(1)

ولذلك :" فإن الدراسات التي اهتمت بانسجام النص اعتادت أن تطرح جملة من الأسئلة التي يمكن أن تساعد في فهم النص ومن أهم هذه الأسئلة: التساؤل عمن فعل؟ وماذا فعل؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ ولماذا؟". (2)

وهذه التساؤلات مهمة جدا في إطار النظرية التواصلية La Ibeorie Enonciation والدراسات المهتمة بتحليل الخطاب Analyse Du Descours .

إذن فالانسجام ليس معطي في النص؛ بل ينتجه القارئ من خلال "صرف الاهتمام تجاه العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده بتجاوز رصد المحقق فعلا (أو غير المحقق) أي الاتساق إلى الكامن 'الانسجام). (3)

وينتج عن هذا الاهتمام خلق استمرارية للنص بانتقاله من الموجود بقوة إلى الموجود بالفعل، وكذلك كشف قيم النص الأدبية والجمالية من خلال خلق تجاوب بين النص والقارئ؛ ذلك أن الجمال ليس معطي في النص، بل يكشفه القارئ بالتأويل الذي

1 –علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات سعيد حسن بحيري ، ص 75.
2 –دينامية النص (تنظير وإنجاز):محمد مفتاح،المركز الثقافي العربي، ط2، 1990م،ص52.
3 – لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) محمد خطابي ، ص 6(المقدمة).

يحقق الانسجام الذي يمثل مبدأ الجمال، وكلما كان تأويل النص ممكنا كان منسجما، وكلما كان منسجما كان جميلا.

- **عناصر الانسجام النصي**

ركزت في هذا المبحث على ثلاثة عناصر تساهم في تحقيق الانسجام النصي وهي:

أولا: المنظور البلاغي

لما كانت البلاغة العربية من أهم العلوم الأدبية ومعناها عند أكثر النقاد، مطابقة الكلام لما يقتضيه حال الخطاب، وهذا يعني أن البلاغة تهتم بالتعبير والتواصل؛ أي أنها تعتمد على أساليب بليغة لشد انتباه المخاطب المتلقي والتأثير فيه، لاقناعه بالإضافة إلى تحقيق الجمال؛ أي الإمتاع.

ومن المؤكد أن البلاغة قد انصب اهتمامها على عناصر الرسالة الأدبية، أي التزامها مراعاة حال المخاطب (السامع)؛ مستقبل الخطاب، وهذا ما تثبته الدراسات الحديثة من خلال تركيزها في الدراسة على العلاقات الناتجة من التفاعل بين النص والمتلقي حيث كان "التركيز على مقصد أو هدف النص يطرح أسئلة مثل عم كان الحديث؟ ماذا كان محور الحديث؟ ماذا أراد؟ ماذا كانت فيه نية من قال ذلك؟...الخ غير ذلك من الأسئلة التي ترمي إلى الكشف عن جوانب تداولية، جوانب تتعلق بمنتج النص ومتلقيه والعلاقات بينهما وأشكال التواصل والتفاعل وسياقات الفعل اللغوي واختلاف المقامات ومستويات الاستخدام اللغوي وغيرها".[1]

إذن فهناك نقاط تقاطع بين البلاغة العربية والدراسات الحديثة في نظرتها للنص نظرة شمولية كلية من "خلال دائرة التواصل الاجتماعي مما أفضى إلى اتخاذ موقف تداولي على شرح عمليات الإنتاج والتلقي الجمالي للأدب في ما أطلق عليه تسمية (النماذج الثقافية)".[2] فهذا يؤكد على وجود علاقة بين البلاغة وعلم النص باعتبار أن

1 -علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، سعيد حسن بحيري، ص 127. 128.
2 -بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص70.

مجال البلاغة هو النص . وقد أشار إلى هذه الفكرة مؤسس علـــم النـــص فـــان ديـــك (V.dijck) بقوله "إن البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذ نحن أخذنا في الإعتبـــار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة . لكننا نؤثر مصطلح علم النص لأن كلمة البلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة كما كانت ترتبط بوظـائف الاتصال العام ووسائل الإقناع " [1] .

ولمحاولة تغير مسار الدراسات التاريخية لإشكالية الخطاب النصي فقد سنحت الفرصـــة لمعطيات اللسانيات الشعرية في تحديد المفاهيم البلاغية وإجراءاتها فكان أن حل مصطلح علم النص محل البلاغة .

وعليه فإن وجود النص سواء عند البلاغيين أو النصانيين فـــهو مرتبـــط بمـــدى تماسكه باعتبار أن التماسك سمة للنص . فهو ذو طبيعة شكلية ودلالية يقوم على التتـــابع الخطي للمتتاليات الجملية المترابطة . أما الانسجام فهو ذو طبيعة دلالية وتداوليـــة يقـــوم على الوحدات النصية باعتبار أن البنية الكبرى للنص هي تمثيل تجريدي للدلالة الشـــاملة للنص.

وبناء عليه ارتأيت أن يكون محور هذا المبحث مركزا على مظهر من المظــــاهر الخطابية ألا وهو:

I-الفصل والوصل (نظري)

وهو يمثل إحدى تجليات تماسك الخطاب وانسجامه. ويمكن التعرض لهذه القضيـــة بمعرفة مفهومها ومبادئها الأساسية التي تقوم عليها، ثم التركيز على دورها فـــي تحقيـــق الانسجام وذلك من خلال التطبيق (التحليل النصي للرسائل).

- مفهوم الفصل والوصل

لقد ارتبطت قضية الفصل والوصل بتعريف البلاغة كما أشـــار إليـــهما الجـــاحظ (ت255) في كتابه البيان والتبين بقوله في تعريف البلاغة "معرفة الفصل من الوصل".[2]

وقد أصبح هذا الكتاب منطلقا للدراسات التالية له لاســـيما الجرجـــاني والســـكاكي

1 -بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص252. 253.
2 -البيان والتبين: عمر بن بحر الجاحظ، تح، حسن السندوبي دار الفكر بيروت، ج1، ص 111.

باعتبارهما يمثلان قطبا البلاغة ويعود اهتمامهما بالفصل والوصل إلى إدراكهما مدى ارتباط قضية المعنى بهما؛ أي أن دراسة المعاني الوظيفية في صميمها مرتبط بالنظر إلى التراكيب والأساليب أين يمارس المنتج خططه الاستراتيجية قصد إثارة المتلقي.

وقبل التعرض إلى مفهوم الفصل والوصل تجدر الإشارة إلى تفسير البدء بذكر الفصل وذلك لأن "الفصل هو الأصل والوصل عارض بزيادة حرف من حروف العطف".[1]

وقد ارتبطت قضية الفصل والوصل عند الجرجاني والسكاكي في اتصافها بالدقة والغموض وفي هذا الشأن يقول الجرجاني (ت471هـ) "وأعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول إنه فيه خفي غامض ودقيق صعب إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب".[2]

وقد أكد كل منهما على تعريف الفصل والوصل بمعرفة مواطن ترك الواو (الفصل) وذكرها (الوصل)؛ أي "ما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف قبل المجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى من أسرار البلاغة".[3]

والسكاكي (ت.625هـ) يؤكد هذا المفهوم بقوله : "وأعلم أن تميز موضع العطف من غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ومتروكا العطف بينها تارة أخرى هو الأصل في هذا الفن".[4]

ومن خلال التعريفين تبرز غاية الجرجاني والسكاكي في معالجتهما لقضية الفصل والوصل التي تشير إلى الجمع بين معاني النحو والتركيب لأحداث الانسجام باعتباره أن قضية الفصل والوصل ظاهرة نصية؛ أي أن مجالها النص، وتختص ببحث العلاقات بين الجمل داخل النص لتحقيق تماسك أجزاء النص وانسجامه.

---

1 -ينظر : هامش 98/ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح/ع/المنعم خفاجي، دار الجليل بيروت ، مكتبة القاهرة ،ط3 مج1، ج3، 1980م، ص187 .
2 -دلائل الإعجاز عبد القادر الجرجاني، تح : عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، 1980م، ص 187.
3 -نفسه ص 171.
4 -مفتاح العلوم السكاكي ، ص 119.

وتوضيحا أكثر، يستلزم التعرف إلى جهودهما في الفصل والوصل التي اتصفت بالبحث المنظم الدقيق الذي يقوم على التصنيف والتحديد والتعليل وصولا إلى تصنيف ثلاثي للجمل بحيث يلاحظ في كل تصنيف سمات منطلق كل واحد منهما.

- مبادئهما (العامة والخاصة)

انطلق الجرجاني في تصنيفه للجمل من مبدأين أساسين هما: النحوي والمعنوي ففي المبدأ النحوي اعتمد فيه قيود ضبط العطف كترك الواو بين الجمل الواقعة موقع التوابع، وكذا الجمل التي لا محل لها من الإعراب وذكر الواو كان في الجمل التي لها محل من الإعراب (الواقعة موقع المفرد). وأما المبدأ المعنوي فيتمثل في تخريج الطف الحاصل بين جملتين لا مح ل للمعطوف عليها من الإعراب.

ومما سبق يمكن الوصول إلى التصنيف الثلاثي للجمل الذي أجمل فيه الجرجاني مواضع الفصل والوصل بقوله: " أن الجمل على ثلاثة أضرب:

1- جملة حال مع التي قبلها حال الصفة والتأكيد مع المؤكد لا يكون العطف ألبته لشبه العطف فيها لو عطفت بعطف الشيء على نفسه.

2- وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه في حكم ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلا أو مفعولا أو مضافا إليه فيكون حقها العطف.

3- وجملة ليست في شيء من الحالين بل سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء فلا يكون منه في شيء فلا يكون إياه ولا مشاركا له في معنى بل هو شيء إن ذكر لم يذكر إلا بأمر ينفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا وحق هذا ترك العطف ألبتة فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية وأو الانفصال إلى الغاية والعطف لما هو واسطة بين المرين وكان له حال بين حالين.[1]

وأما السكاكي فقط انطلق في تصنيفه لحال الجمل من مسلمة معبرا عنه بقوله "مركوز في ذهنك لا تجد رده مقالا ولا لارتكاب جحده مجالا".[2]

1 -الدلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص 159.
2 -مفتاح العلوم، السكاكي، ص 119.

ومن هذه المسلمة توصل السكاكي إلى تصنيف العلاقة بين الجمل إلى ثلاثة أضرب قائلا" :

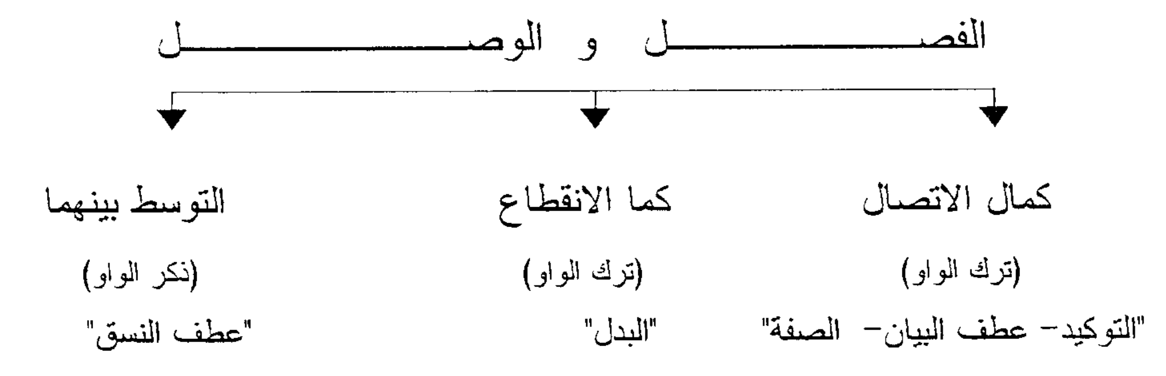
1- إما أن يكون بين مفهومين جملتين اتحاد بحكم التآخي وارتباط لأحدهما بالآخر مستحكم الأواخي.

2- إما أن يباين أحدهما الآخر مباينة الجانب لانقطاع الوشائح بينهما من كل جانب.

3- وإما أن يكون بين بين لأصرة رحم ما هنالك فيتوسط حالهما بين الأولى والثانية لذلك".[1]

وتوضيحا لما سبق أشير إلى قوله -السكاكي - " وهو أن الجملة متى نزلت في كلام المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف عليها كما إذا أريد بها **القطع** عما قبلها أو أريد بها **البدل** عن سابقة عليها لم تكن موضعا لدخول الواو وكذا متى نزلت من الأولى منزلة نفسها **لكمال اتصالها** بها مثل مادة كانت **موضحة** لها **ومبينة** أو **مؤكدة** لها ومقررة لم تكن موضعا لدخول الواو. وكذا متى لم يكن بينها وبين الأولى جهة جامعة **لكمال انقطاعها** عنها لم يكن أيضا موضعا لدخول الواو، وإنما يكون موضعا لدخوله (الواو) إذا توسطت بين كمال الاتصال وبين كمال الانقطاع".[2]

إذن تلك هي مواضع الفصل والوصل عند كل من الجرجاني والسكاكي، و لكل موضع حالة يقتضيها ستتضح في الجانب التطبيقي (تحليل الرسائل) .و يمكن التمثيل لها بهذا الشكل:



فالفصل والوصل يعتمد على فهم العلاقات النحوية ووظائفها في الخطاب وهو من أسرار البلاغة .وكما انه يساهم في خلق النص (المنتج)؛ أي تجليه اللساني الذي يمثل

1 -مفتاح العلوم : السكاكي، ص119.
2 -نفسه ص 121.

سلسلة من الحيل التعبيرية (الإقناع) . ومن جهة فإنها تدعو المتلقي إلى تفعيلها (الوقع في النفس والتأثير في القلب)؛ اللذة المتعة / بالتفاعل معها، والوعي بما وراء النص؛ كونه يمثل نسيج ما لا يقال.

وبهذا يمكن اعتبار الفصل والوصل مظهرا من مظاهر "إحدى التجليات السطحية و العميقة لانسجام الخطاب واتساقه".[1]

II- الفصل والوصل (التحليل النصي للرسائل)

-مواضع الفصل والوصل في الرسالة "و"

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

الفاتحة عبارة عن نص قرآني -آية 45 سورة إبراهيم - وهي سورة مكية تعالج موضوع العقيدة وكما هو معروف أن السور المكية تركز على "حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية وحقيقة العلاقات بينهما وتعرف الناس بربهم الحق الذي ينبغي أن يدينوا له ويعبدوه ويتبعوا أمره وشرعه وتنحية كل ما هو دخل على العقيدة الفطرية الصحيحة من غبش ودخل انحراف والتواء ورد الناس إلى إلاههم الحق الذي يستحق الدينونة بربوبيته".[2]

ومرسل النص (الآية) هو الله تعالى ومتلقيه الأول النبي ***صلى الله عليه وسلم*** - وهو مكلف بتبليغ هذه الرسالة إلى كافة الناس (الإسلام خاتم الأديان) لإقامة الناس على عقيدة واحدة هي العقيدة الإسلامية ويمتاز النص القرآني بالإعجاز في كل جوانبه مما جعل التجاوب بين الرسل والمتلقي يحقق علاقة ذات بنى مزودجة؛ أي أن المتلقي الأول لهذه الرسالة يتحول إلى مرسل باعتباره مكلف بتبليغها إلى المتلقي وهو يمثل كافة الناس قصد تصحيح العقيدة وإرجاع الأمر كله إلى الله ويظهر التجاوب في مظهر اعتناق هذه العقيدة إيمانا وتصديقا بالله تعالى ويظهر هذا من خلال تلك الأساليب والتراكيب التي تعالج موضوع العقيدة الإسلامية موضوع الألوهية والعبودية ويعالج من خلالها التعريف بالله تعالى كما يبدو من خلال هذا النص الذي يتكون من ثلاث جمل فعلية هي كالتالي:

1 -لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص؛ محمد خطابي، ص 100 .
2 -في ظلال القرآن السيد قطب ج3، ص 1745.

1- وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم.

2-وتبن لكم كيف فعلنا بهم.

3-وضربنا لكم المثال.

الملاحظ على جمل هذا النص أنها تقوم على قانون الوصل؛ يتضمنها الواو الذي يؤدي وظيفة العطف "والعطف لما هو وجود واسطة بين الأمرين وكان له حال بين حالين".[1] فلما كان المعنى في هذه الجمل قائما على استئناف الإثبات احتاج إلى ما يربط بين هذه الجمل الثالثة بالثانية والثانية بالأولى جيء بالواو. وتظهر فائدة الوصل هنا في تقوية المعنى باستتباع الجمل كالتالي: سكن (...) وتبين (...) وقرب (...) في تتابع خطي بحاجة إلى استئناف الكلام؛ أي الكلام على الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية واستحضارهم الاعتبار والإيمان بالله تعالى.

بشكل ملخص العلاقة التي تجمع الأفعال المتعاطفة علاقة سببية تبرر الجمع بينها بالواو . ويتمثل في الجامع العقلي وهو "تضايف كالذي بين العلة والمعلول والسبب والمسبب".[2]

فالفعلان (سكن/تبين) تجمع بينهما علاقة سببية؛ أي اجتماع السبب (سكن) والمسبب (تبين) في ذات واحدة بحيث سيفيد فعلين لا يقعان في زمن واحد وإنما يتلو أحدهما الآخر ومن ثم فإن اجتماع السبب والمسبب في المتحدث عنه هو الهدف الأول الذي يقصد التعبير إيصاله إلى المتلقي وهو الاعتبار بالأمم السالفة (سكنتم ...) و(تبين ...) : الكفر والمعصية أدى إلى الخسف والفناء.

وأما العلاقة الناظمة للعطف بين الفعلين: تبين /ضرب هي شبه تضاد لاختلاف المخبر عنه؛ لأن تبين مسند إلى الأمم السالفة وأما ضرب فهو مسند إلى الله تعالى فيتجلى شبه تضاد في وجود الاعتبار الذي يستتبعه الإيمان والتصديق (تبين). وأما فعل (ضرب) فهو يعني وجود القدرة الإلهية على "أنه قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المعجل".[3]

1 - دلائل الاعجاز، الجرجاني، ص 151.

2 - مفتاح العلوم، السكاكي، ص 122.

3 -التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، مج 10، ص 147.

إذن فالجامع بين الفعلين (تبين) و(ضرب) جامع وهمي بين ثنائية شبه ضدية: الله/الإنسان والجمع هنا مبرر بشبه تضاد لأن "الوهم ينزل المتضادين والشبيهين بهما بمنزلة المتضايفين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن".[1]

ومنه تكون العلاقة بين ثنائية : الله /الإنسان كما تتجلى في البنية السطحية وكما تتجلى في البنية العميقة الإقرار بالألوهية لله تعالى وإثبات العبودية له.

والعلاقة التي تجمع بين هذه الأفعال: سكن – تبين –ضرب القصد منها ضمان التواصل مع المتلقي وهذا المتلقي عام. ويشير التواصل إلى تلك العلاقة المقصودة بين الألوهية والعبودية كما سبق.

- مواضع الفصل والوصل في المتن

ينتقل المتكلم من الفاتحة (الآية) إلى المتن بتغيير الشفرة باستعماله الملفوظ (يا هذا!) ويعني "التغيير في الشفرة تغيرا في الموقف".[2] ها هنا التغيير يشير إلى إثبات موقف وذلك من خلال تكرار الملفوظ "يا هذا!" في بدايات مقاطع المتن؛ وهي إشارة إلى أن "التكرير أسلوب تعبيري يصور انفعال النفس بمثير من أشباه ما سلف واللفظ المكرر فيه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان. فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتماما عنده، وهو يجب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو من هم في حكم المخاطبين ممن يصل إليهم القول على بعد الزمان والديار".[3] ويهدف المتكلم /الكاتب من هذا التكرار إثبات موقفه المتمثل في النصح والوعظ والإرشاد للمخاطب امتثالا لطاعة أمر الله ونهيه. ويتجسد هذا الهدف في تراكيب لغوية تقوم على الفصل والوصل القائمين بنضم بعضها إلى بعض لنقدم للقارئ معنى أولي يفض به إلى معنى ثان بمعرفة تلك العلاقات الثاوية وراء النص.

يتم التماسك بين الفاتحة والمتن على الفصل لاختلافهما؛ الفاتحة خبرية والمتن طلبي ويسمى السكاكي هذه الحالة بكمال الانقطاع بين الجملتين وهي "أن تختلفا خبرا

---

1 – مفتاح العلوم، السكاكي، ص 122.
2 –بلاغة الخطاب وعلم النص: صلاح فضل، ص 102.
3 –التكرير بين المثير والتأثير؛ عز الدين علي السيد عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1986م، ص136.

وطلبا".(1) ويحقق هذا الاختلاف انكسار بنيته الخطاب وكما أن الفصل والوصل في هـــذه الرسالة تحقق استمرارية التواصل ذلك أ؟ن الفاتحة في الرسالة تقوم مقام الحجة والدليـــل لما يتلوها من أجزاء النص (المتن ←── الخاتمة)؛ لأن الرسالة نص صوفي يقوم علــــى المحاججة والنصوص الحجاجية "هي النصوص المستعملة للمساعدة على قبول أو تقويـــم معتقدات أو أفكار معينة كأفكار صادقة VS كاذبة أو موجبة VS سالبة ينبغـــي أن تطـــرد علاقات مفهومية مثل العلة الدلالية لاختيار القيمة التعارض. وينبغي أن تركز النصـــوص على الوسائل السياقية من أجل الإلحاح والتشديد مثل التكرير التوازي والتبيين ... النموذج المعرفي المطبق هو التصميم من أجل الإقناع".(2)

ويلمس القارئ في هذه الرسالة (و) تناصا مع سورة ابراهيم؛ ذلك أن المتكلم يرمي إلى معالجة موضوع العقيدة الإسلامية وهو المحور الأساسي الذي تدور حولـــه الرســـالة (و). وقد اتخذ في المتن شكلا آخر يتمثل في النواهي والأوامر ترغيبا وترهيبـــا فـــي الله تعالى وإن لهذه الاستمرارية، استمرارية وحدة الموضوع باختلاف صور التعبـــير عنـــها حيث تشير إلى استمرارية التواصل بين أجزاء النص.

وأما النقطة الأخرى التي تلفت انتباه القارئ ذلك التداخل بين الفواعل من خـــلال استقراء للنص لأن هناك قرائن مرجعية تحيل إلى هذه الفواعل فالضمير أنا الفاتحة يحيـــل على فاعل اللفظ وهو الله تعالى و إلى فاعل التلفظ وهو الرسول صلى الله عليه وسلم وأما في هذا السياق فإن فاعل التلفظ هو المتكلم الذي يرغب في تقفي أثـــر الســـلف الصـــالح (الأنبياء والرسل) في تبليغ العقيدة وقد جسد المتكلم هذه الرغبة في تراكيب لغوية تكـــون نسيجا لغويا وفق قانون الفصل والوصل، معتمدا المتكلـــم /الكـــاتب فـــي هـــذا الســـياق استراتيجية خاصة تتمثل في تقسيم المتن إلى سبعة مقاطع يتصدر كل مقطع الملفوظ (يـــا هذا !) ويشير هذا التكرار اللفظي إلى تأكيد موقف المتكلـــم (المرشـــد والواعـــظ) تجـــاه

1-مفتاح العلوم، السكاكي، ص:121

2 - introduction to text lingnstics Robert de beaugrand and wolfgang dresseler, p: 184

نقلا عن لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص،محمد خطابي،ص:314/313.

المخاطب. والتماسك بين هذه المقاطع يحققه قانون الفصل الذي يقتضي حالة كما يسميها السكاكي : حالة كمال الاتصال التي تستغني عن الرابط " إذا كانت مؤكدة لها ومقررة".[1]

فهذا يشير إلى العلاقة الوصفية بين المؤكد والتأكيد الذي يمثله الملفوظ "يا هذا!" وهو يهدف إلى تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص.

وتشير العلاقة الوصفية بين المؤكد والتأكيد (كمال الاتصال) إلى رغبة المتكلم في خلق الاتصال بينه وبين القارئ.

وأما المقاطع النصية للمتن التي تمثل نصوصا فرعية بالنسبة للمتن فهي تختلف خبرا وطلبا، وهي تقوم على قانون الوصل الذي يجسده ذلك التتابع الخطي للجمل الذي يشير إلى استئناف الكلام (النصح والوعظ والإرشاد) كما يبدو من هذه النماذج المنتقاة.

-المقطع الأول

"أما تسمع هذا الخطاب بحضور بال ويقظة فؤاد وفكر ظاهر واعتبار حاضر".[2]

تقدم الجمل الواردة هنا مثالا بارزا مما يسميه السكاكي حالة التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع وهي "تمثل موضعا لدخول الواو".[3] فبالنظر إلى هذه الجمل: يقضة فؤاد / فكر ظاهر اعتبار حاضر/ التي تمثل المعطوفات على الجملة (بحضور بال) نجدها تعبر عن حالة يجب أن يكون عليها المخاطب في سماعه للخطاب القرآني. أي أن هذه الجمل تعبر عن حقيقة واحدة؛ لكن كيفية التعبير عنها مختلفة. ولا شك أن فائدة تقليب المعنى الواحد في صور متعددة هي للتأكيد ووظيفة الواو في هذه الجمل تشتمل على وظيفة العطف والحالية؛ فهي واو عاطفة وحالية ؛ لأن المعطوفات في محل حال وورود جملة الحال هنا بالواو نظرا لما كان المعنى على استئناف الإثبات احتاج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى والثالثة بالثانية إثباتا لحالة السماع التي يتبعها الاعتبار. وهذا ما أشار إليه الجرجاني بقوله: "فوجود الواو في جملة الحال يشير إلى أن جملة الحال جملة مستأنفة ومبتدأ بها وتفيد معنى جديدا ولهذا لزم الربط بينهما فكانت الواو".[4]

---

1 – مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 121.
2 –المصدر، ص: 79.
3 –مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 121.
4 –دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 131.

-المقطع الثاني

"لو علمت ما قد نزل بك وما صب على هامتك وما أحاط بك من شؤنك لملأت الدنيا صراخا على نفسك وسألت النواحين أن يساعدوك بالبكاء على ما فاتك".(1)

يتكون هذا المقطع من الشرط. والجملة الشرطية تتكون من طرفين: جملة الشرط التي تتكون من ثلاث جمل معطوفة وجملة الجواب تتكون من جملتين معطوفين وهذه الجمل المعطوفة تقوم على مبدأ الاشتراك الذي عبر عنه الجرجاني "لا يتصور الإشراك بين شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه".(2) فالجملتان المعطوفتان (ما صب...) و(وما أحاط...) واقعة مفعولا به لفعل علم فالواو هنا عاطفة أفادت الاشتراك في الحكم والمعنى بين الجملتين وأما الواو التي تربط بين جملتين الواقعة جوابا للشرط فهي عاطفة تفيد الاشتراك في الحكم والمعنى والربط بين الشرط وجوابه يبرره قوله -الجرجاني- "ينبغي أن يجعل ما يصنع في الشرط والجزاء من هذا المعنى أصلا يعتبر به".(3)

وبهذا يكون مجموع ما حصل من الجملتين (ما ح...وما أما....) الذي يتعلق بمجموع الجملتين (ملأت ...وسألت...) جوابا للشرط. وهذا النوع من العطف يظهر الطبيعة المركبة لعطف المجموع على المجموع واحتياج هذا إلى ذلك ليتم الكلام ويستقيم المعنى.

-المقطع الثالث

"قد كان القوم أناخوا عندك وسألوك الرحيل معهم وبذلوا لك جهدهم وقدموا لك راحلتهم..".(4)

فالعلاقة الجامعة بين هذه الجمل المعطوفة تتمثل في الجامع الذي يبرر الوصل بينها التماثل المتدرج في الجامع العقلي الذي يكمن في علاقة دلالية تتمثل في الرحيل

1 -المصدر، ص 80.
2 - ص 172.
3 -دلائل الاعجاز الجرجاني ص 190.
4 - المصدر، ص 81.

والجهد والراحلة. فالرحيل يحمل دلالة عامة، وأما الجهد والراحلة فهما يمثلان جزءا من الرحيل لأن لعلاقة الدلالية المنطقية بينهما في علاقة الجزء بالكل. وأما العلاقة الدلالية بين الأفعال (سأل/ بذل /قدم) فهي تتمثل في علاقة العام بالخاص.

- **المقطع الرابع**

"الحق أحق أن يتبع خير الأدوية ما نجع خير الكلام ما نفع خير الإخوان من ردع".[1]

الملاحظ على هذه الجمل أنها استعاضت رابط الواو بتكرار لفظ خير في بدايات الجمل، وهو في كل مرة يحيل إلى الطرف الآخر من أطراف التكرار. مما جعله عاملا لغويا يجسد الاستمرارية؛ استمرارية المتحدث عنه (الحق أحق)؛ تأكيد حقيقة النصح والوعظ والإرشاد التي تبررها علاقة المؤكد بالتأكيد (التأكيد والإقرار) عن طريق حالة كمال الاتصال والعرض من هذا تأكيد وإقرار أفضلية الإخوان في الاتباع لأنهم نلصحون وواعظون..

- **المقطع الخامس**

"كيف أصف لك احتراقك في حالك وتقلبك في صروف زمانك وخمولك في خلطائك".[2] تقوم الواو في هذا المقطع بوظيفة العطف بين الجمل، حيث تفيد معنى الاشتراك في الحكم والمعنى بين الجهل(احتراقك ...وتقلبك ... وخمولك ...) فهي في محل حال والجمل الحالية المصحوبة بالواو الغرض منها كما نبه إليه الجرجاني "وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لأنك مستأنف بها خبرا وغير قاصد إلى أن تضمها إلى الفعل الأول في الإثبات".[3] فالمعنى في الجمل الحالية -السابقة- كان على استئناف الإثبات؛ إثبات استحالة الوصف بسبب الاحتراق والتقلب والخمول.

- **المقطع السادس**

"لو ذقت حلاوة عيشك مع ربك لعلمت أن كل ماعداها باطل ولو أشرفت على النعيم

1 -المصدر، ص: 82/81.
2 -نفسه ص: 82.
3 -دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص: 131.

الذي أعده لخدمة لأيقنت أن كل شيء بعده زائل ولو علمنا إلى من ننتسب لذهب الفخر بنا كل مذهب ".[1] فطبيعة العطف بين الجمل في هذا يا من المقطع تقوم على علاقة تبرر الجمع بينها تتمثل في الجامع الوهمي وذلك "لوجود بين تصوراتهما شبه تماثل".[2]

فالعلاقة الوهمية تبرر الجمع بين الجملتين في ورود فعل (ذاق) في الأولى (شيء معنوي) وفعل (أشرف) في الثانية (شيء معنوي) فالعلاقة بينهما من حيث الوهم في التماثل بين معاني الذوق والشرف . ومن جهة فإنها يجمعها جامع العقل من حيث اتحادهما في المخبر عنه (المسند إليه) أي هناك "اتحاد بين عنصرين أو أكثر، اتحاد في تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه".[3] وأما الجامع بين الجمل الثلاثة فهو جامع وهمي باعتبار علاقة التضاد بين المخبر عنه.ففي الجملتين الأولى والثانية اتحاد في المسند إليه (المخاطب) والجملة الثالثة مسندة إلى المتكلم /الكاتب ومن جهة أخرى لوجود علاقة شبه تماثل بين الأفعال (الذوق /الشرف /العلم).

- **المقطع السابع**

"ارفق بعباد الله إذا دعوتهم إليه وشوقهم بالآية التي تتابعت على كل بعيد عنه وقريب منه".[4] فالعلاقة بين الجملتين من زاوية الجامع أبرز إذ هناك جامعان اثنان: عقلي وخيالي يتجلى الجامع العقلي في الاتحاد في المخبر عنه (المسند إليه) المخاطب. وأما الجامع الخيالي فبوجود الفعل (ارفق) في الأولى والفعل (شوق) في الثانية وورودهما في جملتين متجاورتين تتقوى العلاقة؛ لأن "جميع ما يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه".[5]

ومما سبق يلاحظ أن العلاقات بين الجمل المتعاطفة تقوم على الوصل وذلك بالمزاوجة بين العطف ومعنى الجمع يؤكد رغبة المتكلم في التأثير على المخاطب السامع للتواصل، وهذا يعني أن الخطاب الصوفي خطاب منسجم.

---

1 -المصدر، ص:82.
2 -ينظر :مفتاح العلوم، السكاكي، ص: 122.
3 -مفتاح العلوم، السكاكي ،ص122.
4 -المصدر ، ص: 84.
5 -نفسه، ص: 122.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة.

يتم الترابط بين المتن والخاتمة وفق الفصل لتماثل الفعلين الكلاميين المقصود بهما الملفوظين يا هذا ! / اللهم، وانكسار بنية الخطاب . فالخاتمة عبارة عن خطاب دعائي يتكون من فقرتين بالنظر إلى معناهما وجب الوصل بينهما فالفقرة الأولى تتكون من سبعة جمل فعلية مركبة؛ أي أن كل جملة مركبة من عنصرين والعلاقة في هذه تقوم على جامعين اثنين : وهمي وعقلي. يتجلى الوهمي من خلال علاقتين:

1- شبه تضاد باعتبار إن البنية للخطاب الدعائي بعامة تنهض على ثنائية شبه ضدية التي تتمثل في ثنائية : الله /الإنسان؛ لأن الخطاب صادر من الإنسان إلى الله . وهذا ما يؤكده لفظ (اللهم) وهو إثبات للعبودية.

2- وأما التضاد فيظهر جليا من خلال الجملة الفعلية المركبة من عنصرين (فعلين) ويتسم هذا الصنف من الجامع بالعمومية.؛ لأنه يشتمل على عناصر متضادة أو شبه متضادة باعتبار "أن الوهم ينزل المتضايفين والشبيهين منزلة المتضايفين فيجتهد في الجمع بينهما في الذهن ولذلك نجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد".[1]

والوصل بين الثنائيات الضدية (الأفعال) الواردة في جمل الفقرة الأولى كالتالي:

"أبلينا / جددنا، سافرنا /حضرنا، قلنا / سكتنا، سلمنا / تعرضنا، صبرنا / جزعنا، جرنا/عدنا، أصبنا / أخطأنا، بالغنا / قصرنا".[2]

فهذه الأفعال تعبر عن حقيقة واحدة هي العبادة بصور مختلفة ولا شك أن فائدة تقليب المعنى الواحد في عدة صور هي للتأكيد ويتمثل في تأكيد وجوب العبادة وتعدد مظاهرها، منها الدعاء الذي يمثل مقام العبودية.

وأما الجامع العقلي فبوجود الواو بين جمل الفقرة الأولى الذي يشير إلى الاتحاد في المخبر عنه (إنا /نا) وتغير العاطف من الواو إلى الفاء التي تفيد الترتيب مع السببية للإشعار بأن العبادة تتقدم الاستعانة؛ لأن العبادة (الدعاء) تستلزم معرفة الله ومن ثم الاستعانة به وكل من العبادة والاستعانة يتوجه بها العبد إلى الله تعالى.

1 - مفتاح العلوم، السكاكي، ص:121.
2 -المصدر، ص:84.

والفقرة الثانية تتضمن معنى الاستعانة من خلال فعل سأل وهو متعلق بجمل معطوفة هي "بإلاهيتك المشتملة على عبوديتنا وبقدرتك المستوفية لعجزنا وبحكمتك المحيرة لعقولنا وبرحمتك المتلاقية لك خلل منا". [1]

فالواو هنا عاطفة، والمعطوفات في محل مفعول به ثاني للفعل سأل وهي تعبر كما سبق عن حقيقة واحدة هي الاستعانة؛ لكن التعبير عنها كان بصور مختلفة (الإلهية، القدرة، الحكمة، الرحمة).

وبهذا تكون العبادة باختلاف مظاهرها والاستعانة باختلاف مظاهرها إثباتا للعبودية والتي يعد فيها الدعاء أهم مقاماتها.

تختم المتكلم / الكاتب بجملة النداء: "يا ذا الجلال والإكرام". [2]

وهذه الجملة تمثل حالة كمال الانقطاع التي توجب الفصل لاختلافها عن سابقتها؛ أي أنه لا يجوز عطف الطلب على الخبر أو العكس وهذا من خلال القرينة النحوية واما القرينة المعنوية فهي تشير إلى أن العبودية خاصة بالإنسان والألوهية خاصة بالله تعالى وحد ه لا شريك له . والعلاقة بينهما تشير إلى العلاقة بين الله وعبده، وهي تتمثل في الخضوع والتسليم والافتقار. وهذا ما يؤكده تكرار الطلب في الدعاء ثلاث مرات في بدايته (اللهم) وسطه (فعل سأل) وختامه (يا ذا الجلال والإكرام) وهذا التكرار يشير إلى الإلحاح وهو سمة خاصة للدعاء؛ لأن الغاية من الدعاء الاستجابة.

وهكذا تكون مساهمة الفصل والوصل في إنتاج معان ثانية لا تدرك إلا بتفعيل القراءة التي بها يكتمل المعنى وتجلب اللذة / المتعة لدى القارئ.

الرسالة : "يا"

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة .

في هذه الرسالة يكون مدار الكلام في الفاتحة على الملفوظ "سألتني" ذا وظيفة مرجعية، بحيث يستخدم المتلقي هذه الآثار النحوية باعتبارها قرائن مرجعية قد تشير إلى الفاعل الحقيقي الذي أدى فعل التلفظ للفظ قيد المعالجة.

---

1 -المصدر، ص84.

2 - نفسه.

وبالنظر بإمعان إلى هذا الملفوظ (سألتني) وما يتلوه من ملفوظات: "رفق الله بك وعطف على قلبك- أن أذكر لك الغريب ومحنه وأصف لك الغربة وعجائبها وأمر في أضعاف ذلك بأسرار لطيفة ومعان شريفة إما معرضا وإما مصرحا وإما مبعدا وإما مقربا".[1]

تعتبر هذه الملفوظات (الجمل) نقطة ارتكاز للفاتحة التي ستوجه النص توجيها آخر يضفي عليه (النص) أمرا آخر يتعلق بترتيب. ويكمن خلف هذا الترتيب مقصد المتكلم فالجملة الأولى(سألتني) يحاول بها المتكلم التأثير على المتلقي حتى يستقبل بقية أفعال الجملتين.

الملاحظ على هذه الجمل أنها ترد مفصولة عن بعضها البعض وذلك لوقوعها في حالة تقتضي الانقطاع ذلك ان الجملتين " أن اختلفنا خبرا وطلبا وكان المقام مشتملا على ما يزيل الاختلاف من تضمن الخبر معنى الطلب أو الطلب معنى الخبر ".[2]

والجملتان المختلفتان خبرا وطلبا ينبغي أن تفصلا عن بعضهما لامتناع عطف الطلب على الخبر . وكما يبدو ومن خلال الجملتين (الأولى والثانية)

1- سألتني : طلبية لفظا (سال) وخبرية معنا.

2- رفق الله بك وعطف على قلبك خبرية لفظا (رفق /عطف) وطلبية معنى (دعاء).

ونظرا لاختلاف الفعلين الكلاميين وجب الفصل بينهما وترد الجملة الثالثة (أن أذكر ...وأصف ... وأمر ...) مفصولة عن سابقتها أيضا لاختلافهما طلبا وخبرا.

وهي مرتبطة بالجملة الأولى (سألتني) لوجود علاقة بينهما تتمثل في علاقة الأبدال وهي أن يكون الكلام السابق غير وافي بتمام المراد أو إراده كغير لوافي في المقام والمقام مقام اعتناء بشأنه أم ا لكونه مطلوبا لنفسه (...) فيعيده المتكلم بنظم أو في منه على نية استئناف القصد إلى المراد يظهر مجموع القصدين إليه في الأول والثاني وأعني المبدل منه والبدل مزيد من الاعتناء بالشأن".[3]

---

1 -المصدر ،ص112.

2 - مفتاح العلوم، السكاكي، ص123.

3 - نفسه،ص:124.

فالمتكلم ينزل الجملة الأولى (سألتني) منزلة المبدل منه وهي تتضمن لفظ السؤال مجملا وأتى بالجملة الثالثة (التفسيرية) لتقوم بتفسير مضمون السؤال وتفصيله؛ أي بإيراد مضمونه المتمثل في هذه الأفعال المعطوفة (أن أذكر وأصف وأمر) حتى يعلمه السامع /المتلقي وهي البدل.

ولما كان البدل من التوابع وأن التابع والمتبوع ككلمة واحدة يصير السائل والمسؤول شخصا واحدا، ذلك أن السائل هو المنجز للسؤال لفظا والمسؤول هو المنجز للسؤال تلفظا، فهما وجهان لعملة واحدة فالمتكلم /الكاتب هنا سائلا ومسؤولا.

ينتقل المتكلم من حالة الفصل إلى حالة العطف لاشعار السامع بتغيير الموقف، فهو ينتقل من السؤال إلى الجواب الذي مهد له بجملتين معطوفتين بعاطفين : الفاء وثم: "فكنت على أن أجيبك إلى ذلك ثم إني وجدت في حالي شاغلا عنك وحائلا دونك ومفرقا بيني وبينك".[1]

فالجملتان تتضمنان معنى تأجيل الجواب الذي مهد له المتكلم في بداية النص (الجملة الثانية) وكما يؤكد هذا أيضا التركيب اللغوي (حائلا ... وشاغلا ... ومفرقا ...) الذي يعطي صورة من حال المتكلم، ويستأنف المتكلم الحديث بتقديم مبررات تأجيل الجواب من خلال هذه الجمل الطلبية (الاستفهام) المتتالية والمعطوفة على سابقتها (الخبرية): "وكيف أخفض الكلام الآن وأرفع وما الذي أقول وأصنع وبماذا أصبر وعلى ماذا أجزع ..".[2]

فالجمع بين الجملتين : الخبرية (ثم وجدت ..) والطلبية (وكيف.. وما.. وبماذا.. وعلى ماذا ..) يشير إلى وجود مبرر وهو يتمثل في تضمن الجملة الطلبية معنى الخبر الذي يتمثل في تأكيد مبرر المتكلم في تأجيل الجواب وذلك لاقناع السامع / المتلقي بدقة وعمق الجواب، ثم يلقي إليه بالجواب من خلال فعل (قال) الذي تكرر مرتين في صيغتين مختلفتين (الحاضر / الماضي) للتأثير على السامع / المتلقي حتى يجعله يتقبل بقية الكلام استعداد بخلق الألفة مع العالم الذي ينقل إليه، ألا وهو عالم الغريب والغربة كما عبر

1 -المصدر، ص: 112.
2 -نفسه، ص: 112-113.

عنه المتكلم بفعل (قال) "أقول:

إِنَّ الْغَرِيبَ بِحَيْثُ مَا حَطَّتْ رَكَائِبُهُ ذَلِيلُ

وَيَدُ الْغَرِيبِ قَصِيرَةٌ وَلِسَانُهُ أَبَدًا كَلِيلُ

وَالنَّاسُ يَنْصُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَنَاصِرُهُ قَلِيلُ.

وقال آخر:

وَمَا جَزَعًا مِنْ خَشْيَةِ الْبَيْنِ أَخْضَلَتْ دُمُوعِي، وَلَكِنَّ الْغَرِيبَ غَرِيبُ [1]

تمثل هذه الأبيات جملة مقول القول لفعل (قال) التي تقدم صورة لوصف الغريب من خلال الوصل بينها -الأبيات - لعاطف الواو الذي يشير إلى وجود جامع يبرر معنى الجمع هنا، وهو جامع خيالي وذلك لورود هذه الألفاظ (الغريب، الركائب، يد، لسان) في جمل متجاورة تتقوى العلاقة لأن "جميع ما يثبت في الخيال مما يصل إليه من الخارج يثبت فيه على نحو ما يتأدى إليه ويتكرر لديه".[2]

يعتبر فعل القول وما تضمنه من وصف للغريب (وصف مادي) تمهيدا للجواب الذي يتمظهر في بنية المتن وفق علاقات الفصل والوصل التي تساهم في نسج عالم الخطاب وتضفي عليه الانسجام.

- مواضع الفصل والوصل في المتن.

يتم التماسك بين الفاتحة والمتن بواسطة الفصل لوقوعهما في حالة تقتضي الانقطاع لاختلاف الجملتين خبرا وطلبا، وانكسار بنية الخطاب. فالفاتحة تركز على ثنائية: السؤال / الجواب التي تتمحور حول فكرة الغريب والغربة وأما المتن فيركز على تقديم مفهوم أعمق للغريب والغربة بالانتقال من المعنى الواضح البسيط الذي يشمل الغربة؛ الغربة العادية (حسية) إلى المعنى العميق الذي يتمثل في الغربة الروحية.

يتكون المتن من ستة مقاطع ترد مفصولة عن بعضها البعض يتحقق الربط فيها بواسطة تكرار الملفوظ (يا هذا !) في بداياتها تعبيرا عن عناية المتكلم بأمر المخاطب

1 -المصدر، ص: 113.
2 -مفتاح العلوم السكاكي، ص: 123.

ورغبته في خلق التواصل بينهما و يشير هذا التكرار إلى حضـــور قـــوي لذاتيـــن: ذات المتكلم وذات المخاطب عبر مقاطع المتن بالإضافة إلى موضوع الخطاب المتحدث عنـــه (الغريب والغربة) ذات غائبة في التعبير حاضرة في الخطاب في صور مختلفــــة تمنـــح النص إمكانية الانفتاح على عوالم عدة تنمو في اتجاهات مختلفة وتصب في هدف واحـــد، وإعطاء صور متعددة الأبعاد من ذات واحدة (الغريب). بمعنى أن الغريب يمر بمراحــــل في غربته (المادية والروحية).

المقطع الأول

"يا هذا ! هذا وصف غريب نأى عن وطن بني بالماء والطين وبعـــد عـــن ألاف لـــه عهدهم الخشونة و اللين ولعله عاقرهم الكأس بين الغدران والرياض واجتلى بعينه محاســـن الحدق والمراض".[1]

المقطع عبارة عن وصف للغريب في غربته وهي متجسدة في هذه الجمل الفعليـــة المعطوفة بعاطف الواو: (نأى ...وبعد ...وعاقرهم ...واجتلى ...) وهذه الجمل واقعة في موقع الصفة، الصفة النكرة للموصوف غريب). ويشير تكرار الواو بين الجمـــل الفعليـــة الواقعة صفات للموصوف (غريب) يقوم بوظيفة التعليق والتشريك بالصفـــة الأولـــى لأن "الصفة الجملة تكون مستقلة عن الموصوف لا يدل على تعلقها بمـــا قبلـــها إلا العطـــف والتشريك في الحكم، يتحقق من الواو فقط".[2]

وتكمن وظيفة الصفة في بيان هيئة مقيدة للموصوف ويمكن تفسير غرض المتكلـــم من خلال التعبير بالوصف في صيغة النكرة في هذا المقطع للدلالة على العمـــوم؛ أي أن هذه الغربة عادية (مادية)ثم ينتقل المتكلم من العموم إلى الخصوص عبر هذه المقاط وفـــق البناء التدرجي.

1 -المصدر، ص: 113.
2 -ينظر: هامش الإيضاح في علوم البلاغة،الخطيب القزويني، ص: 198.

المقطع الثاني

"يا هذا ! الغريب من غربت شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعذاله وأغرب في أقواله وأفعاله وغرب في إدباره وإقباله واستغرب في طمره".[1]

الملاحظ على هذا المقط ورود الموصوف (الغريب) معرف بأل التعريف العهدية، لأن الغريب أصبح معروفا لدى المخاطب / السامع (معهود في الذهن) فهو يدل على الخصوص ذلك أن المتكلم قد خصصه بأوصاف تخص وصف غربة الحال التي تتمظهر في التراكيب اللغوية التي يهدف المتكلم من خلالها "الجمع بين غربة الحال و غربة اللفظ أو بين الغرابة فيهما على السواء. فما أشبه الغرابة بالغربة على اختلافهما وكأنها الغربة في الحال واللفظ إنما هي شأن الحس الداخلي والغرابة فيهما شأن التلقي الخارجي وكأنما الغربة حس جواني أما الغرابة فهي في تلقي أو نظرة الآخرين".[2]

وتكمن غرابة اللفظ من خلال التكرار الجزئي (Partual Reccurence) وهو يعني "الاستخدامات المختلفة للجذر اللغوي (Word-Stens)".[3]

فمن جذر (غ ر ب) اشتق المتكلم هذه الصيغ الفعلية (غرب وأغترب وأغرب وغرب واستغرب) التي تضمنت معان جديدة من خلال تلك الزيادات التي لحقت الجذر وهي في مجملها تعطي صورة عن غرابة اللفظ وغربة الحال. وقد اعتمد المتكلم في وصف الغريب في هذا المقطع على اسم الموصول (من) وصلته (جملة فعلية)، ذلك أن صلة الموصول تمكن المتكلم من ذكر صفات يحرص على إبرازها في الغريب. فاسم الموصول وصلته هو في محل صفة للموصوف (الغريب) وهي صفة معرفة تدل على التجدد في غربة الحال، والواو هنا تفيد العطف والإشراك في الحكم والمعنى.

المقطع الثالث

" يا هذا ! الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة ودل عنوانه على الفتنة عقب

---

1 –المصدر، ص:114.

2 –مقال:كتابة الغربة وأبوحيان التوحيدي،ادوار الخراط، مجلة فصول ، أبو حيان التوحيدي مج 15، ج3، ع1، ربيع 1996م، ص 296.

3 –البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل ع/المجيد، ص:84.

الفتنة وباتت حقيقته في الفينة حد الفينة ".[1]

فالواو في هذا المقطع تفيد العطف بين الصفات (جمل فعلية) التي تضفي على الموصوف معان جديدة ذلك أن الغرض من العلاقة الوصفية هو إزالة ما في الموصوف من إبهام وبيان معنى منه لا بيان حقيقته.

وبشكل مجمل فإن كل الصفات أثبتت وصفا للغريب يتمثل في الوصف الحسي ذلك أن الغريب يعيش غربة عادية (حسية) من خلال الأفعال المعطوفة (في المقاطع) التي يغلب عليها التناظر من حيث زمنها (الماضي) وإسنادها إلى ذات غائبة (الغريب) -غائبة في التعبير حاضرة في الخطاب - وهذا يعني أن الخطاب الأدبي في هذا المستوى الدلالي خطاب منسجم يجعل القارئ يتفاعل مع النص بتتابع توالد هذه المعاني من المقاطع.

المقطع الرابع

"يا هذا ! الغريب من إذا ذكر الحق هجر و إذا دعا إلى الحق زجر الغريب من إذا اسند كذب و إذا تظاهر عذب الغريب من إذا أمتار لم يمر و إذا قعد لم يزر".[2]

الملاحظ على جمل هذا المقطع أنها وردت مفصولة، لأنها في حالة تقتضي كمال الاتصال. فهي تفيد إقرار وتأكيد وصف الغريب وصفا معنويا من خلال الأفعال الواردة فيه:

(ذكر / هجر، دعا / زجر، أسند / كذب، تظاهر / عذب، أمتار / لم يمر، قعد / لم يزر)

ومما سبق يتبين أن المقاطع الأربعة قد اعتمدت في التعبير عن العلاقة الوصفية بجملة فعلية لأن "الفعل يقتضي مزاولة وتجدد الصفة في الوقت".[3]

وبناء عليه يكون تجدد الصفة إشارة إلى تغير حال الغريب من حال إلى حال باستمرار.

1 -المصدر، ص:114.
2 -المصدر، ص:115.
3 -دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص:115.

المقطع الخامس

"يا هذا! الغريب في الجملة من كله حرقة وبعضه فرقة وليله أسف ونهاره لهف وغداؤه حزن وعشاؤه شجن وآراؤه ظنن وجمعه فتن ومفرقه محن وسره علن وخوفه وطن".[1]

يختلف هذا المقطع من المقاطع السابقة باختلاف تركيبه اللغوي فالموصوف في هذا المقطع ورد جملة اسمية (مبتدأ / خبر) والعلاقة الاسنادية تشير إلى بيان حقيقة الغريب (الغريب في الجملة) والصفة وردت جملة اسمية أيضا الموصول (من) وصلته (كله حرقة) والعلاقة الوصفية تقوم بإزالة ما في المنعوت من إبهام وبيان معنى فيه فمن خلال العلاقة الدلالية (الاسنادية والوصفية) يتبين أن المتكلم يرغب في إعطاء تعريفا جامعا وشاملا للغريب من خلال بيان حقيقته وبيان معناه. وهذا ما يؤكده تعبيره عن العلاقة الوصفية بالاسم، لأن "الاسم يقتضي ثبوت الصفة وحصولها من غير أن يكون هناك مزاولة وتزجية فعل ومعنى يحدث شيئا فشيئا".[2]

ومن جهة فإن تتابع الجمل الاسمية المعطوفة (صلة الموصول) بواسطة العاطف الواو يشير إلى عموم الصفة في الموصوف وهي تعني غربة الباطن التي يعيشها الغريب فهي تقوم على المفارقة؛ مفارقة الذات لذاتها بذاتها للبقاء مع الله تعالى وهذا ما تجسده علاقة تضاد التي تبرر الجمع بين الأضداد عن طريق الجامع الوهمي (بين الجمل المعطوفة).

المقطع السادس

"يا هذا ! أنت الغريب في معناك".[3]

فهذه الجملة الاسمية (الثبوت) تشير إلى ثبوت الصفة في الموصوف وهي صفة الغربة المعنوية وغرض تقديم ضمير المخاطب (أنت) في الجملة لأجل تخصيصه بهذه الصفة من بين الناس . وهو يمثل الجواب المقصود للسؤال الوارد في الفاتحة. وهذا يشير

---

1 -المصدر، ص:115-116.
2 -دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص:115.
3 -المصدر، ص:117.

إلى التماسك النصي عبر سياق معنوي مما يضفي الانسجام على النص، وأما الغربة التي ينشدها المتكلم، فهي تتمثل في الغربة المعنوية أو الروحية أو الباطنية وهي تعني : "غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والعباد والزهاد فإن أولئك واقفون مع عملهم وعبادتهم وزهدهم وهؤلاء واقفون مع معبودهم يعرجون بقلوبهم عنه".[1]

وهذه الغربة يعيشها العارف وهي مظهر من مظاهر العبادة؛ أي الاستغراق مع الله تعالى.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

يتصدر الخاتمة الملفوظ (يا هذا!) فهذا التكرار يشير إلى خلق التواصل بين أجزاء النص؛ أي التلاحم والاستمرارية وتعني أنه: "في كل مرحلة من مراحل الخطاب(Discoure) نقاط اتصال (Contact) بالسابقة عليها".[2]

وهذا يشير إلى استمرارية المتحدث عنه في الرسالة وهو ما يضفي الانسجام على الرسالة

يستأنف المتكلم تنبيه المخاطب بالاستفهام الإنكاري لاقناعه بتغيير موقفه "أحجر أنت؟".[3] هنا قدم الخبر على المبتدأ لغرض تخصيص المخاطب بحكم وهو إقرار حكم التحجر فيه وهي صفة مذمومة لذا وقع عليه الإنكار والتوبيخ ويعطف عليها بعاطف الفاء بهذه الصيغة (التعجب) لاستمرار الحكم السابق (الإنكار والتوبيخ) والعلاقة بين الجملتين هي علاقة سببية؛ أي أن سبب التحجر هو قسوة القلب "**فما أقسى قلبك! وما أذهبك فيما يغضب عليك ربك!**".[4]

فقد ارتبط التحجر والقسوة في القرآن الكريم بالكفر والشرك والمعصية والجحود .. وأما العاطف الواو بين الجملتين فيشير إلى وجود مناسبة بين الفعلين (ما أقسى وما أذهب) عن طريق الجامع الخيالي؛ لأن الكفر والشرك ... محلهما القلب بالنسبة للكافر وأما المؤمن فيحل في قلبه الإيمان والصدق.وأما الجملة الاستفهامية "**أبينك وبين نفسك**

1 -موسوعة أخلاق القرآن الكريم، أحمد الشرباصي، ج6، ص 204.
2 -البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل ع/ المجيد، ص 77.
3 -المصدر، ص:119.
4 - نفسه.

ترة أو كيد ؟". [1] فترد مفصولة عن سابقتها لكمال اتصالها بها، فهي تنزل منزلة التـأكيد من المؤكد؛ فهي تأكيد للقوة والتحجر (الكفر والشرك) الذي أدى إلى انفصال المخـاطب عن نفسه ومعاملة نفسه معاملة الآخر (العدو) وهذا ما تؤكده الجملة الاستفهامية بها التـي هي أقوى من الهمزة وهذا يعني أن هذه الجملة "هل يفعل الإنسان العاقل بعدوه ما تفعلـه أنت بروحك؟ ". [2]

فهي تأكيد ثان لإثبات العداوة بين المخاطب وروحه؛ لأن النفس والروح مترادفان، وهذا التأكيد آكد وأبلغ من التأكيد الأول . ويستأنف المتكلم تأكيد إثبـات الحكـم السـابق للمخاطب (الكفر والشرك) بهذه الجملة "**لا ينفعك وعظ وإن كان شافيا ولا ينجع فيـك نصـح وإن كان كافيا**". [3]

وهي تأكيد ثالث يتضمن شعور المتكلم باليأس تجاه المخاطب الجاحد لنعم وفضـل الله عليه لذا يختم بالدعاء "**اللهم تفضل علينا بعفوك إن لم نستحق رضاك**". [4]

وردت هذه الجملة مفصولة عن سابقتيها لأنها في حالة تقتضي القطـع وذلك "أن يكون للكلام السابق حكم وأنت لا تريد أن تشركه الثاني في ذلك فينقطع". [5]

فالجمل السابقة تؤكد للمخاطب صفة الضلالة ومن جهة تؤكد محاولة المتكلم هدايته إلى الصراط المستقيم، أي تبديل الضلالة بالهدى، وأما الجملة الأخيرة فهي إثبات للعبودية وذلك من خلال طلب العفو من الله، فهو العفو يحب العفو وطلب العفو مطلوب في الدنيـا وفي الآخرة وهذا يعني أن الهداية بيد الله تعالى وحده لا شـريك لـه ، ولـهذا الإقـرار إشارات في كتاب الله عز وجل.

ويختم بجملة "**يا ذا الجلال والإكرام**". [6]

---

1 -المصدر، ص119.
2 -نفسه.
3 -نفسه.
4 -نفسه.
5 -مفتاح العلوم،السكاكي، ص:121.
6 -المصدر ، ص:119.

وهي جملة متكررة في كل الخواتم (الجلال والإكرام) فالفصل بينها وبين سابقتها يشير إلى كمال الاتصال فهي تفيد التأكيد والإقرار؛ أي أن الدعاء لله تعالى وحده والاستعانة به أيضا.وهي تجسيد لعلاقة العبد بربه. (1)

الرسالة (يب)

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يدور موضوع هذه الرسالة حول محور المعرفة الإلهية التي يهدف المتكلم/الكاتب إيصالها للمخاطب وفق علاقات شكلية ودلالية ناتجة عن الفصل والوصل.

المظهر السطحي لهذه الفاتحة يشير إلى اعتمادها على الربط غير المباشر لاعتمادها على الوصل للجمع بين عناصرها فقد اعتمدت على وسيلة الربط وهي الواو التي تعبر عن تماسكها؛ أي أن القارئ هنا يبحث عن مبررات الجمع بالواو بين عناصر النص لإدراك انسجامها.

وحسب التركيب اللغوي يمكن تقسيمها إلى فقرتين:

الفقرة الأولى

تتكون من جمل بسيطة وهي " العلم بلاء، والجهل عناء، والعمل رياء، والقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء، وكل ذلك سواء".(2)

فمبرر الجمع بين هذه الثنائيات الضدية : (العلم والجهل، القول، السكوت، العمل والنظر) يتمثل في علاقة تضاد. وهي تعني أن الخطاب الأدبي في هذا المستوى الدلالي خطاب منسجم، فهي تعبر عن حقيقة واحدة بصور مختلفة. ومن جهة فهي تشعر القارئ بالجمال النصي باعتبار أن النص صوفي "وجمالية التصوف تقوم على التناقض، وهو يعني أن الشيء لا يفصح عن ذاته إلا في نقيضه؛ الموت في الحياة والحياة في الموت، النهار في الليل والليل في النهار هكذا تتلاقى الأطراف في وحدة تامة".(3)

1 -مفتاح العلوم، السكاكي، ص:121.
2 -المصدر، ص:120.
3 -الصوفية و السوريالية: أدونيس، ص:141.

وتعتبر هذه الفقرة تمهيدا لفكرة المعرفة للوصول إلى عمق هـــذه الحقيقـــة عـــبر عناصر النص.

الفقرة الثانية

فقد امتد واتسع فيها التركيب اللغوي لاتساع المعنى فيها، لذلك غير المتكلم العاطف من الواو إلى الفاء مقترن بأداة "أما" لإشعار القارئ بتغير المعنى.

فالجملة في هذه الفقرة مركبة طرفين "الشرط والجزاء" ووظيفة هذه الأداة الشـــرط والتفصيل.

فالملاحظ على هذه الفقرة أنها تتبني بناء منسجما من خلال ورود جملها على بناء واحد حيث يتهم التناغم بين المعنى واللغة فيتسع المعنى باتساع اللغة ويتنوع بتنوعها ويتـم البناء في هذه الفقرة على النحو التالي:

[أما + جملة الشرط (جملة اسمية) // + جملة الجزاء : فلأنه + جملة فعلية].

- فأما بلاء العلم يهوي بصاحبه إلى لجج الفكر.
- وأما عناء الجمل فلأنه يقحم صاحبه في شعاب النكر.
- وأما رياء العمل فلأنه يجلب على صاحبه جميع الكد.
- وأما داء القول فلأنه يصب العجب على أهله في كل قبول ورد.
- وأما هباء السكوت فلأنه يعري صاحبه من كل فائدة.
- وأما عداء النظر فلأنه يعود على صاحبه بكل آبدة. (1)

فالربط بين الفقرتين يتم بواسطة علاقة سببية التي تفسرها الجملة الشرطية التـــي تتضمن علاقة تلازمية سببية بين طرفي الجملة (الشرط وجوابه) بواسطة الرابط (فـــلان) ومن جهة فهي تقوم بتفصيل جملة الشرط التي تضمنت عناصر الفقـــرة الأولـــى وذلـــك بإدخال الجانب الذاتي (ذات غائبة) وهو يتمثل في تكرار لفظ (صاحب) في نسيج الفقـــرة الثانية. فيصبح بلاء العلم ناتج عن العالم نفسه لا العلم لاعتماده علـــى الفكـــر (العقـــل)،

1 -المصدر، ص: 120.

والعقل مرتبط بالحس. وعناء الجهل ناتج عن الجاهل نفسه. وداء القول ناتج عن القائل نفسه. وهباء السكوت ناتج عن الساكت نفسه. فهذه النتائج كلها كامنة في الذات الفاعلة التي تعمد على العقل في إدراك الحقائق. ومبرر الجمع بينها بعاطف الواو يشير إلى وجود جامع خيالي يتمثل في وجود مبرر بسمات مشتركة بين العناصر السابقة يمكن التعبير عنه بالعجز الذي يعيقها للوصول إلى المعرفة المقصودة (المعرفة الباطنية/الحدسية). وهذا ما تؤكده الجملة الختامية : "وأما سواء كله فلأنه علم لذوي النهى باحتمال كله".[1]

فالتسوية هنا تؤكد عجز العقل للوصول إلى المعرفة التي تعني الإدراك الجز ئيأو البسيط . ومن هنا يقال "عرفت الله دون علمته". [2] ومن صفات هذه المعرفة أنها "لاثبات لها أي لا نهاية لها وهي معرفة ترفض المسبق والجاهز والمطلق هي معرفة بقدر ما تتسع تشعر أنها ما تزال ضيقة وكلما ظننا أننا اقتربنا لها من الطمأنينة ازددنا حيرة".[3]

والمعرفة الإلهية مظهر من مظاهر العبادة المتعلقة بالألوهية فهي مختصة بأمور التكليف.

- مواضع الفصل والوصل في المتن

يرد المتن مفصولا عن الفاتحة لاختلاف الجملتين خبرا وطلبا وإنكسار بنية الخطاب. ففي الفاتحة يحاول المتكلم إعطاء صورة للمعرفة، وأما في المتن فيركز المتكلم على المخاطب بوعظه ونصحه بالتوجه إلى خالقه لإدراك آلائه ونعمه وفضله عليه. فمن خلالها يصل إلى معرفة الله.

يتكون المتن من ثلاثة مقاطع تقوم على تكرار الملفوظ (يا هذا!) في بداياتها فيحقق في النص التوازي "والتوازي يقتضي استعمال صيغ سطحية تملأ بتعابير مختلفة".[4] وتكمن أهميته في مساهمته في تنامي النص بإضافة عناصر جديدة له.

1 -المصدر ،ص120.
2 -المعجم الوسيط ،(مرجع مذكور)ج1،ص624.
3 -الصوفية و السوريالية ، ادونيس ، ص: 116.
4 -لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، ص: 230، .

المقطع الأول

"يا هذا ! إلى كم أستميلك إلى حظك، وأتقلب معك إلى مرادك؟! لست منك إن لم تعني على ذلك ولست مني إن سلكت طريق المهالك".[1]

يتكـــون المقطع من جملتين وكل جملة تتكون أكثر من عملية إسناد. فالجملة الأولى (إلى كم ...مرادك) تقوم على مبدأ الإشراك؛ أي أن العاطف الواو يفيد العطف والإشراك في الحكم والمعنى. والفعلان: أستميل وأتقلب مسندان إلى ذات واحدة (ذات المتكلم) وقـــد أنجزهما في زمن واحد باعتبار الزمن النحوي (الحاضر).وتتضمن الجملة معنى المبالغـــة في توجيه وهداية المخاطب من خلال قرائن لغوية تتمثل في تصدير الجملة بكم التي تفيـــد التكثير بالإضافة إلى صيغة الفعلين (المبالغة) (استفعل / تفعل). ويتلو هذه الجملة، جملـــة منفية يتصدرها فعل ليس والجملتان مفصولتان لأنهما اختلفتا طلبا وخبرا (وجوب القطع). فالجملة الأولى طلبية والثانية خبرية.

والجملة الثانية تقوم بالوصل بين عناصرها بواسطة علاقة تضاد (جامع وهمـــــي) بين الفعلين لست /لست فهما مسندان إلى ذاتين مختلفتين: ذات المتكلم وذات المخـــاطب، وهما يعبران عن حالة استحالة تحقيق الكينونة بينهما (المتكلم والمخاطب).

المقطع الثاني

"يا هذا ! قد وصفتك غيرك معك وأنا غيرك؛ ففي وصفك وصفـي وفـي وصفي وصفك حتى نتعاون على نيل هذه الخيرات بالمبالغة في الطاعات والمداومة على العبادات والمبادرة للساعات والحذر من الآفات والهرب من العاهات والثبات على رفض الشـهوات والإعراض عن اللذات والتوجه إلى خالق الحيوان والنبات".[2]

يختلف هذا المقطع عن سابقه في بنائه التركيبي. فهو يتكون من سلسلة من الجمـــل المتتالية داخل جملة كبرى وهي: قد وصفتك /و/ وصفت غيرك /و/ أنا غيرك تقوم هـــذه

---

1 -المصدر، ص:112.
2 -نفسه، ص :123.

الجمل على الوصل لوجود العاطف الواو فالجمع بينها يشير إلى وجود مبرر للجمع وهو الجامع العقلي وذلك لاتحاد في الخبر عنه؛ أي أنها مسندة إلى ذات المتكلم واتحاد في الخبر بتكرار فعل وصف ولفظ غيرك مرتين في الجمل. وهذا يشير إلى إثبات وتأكيد الوصف للمتكلم وللمخاطب. فالمتكلم هو الواصف والمخاطب هو الموصوف، فالوصف تبيان والموصوف غاية الواصف.

وأما الجملة الثانية "ففي وصفك وصفي وفي وصفي وصفك" إن تغيير العاطف من الواو إلى الفاء يشير إلى تغيير موقف المتكلم. ففي حالة إثبات الوصف اعتمد على الفعل (التجدد) وفي حالة إثبات تماهي ذات المتكلم مع ذات المخاطب اعتمد على الاسم (الثبوت).

وتقوم هذه الجملة على التقديم والتأخير فتقديم الخبر يهدف إلى تأكيد المقدم ذلك أن "تقديم المتحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيق له".[1] فالجملة الأولى (ففي وصفك وصفي) تشير إلى تضمن وصف المتكلم لوصف المخاطب. وأما الجملة الثانية (ففي وصفي وصفك) تشير إلى تضمن وصف المخاطب لوصف المتكلم. والغاية من هذا التقديم إقرار السامع حقيقة التماهي بين الواصف والموصوف من خلال الجمع بينهما بالواو. ويبرر هذا الجمع الجامع الخيالي نظرا لوجود سمات مشتركة بينهما لينتجا في النهاية صورة النحن لتحقيق غاية تتمثل في هذه الجملة (حتى نتعاون على نيل هذه الخيرات بالمبالغة في الطاعات والمداومة في العبادات و...). فالعاطف حتى يفيد الترتيب والغاية وتكمن هذه الغاية في المشاركة (نتعاون = تفاعل) التي تتضمن معنى القوة للاستعانة بها في إنجاز أفعال التي يجسدها هذا التركيب: (اسم + حرف جر + اسم). وقد تكررت هذه الصيغة الاسمية سبع مرات بواسطة العاطف الواو الذي يفيد العطف؛ لأنها في محل حال وهي كالتالي: المبالغة في الطاعات/ المداومة والمبادرة للساعات/الحذر من الآفات/ والهرب من العاهات /والثبات كعلى رفض الشهوات/ ولإعراض عن اللذات/والتوجه نحو خالق الحيوان والنبات .فتساهم هذه المعطوفات المتوالية في تقديم

1 –التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند ع/القاهر الجرجاني؛ ع/ الفتاح لاشين، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، ص 152.

صورة للعبادة التي تتطلب القوة والقدرة للقيام بها.

المقطع الثالث

" يا هذا! ارحم غربتي في هذه اللغة العجماء بين هذه الدهماء الغبراء، وتعجب من بدائي في هذه الفلاة الغبراء بين الأرض والسماء".[1]

إن الوصل بين الفعلين ارحم وتعجب يشير إلى وجود جامع عقلي يجمع بينهما يتمثل في تضايف بين اللغة التي ارتبطت بفعل (ارحم) والمجمع الذي ارتبط بفعل (تعجب). فهناك علاقة تلازم بينهما باعتبار أن اللغة معطى اجتماعي وهذا التعبير يشير إلى رغبة المتكلم في خلق التواصل مع السامع / المتلقي.

إذن فالمتن يتمحور حول فكرة التواصل مع السامع / المتلقي وهدايته إلى الصواط المستقيم رغبة في المعرفة للإخلاص في العبادة لله تعالى وحده .

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

إن التماسك بين المتن والخاتمة يقوم على الفصل لأنهما في حالة تقتضي القطع لتماثل الجملتين (الطلب) وانكسار بنية الخطاب. ففي المتن يركز المتكلم على ذات مخاطب حاضرة في التعبير (يا هذا!) و الخطاب (الحوار) حضور قوي مستمر. وأما في الخاتمة فالخطاب. فيها يركز على ذات غائبة في التعبير وحاضرة في الخطاب.

تتكون الخاتمة من ست عشرة جملة في شكل بنية تقوم على نمط واحد على النحو التالي: "أين العقول الصاحية؟ أين الآذان الصاغية؟ أين الألباب الثاقبة؟ أين القرائح الصافية؟ أين الأذهان المتوافية؟ أين الألسن الفصيحة؟ أين الأخلاق السجسة؟...". [2]

الملاحظ على هذه الجمل أنها وردت مفصولة كونها نزلت منزلة التأكيد من المؤكد وهي تفيد التأكيد المعنوي بين الجمل المتتالية، وهو ما كان بالاختلاف المعنى الوضعي المراد المقصود منها مع إفادة التقرير".[3] لمؤكد محذوف يتمثل في ذات غائبة وهي تحيل

1 -المصدر، ص: 124.
2 -نفسه، ص: 125.
3 -ينظر: هامش (1) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، ج3، ص: 116.

إلى مخاطب عام، يهدف المتكلم استحضاره في الخطاب من خلال تكرار لاسم الاستفهام (أين) في الفقرة ستة عشرة مرة، مع ذكر هذه الأسماء (العقول، الآذان، الألباب، القرائح، الأذهان، الألسن، الأخلاق، الأيدي، التواصي، الاقبال، ملازمة الأساطين، الخوف في استبانة المعارف، محاسبة الأسرار، الأعين، الندم (الأكباد)، الحرق المتوالية) فالجمل هنا تقوم بعملية استقصاء واسعة حتى تحيط بكل الكيان البشري والعناصر التي يطلب المتكلم حضورها تشمل جوانب الإنسان المادية والروحية التي اعتمد في ذكرها على الترتيب وهي تمثل آليات المعرفة للإنسان فكان أن سيطرت على هذه الجمل بنية عميقة منسجمة مع العبودية الغائبة.

وفي الجملة الأخيرة يثبت المتكلم العبودية بقوله "اللهم فسلمنا من هذه الكرابات المتصلة بالكربات يا ذا الجلال والإكرام".[1]

هذه الجملة (دعاء) وردت مفصولة عن سابقتها لأنهما في حالة توجب القطع لتماثلهما (طلبا) وانكسار بنية الخطاب. فهي تمثل الحاجة الإنسانية الدائمة إلى الله في رحمته ومضمون الجملة يتمثل في طلب تجنب الشر؛ طلب السلامة .

والجملة (نداء) " يا ذا الجلال والإكرام" أيضا قطعت عن سابقتها وهي إثبات للألوهية بتوحيد الأسماء والصفات. والعلاقة بينهما تتمثل في إخراج العبد من حالة الضعف البشري إلى حالة القوة.

إذن الرسالة تقوم على ثنائية الألوهية التي تتمثل في المعرفة والعبادة والربوبية التي تتمثل في طلب الاستعانة وهذا ألزم الإشعار بالعبودية. والعلاقة بينهما علاقة روحية تشير إلى علاقة المخلوق بخالقه فهذا البناء يضفي الانسجام على الرسالة.

الرسالة (يج)

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يتمحور موضوع هذه الرسالة حول مفهوم المعرفة الإلهية التي تتجلى من خلال العبادة ومعرفة الفضل والفاضل التفضيل ومحاولة اكتساب الفضل.

1 -المصدر، ص:125.

والبنية السطحية لهذه الفاتحة تشير إلى اعتمادها على الربط المباشر، ويبدو هذا من خلال ورود جمل النص مفصولة ويعود الفصل بين الجمل إلى وقوعها في حالة تقتضي كمال الاتصال الذي يحقق بين الجمل علاقة تأكيد وإقرار لمفهوم العبادة. ويتجسد هذا المفهوم من خلال تكرار لجملة من العوامل اللغوية منها: تكرار الأداة "ألا؟" في بدايات الجمل (العامل). ويقتضي العامل المعمول وهو اسم الفاعل الذي يتعلق بلفظ الجلالة (الله) في نهايات الجمل وقد بلغ تكرار هذه العوامل اللغوية في النص خمسة وأربعين مرة.

ويعكس هذا التكرار رغبة المتكلم في إحضار ذات غائبة؛ لأن حضورها متعلق بتحقيق غاية وهي العبادة. وكما يتجسد مفهوم العبادة في هذه البنى التركيبية المتوازية على النحو التالي: "ألا قارع لباب الله؟ ألا قاصد إلى الله؟ ألا راغب فيما عند الله؟ ألا عائف لنهي الله؟ ألا قابل لأمر الله؟ ألا هائم في الله؟ ألا واجد بالله، ألا متوكل على الله؟ ألا مناجي لله؟ ألا باذل لروحه في الله؟ ألا ناظر لنفسه مع الله؟..". (1)

الملاحظ على مجموع هذه الجمل أنها تقوم على مبدأ التدرج نحو المعاني الأكثر عمقا معا يضيف في كل جملة دلالة إلى النواة الأصلية (العبادة) شمولية أكثر تتجاوز قرع باب الله والقصد إليه والرغبة فيما عنده والعيف لنهيه والقبول لأمره والهيام فيه والوجد به والتوكل عليه ... إلى البسط للرجاء في عفوه. ومن جهة فإن هذه البنى التركيبية تضفي على النص الانسجام والتناغم بين المعنى واللغة؛ ذلك أن العبادة تتضمن العابد : (اسم فاعل) يقتضي التجدد والاستمرار (قارع، قاصد، راغب...) وهو يشير إلى الرغبة في الارتقاء إلى مقام العبودية؛ فالعبودية لله. والمعبود المقصود:(لفظ الجلالة – الله تعالى – فهو يتصف بالحي والقيوم..﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾". (2)

1 – المصدر، ص:126.

2 –سورة البقرة، الآية:255.

وكما يشير إلى هذا الوصف هذه المجموعة من الأسماء: (النهي ، الأمر، الحق التوحيد (الواحد)، الوعد الوعيد، الكلمة، النعمة، الكتاب، الرضوان، الطاعة، القضاء القدرة، العفو). وهي تمثل تجليات للقدرة الإلهية التي تشير إلى توحيد الألوهية (الألوهية له).

إذن يمكن القول أن الفصل هنا يشير إلى تأكيد هذه الحقيقة؛ العبودية لله والألوهية له والعلاقة المعنوية (التعليق) بين الاسمين تشير إلى العلاقة الروحية بين المخلوق وخالقه.

- مواضع الفصل والوصل في المتن

يقع المتن والفاتحة في حالة القطع (الفصل) لتماثيل الجملتين (طلبا) وانكسار بنية الخطاب؛ ذلك أن المتكلم في الفاتحة يركز على إعطاء مفهوم عميق للعبادة. أما في المتن فيقوم المتكلم بالتعريف بالفضل والفاضل وحث المخاطب / السامع على اكتساب صفة الفضل وتنبيهه إلى العلاقة بين العبادة والفصل. فبالعبادة يرتقي العبد إلى الفاضل. وتتمظهر هذه الفكرة عبر هاته المقاطع النصية الخمس.

المقطع الأول

"يا هذا! خلت العراص من ناس كانوا إذ تنفسوا أحرقوا الحجب بينهم وبين الله: تيها به وثقة بوعده ورضا بفعله وحطا في اختياره وتسليما لحكمه. كانوا إذا برزوا للنه صفحات وجوههم رأيت تباشر الخير عليهم وروائد الصدق معهم وكانوا إذا ذكروا الله تقلقلت ضمائرهم بألوان الشوق إلى المصير إليه و إلى القيام بين يديه".[1]

يتكون هذا المقطع من جملتين، جملة النواة:(قلت العراص من ناس) التي تتفرع إلى ثلاث جمل ثانوية يتصدرها فعل كان. وهي عبارة عن جمل مركبة (شرطية)، وهي تتضمن وصف حال ناس، فالتنكير في ناس يشير إلى الخصوص؛ أي أن هذا الوصف يخص الخاصة؛ وهي تعني الجماعة الصوفية (خاصة الخاصة). والملفت للانتباه في هذه

1 -المصدر، ص: 126-127.

الجمل الثانوية أنها ترد مفصولة (الأولى والثانية) وموصولة (الثالثة)، يجب على القارئ استنباط هذه العلاقات.

الفصل بين الجملتين: (كانوا إذا تنفسوا ...) (كانوا إذا برزوا ...) يشير إلى أن الجملتين في حالة تقتضي الأبدال، والعلاقة بينهما علاقة تفسير، بحيث تعطي وصفا شاملا لحال هؤلاء الناس يشمل ظاهرهم وباطنهم. والجملة الثالثة ترد معطوفة على سابقتيها باعتبار أن البدل والمبدل منه ككلمة واحدة، وذلك لغرض استئناف الوصف الذي يبرره الجامع الوهمي لوجود علاقة تضاد بين الفعلين: تنفسوا وذكروا لأنهما متحاقلان يقتسمان مقوم التواصل مع الله تعالى إلا أنهما متفاوتان في الدرجة؛ أي أن الذكر أعم من المناجاة إذن المقطع هو تصوير لأخلاق الصوفية.

المقطع الثاني

"يا هذا ! عد من ذكر قوم بانوا بأشخاصهم وأرواحهم وإن كانوا قد أبقوا عندنا من تراثهم ما يشوقنا إلى اللحاق بهم، وأسمع ما أخصك بذكره وأريد نفسي أيضا معك في عرصة. إذا نفحت في صدرك نفحة من نفحات روح الأنس من العالم الأعلى فرقد عليها وتلذذ بطعمها وإستدم نسيمها من معدنها وشم مزنتها من سمائها ولا سبيل لك إلى ذلك إلا برفض الرذائل كلها: قليلها وكثيرها وتحلي بالفضائل بأسرها: دقيقها وجليلها".[1]

تقوم جمل هذا المقطع على الوصل لوجود جامع يبرر الجمع بينها ويتمثل في جامع عقلي باعتبار أن هذه الأفعال (عد وسمع وتلذذ واستدم وشم) مسندة إلى ذات واحدة هي ذات المخاطب وجامع خيالي باعتبار أن هناك مناسبة بين هذه الأفعال الطلبية في التحلي بالأخلاق الفاضلة (الارتقاء) وأما العاطف الواو بين الجمل الفعلية (الطلبية) والجملة الاسمية (الطلبية) فيفيد العطف لاتفاقهما طلبا لفظا ومعنى. وأما العطف بين الجملتين الفعلتين : "برفض الرذائل (...) وتحلي بالفضائل (...)" فتبرره علاقة تضاد بين الفعلين (رفض /تحلي) والاسمين (الرذائل / الفضائل).

1 -المصدر، ص؛127.

إذن المقطع عبارة عن تشويق المخاطب / السامع التحلي بالأخلاق والفضائل.

المقطع الثالث

"يا هذا ! إن الله عم بنعمه وخص بفضله وجعل العام فوضى لا تزاحم عليه ولا تنافس فيه وجعل الخاص مصروفا إلى أهله".[1]

يتكون المقطع من جملة كبرى طرفها الأول (إن الله) مسند إليه وطرفها الثاني (عم ... وخص ... وجعل ... وجعل ...). فهذه الجمل الفعلية المعطوفة بعاطف الواو تمثل المسند. وهي عبارة عن أخبار متتالية تتضمن معنى التجدد ذلك أنها تفيد معنى الاستئناف و"لما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو".[2]

والغرض من هذا الوصل بالواو وهو إثبات وتأكيد أن المنعم هو الله والنعم بيده وهي عامة والفاضل هو الله والفضل بيده وهو خاص يؤتيه لمن يشاء. وتمثل النعم(الأفضال) والفضل تجلي للقدرة الإلهية وللرحمة الإلهية.

المقطع الرابع

" يا هذا ! أنت ربما فضلت حمارا على حمار وبغلا على بغل وفرسا على فرس وهرة على هرة وكذلك الحيوان كله-فلم تفضل إنسانا على إنسان؛ وإذا فضلت إنسانا على إنسان فلم لا تفضله بالفضائل والأخلاق والعادات والأفعال، ولكن تفضله بالدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية؟". [3]

ركز المتكلم في هذا المقطع على تكرار فعل فضل أربع مرات وتكمن وظيفته في الحضور التي تؤدي إلى أن يكون موضوعا حاضرا في الذهن. فالتكرار يؤدي إلى زيادة

1 -المصدر ، ص:129.
2 - دلائل الإعجاز: الجرجاني، ص: 202.
3 -المصدر ، ص: 130-131.

الحضور وهو عام من الوجهة البرهانية (...) ويمكن للتكرار أن يمارس فعاليته بشكل مباشر".(1)

يتمحور هذا المقطع حول فكرة التفضيل بعد ما عرف المخاطب / السامع الفاضل والفضل. يتصدر الفعل فضل أداة ربما التي تفيد التقليل، وفعل فضل متعلق بالتعدية بهذه الأسماء (حمارا وبغلا وفرسا وهرة) فالواو هنا تفيد العطف والترتيب أي أن التفضيل في الحيوان يقوم على النوع وهو قليل. يتغير العاطف من الواو إلى الفاء لإشعار القارئ بتغير الموضوع. فالجملة الثانية تركز على التفضيل بين إنسان وإنسان. وهو يعتمد على شروط لذا اعتمد المتكلم الشرط (إذا) فتفضيل إنسان على إنسان يتطلب معايير معنوية تتمثل في هذه الأسماء المعطوفة بعاطف الواو: (الفضائل والأخلاق والعادات والأفعال)؛ أي التفضيل في الإنسان يقوم على الجانب المعنوي ويعطف على هذه الجملة جملة "ولكن تفضله بالدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية؟ يتصدر هذه الجملة أداة ولكن التي تفيد معنى المقابلة (العطف)؛ أي أن هناك مقابلة بين الجملتين. فالجامع بينهما وهمي والجملة المعطوفة تشتمل على التفضيل القائم على الجانب المادي والذي يتمثل في هذه المعطوفات (الدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية). إذن التفضيل يقوم على الجانب المعنوي والفضائل والأخلاق والعادات والأفعال).

المقطع الخامس

"يا هذا ! صارف نفسك في أنفاسها وفي خواطرها، فإن لم تقدر ففي نياتها فإن لم تقدر ففي مقاصدها ومراصدها فإن لم تفعل ففي أفعالها واختياراتها فإن لم تقدر ففي أبدالها وفيما يقوم مقامها ..". (2)

ففي هذا المقطع يستأنف المتكلم الحديث عن التفضيل بتعميق مفهومه بالتركيز على موضوع النفس. وهي تمثل جوهر الإنسان من خلال جمل طلبية مفصولة عن بعضها لغرض إقرار وتأكيد كمال التفضيل بين إنسان وإنسان. وهي مرتبطة بدلالة واحدة تسير

1 -بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص:203.
2 -المصدر، ص:133.

على نمط واحد (جملة شرطية). ففي هذا المقطع يتدرج معنى التفضيل نحو المعاني الأكثر عمقا ودلك من خلال هذه المترادفات الواردة في جواب الشرط (الأنفاس والخواطر/ المقاصد والمراصد / الأفعال والاختيارات/ الأبدال) فهي كلها تمثل العالم الروحي للإنسان.

وبهذا يكون الفاضل والفضل والتفضيل قائما على الجانبين المعنوي والروحي وللإنسان ثلاثة أبعاد (بعد معنوي وبعد مادي وبعد روحي) والغاية من تحقيق الفضل التقرب إلى الله تعالى؛ لأن الأكرام عند الله هو الأتقى والقرب والتقرب يعني مقام العبودية.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

تترابط الخاتمة بالمتن ترابطا مباشرا باستغنائها عن الرابط اللغوي كونهما في حالة تقتضي القطع (الفصل) لتماثلهما طلبا وانكسار بنية الخطاب.

يركز المتكلم في المتن على ذات المخاطب الحاضرة في التعبير وفي الخطاب بتقديم لها مفهوما عميقا عن الفضل والفاضل والتفضيل، وتشويقها باكتساب هذه الصفة. وفي الخاتمة يوجه المتكلم الخطاب إلى ذات عليا (الله تعالى) : دعاء لطلب منها النصرة والتأييد وبدون حدود. وهو تعبير عن النقص الذي يسعى الإنسان إلى استكماله من خلال تكراره لهذه الألفاظ (إلهنا /إلهنا /اللهم) عبر النص وهي إثبات للعبودية.

وبناء عليه يمكن تقسيم النص إلى ثلاث فقرات، وهي مرتبطة ببعضها ارتباط مباشرا؛ لأنها في حالة تقتضي كمال الاتصال وهي تفيد إقرار وتأكيد الرغبة في التقرب إلى الله تعالى. وعبر تراكم هذه التراكيب المتجانسة لغويا (تكرار الطب) التي تتمحور حول مفهوم المعرفة الإلهية وهي مظهر من مظاهر الألوهية يهدف المتكلم من خلاله تعميق مفهوم الألوهية بحيث تتجلى حقيقة عجز الإنسان في معرفة الله تعالى؛ لأنها معرفة لا نهاية لها (معرفة المطلق) انطلاقا من القول " إن الله لا يعرف إلا بالله أو القول لا يعرف الله إلا الله. فإن معرفة الإنسان بالله تظل في حاجة دائمة إلى تجاوز نفسها و إلى التجدد".[1]

1 -الصوفية و السوريالية؛أدونيس،ص: 139.

الفقرة الأولى

تمثل المستوى المادي ومفرداته المرجعية هي (الأبصـــار) والمســتوى المعنــوي ومرجعيته (الألباب). فهي تحيل إلى آلية المعرفة التي تهب للعارف المعرفة لــذا وجــب الوصل بينهما بعاطف الواو" إلهنا زاغت الأبصار حين سرحت نحوك وارتدت خاسئة حين رامتك وحارت الألباب حين فحصت عنك وانكفأت على أعقابها فرقة منك".[1]

فالجمع بين الجملتين (زاغت الأبصار ...وحارت الألبــاب ...) يبررهــا الجــامع الخيالي لوجود مناسبة بين الأبصار والألباب باعتبارهما وسيلتا العارف في المعرفة وأمــا الجمع بين عناصر الجملة الأولى فتبرره علاقة تضاد بين الفعلين (زاغت وارتدت) (جامع وهمي) وجامع عقلي بإسناد الفعلين إلى الأبصار (اتحاد في المخبر عنه). وأما الجمع بيــن عناصر الجملة الثانية فتبرره علاقة تضاد بين الفعلين حارث (حركة) وانكفأت (ســكون) فهذه صورة تعبر عن عجز الأبصار والألباب ويفسره المتكلم بتعبيره "فالأحساس تــنزه عنها لأنها أحسن من أن تكون توجد بها والألباب تحيرها فيك لأنها على كل حال خلقــك ولست تأذن لخلقك إلا في لزوم حده وطاعته لك".[2]

فالفاء تفيد العطف والتفسير؛ تفسير سبب العجز الذي يكمن في الأبصار والألبــاب وهو يتمثل في الجمع بين التنزه والتحير؛ أي أن الله منزه على أن يــدرك بالأبصــار (لا تدركه الأبصار). وتحير الألباب، لأنها خلق الله وأمر بيد الله خاضعة لإذن الله. وينتج عن هذا العجز الضرر "فقد أضربنا تنزهك في الأول وتحيرك فــي الثــاني (ربــط الســبب بالنتيجة). وترتبط هذه النتيجة ربطا سببيا بالجملة الأخيرة بواسطة لفظ (ولذلك)[*] ما قــد تبر منا بهذا الشوق الدائم وبهذه الحركة المتصلة وبهذا النزاع القائم".[3] ومنه يكون الشوق الدائم إلى معرفة سببه العجز في المعرفة.

---

1 – المصدر، ص: 131.

2 –المصدر، ص: 131-132.

*–لقد انتبه علماء النصية إلى أن العطف يتم بواسطة العبارات أيضا وهي تتفرع إلى هذه المعاني "إضافي additure وعكسي adverdutive وسببي casual وزمني temparal والأول تمثله and والثاني تمثله yet والثالث تمثله so والرابع تمثله them. COHESION IN ENGLISH, HALLIDAY & HASAN,pp: 242/243.

3 –نفسه، ص: 132.

إذن الفقرة تتضمن موضوع المعرفة، وهي تقوم على ثنائية: العجز/ القدرة وهي تجلي لثنائية:العبودية/الألوهية.

الفقرة الثانية

تتكون من جمل مركبة (شرطية) ومجموعهما يشكل جملة كبرى (شرطية) وهي على النحو التالي: "إلهنا! فإن لم يكن محالا من أحد هذين الوجهين فجد علينا بذلك، وإنا لديك شاكرون وله مستحقون. وإن كان محالا فنحن أعلم بك من أن نسألك المحال ونطلب ما لا يجوز أن يطلب، فابرد أكبادنا من حر الشوق إلى ذلك بالقناعة بالتسليم حين نثبت لك على الصراط المستقيم راضين بما قسمت شاكرين لما وهبت متقبلين لما تفضلت مفوضين إليك راغبين فيك عالمين بأنك المنعم الأول والمحسن الأفضل".[1]

يتكون الطرف الأول في كل من الجملتين من فعل (كان)، ففي الجملة الأولى ورد منفيا (فإن لم يكن...) الذي استلزم جوابا (الطرف الثاني): فجد علينا ... ؛ فالجود مرادف الفضل؛ أي أن حصول المعرفة تستلزم التفضل من الله (الإذن) والشكر والاستحقاق ويعطف على هذه الجملة جملة أخرى "وإن كان ... فنحن أعلم ..." فهذه الجملة يرد فعلها مثبتا؛ أي إثبات استحالة حصول المعرفة وهذا يستلزم ثبات العلم به والجمع بين الجملتين تبرره العلاقة الضدية بين الفعلين (لم يكن / وكان) "النفي /الإثبات" ومجموع الجملتين يستلزم جوابا يتمثل في:

" فأبرد أكبادنا ..."؛ أي أن إثبات استحالة حصول المعرفة يستلزم طلب برد الأكباد من حر الشوق إلى ذلك بالاستعانة بالقناعة والتسليم والرضا والشكر والتقبل والتفويض والترغيب والعلم بأنه المنعم الأول والمحسن الأفضل. وتمثل هذه الأسماء المذكور تجليات لثنائية: الألوهية/ الربوبية.

1 -المصدر، ص132..

الفقرة الثالثة

"اللهم احذف عن ألسنتنا فضول القول معك خاصة في وقت مسألتك. واجعل هيبتنا لك بقدر توكلنا عليك. ولا تجعل بعض أقاويلنا وبالا إلا ما أنت أولى به يا ذا الجلال والإكرام".(1)

فهذه الفقرة أيضا تقوم على ثنائية: الألوهية/ الربوبية فتمثل الأفعال (احذف واجعل ولا تجعل) مرجعية بالنسبة إلى علاقة المخلوق بخالقه فرغبة المخلوق في تحقيقها إنما هي تثبيت له حتى يكتمل أخلاقيا وروحيا ليؤهل للتقرب إلى الله تعالى. والوصل بين هذه الجمل تبرره علاقة تضاد بين أفعالها (احذف // اجعل // لا تجعل)، وهي تعبر عن حقيقة واحدة هي أن العبودية لله والألوهية والربوبية له. والجملة الأخيرة "ياذا الجلال والإكرام" إثبات الأسماء والصفات لله تعالى ونفي المماثلة له.

وبهذا تكون ثنائية: الألوهية/ الربوبية هي محور الرسالة باختلاف مظاهرهما وهذا ما يحقق لها الانسجام.

الرسالة "يه"

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يتمثل موضوع هذه الرسالة في مفهوم المعرفة والمحبة باعتبار أن ثمرة المعرفة المحبة. وهذا ما يتمظهر عبر أجزاء النص.

تنهض الفاتحة على بنى تركيبية تحكمها علاقات الوصل الناتجة عن وجود العطف الواو الذي يقوم بالجمع بين جمل النص لوجود جامع تجمع بينها وحسب تركيبها اللغوي يمكن تقسيمها إلى فقرتين.

الفقرة الأولى

تتكون من جمل بسيطة هي على النحو التالي: "أشرقت الأكوان بالأشباح وشرفت الأعيان بالأرواح وتجلت أسرار الحق فيها بين الإفتراح والارتياح وتناجت النفوس على بعد

1 - المصدر، ص132 .

الديار بما تتخافت فيه الأفواه على قرب المزار وردت على الناظرين خوائن الأبصار والتقت في الغيب سوانح الإقرار والإنكار".[1]

فالفقرة صورة من صور المعرفة، وهي تتمثل في معرفة القدرة الإلهية من خلال تجلي آيات القدرة في الخلق من خلال هذه الجمل المعطوفة التي تجسدها علاقات لغوية تتمثل في وجود جهة جامعة بينها يبررها الجامع العقلي لوجود مناسبة بين هذه الأفعال(أشرقت وشرفت وتجلت). وهي تتمثل في العلاقة السببية بين الأفعال والفاعل فالأفعال تعبر عن حقيقة مطلقة (القدرة / الإلهية)، والفاعل الذي صدرت عنه وهو الله تعالى فهو القادر والقدير والمقتدر. ومنه فالأفعال تعبر عن صورة العالم المنفعل عن الفاعل (الله) ومعرفة المطلق تتسم بالعجز الذي تعبر عنه هذه الأفعال (تتاجت وردت والتقت) والتعبير بصيغة المبالغة في هذا السياق إشارة إلى ثنائية: القدرة / العجز.

والمعرفة المراد إيصالها (المتكلم) إلى السامع / المتلقي هي معرفة المطلق التي تقوم على الذوق وثمرتها المحبة التي تقوم على الذوق. وينتج عنه اللذة الروحية وهو ما تتضمنه الفقرة الثانية.

"وقيل لصاحب الشوق: هج ولها وغب علها؛ وقيل لصاحب الوجد زد تمدا أو مت كمدا؛ وقيل لصاحب العيب: إخسأ مهينا وأنا مشينا، وقيل لصاحب الحب: هات بيانا وبرز برهانا".[2]

تختلف البنية التركيبية في هذه الفقرة عن سابقتها لاشعار القارئ بتغيير المعنى. وهي تتميز بتكرار عبارة (وقيل لصاحب) في بدايات الجمل الذي يضفي الانسجام والتناغم في الفقرة بحيث يتخذه المتكلم مسوغا لتنبيه السامع / المتلقي بانتقاله من موقف إلى آخر وهو ما يعرف في البديع بحسن التخلص وحقيقة التخلص إنما هي الخروج من

1 –المصدر ص: 139.
2 –نفسه.

كلام إلى كلام آخر غيره للطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه".[1]

وبالنظر إلى محور الفقرة الأولى الذي يتمحور حول فكرة المعرفة و إلى محور الفقرة الثانية الذي يتمحور حول فكرة المحبة كان الواجب الوصل بينهما ذلك أن كلا الفقرتين تعبران عن حقيقة واحدة بصورتين مختلفتين لغرض تأكيد عمق مفهوم الألوهية.

وبالنظر إلى العلاقة اللغوية بين الفقرتين التي تتمثل في وجود جامع وهمي يجمع بينهما وذلك لورود أفعال الفقرتين في صيغتين مختلفين (المبني للمعلوم / المبني للمجهول) و الجمع سبينهما تبرره علاقة تضاد.

ويتجسد مفهوم المحبة من خلال بنى تركيبية تتمثل في جمل مركبة. ينهض الطرف الأول على تكرار عبارة (قيل لصاحب) في بدايات الجمل، وهو متعلق – فعل قيل- بهذه الألفاظ المضافة (الشوق والوجد والحب والعيب) إلى لفظ صاحب. وهي تعبير عن أحوال يعيشها الصوفي. وأما الطرف الثاني فهو يتضمن طلب إنجاز هذه الأحوال و إنجازها يتم بالعلم والعمل ومصدرهما القلب واللسان القائم على توحيد الألوهية. وهذا ما تجسده العلاقة اللغوية التي تتمثل في الجامع العقلي الذي يبرر الجمع بين الجمل.وذلك من خلال تكرار فعل قيل (اتحاد في الخبر) المسند إلى ذات غائبة (مجهولة) في التعبير وحاضرة في الخطاب (اتحاد في المخبر عنه).ومن خلال تعلقها بالطلب الذي يتضمنه الطرف الثاني. والتوحيد يستلزم الإيمان ومنه "فإن علم القلب وحاله متلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال".[2]

والغاية من المعروفة والمحبة هو القرب بهذا تكون المعرفة والمحبة مظهرا من مظاهر عبادة الله تعالى المتعلقة بتوحيد الألوهية ومن جهة فهي تعبير عن رغبة العبد في الارتقاء إلى مقام العبودية.

---

1 –المثل السائر؛ ابن الأثير، ج3، ص: 28.

2 –مجموع الفتاوى (مرجع مذكور): ابن تيمية ، ج2، ص: 289.

-مواضع الفصل والوصل في المتن

يعتمد المتكلم الربط المباشر بين الفاتحة والمتن (الفصل) لوقوعهما في حالة تقتضي القطع بينهما نظرا لاختلافهما خبرا وطلبا وانكسار بنية الخطاب. ففي الفاتحة يركز المتكلم على إقرار (خبرية) مفهوم للمعرفة والمحبة التي بها يرتقي العبد إلى مقام العبودية. وأما في المتن (طلب) فيركز المتكلم على استحضار الذات الغائبة في الفاتحة ومخاطبتها حتى يكون حضورها قويا متناسبا مع الغرض الذي يتمثل في نصحها ووعظها وهدايتها إلى سلوك الطريق الموصل إلى هذا المقام؛ مقام العبودية ويتمفصل هذا المفهوم عبر خمسة مقاطع تنهض على تكرار الملفوظ (يا هذا !) في بداياتها كعامل لغوي يؤكد على استمرار حضور الذات المخاطبة وخلق التواصل بين المتكلم / الكاتب والمخاطب / القارئ لتحقيق التماسك النصي مما يضفي على النص الانسجام باعتباره (التماسك) مظهرا من مظاهر الانسجام.

المقطع الأول

" يا هذا! افحص عن ودائع الحق فيك وانفض خزائنه قبلك واشهد آلاءه عندك وأطلب مزيدة بالشكر على نولك".[1]

يتكون المقطع من أربعة جمل معطوفة بعاطف الواو الذي يقوم بوظيفة الجمع بين الأفعال (افحص وانفض واشهد وأطلب) الذي يبرره الجامع العقلي بوجود مناسبة بين الأفعال، وهي تتمثل في الإقرار بأن الآلاء والنعم صادرة من الله تعالى﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ .[2] الذي يجب تخصيصه بالعبادة والتوكل عليه وذلك عليه وذلك بالتوجه إليه بالشكر، فالشكر يستلزم الزيادة في النعم. وهذا التعبير يحيل إلى عبودية العبد وألوهية الله تعالى.

1 -المصدر، ص: 140.
2 -سورة النحل الآية: 53.

المقطع الثاني

"يا هذا ! انظر إلى زينة مستطرفا وفكر في دواوين ملكوته مستغرقا وانتبه عن رقدتك متخوفا ثم انتبه في انتباهك متوقفا ثم احكم على نفسك مترفرفا".[1]

يتضمن هذا المقطع مفهوم المعرفة، معرفة الله تعالى التي تتضمنها العبادة ذلك أن أكثر الناس عبادة الله عبادة لله أعرفهم به فهناك تلازم بين العبادة والمعرفة.

ومحور المعرفة في هذا المقطع يتمثل في هذه الأفعال (انظر وفكر وانتبه) المعطوفة بعاطف الواو الذي يقوم بوظيفة الجمع بينهما والذي يبرره الجامع الوهمي ذلك أن الأفعال تقتسم مقوم المعرفة، وهي متفاوتة في الدرجة؛ أي أن العلاقة بينهما علاقة تضاد. وهذه الأفعال تشير إلى أصل المعرفة: النظر ← التفكير ← الانتباه.

فالأفعال السابقة (المعطوفة) يشير العاطف الواو فيها إلى أنها حدثت في لحظة زمنية واحدة. وأما تغيير العاطف من الواو إلى ثم يشير-(ثم انتبه ... ثم أحكم ...)-إلى تغيير الموقف؛ أي أن هذين الفعلين يعبران عن لحظة تالية ترتبت عن حدوث الأفعال السابقة.

وبهذا يكون أصل المعرفة هو العلم بالله والعمل لله، لأن صلاح العبد يكمن في معرفة ربه وعبادته.

المقطع الثالث

"يا هذا إن عاقك العجز المبذور فيك عن تناول الجوهر المنثور عليك فارع زهرة الأماني متعللا وتشبث بعلائق التوحيد مسترسل ونح على نفسك نوح الثكول وكاشفها مكاشفة النصوح والعقول وافتتح أمرها بأن نفطمها عن عادتها وتكظمها عن حرتها وتخدمها مستخدما لها".[2]

---

1 – المصدر، ص141؛.

2 – نفسه.

يتضمن المقطع موضوع النفس باعتبارها الأصل الذي يفرع عليه والأساس الذي ينبني عليه. فالمتكلم يجمع بين الفلسفة والتصوف باعتبارهما متكاملين باهتمامهما بجوهر الإنسان (النفس) بمجاهدتها من خلال ترويضها بالقيام بأعمال أخلاقية.

الملاحظ على هذا المقطع أنه عبارة عن جملة كبرى طرفها الأول: جملة الشرط (إن عاقك..) وطرفها الثاني: جواب الشرط (فارع ... وتشبث ... ونح ... وكاشفها ... وافتتح ... وتخدمها ..) فالربط بين الطرفين يتم بفاء الشرط، وأما الوصل بين جمل الطرف الثاني بعاطف الواو. فهي تقوم على التناظر من حيث زمنها (أمر (طلب)) مسندة إلى ذات واحدة أنت (المخاطب). ومن جهة أخرى فهي متناظرة في المستوى النحوي ولكنها مختلفة معنى. فالفعل (تشبث). يسند إلى المخاطب صفة القوة وأما الفعل (نح) فهو يستند إلى الفعل صفة الضعف، وأما الفعل (كاشفها) يتضمن صفة اللين وأما الفعل (افتتح): يتضمن صفة القوة وأما الفعل (تخدمها) تتضمن صفة القوة.

ومن خلال هذه الصفات (القوة / الضعف / اللين / القوة / القوة) فإن العلاقة بين الأفعال تتمثل في علاقة تضاد التي تبرر الجمع بينها. فهذا الجمع يشير إلى أن المخاطب في حالة مفارقة ينتقل من حال إلى حال في مجاهدة النفس و توجيهها إلى الطريق السليم لعبادة الله ومعرفته.

المقطع الرابع

" يا هذا !ارفق قليلا والحق معنى جليلا: احتجب عن الجهل بالحلم وغض عن الفهم بالوهم وانقر الذكر بالفكر واطلب المزيد بالشكر وأخف المكر في الأمر وامزج الصحو بالسكر وألف ما بين العذل والعذر وشرف القول بالفعل وتردد بين الفصل والوصل ثم ارق على الكل في الكل فإن محقق الكل فوق الكل".[1]

يكمن مدار هذا المقطع حول محور مفهوم المحبة الذي تجسده جملة كبرى؛ طرفها الأول: (ارفق ... والحق ...) والطرف الثاني: (إحتجب ... وغض ... وانقر ... وأطلب ... وأخف ...وأمزج ... وألف ... وشرف ... وتردد ... ثم ارق ...).

1 - المصدر، ص: 141-142 .

فالعلاقة بين الطرفين (مجموع الجمل) علاقة أبدال تقوم بوصف المحبة. فالطرف الأول الذي يتكون من جملتين معطوفتين بعاطف الواو الذي يبرر الجمع بين الفعلين لوجود علاقة تضاد بينهما (جامع وهمي)؛ ذلك أن الفعل (ارفق) يوحي بالسكون وأما الفعل (الحق) فهو يوحي بالحركة. فالسكون والحركة هما صورتان مختلفتان لحقيقة واحدة هي الاستعداد الذي يسبق إنجاز الفعل وهو يعني المبدل منه. والطرف الثاني هو البدل الذي يقوم بتفسير المبدل منه وهو يتمثل في الأفعال الطلبية المعطوفة بعاطفين : الواو وثم ، ومنه فإن الأفعال المعطوفة بعاطف الواو فهي تتضمن معنى السكون/ والحركة. فالسكون يشمل هذه الأفعال (أحتجب وغص وانقر وأخف) ،وأما الحركة فتشمل هذه الأفعال (أطلب وأمزج وألف وشرف وتردد). ومنه فإن الجمع بين الأفعال تبرره علاقة تضاد (جامع وهمي). وهي صورة عن حالة اللاستقرار للذات بانتقالها من حال إلى حال؛ لأن المحبة حال يرد عليها المحب (العبد) للإقبال على الله بمحبته عن محبة ما سواه.

ويختم بقوله (ثم ارق على الكل في الكل) فتغيير العاطف من الواو إلى ثم هنا يشير إلى الانتقال إلى حال أخرى. وهي الارتقاء على الكل في الكل. وفي هذا الارتقاء الاستقرار والثبوت في الكل. وهذه إشارة إلى تحقيق (لا إله إلا الله).

وهي تعني الإيمان الذي يجمع بين علم القلب وحال القلب.

المقطع الخامس

" يا هذا ! هذا لسان التصوف والتصوف اسم يجمع أنواعا من الإشارة وضروبا من العبارة وجملته التذلل للحق بالتعزز على الحق".[1]

فهذا المقطع يتضمن مفهوم التصوف وقد اعتمد المتكلم في هذا السياق على الجملة الاسمية التي تعبر عن إقرار المتكلم بهذا المفهوم الشامل الذي يعبر عن حقيقة التصوف وفق منظور إسلامي.

الملاحظ على هذا المقطع إدراج عضو اللسان ضمن العناصر اللغوية:(الاسم،

1 -المصدر، ص:142.

العبارة الإشارة والجملة) وفق علاقات لغوية يجسدها العاطف الواو بالجمع بين اللسان والتصوف الذي يشير إلى الكلام (الحوار) والذي يستدعي ذاتا متكلمة وذاتا مخاطبة/ مستمعة والعلاقة بينهما علاقة مجازية يبررها الجامع الخيالي، والعطف بين الإشارة والعبارة (مفعول به) للفعل يجمع فيشير إلى نوع الكتابة؛ أي الكتابة الصوفية التي تعتمد الإشارة والعبارة في التعبير عن الحقائق المطلقة التي يلائمها.التعبير بالإشارة (الإيماء). ومنه يكون الاسم والعبارة والإشارة تعبير في عن النص الذي تتجسد فيه هذه الكتابة والجمع بين النص واللسان يشير إلى أن النص بالنسبة للصوفية هو بمثابة الجسد "يتحدث الصوفي مع المطلق عبره صار الحديث حوارا مباشرا بين الأنا و الأنت الإنسان والله".(1)

والجملة الأخيرة "وجملته التذلل بالتعزر على الحق جملة معطوفة على سابقتها وهي تمثل امتدادا نصيا لسابقتها ويتمثل في إثبات وإقرار مفهوم التصوف الذي يكمن في العبادة التي تقتضي المعرفة والمحبة.

وهي تستلزم وجوب اختصاص الله تعالى بها لتحقيق غاية وهي أن "سعادة العبد تكمن في كمال افتقاره إلى الله واحتياجه إليه".(2)

ومما سبق فإن مظاهر العبادة التي اشتمل عليها النص (المتن) (الشكر والمعرفة والمحبة) التي يسعى العبد إلى تحقيقها رغبة في الارتقاء إلى مقام العبودية.

- *مواضع الفصل والوصل في الخاتمة*

يتم التماسك بين المتن والخاتمة بالفصل الذي يقتضي القطع لاختلافهما خبرا وطلبا، وانكسار بنية الخطاب. ففي المتن يقوم المتكلم بتقديم مفهوم عميق للعبودية وترغيبه للمخاطب في اكتسابه، وأما الخاتمة فإن الخطاب فيها موجه إلى الله تعالى تعبيرا عن عبوديته لله تعالى فهو محتاج دائما إلى حصول النعمة ودفع الضرر والشر ولا يحصل هذا إلا برحمته الواسعة ومغفرته الشاملة.

تقوم جمل النص على الوصل؛ ذلك أن الجمل كلها تعبر عن حقيقة واحدة وهي تتمثل في طلب الرحمة والمغفرة. وهي تتضمن معنى القوة والضعف. كما يبدو من

---

1 –الصوفية والسوريالية؛أدونيس ، ص؛116.

2 –مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)؛ابن تيمية ، ج1، ص34.

النص: "اللهم وقونا بعزيمة الراجعين إلى بابك، وبيض وجوهنا عند مناجاتك، واغمرنا بمواد مواهبك ومنحك، وآونا إلى كنف أمنك بالأمن منك، أمطر علينا سحائب جـــودك وعطفـك، ووفقنا لأقصد السبيل إليك، وخفف علينا في كل الأمور التوكل عليك وسهل علينا طــلاب مــا أعددته لأوليائك لديك، اسلبنا منا، وشردنا عنا، وخذلنـــا، وبقنــا علينــا، ولا توالنــا بــالنعم استدراجا ولا تمهلنا بالتطاول احتجاجا، وجد علينا إذا صدر الناس أشتاتا إليك وكلنـــا كلنــا، وعليك طرحنا كلنا يا من هو أرحم بنا منا، أنظر لنا من أنفسنا، والطف بنا من آبائنا وأمهاتنا أمح عنا صفاتنا باستلائك، ثم خلنا عليك فيك بولائك".[1]

إن الجمع بين هذه الجمل المعطوفة بعاطف الواو (وقونا ... وجد علينـــــا) تـــبرره علاقة تضاد وذلك أن أفعال هذه الجمل تمثل تجليات الضعف البشري من خلال إدخـــــال الجانب الذاتي في نسيج العبارة الذي يتمثل في تكرار الضمير (نا). ومن جهة فإن تكـــرار الضمير (ك) يمثل تجليات القوة الإلهية التي تحيل إلى رحمة ربانية وعناية إلهية للعبد.

و كما ترد في الجملة التالية (إليك وكلنا وعليك طرحنا كلنا) مفصولة عن ســابقتها، "لإقرار وتأكيد كمال وغنى الله وهو –سبحانه – بالغ أمره فكل ما يطلب فهو يبلغه وينالـــه ويصل إليه وحده لا يعينه أحد ولا يعوقه أحد لا يحتاج في شيء منا أموره إلى معين ومـــا له من المخلوقين ظهير وليس له ولي من الذل".[2]

وكما ترد أيضا هذه الجملة (يا من هو أرحم بنا منا أنظرنا من أنفسنا وألطف بنـــا من آبائنا وأمهاتنا) مفصولة عن سابقتها لتأكيد صفة أخرى له –ســـبحانه – وهـــي ســـعة رحمته. فهو سبحانه وتعالى "يعلم مصالحك ويقدر عليها ويريدها رحمة منه وفضلا وذلـك صفة من وجهة نفسه لا شيء آخر جعله مريدا راحما بل رحمته من لوازم نفسه فإنه كتب على نفسه الرحمة ورحمته وسعت كل شيء".[3]

1 -المصدر، ص:144.
2 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور):ابن تيمية ،ج1،ص32.33 .
3 -نفسه، ص:33.

ويختم بجملة مفصولة عن سابقتها أيضا: أمح عنا صفاتنا باستلائك ثم خلنا علينا فيك بولائك، وهي تفيد تأكيد وإقرار فناء العبد بتعلقه عن تعلق ما سوى الله رغبة في فناء صفاته عنه لبقاء استلاء التوحيد والإيمان في قلبه ويشير العاطف ثم إلى غاية يهدف المتكلم /الكاتب الوصول إليها وهي مقام الولاية .

وفي هذه الحالة يكون العبد محققا للبقاء مع الله والقرب إليه بحلول نور الإيمان في قلبه بل عموم النور في العبد.

ومما سبق تكون القوة والرحمة والولاية إقرار بالألوهية، ويكون الضعف والخضوع والافتقار إثبات للعبودية.

وبناء عليه يكون مدار الرسالة كلها حول محور ثنائية: الألوهية/ الربوبية باختلاف مظاهرها . وهذا ما يضفي على الرسالة الانسجام.

الرسالة زمج

-مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يتضمن نص الفاتحة فكرة العبادة وهي عبارة عن دعاء؛ والدعاء مخ العبادة وهي على النحو التالي: "اللهم اغرس أشجار كلامنا في خطط قلوبنا، ثم اسقها بصوب تأييدك عند رقدتنا وانتباهنا ثم استخرج أوراقها وأزهارها في تصاريف أحوالنا، ثم حمل ثمارها بصبرنا ووفائنا على اختلاف سرائنا وضرائنا فإنك إذا دبرتنا هذا التدبير شمرنا من قصدنا أشد التشمير".[1]

تمثل الأفعال المعطوفة بثم (اغرس ثم اسق استخرج حمل) تجليات لطلب القوة الموحي بالضعف الذي يعتري الذات وطلب القوة في هذا السياق يعكس قصور الانسان وضعفه الذي يسعى إلى استكماله بالعبادة. وهي الغاية التي من أجلها خلق الخلق؛ ولكن القيام بفعل العبادة يتطلب القوة.

والغاية من الأمر بالعبادة تحقيق كمال النفوس وصلاحها وغايتها ونهايتها.

1 - المصدر، ص:355.

والعبادة مخصوصة لله تعالى وحده لا شريك له فهو المستحق لها لذاته. ومنه فإن العبادة تحيل إلى العبودية على وجه الافتقار (العبد) وكما تحيل إلى الألوهية على وجه التعظيم أي أنه المخصوص بالعبادة لأنه المألوه المعبود الغني عن العالمين.

-مواضع الفضل والوصل في المتن

ترد الفاتحة والمتن مفصولان لتماثلهما طلبا، وانكسار بنية الخطاب. ففي الفاتحة ركز المتكلم/ الكاتب على إقرار مفهوم العبادة من خلال الدعاء. وأما في المتن فركز على وعظ ونصح المخاطب بالفناء في الدنيا الفانية وتشويقه بالمبالغة في العبادة. فهي الطريق الموصل إلى الحي القيوم الدائم والبقاء مع الله بالله.

المقطع الأول

" يا هذا! أعلى الدنيا تعرج وفي طلبها تلج ونيرانها تؤجج؟ لم هذا؟ وكيف به؟ أين حصافتك وبصيرتك؟ وأين نظرك واختبارك؟ وأين استنباطك وفطنتك؟ وأين معرفتك بالدقيق والجليل ؟ وأين تحصيلك للقليل والكثير؟ وأين حسك الصادق الصحيح والعليل؟..."[1].

في هذا المقطع تقديم صورة الدنيا من خلال الجمع بين الأفعال (تعرج وتلج وتؤجج) يبرز الجامع الوهمي باعتبار أن هذه الأفعال تقتسم مقوم حب الدنيا والاستغراق فيها. والاستنكار إشارة إلى صفتها (الغرور) وفيها هلاك الإنسان ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(16)وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[2]

ويؤكد هذا المعنى تتال الجمل الاستفهامية التي وردت مفصولة عن سابقتها وهي تفيد تأكيد واقرار استنكار حب الدنيا الغرور.

1 -المصدر، ص: 355.
2 -سورة الأعلى، الآية: 17/16.

المقطع الثاني

" يا هذا ! إنما أذكر لك معايب الدنيا حتى تطهر نفسك من أنجاسها وتتباعد جهدك من أدناسها وتفرد حالك من أحوال ناسها".[1]

يرد المقطع مصدرا بأداة إنما لغرض إيجاب وتأكيد معايب الدنيا، ووجوب الانصراف عنها لغاية تكمن في هذه الأفعال المعطوفة بعاطف الواو (حتى تطهر نفسك ... وتتباعد جهدك ... وتفرد حالك ...) فالجمع بين هذه الأفعال يبرره جامع وهمي ذلك أن الأفعال تتقاسم مقوم الارتقاء –بتفاوت في الدرجة – فالعلاقة بينها علاقة تضاد. ويعتبر هذا المقطع امتدادا للمقطع السابق.

المقطع الثالث

" يا هذا ! إنما أشوك إلى هذا المحل نظرا لك وأذلل لك السبيل إليه شفقا عليك".[2]

إن تكرار الأداة "إنما" في هذا المقطع يشير إلى تأكيد رغبة المتكلم/الكاتب في تحويل المخاطب من حال الدنيا الفانية بالموصوفة بدار الغرور إلى حال الآخرة الباقية الموصوفة بالنعيم الدائم، فهي خير للإنسان وأبقى له.

وهذا لا يحصل إلا بالتشويق إليها (الحياة الآخرى) بذكر محاسنها ونعمها ... ويتمثل هذا من خلال عطف فعل أذلل على فعل أشوق بعاطف الواو الذي يوجب انجاز الفعلين معا لتأكيد رغبة المتكلم في هداية المخاطب إلى الطريق المستقيم الموصل إلى النعيم الدائم والأنس الدائم ...

المقطع الرابع

"يا هذا! الزم باب الافتقار إليه بالدعاء فإنك ما دمت على هذا الالتزام رجوت لك الفوز وقد قيل:

أخلق بذي الصبر أن يحضى بحاجته   ومدمن قرع للأبواب أن يلجا.

1 -المصدر، ص:356.

2 -المصدر، ص:358.

وثق بالله ما أو لعك بذكره إلا وقد رشحك لوصله ولا أوحشك من خلقه؛ إلا وقد هيأك بأنسه".[1]

يتضمن المقطع المفهوم العميق للعبادة من خلال ملازمة العبد الافتقار بالدعاء إلى الله والثقة به. وهي مدار الربوبية من خلال علاقة العطف بين الفعلين (الزم وثق) التي توجب إنجاز الفعلين معا وتلقهما بلفظ الجلالة (الله) يعني تخصيص الله تعالى بالعبادة (الدعاء) والثقة به للتعبير عن أعظم افتقار العبد إلى الله ليكون أقرب إليه للتنعم بالسعادة؛ لأن أسعد الخلق أعظمهم عبودية.

وإقرار العبد بافتقاره إلى الله هو أمر فطره الله عليه. والمقصود بالافتقار هو "أن الإنسان وكل مخلوق فقير إلى الله بالذات وفقره من لوازم ذاته يمنع أن يكون إلا فقيرا إلى الله خالقه وليس أحدا غنيا بنفسه إلا الله وحده فهو الصمد الغني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه فالعبد فقير إلى الله من جهة ربوبيته ومن جهة إلاهيته".[2]

المقطع الخامس

"يا هذا ! اسمع رطانة أخرى ولغة ليس فيها نحوى وكن من قبولك لها ونبوك عنها بين تقوى فإن العبارة قد طالت في وصف الدنيا والإشارة قد توالت في الخبر عن أصحاب البلوى".[3]

يشير المقطع إلى نهاية الكلام السابق وبداية الكلام اللاحق ويبدو هذا من خلال الجمع بين الفعلين (اسمع وكن) -بالواو – ومبرر الجمع بينهما الجامع العقلي الذي يشير إلى وجود علاقة سببية بينهما؛ أي أن ما يكون عليه المخاطب / السامع ناتج من ما سمعه من المتكلم/ الكاتب وهذا يوحي بتأثير فعل (اسمع) على السامع. والجملة الاسمية المؤكدة (فإن العبارة ...والإشارة...) تشير إلى تأكيد وإثبات حقيقة الاعتبار بصورتين مختلفتين من خلال الجمع بين لفظ (العبارة) الذي يشير إلى وصف معايب الدنيا ولفظ (الإشارة)

1 -نفسه،ص؛360.
2 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)؛ابن تيمية ،ج1، ص:35.
3 - مصدر، ص؛360.

الذي يشير إلى خبر أصحاب البلوى، ومبرر الجمع بينهما علاقة التضاد والهدف من هذا اعتبار المخاطب / السامع.

المقطع السادس

" يا هذا ! كنت كونا بائدا من أنت به فكأنك كونك مطلقا ثم تكونت بإمداد من كنت له فصار تكوينك امتدادا لكونك فلما بلغت آخر التكوين بنت وإنما بنت لمن كنت به فلما بنت تبينت، أعني ظهرت خالدا بعدما كنت غبت بائدا إلا أن بيدودتك كانت بالحس وخلودك كان بالقدس". (1)

يكمن مدار هذا المقطع حول الإقرار بالربوبية من خلال تضمنه لمشاهد القدرة والخلق والفضل؛ أي أن الألوهية له (الله) (كنت كونا بائدا ... ثم تكونت بإمداد ...) ثم تفيد معنى التحول؛ تحول الإنسان من حالة العدم﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا"﴾. (2)

إلى حالة الوجود أن خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة. فلما بلغت آخر التكوين ...كنت به وفي هذه الجملة إشارة إلى قدرة الله تعالى وفضله على الإنسان أن أخرجه من ظلمات العدم إلى نور الوجود وكما تفضل عليه بالخلود (خلودك كان بالقدس) أي عودة الإنسان إلى الجنة.

المقطع السابع

" يا هذا ! من عرف في الشاهد لم يخلو بالغائب ومن اعتنق الغائب لم يلتفت إلى الشاهد ومن تذبذب بينهما فهو الساقط". (3)

1 - المصدر، ص: 360.
2 - سورة الإنسان، الآية: 1.
3 - نفسه، ص: 361.

يتكون المقطع من ثلاث جمل طلبية مركبة معطوفة على بعضها بالعاطف الواو الذي يفيد الترتيب والجمع، فالجمع بين الفعلين (عرف واعتنق) تبرره علاقة تضاد من خلال تعلق الفعل عرف بالشاهد والفعل اعتنق بالغائب، وأما الجمع بين الفعلين اعتنق وتذبذب فتبرره علاقة شبه تضاد (جامع وهمي) والأفعال الثلاثة الواردة في المقطع تشير إلى حال المعرفة. وهي مظهر من مظاهر العبادة المتعلقة بالألوهية.

المقطع الثامن

" يا هذا ! أتريد أن تصيب الهدف ولم تسدد! أتريد أن تبلغ المنزل ولما تجتهد! أتريد أن تلحظ الأعلى ولما تحدق! أتريد أن تجالس الملوك ولما تتأدب! أتريد أن تسعد جزافا وتنال مرادك اختلاسا".[1]

ترد جمل هذا المقطع مفصولة كونها تقتضي كمال الاتصال. فهي تفيد تأكيد وإقرار (الوصول) البلوغ إلى الحقيقة بالعلم والعمل لا بالرغبة.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

ترد الخاتمة مفصولة عن المتن لتماثلهما طلبا وانكسار بنية الخطاب ففي المتن يقدم المتكلم/ الكاتب صورا للعبودية والألوهية رغبة في إبلاغ مفهومهما للمخاطب. وأما في الخاتمة فيوجه المتكلم خطابه إلى الله تعالى رغبة في رحمته ورأفته (إثبات العبودية) وإقرارا بالربوبية له.

الملاحظ على هذه الرسالة (زمج) أنها بدأت بلفظ اللهم (دعاء) وختمت بها - الدعاء-؛ أي تكرار لفظ اللهم في بداية الرسالة (الفاتحة) ونهايتها (الخاتمة) ولهذا التكرار دور في "اتصال أول الكلام بآخره اتصالا جيدا".[2]

يكمن مدار هذه الرسالة حول محور العبادة والغرض منها ارتقاء العبد إلى مقام العبودية رغبة في التقرب إلى الله.

---

1 -ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل ع/ المجيد، ص:101.
2 -المصدر، ص:362.

والخاتمة تتضمن مفهوم الرحمة الذي يتجسد عبر جمل هذا النص :" اللهم رحمتك نرجو ورأفتك نتمنى وإليك نضرع إذا صفونا، وإلى فنائك نسير إذا خطونا وإياك نطلب إذا عطونا وبك نستجير إذا نبونا وباسمك نلهج إذا صفونا وآلاءك ننشر إذا صبونا و إلى بابك نقصد إذا حبونا وعفوك نلتمس إذا هفونا وبجنتك نتقي إذا زمونا فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام".[1]

يشير الخطاب في هذا السياق إلى خطاب دعاء المسألة والاستعانة بالله تعالى وحده. فالداعي يسأل الله الرحمة فهو الرحمن الرحيم؛ أي أنه رحمان الدنيا و الآخرة ورحيمها. وأما الرأفة فهي متضمنة في الرحمة وكما توجد إلى جانب الرحمة القدرة يتسع مفهوم الرحمة وتتعدد دلالاتها من خلال الجمل المعطوفة بعاطف الواو، الذي يؤدي معنى الجمع بينها. والأفعال التي تتضمنها الجمل: (نرجو، نتمنى، نضرع، نسير، نطلب، نستجير، نلهج، ننشر، نقصد، نلتمس، نتقي) فهي تكاد تكون بمعنى ارحمني برحمتك الواسعة "

ومبرر الجمع بينها علاقة شبة تضاد بين الضميرين (ك / نحن) ويؤكد سعة رحمته (الله) في كتابه العزيز ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(7)﴾ .[2]

وشمول الرحمة وسعتها تحيل إلى أن الله تعالى هو الرحمن الرحيم الذي يستلزم إلى جانب هذه الرحمة القدرة "وهو سبحانه قادر بنفسه وقدرته من لوازم ذاته".[3]

ويختم بالجملة تختلف عن سابقتها في التركيب والدلالة. فهي توحي عن استنفاذ الدلالة "فكن لنا ولا تكن علينا" فهي ترتبط بسابقتها برابط الفاء التي تفيد السببية. والجملة

1 -صحيح الأحاديث القدسية، (مرجع مذكور)، كتاب التوبة ،باب(4)، وسعة رحمة الله تعالى ، رقم الحديث 2108 أبو ع/الرحمان عصام الدين الصبابطي ،ص:275.
2 -سورة غافر، الآية:7.
3 - مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)، ابن تيمية، مج1، ج1، ص:32.

تتضمن معنى طلب العون والاستعانة بالله فهو المعين و المستعين لقوله "وإياك نستعين" وهي إشارة إلى أن "آخرها اقتض عبوديته التفويض والتسليم وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك".[1]

ومنه يكون طلب الاستعانة بالله تعالى لأنه رحيم ورحمن وقادر. وتأتي الجملة الختامية "يا ذا الجلال والإكرام!" خاتمة موحية بانتهاء النص واستنفاذ دلالته، وهي ترد مفصولة عن سابقتها. فهي تمثل دعاء بالأسماء الحسنى (الجلال والإكرام) والفصل بينهما يشير إلى كمال الانقطاع لأن مضمون الدعاء يتمثل في طلب الرحمة والقدرة (دعاء مسألة) والجملة الأخيرة تشير إلى دعاء العبادة (توحيد الأسماء والصفات)

الرسالة (لح هـ)

-مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

تتمحور هذه الرسالة (لح هـ) حول مفهوم العبادة، العبادة بالعلم. والعمل وهي متعلقة بالألوهية، والاستعاذة بالله متعلقة بالربوبية. ويتجلى الإقرار بالربوبية من خلال تجليات القدرة في الخلق وتتجسد هذه المفاهيم عبر بنى تركيبية تقوم على الفصل كما تبديه البنية السطحية للنص. والفصل بين جمل النص يشير إلى تأكيد وإقرار كمال العبادة التي تقوم على الاخلاص للمعبود بحق.

ويبرز هذا من خلال تركيز المتكلم / الكاتب على تكرار جملة من العوامل اللغوية كتكراره للأداة (حرام) في بدايات الجمل سبعة عشر مرة وتكرر لفظ الجلالة (الله) في النص أربعة وثلاثون مرة كما يبدو في هذه الجمل المتتالية "حرام على قلب استنار بنور الله أن يفكر في عظمة غير الله! حرام على لسان تعود ذكر الله أن يذكر غير الله! حرام على نفس طهرت ما أدناس الدنيا لله أن تدنس بشيء من مخالفة الله ! حرام على عين نظرت إلى مملكة الله أن تحدق إلى غير الله ! حرام على كبد ابتلت بالثقة بالله أن تطمئن إلى غير الله! ".[2]

---

1 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)، ابن تيمية، مج1، ج1. ص،70.
2 -المصدر، ص،374.

يعكس تكرار هذه العوامل رغبة المتكلم في استحضار الذات الغائبة التي وجه لها الزجر في أن تستقيم في سلوكها لتحقيق الغاية التي خلقت من أجلها ألا وهي العبادة. وهي تقوم على الإخلاص والتوحيد؛ توحيد الألوهية.

تشير الألفاظ (القلب، اللسان، النفس، العين، الكبد) إلى الجوارح والجوارح من الشعائر الدينية فالقلب هو مصدر الايمان والتوحيد واللسان مفوض بالذكر والدعاء. فالبذكر تطمئن القلوب، والأمر بعبادة الله كان بالقلب واللسان. والنفس تعني الروح، وهي منبع اللذة التي تحصل بعد استيلاء المحبة على القلب. والعين تنعم بالنظر إلى النعيم. والكبد هو منبع الثقة.وجملة هذه الجوارح تؤكد افتقار العبد إلى ربه وحاجته الدائمة إليه. فلا ملجأ إلا إلى الله.

تعتبر الجمل اللاحقة امتدادا معنويا للجمل السابقة، لأنها تؤكد على لزوم العبد الافتقار والحاجة الدائمة إلى المعبود بحق، لأن غنى العبد في طاعة ربه.

فقد استبدلت الألفاظ السابقة باسم الموصول "من" للعاقل وهو يدل على العموم.

"حرام على من لم ير الخير إلا من الله أن يحدد طمعا! حرام من شرف بخدمة الله أن يتضع بخدمة غير الله! حرام على من ألف فناء الله أن يعرج إلى غير الله! حرام على من تلذذ بمناجاة الله أن يناجي غير الله! حرام على من رتع في نعمة الله أن يعبد غير الله! حرام على من سكن حرم الله أن يتعرض لحرم الله! حرام على من دعا إلى الله أن يجيب غير الله ! حرام على من عبد الله أن يتخذ مولى سوى الله! حرام على من أنس بالله أن يأنس بغير الله ! حرام على من عرف قدرة الله أن يتعرض لسخط الله! حرام على من عرف عفو الله أن يغلب اليأس من الله! ".[1]

إن تكرار اسم الموصول (من) اثنتا عشرة مرة في هذه الفقرة الذي يحيل إلى ذات غائبة في التعبير وحاضرة في الخطاب رغبة في ترغيبها وترهيبها في العبادة إقرارا بالألوهية فالنص كله يقوم على نواة العبادة المتعلقة بالألوهية.

1 - المصدر، ص:375.

-مواضع الفصل والوصل في المتن

يتم التماسك بين الفاتحة والمتن بالفصل لاختلافهما خبرا وطلبا، وانكسار بنية الخطاب ذلك أن الألوهية تقتضي الربوبية التي تمثل نواة المتن الذي يرد الخطاب فيه مركزا على ذات المخاطب بحيث يقوم المتكلم/الكاتب بتعريف الربوبية بما تقتضيه من استعانة ودعاء. وتتمفصل هاتين القضيتين عبر مقطعين نصيين.

المقطع الأول

" يا هذا ! إنما أنت بجوارحك وجوارحك بك فإذا رتبتها في مراتبها كانت لك وكنت لها فإذا فسد نظامها كانت عليك لا لك. أعني أن لك قلبا فرتبه على الفكر في أفعال الله وسرا فاحشه بمحبة الله؛ وضميرا فقلبه في تيه حسنة لوجه الله، ونفسا فوكلها بالرضا عن الله وروحا فسرحه في رياض نعم الله؛ وعينا فسددها في اعتبار خلق الله، ويدا فمرنها على تناول الواجب من ملك الله، وقدما قصرها على الخطوات إلى باب الله، وعقلا فاجعله رائدا لك عند الله، وعلما فأقصره على العمل لوجه الله؛ وكلا فابذله فدى لمرضاة الله؛ وبعضا فقفه على سلوك في سبيل الله".(1)

يمثل هذا المقطع امتدادا نصيا للفاتحة. فهو يتضمن مفهوم العبادة التي تقوم على العلم والعمل؛ أي العلم بالله والعمل لله، وهو يركز على رياضة الجوارح وتوجيهها إلى الله؛ لأن وظيفة هذه الجوارح خدمة الله.

فالجملة الأولى مؤكدة بـ"إنما" فهي تشير إلى علاقة تلازم بين الإنسان وجوارحه. فصلاح الجوارح سيستلزم صلاح الإنسان والعكس صحيح. تلي الجملة الأولى جملتان شرطيتان مفصولتان. فالفصل بين الجملة الأولى والثانية لاختلافهما خبرا وطلبا وأما الفصل بين الثانية والثالثة فيشير إلى تأكيد إصلاح هذه الجوارح لتأثيرها على الإنسان.

1 -المصدر، ص375.

وأما الجملة (أعني أن لك قلبا ... سبيل الله) فهي عبارة عن جملة كبرى امتد فيها الطرف الثاني بواسطة العاطف الواو. وهي تقوم بتفسير الجمل السابقة من خلال هذه الجمل المعطوفة بالواو. وتكمن وظيفة الواو على هذا السياق في العطف والترتيب.

وتتمثل الجوارح في هذا المقطع في هذه الألفاظ (القلب والضمير والنفس والروح والعين واليد والقدم والعقل) كلها خاضعة لله طوعا في القيام بالعبادة؛ لأنها ستسأل يوم الآخرة وتحاسب على عملها. وهذه إشارة إلى كمال خضوع الإنسان لله تعالى الذي يحقق له كمال صلاحه وعبوديته.

المقطع الثاني

" يا هذا ! أما ترى حدثان الدهر أما تحس مصائب الدنيا؟ أما تشعر بأحكام الوقت؟ أما ترى دوران الشمس؟ أما تحس باختلاف الليل والنهار؟ أما تؤمن بغيب هذا الشاهد؟ أما تثق بشهادة هذا الغائب؟ أما تبصر بعين الراس تصاريف القدرة؟ أما تضطر إلى الإقرار بربوبيته؟ أما تلتجئ إلى القيام بديونته؟...". [1]

ترد جمل هذا النص مفصولة ويتصدرها أداة (أما؟) التي تفيد معنى التحضيض؛ تحضيض المخاطب والفصل هنا يشير إلى إقرار الربوبية من خلال تجلي آيات القدرة في الخلق وهي تتمثل في (حدثان الدهر، مصائب الدنيا، أحكام الوقت، دوران الشمس، اختلاف الليل والنهار، الإيمان بالغيب، الثقة في الشاهد). وهذه إشارة إلى أن "الرب سبحانه وتعالى هو المالك وفيه أيضا معنى الربوبية والإصلاح والمالك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء". [2]

وبناء عليه فإن الفاتحة والمقطع الأول من المتن فيهما إشارة إلى التحقيق بالنهي والأمر العبادة لله تعالى وحده لا شريك له. وهذا كشف عن الألوهية، وأما المقطع الثاني فإنه يتضمن معنى الربوبية من خلال تجليات القدرة في التصرف في الكون فهو المالك.

---

1 - المصدر، ص: 375.

2 - مجموعة الفتاوى: ابن تيمية، مج1، ج1، ص: 69.

وهنا تظهر للعبد سر الربوبية أن الملك والتدبير بيد الله تعالى وحده لا شريك له تصديقا لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1)﴾.[1] ومن خلال المشهدين السابقين يمكن التوصل إلى نتيجة تتمثل في الإقرار بالألوهيته له والربوبية له (الله).

وبهذا يكون الواصل إلى هذه النتيجة فقيها في عبوديته؛ لأن لهذين المشهدين الألوهية والربوبية – عليهما يكون مدار الدين الذي عبر عنه المتكلم/الكاتب بقوله "أما تلتجئ إلى الإقرار بدينونته؟" فاللجوء إلى الإقرار بديونته (الله) تعبيرا عن غنى العبد عن الخلق ومن جهة فهو تعبير عن كمال عبوديته لله سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول فإن كشف سر الكلمات الكونيات هو علم صفة الربوبية وكشف سر الكلمات التكليفيات هو علم صفة الألوهية. والواصل إلى كشف هذه الأسرار يكون محققا لمقام العبودية.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

يقوم الربط بين المتن والخاتمة على الفصل لاختلافهما طلبا وخبرا، وانكسار بنية الخطاب. والخطاب في المتن مركز على ذات المخاطب الحاضرة في التعبير والخطاب. وهذه إشارة إلى حضورها القوي المستمر الذي يوحي برغبة المتكلم/الكاتب في ارتقائها (ذات المخاطب) إلى مقام العبودية من خلال كشف سر الألوهية وسر الربوبية، وأما الخطاب في الخاتمة فهو موجه إلى مخاطب خاص وهو يحيل إلى الملاحدة الذين يؤمنون بالاتحاد والحول. وقد رد عليهم المتكلم /الكاتب بالاستعاذة بالله.

تمثل الجملة"**هذا الواصل إلينا من إشارتك**" الجملة الختامية فهي توحي للسامع/المتلقي بالنهاية وإشعاره باستنفاد الدلالة واكتمال المعنى؛ أي مفهوم التصوف من منظور المتكلم/الكاتب. وتتلو هذه الجملة جملة مركبة (شرطية) هي "**فأما ما إختاص والتوى من مثل قولك:**

---

1 - سورة الملك، الاية:1.

تباركت خطراتي في تعاليي فلا إلـه إذا فكرت إلا أني

وقولك فيه:

لآية الهو في هويه إلانــي مثل الدواء الذي تبغيه للداء

فإليك بيانه وعليك برهانه ولسنا نشاحك فيه ولا ننافسك به؛ لأن اللفظ به كدر، والمعنى عسر، والإرادة في شق، والعبادة في شق، وبهاؤه منتزع، وتصحيحه ممتنع".[1]

وفي هذه الجملة إشارة إلى استفتاح كلام جديد يتمثل في جملة الشرط التي تتضمن جملتي مقول القول (البيتين) المعطوفتين بعاطف الواو الذي يفيد معنى الجمع وتبرره علاقة تضاد (جامع وهمي) بين الاتحاد والحلول الذين يشيران إلى اتحاد العبد والرب وهذا القول هو شرك بالله، وهو مرفوض عند المؤمن.

وتمثل الجمل المتتالية المعطوفة "فإليك بيانه وعليك برهانه ولسنا نشاحك فيه، ولا ننافسك به، لأن اللفظ به كدر، والمعنى عسر، والإرادة في شق، والعبارة في شق، وبهاؤه منتزع وتصحيحه ممتنع".[2] جملة جواب الشرط والفاء رابط بين الشرط وجوابه؟، وهي تتضمن موقف المتكلم/الكاتب (التوحيدي) الرافض لهذه الفكرة -الاتحاد والحلول- والرد بالاستعاذة بالله" ونعوذ بالله من ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(*) (6)﴾.[3]

الواو في هذا السياق واو ابتداء، ابتداء غاية وهي إشارة إلى إبطال ورفض فكرة الاتحاد والحلول؛ لأنها من عمل الشيطان الموصوف بالوسواس الخناس، ذلك أن التقرب إلى الله تعالى ليس تقربا بالذات، بل هو تقرب بالإيمان، والإيمان هو نور يقذفه الله تعالى في قلب عبده فيكون الله في قلب عبده بالمعرفة والمحبة.

1 -المصدر، ص: 388.
2 - نفسه.
* - سورة الناس، الاية: 7/6.
3 -نفسه ،

وخلاصة القول فإن تحليل الرسائل وفق قانون الفصل والوصل اثبت تماسكها وانسجامها ذلك أنها جميعا تقوم في بنائها على ثنائية: العبادة/الاستعانة بمختلف صورهما. وهما متعلقتان بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات. وهذا يستلزم الإقرار بالتوحيد الشامل الذي ألزم الإشعار بالعبودية.

وبناء عليه تكون رسائل الكتاب كلها عبارة عن رسالة واحدة تقوم على فكرة تتمثل في ثنائية: الألوهية /الربوبية وهذا يؤكد مدى اتساق وانسجام رسائل الكتاب حتى أصبح ككلمة واحدة تتمثل في عقيدة التوحيد الشامل.

ثانيا: المنظور البنيوي.

يعتبر المنظور البنيوي وصفا للبنية الإحالية في النصوص ويهدف إلى إقامة نموذج يضبط الطرائق التي تتماسك بها أجزاء النص بالاعتماد على العناصر الإحالية (شكلية/دلالية) التي تؤدي بتفاعلها دور التواصل بين عناصر النص.

وبناء عليه تقوم شبكة من العلاقات بين العناصر المتباعدة في فضاء النص فتنضام وتتعلق حتى تصبح كلا موحدا متآخذا. ويمكن أن نطلق على العلاقات الاحالية في اللغة مبدأ الاقتصاد اللغوي في اللغة. وتتمثل عناصر البنية الإحالية في النص في العنصر الإشاري والعنصر الإحالي (المرجعية) باعتبار أن اللغة نفسها نظام احالي إذ يحيل على ما هو غير لغوي؛ أي ما وراء اللغة (Métalinguistique).

ولهذا فإن علماء النص يهتمون بالإشارة والإحالة في تحليل النصوص وربطها بالمقام لمساهمتها في التماسك النصي وانسجامه.

أ- العنصر الإشاري (Déictique).

ينطوي العنصر الإشاري على مجموعة من العناصر اللغوية وهي تتمثل في الضمائر وأسماء الإشارة واسم الموصول والظرف (الزمان / المكان).

-مفهومه.

العنصر الإشاري Deictic Element "يشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة فيمثل العنصر الإشاري معلما (index) لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره .وتمثل العناصر الإشارية فيه جملة

الذوات التي تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب؛ وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى. فهي ترتبط بالحقل الإشـــاري (Deictic Field) ارتباطا آنيا محددا مباشرا لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل".[1]

ويمثل العنصر الإشاري عند النصابين رابطا احاليا مضمرا يقوم بتنظيم الفضـــاء النصي انطلاقا من عناصرها اللغوية.

-عناصره(العنصر الإشاري) :

تلجأ العربية إلى الربط بواسطة ألفاظ لأمن اللبس في الفهم بين معنيين أو اللبـــس في فهم ارتباط المعنيين. وتتمثل هذه الواسطة اللفظية في العنصر الإشاري الذي يشـــتمل على الضمير بأنواعه(البارز، المنفصل، المتصل، الاســم الموصـــول، اســم الإشـــارة) فالإضافة إلى الربط "وليس الربط بالضمير كالربط بالأداة فوظيفة الربط بالضمير ناشـــئة مما في الضمير من إعادة الذكر وهذا تعليق وائتلاف وربط" [2]

- الضمائر :

وهي تعبر عن الإضمار كما يعبر عنه سيبويه(ت 180هـ) بقولـــه" إنمـــا صـــار الإضمار معرفة وما تعني وانك تريد شيء بعدما تعلم ان ما يحدث قد عرف ما تعني وما تعني وأنك تريد شيئا يعلمه" [3].

تنقسم الضمائر حسب قرينة الحضور في المقام أو الغياب إلى قسمين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب. فهي تقوم مقام ما يكنى عنه بقول شارح كتاب المفصل أنه " لا فرق بين المضمر والمكنى عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناهـــا واحد وإن اختلفا من جهة اللفظ.أما البصريون فيقولون أن المضمرات نوع من المكنيـــات فكل مضمر مكنى وليس كل مكنى مضمر "[4]

وعند المحدثين" تعتبر الضمائر في الناحية التقليدية بدائل عن الاسم (كما يوضحـــه

1 -نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا)؛الأزهر الزنادي،ص:115- 116.
2 -نظام الربط والإرتباط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حمودة ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، بيروت ، لبنان ،ط1، 1997م،ص155.
3 -الكتاب:سيبويه (عمر بن بحر بن قمبز)،تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية بيروت القاهرة ، ط3،1804هـ، 1988م، ج1،ص278.
4 -شرح المفصل ابن يعيش، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان،ج1،ص184.

المصطلح Pronoun القائم مقام الاسم)، لكن أغلب فروع الضمائر (عدا ضميري الوصل Who الذي للعاقل Wich الذي يغير العاقل) لها أيضا وظيفة مختلفة تماما يمكن أن يقال أنها أكثر أهمية من النيابة عن الاسم الذي يسبقها أو العبارة الاسمية التي تسبقها وهذه هي الوظيفة الدليلية أو التشخيصية* ".[1]

ومن الضمائر التي تشكل عمدة النصوص ضمير المتكلم (أنا) وهو الشخص الذي يتكلم وله دور إيجابي وهو المرسل في الخطاب ويقابله ضمير الخطاب (أنت) في المقام وهو الشخص المتحدث عنه أي المرسل إليه ويعني هذا أن الضميرين: أنا / أنت يمثلان شخصا التبادل الخطابي ويقابلهما ضمير الغائب (هو) "وله دلالة عامة وحيدة وثابتة تكمن في أنه يدل على موجه الرسالة ومتلقيها أنت".[2]

ويسمى عند بعض اللسانين بشبح الحقيقة آلان بيرندونيه A.Berrendone أو شخص العالم جورج موانيه G.Moignet وهو "يشكل مجة إشارية تحيل إلى مشترك ما هم في عملية الاتصال مثله في ذلك مثل تلك الكائنات المشار إليها بـ: أنا ضمير المتكلم وبـ: أنت ضمير المخاطب".[3]

من خلال ما سبق فإن الضمير قد جعل أصلا للروابط وهذا يوضح إدراكا لأهمية الضمير النصية الشيء الذي يلتقي اهتمامات التحليل النصي المعاصر.

وتعد الضمائر عند النصانيين من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي في كونها تحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النص(مرجعية سابقة). والغموض في الإحالة لا ينفك إلا باللجوء إلى السياق الخارجي" وذلك لأن سياق المقام في الخطاب يتضمن(سياق الإحالة) وهو تخيل ينبغي أن ينبني انطلاقا من النص نفسه بحيث أمن الإحالة داخلية يجب أن تكون نصية"[4]

* – إن المصطلحين التشخيص والدليلية ينشأن عن مفهوم الإشارة الايمائية أي ايمائة جسمية يقوم بها المتحدث عند تعريف المقصود" ينظر اللغة والمعنى والسياق جون لاينر، تر،عباس صادق الوهاب طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ط1، 1987م، ص 253.

1 – نفسه،ص: 252.

2 –ينظر، الملفوظية،جان سير فوني،تر،قاسم المقداد، ص: 17.

3 –نفسه،ص: 22.

4- COHESION IN ENGLISH ,HALLIDAY & HASAN ,P,50.

وقد أكد علماء النص على أن المرجعية " علاقة دلالية تربط المثال من اللغة بالبيئة" [1].

وبناء عليه تدرك أهمية الضمير في الإحالة وفي الربط بين أجزاء الجملة الواحدة أو النص ومن ثم أهميتها في التحليل النصي.

-اسم الإشارة

لا تختلف أسماء الإشارة في كونها فارغة المحتوى إن لم ترتبط بالمشار إليه وهي تقوم بتحديد المشار إليه وتضفي عليه الزيادة في الإيضاح والتقرير فاسم الإشارة "بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديدا حسيا ظاهريا وتميزه تمييزا كاشفا وهذا التحديد قد يكون مقصدا هاما للمتكلم لأنه حين يكون معينا بالحكم على المسند إليه بخبر ما فإن تمييز المسند إليه تمييزا واضحا يمنح الخبر مزيدا من القوة والتقرير" [2] .

فالإشارة تساهم في خلق النص وتحديده سياقه فهي "تمثل العلاقة القائمة بين المتحدثين" [3].

ومنه فالأسماء الإشارة لا تقل أهمية عن الضمير في تحقيقها التماسك النصي بين عناصر المشيرة إليها لهذا ركز عليها التوحيدي في نسجه لمتن الرسالة.

- اسم الموصول

يعد اسم الموصول من المضمرات التي تقوم بالتعريف والوصف وذلك بإضافة اسم الموصول إلى صلته لأنهما متلازمان، وبوصف الصلة (صلة الموصول) مبهمة فهي محتاجة إلى صفة تفسرها، لأن "الصلة ينبغي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول".[4]

1- COHESION IN ENGLISH , HALLIDAY AND HASAN ,P,50.

2 –دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد حسين أبو موسى، منشورات قار يونس بنغازي، ط1، 1399 هـ– 1979م ص169. 170.

3– اللغة والمعنى والسياق جون لاينز،تر،عباس صادق الوهاب، ص 243.

4 – شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاستراباذي، تح، يوسف حسن عمر،دار الكتب العلمية بيروت،ج2، ص9.

- وظيفة العنصر الإشاري

تكمن وظيفة العنصر الإشاري في تنظيم الفضاء النصي انطلاقا من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة أو الأنا وتقوم بضبط المقام الإشاري وذلك بربط الملفوظ (النص) بالمقام لإعطائه المعنى. ويضفي على النص الترابط وذلك بالوصل بين أجزاء النص المتباعدة، ويغني عن التكرار بحيث يصبح النص متماسكا باعتبار أن "الضمائر مع غيرها من الوسائل تكون نسيجا نصيا عاليا ...لذا إذا ظهرت الضمائر مثل Them,They , These فإنها لا تشير إلى أناس أو أشياء فقط بل ترجع أو تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق".[1]

ب- العنصر الإحالي (المرجعية) "Deisci"

تتمثل العلاقة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في علاقة الجزء بالكل؛ ذلك أن العنصر الإشاري يشكل جزء من العنصر الإحالي فهي "لا تشير إلا بوجود مرجع ما فبين أنا وبين فرد يتحدث عن نفسه في لحظة معينة تكون العلاقة حقيقية Relation De Fait هي العلاقة الناتجة عن لفظ هذا الفرد للكلمة : أنا".[2]

يقابل مصطلح الإحالة مصطلحات غربية أشهرها:"Anaphora "و" Reference" وهذا الاختلاف يكمن في المصطلح، وهو مرتبط بعامل الترجمة وتتحقق الإحالة بواسطة الضمائر واسم الإشارة واسم الموصول.

-مفهوم الإحالة

ومن التعاريف المطروحة يمكن الأخذ بتعريف كيتاي Kittay الذي يؤثر استعمال مصطلح Anaphora و"تطلق تسمية العناصر الإحالية Anaphora على قسم من الألفاظ لا يملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد ويرجع إلى هذه الصفة اسم الموصول Crosse Refence".[3]

1- LANGAGE, CONTESCT , AND TEXT: .HALLIDAY AND R.HASAN , P 28.

2 -الملفوظية:جان سير فوني ، تر، قاسم المقداد، ص:18.

ON ANAPHORA AND ANTECEDENCE: SEMIOTICA: KITTAY, J, 1998, P 198-207.

3 -نقلا عن نسيج النص،الأزهر الزنادي،ص:118.

من خلال التعريف يتبين أن مجال الإحالة هو النص. فهي تساهم في تماسكه حتى يكون كلا موحدا.

-أنواع الإحالة

تنقسم الإحالة حسب العلاقة الإحالية إلى نوعين كما حددهما الباحثان هاليداي Halliday ورقية حسن R.Hasan وهما : "الإحالة المقامية والإحالة النصية وهي بدورها -الإحالة النصية- تحيل إلى السابق أو اللاحق".(1)

-الإحالة النصية

تسمى الإحالة داخل النص أو الإحالة داخل اللغة endophora وهي تعني "العلاقات الاحالية داخل النص سواء أكان بالإحالة إلى ما سبق أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي (يلحق) داخل النص".(2) فالإحالة النصية تنقسم إلى نوعين من الإحالة هما:

-الإحالة القبلية (السابقة) anapHora وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص".(3)

- الإحالة البعدية (اللاحقة) cataphora وهي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى ستستعمل لاحقا في النص ".(4)

-الإحالة المقامية

تسمى الإحالة خارج النص أو الإحالة خارج اللغة "exophora" وترتبط بالسياق المحيط بالنص لمعرفة المحال إليه من بين الأشياء أو الملابسات المحيطة بالنص وهي تعني "إحالة عنصر غير لغوي احالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم حيث يرتبط عنصر

1- SEE: COHESION IN ENGLISH, HALLIDAY & R.HASAN, P33.

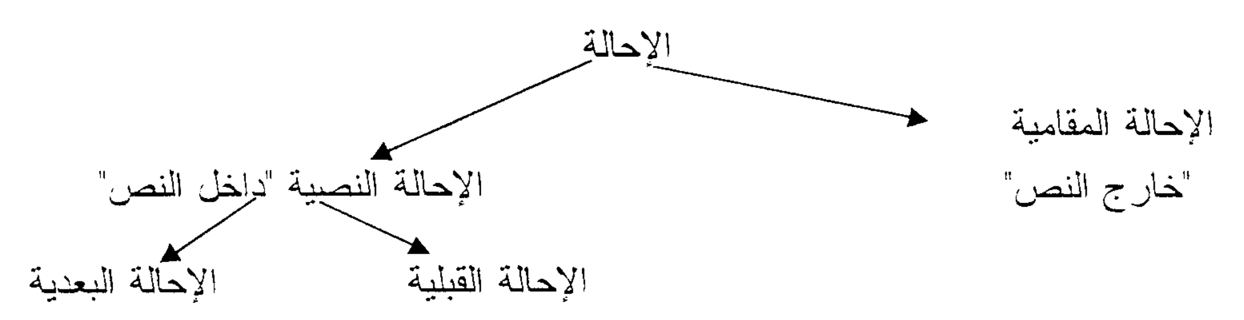
2- INTERPRETING ANAPHORA IN NATURAL LANGUAGE TESCTES, ENGLAND, L.DAVID CARTER, 1987, P119.

3- IBID, P 31.32.

4-LONGMAN DICTIONARY OF APPLIED LINGUISTICS, JACK RICHARDS ET AL,P36.

لغوي احالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيل أو مجملا ويمثل نائبا أو مرجعا موجودا مسؤولا بنفسه فهو يمكـــن أن يحيل عليه المتكلم".[1]

رغم تنوع العنصر الإحالي (الإحالة النصية والإحالة المقامية) إلا أنه يقــوم علـــى مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع ويمكن التمثيــل للإحالة بهذا الشكل:



- **وظيفة الإحالة**

يعد العنصر الإحالي والإحالة النصية من الوسائل اللغوية التـــي تحقــق التماســك النصي وذلك من خلال الضمائر وأسماء الإشارة التي تقوم بوظيفة الربط؛ ربط اللاحـــق بالسابق فهو بذلك يتجاوز الربط بين الجمل والعبارات إلى الربط بين المقاطع والفقـــرات داخل النص ومنه فإن الربط الإحالي يحقق الاستمرارية بمعنى المفردات داخل النص وفق علاقات شكلية ودلالية فتحقق نصية النص.

ومن جهة فإن الإحالة المقامية فإنها تساهم في خلق النص وذلك بتفسيرها للعناصر الغامضة في النص بإرجاعها إلى سياقاتها حتى يتمكن القارئ من فهم التعبيرات المحيلـــة في النص باعتبار أن صيغة العبارة المحيلة في النص تتضمن مقصد المتكلم فــــي ذلـــك المقام لخلق التواصل بين المتكلم والسامع/المتلقي. فهي بذلك تساهم في تماســـك النـــص بشكل غير مباشر وكذلك انسجامه باعتبار أن التماسك عنصرا من عناصر الانسجام.

ومما سبق يتبين أن الإحالة المقامية تعتمد على عناصر غير لغويـــة تتمثـــل فـــي السياق والقارئ الذي يقوم بملء الفراغات وتفسير الغامض في النص. وهذا مـــا يســـمح

1 -نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا)الأزهر الزنادي، ص:119.

للإحالة المقامية بالمساهمة في خلق النص وإضفاء الانسجام عليه ويتضح هذا من خـــلال التحليل النصي لبعض نماذج من الرسائل.

ج-الترابط الإحالي في الرسائل

ففي هذا الجانب التطبيقي سيكون التركيز في الترابط الإحالي على بعض نماذج من الرسائل؛ لأن الرسائل تقوم على بناء واحد فمرسل هذه الرسالة هـــو المتكلـــم/ الكــاتب (التوحيدي)؛ أي أن الذات المرسلة لهذه الرسائل تتمثل في شخص التوحيدي، والمخـــاطب في الرسائل هو شخص واحد رمز له التوحيدي باسم الإشارة "هذا" وكل الرســـائل تقـــوم على ثنائية العبادة / الاستعانة باختلاف صورها وهي تتضمن عقيدة التوحيد الشامل.

- الترابط الإحالي في الرسالة "و"

تتمثل البنية الاحالية في خاتمة هذه الرسالة "و" في اشتمالها على عـــدة إشـــاريات هي:

ضمير الخطاب في فعل سكنتم "تم" واسم الموصول "الذين" الذي يتصـــدر الجملـــة الفعلية "الذين ظلموا .." وضمير المتكلم في فعل "فعلنا" (نا) وضمير الغياب فـــي الجـــار والمجرور "بهم".

إن الجمع بين هذه الإشارات في النص يتضمن عدة أغـــراض ومعـــان فضمـــير الخطاب أنتم (سكنتم) والسكن المراد منه الحلول لذا فهو يحيل إحالة نصية سابقة على أمم سالفة وردت أسماؤها في بداية السورة فقد عوض الضمير (أنتم ذكر أسماء هـــذه الأمـــم (قوم موسى وعاد وثمود، وكما انه حقق الترابط النصي بين آيات السورة (45/9/8) التي تضمنت إحدى هؤلاء الأمم. إلا أن هذا الخطاب يخص قوم العرب باعتبار أن المتلقـــي الأول للخطاب هو الرسول - *صلى الله عليه وسلم*- الذي كلف بتبليغ رسالة الإســـلام إلى كافة الناس.

إذن فالضمير أنتم يحيل إحالة مقامية على كافة الناس والعلاقة بين الأمـــم الســـالفة والعرب هو العامل المشترك في صفة الكفر والمعصية (عدم التصديق بالرسل) وقد عـــبر عن هذا قوله تعالى "الذين ظلموا أنفسهم" فالشرك ظلم للنفس.

ومنه فإن العنصر الإشاري أنتم يحكم العناصر الاحالية المقامية به كلها إشراك في صفة الكفر والمعصية وهي صفة معنوية.والصفة الثانية حسية تتمثل في العقاب الذي ألحقه الله تعالى بهم وهو يتمثل في الفناء والخسف التام (الغرق، ريح صرصر، الطاغية) وآثارهم شاهدة على ذلك (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) فضمير الغياب (هم) يحيل إحالة سابقة إلى الأمم التي قطع دابرها وضمير أنتم -كم /ت - تحيل إحالة نصية بعدية إلى العرب في شبه الجزيرة العربية وضمير المتكلم نا -نحن - يحيل إحالة نصية سابقة على مرسل الخطاب وهو الله تعالى.

وهذه التراكيب تتضمن قدرة الله تعالى في العذاب وفي الحياة وفي الموت ومن خلال تكرار هذا الضمير في قوله (فعلنا وضربنا) فهو يتضمن دلائل القدرة الإلهية التي توجب الإقرار بوحدانية الله (التوحيد) ونفي الشرك به. والغرض من استحضار هؤلاء الأمم للاعتبار وتخصيص الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له.

ومن خلال الإحالة النصية: سابق ولاحق التي يحققها الضمير أنتم الذي اختصر بعد الأزمنة والأمكنة وجعلهما في نقطة واحدة يحقق التماسك النصي من خلال استمرارية التواصل بين أجزاء النص والسورة كلها تعالج موضوع العقيدة وأول موضوعها الربوبية والألوهية وهنا ركزت على العبادة وهي إقرار بالألوهية باعتبار أن الله تعالى هو المعبود المقصود ومن جهة فهي إثبات للعبودية باعتبار أن العبد يتصف بالخضوع والتذلل في عبادته.

إن متلفظ هذه الآية في هذه الرسالة هو المتكلم/الكاتب فهو فاعل التلفظ. وفاعل اللفظ هو الله تعالى وهو المرسل.

والمتكلم هو فاعل التلفظ ومتلقي كونه يقتفي أثر السلف الصالح؛ الأنبياء والرسل والتذكير برسالاتهم لهداية الناس إلى الصراط المستقيم. و يتجسد هذا عبر مقاطع المتن بتكراره للملفوظ "يا هذا! " للتنبيه والنصح والوعظ فيتضمن هذا الملفوظ فاعل اللفظ وهو المتكلم الذي يحيل إحالة نصية سابقة على فاعل التلفظ حيث يظهر فاعل التلفظ هو فاعل اللفظ بالمماهاة لاستمرار الوعظ والنصح "أما تسمع هذا الخطاب بحضور بال؟ ..." فهذا الخطاب يحيل إحالة نصية سابقة على الآية والغرض من هذا التعبير أن الرسالة تعبر عن

صدق فكرة المتكلم وهي تتمثل في رغبة المتكلم في التمسك بالعقيدة الإسلامية. للفوز بسعادة الدارين.

واسم الإشارة (هذا) الوارد في الملفوظ (يا هذا !) والمتكرر أكثر من مرتبين بحيث يأخذ في كل مقطع حكما. خاصا يتنوع بتنوع التراكيب اللغوية التي تتبعه. فهو يتضمن عدة معان منها أنه يدل على القرب الذي يشير إلى موقف المتكلم من المخاطب فهو "في موقع العناية والاهتمام عند المتكلم".[1]

ولهذا قد خصه بالنداء (التنبيه)، ومن جهة فإن السر في القرب يتمثل في أن المخاطب قريب من قلب وضمير المتكلم الذي يريد هدايته إلى الصراط المستقيم بإذن الله تعالى لإخراجه من ظلمات الظلالة إلى أنوار الهداية.

وفي الخاتمة يتضرع المتكلم بالدعاء إلى الله تعالى وتخصيصه بالدعاء؛ لأنه هو السميع العليم المجيب لكل الدعوات والدعاء عبادة فتكرار العبادة إثبات لموقف المتكلم ويحيل اللفظ اللهم إحالة نصية بعدية على مضمون الدعاء وهو يتمثل في العبادة والاستعانة متعلقة بروبيته فهنا توحيد للألوهية (العبادة) وتوحيد للربوبية (الاستعانة) وبهذا تكون الخاتمة تحيل إحالة مقطعية أو نصية وهي "تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي). [2]

والعبادة والاستعانة تحيل إحالة مقامية على علاقة بين العبد وربه وهي علاقة خضوع وتذلل وهي تعني العبودية.

وبهذا تكون الإحالة قد حققت وحدة الموضوع ثنائية الألوهية / الربوبية ووحدة المتكلم ضمير المتكلم (أنا)، ووحدة المخاطب، اسم الإشارة "هذا".وهذا يضفي على نص الرسالة التماسك والانسجام.

الترابط الإحالي في الرسالة "يا"

يقدم الترابط الإحالي في هذه الرسالة على ثنائية ضمير الشخص المتمثلة في ضمير المتكلم وضمير المخاطب المتضمنة في ملفوظ (سألتني): فصوت المتكلم ورد في

1 -دلالات التراكيب، محمد حسين أبو موسى، ص:176.
2 -نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا)الأزهر الزنادي،ص:119.

هذا السياق ضميرا متصلا (ــي) وضمير المخاطب يظهر في الضمـــير المتصــل (ت) فالضميران يحيلان على المتكلم المتلفظ لهذا الملفوظ ومن جهة فإن الضمير المتصل (ت) يحيل على المخاطب حسب القرائن النحوية والجامع بينهما يتمثل في هذا الملفوظ المنجــز (النص) الذي تضمن ثنائية السؤال / الجواب.

الواردة في سياق لغوي (مضمون السؤال) وبــهذا تصبــح العنــاصر الإشــارية المتضمنة في الرسالة عوامل الملفوظية التي تشكل "تعدديـــة أصواتيــة Polypgonie أي بإضافة عامل السياق لكنه لا يمتلك الكلام، أي لا يتحدث مثل الآخرين فهو يعني مشــاركا وليس بقادر على أن يكون متحدثا مثلهما".[1]

وتمتد هذه الترسمة إلى متن النص باستمرار ضمير الخطاب إلى جــانب ضمــير المتكلم يخلق حوارا خلاقا يحقق التواصل بين أجزاء النص.

وفي هذا مناسبة للتخاطب والحوار الذي يقتضي المباشرة والحينية ذلك أن الأصــل في ضمير المخاطب أن يكون لحين يريد مخاطبا معينا، وقد يراد به الخطاب العموم فيكون موجها إلى كل من يتأتى منه الخطاب وهذا يضفي على الأسلوب قوة ومزية مــن حيث يشعر هذا العموم بأن الأمـــر جدير بأن يكون ذائعــا وأنــه لا يختــص بمخــاطب دون مخاطب ".[2]

ومن خلال هذه الثنائيات المتكلم / المخاطب والسؤال / الجواب يتحقــق التماســك النصي نظرا للعلاقة الدلالية الثاوية ورائها (علاقة تلازمية) والتي تتجسد في علاقة إحالية نصية تشير إلى مذكور لاحق إحالة نصية بعدية من خلال التتابع بين عناصر الثنائيـــات المتكلم ⇄ (الجواب / السؤال) المخاطب. والسؤال طبيعة نفسية في كل فرد همه المعرفة.

تتواصل الاستمرارية في نص الرسالة من خلال استمرار التواصل بيــن المتكلــم المجيب والمخاطب السائل بتفعيل الخطاب بينهما بتحويله إلـــى حــوار خــلاق بينــهما واستعاضة ضمير الخطاب (أنت) باسم الإشارة (هذا) فهو أيضا يفيد العمـــوم والحينيــة بالإضافة إلى الحضور القوي فاسم الإشارة (هذا) يحيل إحالة نصية قبلية إلى المخــاطب

---

1 -الملفوظية:جان سيرفوني ، تر، قاسم المقداد ص:23.
2 -دلالات التراكيب:محمد حسين أبو موسى، ص:162.

السائل فيتحقق الربط بين الفاتحة والمتن؛ لأن المذكور السابق (أنت) يواصل حضوره بقوة في المذكور اللاحق بحيث أصبح المخاطب السائل ذا دلالة أكثر شمولية واستمرارية يشمل مخاطبا ضمنيا مع سائل في العصور القادمة لأن "أسلوب السؤال والجواب يعتبر في المرتبة الأولى في مناهج التربية والتعليم لقوة وضوحه وشدة تأثيره وتحديد مدلوله.فهو يثير الشعور ويسترعي الانتباه ويركز الفكر ويوقظ الذهن بتصور المسؤول عنه وبتلقي الجواب خاصة للعالم بتصاريف الكلام ومقتضيات المقام".[1]

والغرض من السؤال هو تعليم السائل، ومن جهة يفرض على السائل أن يكون في حالة تسمح له بتلقي الإجابة وقد عبر المتكلم بأسلوب النداء (يا هذا !) التنبيه الذي يستلزم تركيز الفكر وإيقاظ الذهن وتكراره –هذا– في بدايات المقاطع يجعله يكتسب صفات جديدة. فهو في كل مرة يميز المشار إليه، وهو في هذه الرسالة الغريب. وكما أنه في كل مرة يحيل على سابق مذكور يستحضره في صورة دلالية جديدة يتصف بها المشار إليه.

وبهذا تخلق الإحالة النصية (سابق /لاحق) وحده المتكلم ووحدة المخاطب. وفي هذه الوحدة تنمو وحدة الموضوع؛ وهي تتمثل في موضوع الغربة والغريب وهي محور ثنائية السؤال / الجواب .

ولما كان اسم الموصول وصلته وسيلة من وسائل التعريف فقد اعتمد عليها المتكلم في تعريفه للغربة والغريب وهو يتمثل في تكرار اسم الموصول "من" وهو من الأسماء المبهمة (للعاقل). والتعريف بالموصول هنا مكنت المتكلم من ذكر صفات يحرص على إبرازها في الغربة والغريب وهي ما في معانيهما مما يشبه علاقة الاسم بالمسمى أو علاقة الشيء بنفسه؛ أي أنه لا يمكن الفصل بينهما تماما هو موجود بين الموصول وصلته وقد تكررت صلة الموصول في المقاطع : (2–4) وصلته تختلف من مقطع لأخر: جملة فعلية كما في قوله (الغريب من غربت شمس جماله..). [2]

---

1 –ينظر مقدمة الكتاب السؤال والجواب في آيات الكتاب عطية محمد سالم، ص 5.
2 –المصدر ص 114.

فالمراد من الصلة (جملة فعلية) إثبات صفة التجدد التي تشير إلى تغيير صفات الغريب لأن الغريب يعيش غربة عادية (حسية). وكما ترد جملة اسمية بقوله : "الغريب في الجملة من كل حرقة وبعضه فرقة ..". [1]

فالجملة الاسمية تفيد الثبوت؛ ثبوت صفة الغربة في الغريب وهي بيان لحال الغريب الذي يعيش غربة معنوية، أي أن الغريب انتقل من حال الغربة الحسية إلى حال الغربة المعنوية.

وهذه الصفات يؤكدها التركيب اللغوي الذي اعتمد فيه المتكلم اسم الموصول من وصلته لأنها "موحية لتحقيق الخبر حتى تكون الصلة كالسبب له أو دليل عليه".[2]

وتكمن أهمية اسم الموصول وصلته في تحقيق التماسك النصي كونها تحيل على السابق واللاحق؛ أي أن الإحالة طويلة المدى تشمل حال الغريب في غربته العادية (حسية) وحاله في الغربة المعنوية؛ أي أن من صلته إحالة نصية سابقة إلى الغريب الذي غربت شمس جماله (غربة حسية). وتحيل إحالة نصية لاحقة إلى الغريب الذي كله حرقة (غربة معنوية).

وبهذا تتحقق وحدة الموضوع ألا وهي الغربة المعنوية وفي الوقت نفسه تمثل الإحالة عن السؤال؛ التي تحققها الإحالة المقامية من خلال تصنيف الغربة المعنوية إلى غربة الحال التي يعيشها الصوفي الذي يعيش غربة أناه (ذاته) بقوله "أنت الغريب في معناك".[3]

ففي هذه الالتفاتة إثبات الإجابة ذلك أن الضمير أنت يحيل حالة نصية سابقة على المخاطب السائل في الفاتحة. ويمكن القول أن كل من يأتي السؤال عن الغريب والغربة فهو الغريب في معناه (غربة الذات) فهذا التواصل بين عناصر النص (الفاتحة والمتن) يحقق استمرارية وحدة طرفا التواصل ووحدة الموضوع.

ويستمر هذا التواصل حتى الخاتمة وذلك بتكرار الملفوظ (يا هذا !) ""أحجر أنت؟". [4]

1 – المصدر ص 116.
2 – دلالات التراكيب؛ محمد حسين، أبو موسى ص 167.
3 –المصدر، ص: 117.
4 –نفسه، ص: 119.

فهذا الاستنكار واقع على المخاطب وهو يحيل إحالة نصية سابقة إلى المخاطب السائل عن الغربة والغريب، وتخصيصه بالتحجر كونه لا يعرف ذاته. ومن لا يعرف ذاته لا يعرف خالقه (جحود) فالمخاطب في هذه الرسالة (يا) يحيل إحالة مقامية على المخاطب في الرسالة السابقة (و) وذلك باشتراكهما في صفات معنوية هي الكفر والمعصية والجحود.

وأما اختتام النص بالدعاء "اللهم تفضل علينا بعفوك إن لم نستحق رضاك".(1)

فالدعاء هنا دعاء المسألة وهو يتمثل في سؤال الله تعالى العفو. وبهذا يكون لفظ اللهم والضمائر المتكلم المتصلة (نا) والمستتر في فعل تفضل تحيل إحالة مقامية إلى الداعي (المتكلم) بصيغة الجمع إثباتا لحاجته وافتقاره إلى المدعو الذي تحيل إليه ضمائر الخطاب المتصلة (ك) والمستتر (إحالة مقامية) إقرارا بالألوهية، وأما الافتقار والحاجة إلى المدعو هو إثبات للعبودية. والعلاقة بين معرفة الذات (الغربة المعنوية) والعبودية هي معرفة نعم وفضل الله على عبده التي تستلزم عبادته ودعاءه وحده لا شريك له إقرارا بألوهيته وربوبيته وإثباتا لعبودية العبد.

وبهذا تتحقق وحدة الموضوع ثنائية: الألوهية/الربوبية ووحدة المتكلم (المرسل) التوحيدي ووحدة المخاطب "هذا".

الترابط الإحالي في الرسالة "يب"

يكمن مدار هذه الرسالة حول محور المعرفة الإلهية بعدما عالجت الرسالة السابقة (يا) معرفة الذات. والقارئ لهذه الرسالة لا يكاد يمسك بالموضوع (المعرفة).

ففي الفاتحة يلاحظ القارئ غياب المرسل، لأن المتكلم اعتمد جملا اسمية تقريرية "العلم بلاء والجهل عناء والعمل رياء والقول داء والسكوت هباء والنظر عداء ...". (2)

فالجمل لا تتضمن محيلا إليه ظاهرا في بنيتها التركيبية بل هو ثاو راءها فالصيغة الاسمية هنا تحيل إحالة مقامية إلى المتكلم الذي أنجزها (المرسل) وأما موضوع المعرفة الإلهية فهو يحيل إحالة نصية سابقة لمرجع مذكور يتمثل في عنوان الرسالة "أركان المعرفة من

1 –المصدر ،ص119.
2 –نفسه،ص:120.

الإشارات الإلهية".

وقد أحدثت الأداة الإشارية "الآن" تمفصلا في الصيغة فقد أفصحت عن ظهور المخاطب قرين المتكلم في الخطاب (المتلقي). والخطاب تحول من صيغة التقرير إلى صيغة الطلب؛ لأن طبيعة هذه المعرفة آنية ترفض المسبق وهي في تغير مستمر، لأنها حال. والطلب هنا يشير إلى كيفية تحصيل حال المعرفة "وهي والله حال علت عن الصفات والرسوم كما نزلت الصفات والرسوم عنها".[1] فطبيعة هذه المعرفة مرتبطة بالمطلق، والمطلق يعرف بالحدس.

وتلقين حال المعرفة للمخاطب اتخذ شكل الحوار الذي يجسد وحدة الموضوع المعرفة الإلهية ووحدة المتكلم ووحدة المخاطب؛ لأن اسم الإشارة يحيل إحالة نصية قبلية إلى المخاطب في الفاتحة ويختم بالدعاء بلفظ اللهم الذي يحيل إحالة نصية سابقة إلى المتكلم (المرسل) وهي إثبات للعبودية والجملة "يا ذا الجلال والإكرام".[2]

فهي تتضمن ضمير الغائب (هو) الذي يحيل إحالة مقامية على المدعو (الله) وهي إشارة إلى الإقرار بتوحيد الأسماء والصفات.

وبهذا تكون وحدة الموضوع في هذه الرسالة تتمثل في معالجة قضايا عقائدية تتمثل في المعرفة الإلهية المرتبطة بالعبادة والدعاء المرتبط بالاستعانة. وهي تحيل إحالة مقامية إلى توحيد الألوهية والربوبية. ووحدة المتكلم (المرسل) للرسالة (يب) ووحدة المخاطب (اسم الإشارة هذا) وهو يحيل على مخاطب عام يرغب في الارتقاء إلى مقام العبودية.

من خلال التحليل تبرز مساهمة الإحالة بنوعيها: النصية والمقامية في تحقيق التماسك النصي في الرسالة (يب) وذلك من خلال خلق استمرارية بين عناصر النص. وتتمثل هذه الاستمرارية في تحقيق وحدة المرسل ووحدة المستقبل ووحدة الموضوع. وهذه العناصر تتلاحم فيما بينها لتشكل كلا موحدا يتمثل في قضية عقيدة التوحيد الشامل الذي تعددت صور التعبير عنه بتعدد الرسائل.

1 -المصدر، ص120.
2 -نفسه، ص:125.

ثالثا: المنظور التداولي .

إن النص الأدبي ذو طبيعة نحوية ودلالية وتداولية تقوم على التفـاعل بيـن هـذه البنيات فيصبح النص بذلك منسجما. وهو في النظرية التواصلية يجسد التواصل بين ثلاثية تلازمية بحسب ترسمة جاكبسون R.Jakobson التي رصدها للنص بوصفة رسالة لغويـة تشتمل على هذه العناصر الأساسية :

السياق

الخبر

المرسل ——————► المستقبل

الشـفرة (النظام اللغوي)

فالتواصل هنا يتوقف على "فعالية الخطاب وسلطته وإحداثه التأثير المرغوب علـى معرفة منطلقات المتكلم (المرسل)، والمخاطب (المرسل إليه) ولهذا كلما كانت المنطلقـات المشتركة كثيرة موحدة كانت فرصة التفاهم أكثر، وفعالية أعمق ".[1]

وانطلاقا من ترسمة جاكبسون(R.Jakobson) ارتأيت أن أتناول في هـذا الفصـل الجانب التداولي في النص الأدبي؛ لأن أي نص أدبي إن لم يتداول يبقى أسودا على أبيض ومن ثم لا يحصل الأهمية التي يستحقها ولا يستثمر المجهود الذي بذله المنتج (المتكلـم) في إنتاجه للحكم على المنتج (المتكلم) بالصدق أو الكذب.

ولهذا كان من مهام المحلل أو القارئ أن ينشئ حوارا خلاقا بيـن بنيـات النـص محاولا استنطاق النص لكشف ترسباته الجغرافية وسبر أغواره للوصول إلى المغزى مـن إنشاء النص.

وها هنا تلمس محاولة منظري التداولية pragmatique لوضـع قواعـد وشـروط ليصل الخطاب إلى مبتغاه وأبرزها المؤلف والقارئ الذين يجمعهما فضاء موسع يتمثل في السياق. ومحاولة إبراز دور كل واحد منهما باعتبار "القارئ يرغب في التأليف والمؤلـف

VOIR: SEMIOTIQUE ET SCIENCES SOCIALES, AGREMAS LE CONTRATENONICATIF PARIS 1976, P24.

1 – نقلا عن دينامية النص؛ محمد مفتاح، ص: 132.

يدرك هذه الرغبة أن ما يتضمنه المؤلف يستطيع المخاطب به أن يقوم به ويرغب في ذلك. وصاحب التأليف يدرك ذلك وإذا ما كان هذا الاتفاق حاصلا فإن الكلام يبلغ إلى كل مقاصده".[1]

إن تحليل النص الأدبي في المستوى التداولي يعني تحليل فعل اللغة انطلاقا من أن التداولية تعتبر النص كفعل لغة متلفظ في سياق ما ينجز أفعالا لغوية تشكل متتاليات من الأفعال اللغوية تحكمها علاقة تلازمية تهدف إلى تعليل أو تفسير لتلك الأفعال اللغوية.

وفي هذا المستوى يكون تحليل النص منصبا على المستويين : المستوى الدلالي والمستوى التداولي " وفي هذين المستويين يركز تحليل النص على دراسة انسجام النص بوجه خاص بالنظر إلى محتواه ووظيفته معا".[2]

بينما انسجام النص تحققه عناصر غير لغوية تكمن في السياق والقارئ. والهدف من التركيز على هذين العنصرين "التطلع إلى فهم أدق على الاشتراك الفعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعية عمليات استلزمتها غايات تفسيرية لا محدودة تتجاوز الأطر الظاهرة والنظرة السطحية وترنو إلى استمرارية التفاعل بين النص ومتلقيه في حركة تحافظ على دينامية النص من جهة وعلى تعدد القراءة الذي تنتجه نصوص خلافة ... في الربط التلقي اللغوي والجمالي من جهة".[3]

وهنا تجدر الإشارة إلى التعريف بالعنصرين والتعرض إلى دورهما في تحقيق انسجام النص.

I-1- السياق contesct وعلاقته بالمعنى

لقد عرف علماء العرب والغرب السياق فخصوا له فصولا وابوابا في أبحاثه نظرا لأهميته في إبراز المعنى. وصاحب النظرية السياقية في هذا المجال الباحث فيرث (Firth) وقد أفاض هؤلاء الباحثون في دراستهم المعنى عن طريق السياق.

VOIR : LA TRANSPARENCE ET L'ENONCIATION POUR INTRODUR A LA PRAGNATIQUE, FRNCOIS RECANATI, 1999, p 178.

1 -نقلا عن دنيامية النص (مرجع مذكور)، محمد مفتاح، ص: 133 .

2 -ينظر : نظرية الأدب في القرن العشرين: دو، فوكيما، فان ديك، جان كوهين ، كبدياقاركا، جان ستاروبانسكي، تر، محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1996م، ص: 77.

3 - علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص: 13.

والتفاتة إلى التراث تتراءى للباحث أو القارئ جهود القدامى في تعريفهم للسياق؛ لكن الملفت للانتباه هنا تضافر المصطلحين المقام والسياق، فهما مرتبطان بدراسة المعنى. فالمقام يمثل الجانب الاجتماعي من السياق الذي درسه البلاغيون.

وفكرة المقام تمثل اليوم مركز الدلالة الوظيفية من حيث إبرازها إلى جانب الاجتماعي الذي تظهر فيه العلاقات والظروف المقتضية لإيراد الكلام. وهذا يعني أن علماء العربية تعرضوا لقضية السياق وناقشوا جوانبها قبل أن تصبح نظرية قائمة بذاتها حيث وضحوا أن افتقار المقام يؤدي حتما إلى ورود مفردات متناثرة جلا تمثل مقالا بالمعنى اللغوي أو بالمعنى البلاغي لأنها لم توضع في سياق يربط بين أجزائها بحيث تؤدي في النهاية معنى معينا.

ومن القدامى من اهتم بالسياق إلى جانب البلاغيين الذين يعبرون عن هذا المصطلح بالعبارة المشهورة "لكل مقام مقال" نجد الأصوليين الذين اعتمدوا على قرائن السياق المتنوعة بالإضافة إلى المفسرين الذين وضعوا شروط للمفسرين يمكن من خلالها تفسير القرآن تفسيرا سليما. وهذه الشروط يمثل مجملها أركان السياق الحالي.

من خلال التعرض بخصوص اهتمام علماء العربية بالسياق بنوعيه، وفهم دوره في توضيح المعنى والذي من خلاله يتحقق التناسق بين أجزاء النص وانسجامه. فقد كانت مبادرتهم في هذا المجال ذات أهمية لعدم إهمالهم لأي جانب من جوانب السياق. وأرى أن الفضل لوضع اللبنة الأولى لنظرية السياق التي نجد نسبتها إلى الباحث فيرث فيما بعد.

-مفهومه

السياق هو لفظ يتكون من "سابقة (con) تعني المشاركة؛ أي وجود أشياء مشتركة في توضيح النص وهي فكرة تتضمن أمور أخرى تحيط بالنص والبيئة المحيطة التي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال".[1]

ففي هذا التعريف إشارة إلى تأكيد العلاقة بين النص والسياق فهو بمثابة مفتاح في البحث عن المعنى في النص وقد أشار إلى هذه العلاقة علماء النص "فالنص والسياق يتمم

1- LANGUAGE , CONTEXT AND TESCT : HALLIDAY AND HASAN , P 5.

أحدهما الآخر".[1]

وكما أشار أيضا إلى هذه العلاقة الباحثان هـالداي halliday وحسـن hasan في كتابهما "اللغة السياق والنص" بقولهما "أن كل ما النص والسياق يمكن تأويله بالرجوع إلى الآخر".[2] فهذا التعريف يؤكد على العلاقة التلازمية بين النص والسياق.

ونظرا لأهمية السياق في البحث عن المعنى في النص فقد أصبح يشكل "نظرية – إذا طبقت بحكمة- تمثل الحجر الأساسي في علم المعنى وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن".[3]

ونتيجة لذلك فإن تعليق النص بالسياق يجعله متماسكا ومنسجما بالنسبة للسياق المتلفظ فيه.

- أنواع السياق

انطلاقا من اقتراح الباحث آمر k.Ammer في تقسيمه للسياق إلى أربعة أقسام تتمثل في: "السياق اللغوي والسياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي".[4]

-السياق اللغوي

لقد أولت نظرية الأسلوب اهتماما بالسياق اللغوي. فهي تهتم به من جانب تحقيقة للتواصل بين المرسل والمستقبل. وقد أكد ريفاتير M.Riffaterre على أهمية السياق اللغوي في إنتاج النص وتلقيه بوصفه يقوم على المقابلات والمتطابقات والتي تلعب دورا هاما في تلقي النص، أي أن المتلقي يتخذها كوسيلة لفهم لرسالة المنتج. ومن الواضح أن هذه الأسس الأسلوبية -التقابل والتطابق- ترتبط ارتباطا وثيقا بجنسين رئيسيين من الجمال وهما الانسجام والاختلاف. ويسود التطابق في التراكيب على حين يكون التقابل هو السائد في القاموس".[5]

فهذه النظرية تهتم بالسياق كونه يحقق التواصل والجمال في النص.

1 -اللغة والمعنى والسياق جون لاينز، تر،عباس صادق الوهاب، ص 225.
2- LANGUAGE , CONTEXT AND TESCT : HALLIDAY AND HASAN , P 70.
3 – دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تر، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، 1981، ص 73.
4 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1985م، ص 69.
5 –علم اللغة والدرسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، شبيلربرند، تر: محمود جاد الرب، ص117.

- **السياق العاطفي**

فهو "يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيد أو مبالغة أو إعتذالا".(1)

فالسياق العاطفي يستعين بنظريات علم النفس اللغوي والغاية من معرفة السياق العاطفي هو معرفة استراتيجيات المرسل (المنتج) التي تتمثل في التأثير والإقناع قصد تبليغ الرسالة فيركز على الكلمات والوحدات اللغوية وتسييقها.

- **سياق الموقف الاجتماعي**

اهتم به علماء الاجتماع الذين ربطوا السياق بالمجتمع بوصف اللغة معطى اجتماعي وقد أكد فيرث Firth على الوظيفة الاجتماعية للغة؛ لأن اللغة عندهم "نشاط اجتماعي للإنسان وليس مجرد معبر عن الفكر كما كانت تعرف قديما؛ كما أن السياق الاجتماعي مهتم بالمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة".(2)

فحسب هذا التعريف فإن المنتج متضمن في المجتمع ومنه فإن هذا الأخير هو المنتج للنص وهو المتلقي له. ويؤدي هذا إلى خلق التفاعل بين النص ومتلقيه في حركة تحافظ على دينامية النص.

2- السياق ودوره في انسجام النص

من المؤكد أن للسياق دورا بارزا في إنتاج وتلقي النص وهذا ما أدى بالباحث فان ديك j.kan Dik إلى أن تجعل السياق " يتعلق بقضايا تأويل الإشارة الإيديولوجية في العالم الخارجي".(3)

فهذا تفسير للعلاقة التلازمية بين النص والسياق. فالنص يرتبط بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع فبانعدام السياق يفقد النص نصيته أي أنه يتحول إلى اللانص.

وبناء عليه يمكن اعتبار السياق شفرة يستعين بها المحلل/القارئ في تأويل النص؛ لأن السياق يستطيع أن يوضح لنا النقطة التي تم التعبير عنها".(4)

1 -علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، ص،71.
2 -فقه اللغة، وعلم اللغة نصوص ودراسات، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص،237/236.
3 -علم لغة النص(مفاهيم واتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص،244.
4- LANGUAGE , CONTEXT AND TEXT : HALLIDAY AND HASAN, P 70.

وهذا ما يجعل من السياق في تحليل النص عنصرا مشاركا في إنتاج المعنى ذلك " أن بنية النص محكمة بسياق الحال وهذا السياق يمكن استخدامه ليصنع تنبؤات حول بنية النص"[1]. وتبرز أهمية السياق أكثر من خلال التحليل النصي للرسائل.

II- القارئ ودوره في انسجام النص

- مفهوم القراءة والقارئ

إن وجود النص يستلزم وجود القارئ ؛ أي أن النص ينتج لأجل القارئ ومن ثم فإنهما يشكلان ثنائية: النص / القارئ التي تحيل إلى ثنائية: الكتابة / القراءة، وهي بدورها تتجسد في فعل واحد هو فعل المتعة. وأن العلاقة بينهما علاقة تلازمية، أي أن الكتابة كلها قراءة في نصوص وأن القراءة كلها كتابة في نصوص "وإذا كانت القراءة هي وسيط الإبداع إلى الإنسان فقد كانت هي أيضا وسيط الإنسان إلى الإبداع. ولقد يعني هذا أنها في توسطها ليست لحظة عابرة بين هذا وذلك بل هي لحظة حدوث دائم تجعل الإبداع والإنسان على مثال الحضارة تعدد وانفتاحا واتساعا وارتحالا" .[2]

وبالنظر إلى تاريخ النظرية الأدبية النقدية فهي قد توجهت ثلاث اتجاهات؛ اتجاه ركز اهتمامه صوب المرسل (المؤلف) فعرف سلطة المؤلف وبعد ردح من الزمن ثبت قصور هذا الاتجاه فظهر اتجاه آخر وجه اهتمامه إلى النص فظهرت سلطة النص مقابل سلطة المؤلف وشعاره موت المؤلف فكان أن قضى على نفسه بنفسه؛ لأن استقلال النص عن صاحبه هو استقلال فني؛ أي إشعار بانتهاء فعل الكتابة لإعلان عن ميلاد النص ووجوده بانتقاله من حالة اللاتعيين إلى حالة التعيين (الوجود بالقوة مع صاحبه).

وهكذا يبقى وجود النص بالقوة تعبيرا عن حالة الكمون التي تستلزم توجيه الاهتمام صوب القارئ. وهذا الاهتمام موجه في إطار رصد العلاقة بين عناصر العمل الأدبي. فهي تمثل في ثلاثية تلازمية لا يمكن الفصل بينها.

وقد أدى هذا الاهتمام إلى وجود افتراضات أولية حول القراءة ومن العناصر التي لاقت اهتماما بالدراسة القارئ وعلاقته بالنص مما أدى إلى ظهور في حقل النقد الأدبي

1.- LANGUAGE , CONTEXT AND TEXT : HALLIDAY AND HASAN,,P 50

2 – الكتابة الثانية وفاتحة المتعة : منذر عياش، الناشر المركز الثقافي العربي، ط1، 1988م، ص:9-10.

المعاصر مصطلحات تتظاهر في الاستعمال هي: القراءة والقارئ فما القراءة ؟ وما القارئ؟

والإجابة على هذا السؤال تستلزم تحديد مفهوم هذين المصطلحين لقد عرف مصطلح القراءة عند الناقد ايزر (F.Iser) الذي عنون كتابه بـ:" فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب" فالعنوان يوحي بمفهوم القراءة عند الناقد وهي تعني ممارسة فعل "باعتبار عملية القراءة تفاعلا ديناميا بين النص والقارئ".(1)

والقراءة معنية هاهنا هي القراءة الفاعلية المنتجة التي تلزم القارئ التسلح بالكفاءة اللغوية والأدبية وبمختلف العلوم والمعارف، وهي بتعبير قاسم الممني"القراءة الأدبية المتكاملة التي تفرض على القارئ -خلاف غيره- أن ينظر إلى النص بكل العيون لا بعين واحدة وان يتحسس النص بكل الحواس لا بحاسة واحدة المهم في كل هذا أن القراءة تبصر بعيونها عيون النص،وتدرك بوعيها وعي النص والأهم ان هذه القراءة تقرأ النص بعيونه وتتعمق فيما تخفيه هاتيك العيون بأسرار وسرائر لا يعرف قيمتها إلا من يكاد شوق الوصول إليه"(2).

من خلال التعريفين يتبين أن القراءة التي ينشدها الناقد هي القراءة الفاعلية التي ينتجها القارئ فمن يكون هذا القارئ؟

بالتفاتة إلى النقد الأدبي المعاصر تبرز أصنافا من القراء وهذه الأصناف كلها تعبر عن القارئ الضمني و"هو نموذج متعال يجعل من الممكن وصف التأثيرات المبنية للنصوص الأدبية ويعني دور القارئ الذي يمكن تعريفه من خلال البنية النصية والأفعال المبنية والبنية النصية باحداث وجهة نظر القارئ".(3)

والقارئ ها هنا يحقق الوجود الفعلي للنص فما العلاقة بين النص والقارئ؟

وبناءا على ما تقدم فإن القارئ يعد العنصر الحاضر الغائب فيه مراحل الكتابة. فهو يشكل طرفا في الرسالة ويحقق الوظيفة التواصلية في الخطاب من خلال علاقته

---

1 – فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب : فولفغانغ ايزر، تر: حميد لحميداني والجلالي الكدية منشورات المناهل، فاس، ص؛55.

2 –نحو تأسيس مفهوم المعاصر لقراءة النص الأدبي، قاسم المومني، مجلة عالم الفكر العد 1-2 الكويت 1994م ص82.

3 –فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، فولفغانغ ايزر ، تر، حميد لحميداني والجلالي الكدية، ص20.

بالمبدع. والوظيفة الجمالية من خلال علاقته بالنص ومن ثم تتأكد أهمية القارئ عند إدراك "طبيعة المتلقي حاضرة حضورا ينشأ في العملية الإبداعية وهذا راجع -بلا شك- إلى أن المبدع يحاول بقدر ما أوتي من مقدرة بيانية أن ينقل المتلقي إلى الحالة التي يعيشها هو أو بمعنى أخر يحاول أن ينقل إليه نفس التجربة التي دفعته إلى هذا الإبداع.[1]

- ***العلاقة بين النص والقارئ***

إن العلاقة بين النص والقارئ علاقة دينامية تقوم على جدلية التفاعل بينهما ذات طبيعة تلازمية؛ أي أن النص يستلزم وجود القارئ والعكس صحيح. ومن ثم يمكن وصف طبيعة العلاقة بينهما بأنها إشراك واتفاق وتضاد "تبعث الجد وتولد الشهوة".[2]

وينتج عن هذه العلاقة الاستجابة بوصف أن "للعمل الأدبي قطبين قد نسميهما: القطب الفني والقطب الجمالي؛ الأول هو نص المؤلف والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ".[3]

يشير هذا التقاطب إلى أن الموقع الفعلي للعمل الأدبي يكمن بين النص والقارئ وتحقيقه هو نتيجة التفاعل بينهما. فالقارئ يتأثر بالنص ويؤثر فيه؛ لأنه يقوم بملء الفراغات في النص والإجابة عن الأسئلة التي يطرحها النص.

وبهذا يكون القارئ مشاركا في إنتاج النص "لأن القارئ يتلقى الخطاب الأدبي وهو يركبه وليس هناك سنن عام؛ ففي أحسن الأحوال يمكن القول بأن السنن العام يبرز خلال عملية القراءة".[4]

يقوم القارئ بتأويل النص للفهم وصولا إلى معنى المعنى فيه فيصبح مستهلكا في النص ويزداد النص ثراء باضغاء القارئ عليه معان جديدة.

وبناء عليه يكون القارئ شريكا مشروعا للمؤلف في تشكيل النص؛ لأن النص كتب من أجله "وبالفعل فإن عناصر اللاتحديد هي التي تمكن النص من التواصل مع القارئ؛

1 - البلاغة والأسلوبية: عبد المطلب، مكتبة لبنان، ناشرون، 1994م، ص235.
2 -العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبو علي حسن بن رشيق القيرواني، تح، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001م، مج(1،4)، ج1، ص:85.
3 -فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، فولفغانغ ايزر ، تر، حميد لحميداني والجلالي الكدية، ص:12.
4 -نفسه،ص:18.

بمعنى أنها تحثه على المشاركة في الإنتاج وفهم قصد العمل معا".[1]

وللقارئ حرية في اختيار المدخل إلى النص؛ كيف يجعل النص مفتوحا أمامه؟ كيف يتداخل معه؟ وهكذا إلى أن تتحقق له المتعة و"تبدأ متعة القارئ عندما يصبح هو نفسه منتجا".[2]

ومما سبق يمكن القول أن الانسجام يضفيه القارئ على النص من خلال فعل التحقق؛ لأن الانسجام وليد الوظيفة التقويمية التي يقوم بها القارئ. وبالانسجام تتحقق القيمة الجمالية للنص باعتبار أن الانسجام مبدأ الجمال.

النتيجة أن الانسجام النصي يتطلب التماهي بين نظرية السياق ونظرية جمالية التجاوب في نظرية أهم هي نظرية الاتصال. ويعني ارتباط نظرية جمالية التجاوب بنظرية الاتصال الذي يعود إلى عمق الصلة بينهما. ومن جهود نظرية جمالية التجاوب مرتبة ضمن أفق نظرية الاتصال مما يؤدي إلى أن كل محاولة مبلورة من أجل صياغة نظرية جمالية التجاوب في الأدب إنما هي متصلة بنظرية الاتصال؛ لأن القصد من كل ذلك هو تقدير وظائف الإنتاج الأدبي والقراءة والتفاعل وكل ما يتصل بذلك.

III- التحليل النصي للرسائل

أصبح الاهتمام بالتواصل بين النصوص الأدبية والقراء مركزا على قضية أساسية وهي أن الإرسال في النصوص(المؤلف باعتباره ممثلو قطب الإرسال والمرسل إليه (القارئ) بوصفه قطب التلقي والجامع بينهما الرسالة (النص). وهي مداولة قوامها الإرسال والتلقي. فكيف يساهم السياق والتلقي في انسجام نص خطاب الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي؟

يعتبر السياق المختص للنص في مرحلة الإنشاء مع المؤلف وأيضا مع القارئ في مرحلة التلقي.

فالسياق هنا يمثل استراتيجية نصية تحيل إحالة قبلية إلى منتج النص وإحالة بعدية إلى متلقي النص فهي الوسيط الرابط بين المنتج والمتلقي ومن ثم صار السياق عنصرا مهما

1 –فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب، فولفغانغ ايزر ، تر، حميد لحميداني والجلالي الكدية، ص،16.
2 –نفسه، ص،56.

في تحليل النص وتفسيره وآلية تأويله للوصول إلى المعنى الثاوي فيما وراء النص.

ومن ثم يمكن القول أن السياق عنصرا فعالا ومشاركا في تحقيق التواصل بين المنتج والمتلقي. فالسياق يقوم باستقطاب المنتج والقارئ وهو يمثل محور حركة قطبا التواصل (ايجابا / سلبا) وكل اتصال هو تجاوب ستحول بفعل القراءة إلى إعادة إنتاج ثانية الذي يتمثل في تشكيل النسيج الدلالي والتركيبي للنص من خلال مكونات نصية يمكن عدها استراتيجية نصية في نظرية الاتصال وهي تتمثل في ثنائية: المنتج / القارئ وهما يمثلان إستراتيجيتين نصيتين باعتبار فعالية تراسلية تقوم على البث والتقبل والإرسال والتلقي.

وبذلك تتكيف الأبعاد الدلالية للنص بين هذين القطبين قبل إخراجهما ثم إعادة إنتاجهما ثانية في ضوء البنية الثقافية الخارجية حيث تكون خاضعة للوصف والتحليل والتفسير والتأويل. وهي فعالية ثقافية نقدية أكثر مما هي نقدية بالمعنى الدقيق. وهذا يشير إلى أن نص رسائل "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية " مفتوح على متعدد من القراءات الممكنة وكلها تتوفر على متعة لا متناهية.

وفي نماذج الرسائل المتناولة بالدراسة تكمن محاولة الكشف عن استراتيجية التلقي الداخلي والخارجي فيها و إنتاج المعنى بهدف الوصول إلى المغزى الذي يتضمنه الخطاب في" الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" لأبي حيان التوحيدي.

تتميز طبيعة هذا الكتاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" بتصديره بمقدمة من المحقق وكذا طبيعة البناء للرسائل فيه الذي يقوم على مبدأ أساسي هو الحوار. يستلزم تقسيم الدراسة التطبيقية إلى مستويات لمحاولة معرفة دور كل عنصر ومدى مساهمته في انسجام النص لذلك ارتأيت أن يتم تناول التلقي عبر ثلاث مستويات على النحو التالي:

أ- التلقي المعرفي، ب- التلقي التوظيفي الأيديولوجي، ج -التلقي النقدي الحواري.

أ- التلقي المعرفي

المقصود من هذا العنوان أن متلقي النص هنا يستند إلى النص نفسه؛ أي فهم النص بالنص وذلك باعتماده على إحالة نصية قبلية تتمثل في الربط بين النص والمقدمة لمعرفة الهدف من تناول هذا الكتاب.

إن كتاب الإشارات والأنفاس الروحانية، محقق من محققين هما عبد الرحمان بدوي ووداد القاضي، لكن التركيز سيكون على محقق واحد هو عبد الرحمان بدوي وهو محقق النسخة المعتمدة في الدراسة.

يمثل ع/ الرحمان بدوي (المحقق) المتلقي الأول (الحقيقي) للكتاب؛ لأنه أعاد إنتاج كتاب (أبي حيان التوحيدي)؛ أي نقله من حالة الكمون (المخطوط) إلى كتاب ثان محقق ومنشور ليرى النور من جديد بإقبال المتلقي عليه. فهو الآن في حالة حياة وهذا يوحي برغبة المحقق في إسماع صوت الكاتب.

ففي هذا إعادة لطرح أطروحات (قضايا وأفكار) الكاتب لأنها لم تستفد بعد وهذا تأكيد لاعجاب المحقق / المتلقي بالكاتب / المنتج (صاحب الكتاب) والعمل على إعادة فاعليتها مرة أخرى؛ لأنه ضمن مقدمة الكتاب بتصدير عام يتضمن تفسيرات وانطباعات عن الكاتب والكتاب فالعلاقة بين المحقق والكاتب هي علاقة تفاعل تهدف إلى التواصل؛ ذلك أن التحقيق هنا يمثل شكلا من أشكال التلقي النقدي المعرفي لنص الآخر إلى شكل من أشكال التلقي الحواري.

يمثل المحقق حضورا قويا في نص المحقق. فالمحقق الرئيسي هو ع الرحمن بدوي وقد وضع مقدمة للكتاب (تصدير عام) للنسخة المحققة تكشف عن أهمية الكتاب من خلال القيمة الفكرية والأدبية التي يتضمنها وهي تكمن في أنها "تمثل منهجا في المناجاة التي لا تكاد نجد له نظير قبل التوحيدي وبهذا يمكن أن يعد رائد نوعه (...) في تاريخ التصوف الإسلامي والحياة الروحية. فهو يمثل في المناجاة الإلهية في الأدب الإسلامي الروحي".[1]

وكما تتضمن المقدمة نبذة عن حياة التوحيد. ويوجد في الهوامش الداخلية بعض الملاحظات والإيضاحات والتعليقات الدالة على حضور المتلقي المحقق له لحظة التحقيق.

بما أن هذه الهوامش هي نتيجة مباشرة لتوقع جدواها وفضلا عن ذلك أنه أثبت صور المخطوط في مقدمة الكتاب للمحقق دليل قوي على انشغال معرفي معمق بالبحث الجاد في هذا المجال. وكيف لا يكون كذلك وقد أخرج المخطوط من طي النسيان

1 - ينظر: مقدمة المصدر، ص37-38.

(الموت) إلى الحضور الفعلي للكتاب بالتلقي الذي يتجلى في تلك التعليقات القيمـة علـى الكتاب التي توحي بمدى تفهم المحقق للكتاب وتفاعله معه وقد ناقش موضـوع الغربـة والغريب بمفهومه الخاص حيث عبر عنها بقوله "وهذا يؤذن بأنه فـي حركـة متطـورة ديناميكية مستمرة".[1]

وكذلك فكرة المخاطب المجهول في الرسائل "وأغلب الظن أنه شخص خيالي أعني أنه (أنت) الضروري كما يتسم الحوار النفسي أو المناجاة فهو مجرد اختراع أدبي".[2]

ومن جهة أخرى فقد تضمنت المقدمة أيضا أراء المحقق حول شخص التوحيـدي بقوله: "أن الكتاب يعبر عن نفس دلفت إلى الإيمان المستسلم بعد أن عانت مـن تجـارب الحياة أهوالا طوالا..". [3]

فهذا نقض لتهمة الزندقة التي ألحقت بالتوحيدي وكذلك إثبات الكتابـة "الإشـارات الإلهية والأنفاس الروحانية" للتوحيدي بعدما كان محل شك "والنتيجة لهذا إذن أنه ورد فـي صراحة ووضوح تامين أن هذا الكتاب هو "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبـي حيان التوحيدي".[4]

في هذا السياق يمثّل التحقيق التلقي من المقدمة يبرز إعجاب المحقق بقيمة الكتاب. فهذا تأكيد على تحقيق التواصل بين المحقق والكتاب بحكم أن المحقق (بدوي) له كتابـات في التصوف الإسلامي منها "كتاب: الشطحات الصوفية" الذي ضمنه عدة أفكار: الشـطح المعرفة، السكر، الوجد، المكاشفة ..."[5]

إذن تحقيق الكتاب هو نتاج ذلك التلقي الذي يفضي بالمحقق إلى الإقـرار بأهميـة النص المقروء (ضرورة التحقيق). ومن جانب آخر يمكن تأكيد أن التحقيق يصبح ممارسة معرفية فكرية جمالية دالة على دينامية الثقافة في مجملها. ومن ثم فإن البعد الفردي الذاتي للتوحيدي صار يحمل أبعادا جماعية بفضل التحقيق، لاسيما أن المحقق عبد الرحمن بدوي لـه اهتمام بالكتابة الصوفية (التصـوف الإسلامي) بالإضافـة إلـى افـتراض وجـود

1 -المصدر، ص:15.
2 - نفسه، ص:33.
3 - نفسه،ص:34.
4 -ينظر: مقدمة، الكتاب (المصدر) ، ص:27.
5 - ينظر : الصوفية والسوريالية أدونيس، ص:117-124.

متلقين/قراء آخرين سيساهمون في اثراءالنص؛ لأن المحقق ينشد التواصل والتفاعل مـــع متلق ما ينتمي إلى السياق اللغوي الثقافي نفسه كبدوي.

وهكذا يكون التحقيق منطويا على بعد حواري يكمن في مستوى العلاقة بين المحقق والمحقق له.

ب- التلقي التوظيفي الأيديولوجي (سياسي / عقائدي)

يعتبر كتاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" تصويرا لنضج وعي التوحيـدي وموهبته الفذة. يمكن عده أديبا معاصرا يعيش قضايا عصره التي عبر عنها برؤية صوفية وفلسفية وجمالية جديدة هي ما تجعل الآراء والأفكـــار والمواقــف الفكريـــة والأخلاقيـــة والأيديولوجية تبدو في كتاباته عامة ولاسيما كتاب (الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية) مبنية وموجهة مبدأ الحوار الذي يمنح مشروعية الحضور المتزامن في فضاء النص إنـــها تجدد وعي الكاتب بقضايا العصر و بتنبوء بأزمتها المستقبلية. فالمرجعيـــة الأيديولوجيـــة للتوحيدي من خلال الكتاب التي أسسها على عمود الحوار يشير إلى تعددية الأصـــوات؛ وكذلك اللاتكافؤ بينها.

ففي الحوار نلمس طرح عقيدة أيديولوجية – سياســـية- لطالمـــا عـــانى منـــها التوحيدي في عصره (القرن الرابع الهجري) تتمثل في انتقال الحكم العباسي مـــن البـــلاد الإسلامية المترامية الأطراف إلى الفرس حيث صارت "السلطة في يد البويـــهيين الذيـــن ظلوا يتوارثون السلطة حكموا ما يقرب مائة عام وهم ينتمون إلى مذهب الشيعة الإماميـــة فساد التفكك والتشتت في الحكم العباسي بدل الترابط والتماسك في عهد الخلفاء الســـالفين يمتازون بالقوة وأما في المجال العقائدي فقد كان الصراع محتدما بين المذهبيـــن الشـــيعة والسنة".[1]

فيرمز الحوار في هذا السياق بالتعددية الحزبية (سياسة التحزب) (الشيعة والســـنة) إنه يشير إلى اللامشروعية هذا التحزب؛ لأنه تشويه للعقيدة التي جاء بها الدين الإسلامي.

والحوار بين المتكلم والمخاطب في رسائل الكتاب لم تختلف عن أيديولوجية سياسة

---

1 –ينظر: مقدمة الكتاب، الأدب في العصر العباسي من بداية ق 4 هـــ إلى نهايته محمد زغلول السلام، الناشر منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1999، ج2، ص 9.

السلطة الرسمية (العنصر العربي العباسي والعنصر الفرنسي البويهي) هناك اللاتناظر بين تعددية الأصوات في الحوار (المتكلم / المخاطب). المخاطب يـــلازم صـــورة واحــدة؛ الصمت والتيه وهو يرمز إلى العنصر العربي أينما كان وما أكثر هذه الصور السلبية فــي عصرنا وكأن المتكلم تنبأ بالمستقبل العربي الذي ضاعت قبلته وانكسرت شوكته وتشــتت وحدته؛ لأنه أسس بنيانه على جرف هار فانهار به يرجو النجاة.. هيهات! هيـــهات ! ... يرجو النجاة ولم يسلك مسالكها.

وتعددية الأصوات ترمز أيضا إلى اللاتكافؤ بين الحزبين: الشيعة والسنة. فالشـــعة تمثل، تمثل السلطة الحاكمة (الناطق الرسمي للبلاد)، و السنة تمثل الطبقة المحكوم عليـــها (المقهورة والمضطهدة ...صورة المخاطب في الرسالة). وتمخض عن هـــذه الظـــروف أزمات شتى في مختلف أنحاء الحياة (الاجتماعية، الثقافية، الحضارية، الفكرية..). فكــان هذا العصر "عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية وأصبحت بغداد عاصمة الدولـــة محط أنظار العالم فقد ازدانت بثمرات تلك الحضارة المادية والمعنوية".[1]

وهذا المؤشر ينبئ باللاتكافؤ بين البنية التحتية والبنية الفوقية في مجتمع التوحيـــدي فسادت الفرقة بدل الوحدة وطغت الحضارة المادية على الإنسان وجردته مـــن إنســانيته (غياب الجانب الروحي) احترقت هذه المادة الخام في مخيلة الكاتب فتمخض عنها ميــلاد هذا الكتاب في التصوف؛ لأن "التصوف علم يدور بين إشارات إلهية وعبـــارات وهميـــة وأغراض علوية وأفعال دينية وأخلاق ملوكية".[2]

فتأليف هذا الكتاب كان رغبة في إنقاذ الإنسانية إيقاظ الضمير فكان الحـــوار فـــي الرسائل ملائما للغرض؛ التنبيه أي إيثار السماع؛ لأن في السماع لذة وقد كانت سببا فـــي الكينونة ، إذن التركيز على السماع نظرا لما فيه من لذة "ولذة الســـماع قلـــت أم كـــثرت صافية من التعب وخالصة من الضرر".[3]

1 –الأدب في العصر العباسي من بداية ق 4 هـــ إلى نهايته؛محمد زغلول السلام، ص: 270.
2 –الرسائل (رسالة في العلوم) :أبو حيان التوحيدي، عني بتحقيقها ونشرها إبراهيم الكلاني دمشق، 1985م، ص: 343.
3 – الأدب في العصر العباسي من بداية القرن الرابع الهجري إلى نهايته؛ محمد زغلول السلام، ج2، ص: 277.

ومن جهة فإن لأثر السماع غاية أخرى بحكم أن التوحيدي جمع في كتابه بين التصوف والفلسفة (الرسالة الأخيرة) وبهذا يأخذ السماع منحن آخر "فإن حديثه عن سماع الصوفية وأثره في تخليص الروح من قيود الجسد ورفع درجات الوجد عند السالكين".[1]

من المؤكد ان التوحيدي يرغب في إسماع الآخر التصوف الإسلامي ورفض التصوف المسيحي والتصوف اليهودي لتثبيت العقيدة الإسلامية. هذه الفكرة تعكس رغبة التوحيدي في الوحدة، وحدة الأمة ووحدة العقيدة. ومن جهة رفض الحلول والاتحاد (أفكار متصوفة المسيحية واليهودية) لذا ختم رسائل الكتاب بسورة الناس (الاستعاذة). وهذا يشير إلى رغبة الكاتب في تبليغ عقيدة التوحيد في ظل الإسلام الذي تتحقق فيه المساواة والوحدة والخير المطلق والسعادة الأبدية.

والجمع بين التصوف والفلسفة يعكس رغبة التوحيدي في تحقيق "الحكمة التي هي مناط فائدة الإنسان وحياته وعقله وما دامت هكذا فهي فوق الاختلاف الطائفي والعرقي والفكري والسياسي".[2]

ومن ثم فإن كل رسائل الكتاب تتجه نحو الوحدة، وحدة الإنسان، وحدة الإنسانية وحدة العقيدة وحدة الفكر وحدة المعرفة ... وهي الغاية المنشودة مهما اختلفت أجناسها الأدبية وأعراق قائلها وزمانها ومكانها وقد حققت هذه الغاية الوحدة العميقة للكتاب ألا وهي توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ومن أقربها فقد ارتقى إلى مقام العبودية، أين الأنس الدائم والسعادة الأبدية.

وهكذا يتبين من خلال استقراء نماذج من رسائل الكتاب أن التوحيدي قد ساق فكره الأيديولوجي –السياسي – في بناء تناظري بين البنية الأدبية والبنية الأيديولوجية ؛ لأن "النص بحاجة إلى ظله هذا الظل هو قليل من الأيديولوجية قليل من التمثيل قليل من الذات".[3] أو البنية الثقافية التي نلمس فيها صرخة التوحيدي الممتدة من عصره –ق 4هـ– إلى مالا نهاية إنها صرخة مطلقة تتجاوز الزمان والمكان؛ إنها صرخة المثقف

1 – الأدب في العصر العباسي من بداية ق 4 هـ إلى نهايته،محمد زغلول السلام، ص:278.
2 –التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية)،محمد مفتاح،الناشر المركز الثقافي العربي، ط1، 996م ص:67.
3- PLAISIR DU TEXTE, R.BARTHES, EDITION DU SEUIL, 1973, P 53.

تعبر عن محنة المثقف العربي. لقد صدم التوحيدي في اكتشافه لعدم جدوى العلم في عصره قائلا:

أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وقصر علمي أن ينال المغيبا. (1)

ج- التلقي النقدي الحواري

يتكون هذا العنوان من ثلاث مصطلحات : التلقي / النقد/ الحوار، وهي كلها تعبر عن مصطلح واحد هو القراءة الثانية التي تقوم بإعادة الإنتاج وقد عرفه الناقد بارط (BARTHES) بقوله: "النقد خطاب ... خطاب الآخر ... فهو خطاب حول خطاب؛ إنه لغة ثانية أو لغة ما ورائية كما يقول المناطقة".(2)

وهذا التصور البارطي عن مفهومه للخطاب النقدي الذي وصفه بالممارسة الصعبة والقراءة القلقة فإن أبا حيان التوحيدي كان سباقا له فقد أشار إلى هذا التصور في كتابه (الإمتاع والمؤانسة) وذلك في الليلة الخامسة والعشرين قائلا: " إن الكلام على الكلام صعب.

قال: ولم؟

قلت لأن الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحس ممكن، وفضاء هذا متسع والمجال فيه مختلف. فأما الكلام على الكلام فإنه يدور على نفسه ويلتبس بعضه للبعض ولهذا شق النحو وما أشبه النحو من المنطلق وكذلك النثر من الشعر".(3)

فالملاحظ هنا أن أبا حيان التوحيدي يؤسس النقد الحواري. وكتابات التوحيدي لاسيما الإمتاع والمؤانسة تعد مؤسسة لمنهج الحوار النقدي، التوحيدي، الشهير الذي أصبح عماد أعماله التالية الهوامل والشوامل المقابسات والذي تطور وصار حديثا من طرف واحد في هذا الكتاب (الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية) فكان بمثابة عمود الرسالة فيه إلا أن الحوار بين (المتكلم / المخاطب) ينتهي في بعض الرسائل إلى الجمع بين المتكلم والمخاطب في ذات واحدة (نحن) كقوله "وأنا في أشباه ذلك ونظائره وفي دواه

---

1 - المصدر، ص: 387.

2- ESSAIS CRITIQUER, R.BARTHOS, EDITION DU SEUIL, 1964, P: 255.

3 - الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق، توفيق حسين، دار الأدب بيروت، ط1، 1998م، ج2، ص: 131.

تزيد عليه وتوفي لو ترجمت عنها بكلمة عوجاء أو رمزة هوجاء لضاق في الثقلان والتقي علي في الثقلان".[1]

ويقول أيضا "قد وصفتك ووصفت غيرك وأنا غيرك ففي وصفك وصفي وفي وصفي وصفك".[2]

يلمس في هذه النماذج عموم الخطاب وشموله تعكس رؤية إسلامية ألا وهي الاهتمام بالكل قبل الجزء، أي أنه يلتقي فكر الكاتب (التوحيدي) مع المكتسبات المنهاجية الحديثة التي تسلم بأسبقية الكل على الجزء والبنية على البعثرة والوظيفة على العطالة والنسق على الانتشار".[3]

ومن جهة أجد أن فكرة التلقي الخطاب النقدي الحواري مفتوحا ومتعددا "وفضاء هذا متسع والمجال عنه مختلف". وبهذا يكون الخطاب النقدي حوار مع الآخر، وكما يوحي هذا باشتراك التلقي مع النقد الحواري في مظهرين أساسين هما: أولا الاختلاف وهو أساس كل حوار. وبعد الاختلاف في النظرية الأسلوبية إحدى أسسها المرتبطة "بجنسين رئيسين من الجمال وهما الانسجام والاختلاف".[4] إذن فالتشابه يحقق الجمال مثله الانسجام .

ومن جهة فإن الاختلاف أيضا قد يشير إلى تعدد أشكال تلقي "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" وهي عبارة عن عتبة نصية معرفية فكرية نقدية (التلقي الحواري).

وتتمثل شمولية نظرة الكاتب أيضا في الجمع بين المتناقضات وهي سمة حداثية ويمكن إرجاع الجمع بين المتناقضات عند التوحيدي في أسلوب بنية العبارة وتركيب الجملة إلى منظوره الفكري للعالم أنه عبارة عن نسيج من الأضداد المؤتلفة فيها بينما تكون وحدة، وهذه الوحدة تتصف بالانسجام الناتج عن النظم الرباني في الكون الذي يطبعه الجمال وهذا سر من أسرار الحكمة الإلهية الذي أحسن خلق كل شيء. وقد تستند شمولية نظرية إلى طبيعة التفكير الصوفي في العالم الذي أسس عليه الكتاب. فهو يقصد

1 – المصدر ، ص:72.
2 –نفسه، ص:123.
3 –التشابه والاختلاف: محمد مفتاح، ص: 60.
4 – علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي) :شبلنر برند، تر: محمود جاد الرب، ص: 117.

من خلال نقد التصوف نقد الآخر. وفي الوقت نفسه فإن نقد الآخر يتجلى في الأدب واللغة والبلاغة والكتاب يجمع بين التصوف والأدب و الفلسفة وقد ضمن الكتاب قضايا نقدية منها قضية اللفظ والمعنى وسبب الربط بين هذه الأمور كما يعبر عنها العروضي بقوله " إن مهمة وسائل الأدب والشعر والنفس هي النزوع نحو الحق لتحريك النفوس والتأثير عليها لكنها تظل – على أية حال– قاصرة عن مهمة العقل الذي يسكن الساحة الألوهية بنفسه ودون أن يستعين بغيره أو يحتاج إلى الحركة والتحريك".(1)

وتكمن قضية ثنائية: اللفظ /المعنى في أنها تقابل ثنائية: الحس /العقل "زينة اللفظ في المعنى وحسن المعنى في الصدق والصدق ينقسم على صالح القول المؤدب والفعل المهذب وميراث الفعل باق على وجه الدهر و وخوالد الليالي".(2)

وقد عبر التوحيد عن قيمة اللفظ والمعنى على لسان أبي القومسي "الألفاظ يشملها السمع والسمع حسن، ومن شأن الحس التبدد في نفسه والمعاني تستفيدها النفس ومن شأنها التوحيد بها ولهذا تبقى الصورة عند النفس وتظل عند الحس والحس تابع للطبيعة والنفس متقبلة للعقل فكأن الألفاظ على هذا النسيج والتنسيق من أمة الحس والمعاني المعقولة من أمة العقل".(3)

فلما كان الكمال بتوحيدي العقل والحس فإن هذا ينطبق على اللفظ والمعنى أيضا؛ أي كما لهما بتوحيدهما ، لأن النقص في إحداهما يؤدي إلى النقص في الآخر وبالكمال تتحقق الوحدة ؛ وحدة العقل، وحدة المعنى، وحدة الصدق، وحدة الإنسان هذه الوحدة تؤدي إلى الكمال الذي يشير إلى تصوره عن نموذج الإنسان الكامل السعيد.

وخلاصة القول أن أبا حيان التوحيدي مقتنع بفكره الفلسفي؛ أي إيمانه الجازم بأن العقل أساسي كل شيء؛ لأن الإنسان به شرف وكرم وفضل فبالعقل يتقرب الإنسان إلى الله تعالى؛ لأن في العقل القرب وفي الحس البعد.

---

1 – المقابسات؛ أبو حيان التوحيدي، تح: محمد توفيق حسن، مطبعة الرشاد بغداد، 1970م، ص:155.
2 – المصدر، ص: 391.
3 – نفسه، ص: 91- 92.

إذن أبو حيان التوحيدي يؤسس فكره النقدي القائم على نظرية فلسفية التي قوامها العقل وهو معيار الحقيقة ومحقق الكمال والوحدة والقرب لتحقيق الخير المطلق والسعادة الأبدية والأنس الدائم في ظل عقيدة التوحيد الشامل.

مما سلف يمكن القول أن العنصرين: السياق والقارئ يشكلان بنية نصية تؤسس وجود النص وجودا بالقوة ووجودا بالفعل فهما يحققان نصية النص وانسجامه.


الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الممتعة التي قضيتها في الرســائل الصوفيــة لأبــي حيــان التوحيدي ضمن كتابه "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" التي كنت فيــها جوالــة أبحث في الألوهية والربوبية الأسماء والصفات والعبودية بمــا اقتضــت مــن التلــذذ بالمعرفة الإلهية والمحبة الإلهية بعدما أدركت معنى عقيدة التوحيد الشامل.

لقد كانت الدراسة ممتعة خلصت بعدها إلى مجموعة من النتائج أتمنى أن تكــون علمية إلى عرض أهم ما جاء في الكتاب.

لقد تبين من خلال هذه الدراسة التي ركزت على إبراز شبكة العلاقات النصيــة داخل النص أن التحليل النصي المعاصر يعتمد بصفة أساسية على هذه العلاقات وعلــى غيرها، وإذا كانت هذه الأخيرة تمثل الانسجام النصي فإنها تمثل وسائل تحليــل علــم اللغة النصي، وأيضا هذا العرض النظري التحليل التطبيقي لبعض مفاهيم على اللغة 1.

1- الكتاب يعكس روح عصر الكاتب الذي يتمثل في فساد القيم الروحية والاجتماعيــة ويتمثل في تشويه العقيدة الإسلامية بمظاهر غريبة عنها كظهور التصــوف المســيحي والتصوف اليهودي الذين يدعان فكرة الحلول والاتحاد فكان رد فعل الكاتب دحض هذه الأفكار بفكرة عقيدة التوحيد الشامل.

النصي. بعد هذا كله فقد أفضت الدراسة إلى نتائج متنوعة منها:

2- تضمن التاب صرخة الكاتب التي تعبر عن محنة المثقف والمفكر في عصره، وقــد امتدت هذه الصرخة إلى عصرنا وستمد.

3- من خلال الدراسة النصية للرسائل تبين أن الكاتب يستعمل علومه ومعارفــه فــي تخطيط إنتاج النص؛ أي أنه يمتلك استراتيجية الإنتاج وهذا ما تثبته صياغة العنــاوين وبناء الرسائل وتكرار الدعاء في خواتم الرسائل وأحيانا في فوتحها.

4- القارئ يتلقى بتوظيف علومه ومعارفه المختلفة ليتمكن من فهم النــص وتفســيره وذلك بربط النص بسياقه المحيط ومحاولة تفني آثار المتكلم من خلال قرائــن لغويــة مبثوثة في البنية السطحية للنص.

5- أصبح مستوى التحليل اللغوي مستوى آخر شاملا يتمثل في مستوى النص. وهذه إشارة إلى تجاوز مستوى التحليل اللغوي مستوى الجملة كوحدة لغوية كبرى في التحليل إلى مستوى النص بوصفه الوحدة اللغوية الكبرى في التحليل.

6- كانت التحليلات النصية السابقة لا تقوم على قواعد ومبادئ ومفاهيم تمنح لها تأشيرة تخطي عتبة الجملة إلى عتبة النص، ومن ثم سعت هذه الدراسة البسيطة إلى الاعتماد على بعض المبادئ والمفاهيم التي تتيح لها تخطي الجملة إلى تخوم أرحب يشمل المتوالية الجملية للنص وفقراته وفصوله باعتبار كتاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" كله يمثل نصا ومن جهة فإن هذه الدراسة حاولت ربط وشائج العلاقات بين القديم والحديث لتأصيل تصور حد اثوي ممنهج يمكن الاتكاء عليه في تحليل النصوص الأخرى تحليلا نصيا معاصرا.

7- يبتدئ التحليل النصي بالعتبة الأولى للنص في التحليل، وتتمثل هذه العتبة في إشارة العنوان فهو يمثل البوابة الأولى التي منها ينفذ القارئ إلى بنية النص. فالعلاقة بين العنوان وبنية النص علاقة ترابطية: العنوان يحيل إلى بنية النص إحالة لاحقة (التمطيط). وبنية النص تحيل إلى العنوان إحالة سابقة إلى العنوان (اختزال بنية النص)

8- العنوان مفتاح إجرائي في تحليل النص ويعده الناقد كوهين (J.COHEN) سمة للنص النثري.

9- للعنوان وظائف عديدة أهمها: انفتاحه على وظيفتين هامتين هما وظيفة إشهارية تدخل في الترويج للكتاب ووظيفة أخرى تتمثل في الوظيفة الأيديولوجية المتمثلة في السياسة؛ أي ذلك الصراع المحتدم بين حزبين: الشيعة وهو حزب السلطة الحاكمة التي أصبحت بيد البويهيين. والسنة يمثل حزب الرعية المحكومة التي تمثل البقية الباقية من العباسيين والمتعاطفين معهم. والعقيدة الإسلامية التي تواجه تيارات عقائدية مختلفة.

10- الرسائل تقوم على بناء واحد يتخللها حوار من طرف واحد المتكلم (الكاتب) وهو يمثل بؤرة الرسالة وقد رمز المتكلم الكاتب للمخاطب باسم الإشارة (هذا) وهو يحل إلى مخاطب عام يشمل المخاطب في عصر الكاتب والعصر الذي بعد الكاتب وعصرنا

والعصر الآتي. فهو مخاطب عام تجاوز حدود الزمان، والمكان فالحوار هنا يعبر عــن نظرة الكاتب الاستشرافية التي سبقت العصر والحدث.

11- تتمثل الوظيفة الأساسية للكتابة الصوفية في المحافظة على تعاليم الإسلام الداعــي إلى وحدة الأمة.

12- أكدت الدراسة أهمية ترتيب الأحداث المكونة للنص خاصة لنص الرسالة الصوفية في التحليل النصي الذي يحقق الاختلاف التالي: الخاتمة تترتب على الفاتحة والخاتمــة تتضمن الاستعانة التي تترتب عن العبادة التي تتضمنها الفاتحة كما تترتب النتيجة علــى المقدمة والجزاء على الشرط وهكذا. ومنه فإن الافتتاح بالعبــادة يشــير إلــى الغايــة والاختتام بالاستعانة يشير إلى الوسيلة. ومن ثم فإن أي اختلال في الترتيب المنطقــــي يغير التخريج الدلالي فيؤدي إلى اللاتماسك واللانسجام النصي.

13- التفتت هذه الدراسة إلى المناسبة بوصفها وسيلة من وســـائل تماســك وانســجام النص. وهذه الوسيلة كانت مرتبطة بالنص القرآني لكن يمكن اســتغلالها فــي تحليــل النصوص. وقد أشار إليها الباحث محمد خطابي في مؤلفه لسانيات النص (مدخل إلـــى انسجام النص) واستغلها في تحليل نص شعري. وأن قد استغلتها فـــي تحليــل نــص صوفي وقد تحققت هذه الوسيلة بصورة جلية في إطار البحث عن المناسبة بين الفاتحــة والمتن والفاتحة والخاتمة (في مستوى الرسالة الواحدة). وهي تتمثل في العلاقــة بيــن ثنائية: العبادة/ الاستعانة التي هي محور الرسالة.

14- أكدت الدراسة أن انسجام النص يشكل النواة الأساسية في تحليل النـــص ويــهتم أيضا بدور السياق والقارئ والتواصل بين عناصر الرسالة اللغوية (النص). ومن خلال التحليل تبين أن الانسجام سمة للنص النثري لا سيما النص الحجاجي الإقناع.

15- الانسجام يعني وحدة النص وهذه الوحدة تحيل إلى وحدة الأمـــة الإســلامية ولا يتحقق ذلك إلا باعتناقها عقيدة التوحيد الشامل.

16- أشارت هذه الدراسة إلى قضية الفصل والوصل التي أصبح النص مجالها بحيـث يساهم الوصل في تحقيق التماسك النصي بواسطة العلاقات الشكلية والدلالية. فـالربط بين أجزاء النص غير مباشر فهو يعتمد الوسائل اللغوية. أما الفصـل فيحقـق الربـط المباشر بين أجزاء النص باعتماده على علاقات معنوية ثاوية وراء جمل النص بحيـث يجعل النص وحدة متكاملة كل جزء منها يفضي إلى الآخـر، ومنـه يصبـح النـص منسجما.

17- أكدت هذه الدراسة وظيفة الإحالة في تحقيقها تماسك النص ويتضح هذا من خلال دور الإحالة النصية (سابقة/ لاحقة) التي تقوم على العلاقة الترابطيـة بيـن السـابق واللاحق فتحقق نصية النص .والإحالة المقامية تساهم في خلق النص لاعتمادها علـى العلاقات الخارجية التي تحقق الانسجام للنص .

18- أكدت الدراسة دور السياق والقارئ في تحليل النص بوصفهما عنصرين فعـالبين يشاركان إنشاء النص وفي إضفاء المعنى عليه. ويبدو هذا جليا من خلال وظيفة السياق التي تساهم في تحقيق نصية النص فغيابه -السياق- يفقد النص نصيته (لا نص). وأمـا دور السياق فيتمثل في إضفاء المعنى على النص. ومنه فإن النص يمتلك المعنى وفق السياق الذي يرد فيه.

ويكمن دور القارئ في وجود النص انطلاقا من مسلمة أن النص يستلزم وجـود القارئ باعتبار أن المؤلف لا ينشئ النص لنفسه، بل ينشئه للقارئ. ولهذا فالنص ينتظر قارئا حصيفا يخرجه من حالة الكمون (الوجود بالقوة) إلى حالـة الحركـة (الوجـود بالفعل) أين يصبح النص يمتلك المعنى؛لأن القارئ يمثل القطب الجمالي في النص فـهو المبدع الثاني للنص فيحكم على النص بالانسجام باعتبار أن الانسجام ليس معطى فـي النص.

19- تكمن استراتيجية الخطاب في كتاب "الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية" لأبـي حيان التوحيدي في تصميمه للعناوين على الصيغة الاسمية التي لها دلالة الثبوت ثبـوت المعنى عقيدة التوحيد الشامل وفي الفواتح والخواتم. ففي الفواتح يعتمد عبارات وصيـغ

تناسب المعنى ففي الدعاء مثلا يعتمد على صيغة الفعل للدلالة على الحركة والتجـــدد؛ لأن الدعاء مخ العبادة والعبد يكثر من الدعاء طلبا للنصرة والتأييد والقرب فيلاحظ هنـا التوازي بين البينة الفكرية والبنية اللغوية.

20- من خلال قراءة كتاب الإشارات البديهية والأنفاس الروحانية" يبدو الكاتب باحثـــا عن قارئ مثالي لرسائله من خلال بعض تصريحاته في ثنايات الكتاب.

21- ترمز حادثة حرق الكتب إلى رغبة الكاتب في الكتابة البيضاء واللاكتابـــة؛ لأنـــه يبحث في المطلق والكتابة قيد والمطلق يرفض القيد؛ لأن التعبير عن الإيمان بـــالتوحيد يرفض الحرف والصوت ويفضل التلاشي والاستغراق.

22-إن فكرة الغربة التي ناقشها الكاتب في كتابه هي غربة معنوية مرتبطة بالعبـــادة. وليست الغربة الوجودية التي أشار إليها المحقق في التقديم للكتاب.

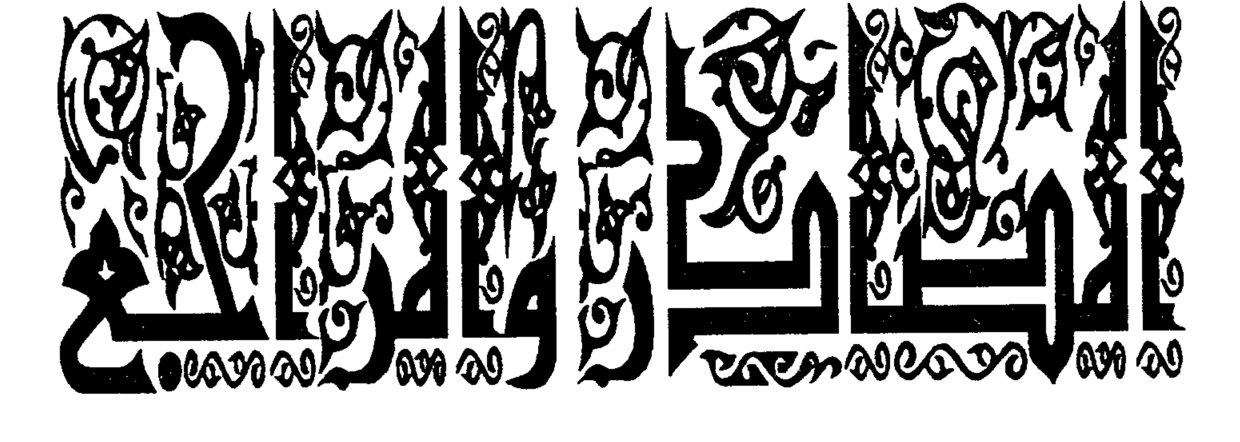
23- استطاع الكاتب أن يجمع بين المتعة البراطية (الكتابة البيضاء) التي تقابلها اللـــذة الروحية من خلال بحثه في المطلق (التوحيد). فمنه كان بحث الكـــاتب فـــي المطلـــق مؤسسا على الكتابة البيضاء (المتعة) واللذة الروحية (لذة العلوم الإلهية).

وبعد: فإن هذه النتائج المتوصل إليها ليست بنتائج ثابتة، لأن النـــص ثـــري لا يزال متكتما على سره الدفين، وما هذه النتائج إلا شذرات من مكنونـــه فمـــهما كـــانت الدراسة النصية عميقة إلا أن النص لا يمنح للقارئ المعنى كله وهذا ما يجعل النـــص حيا مستمرا.

وختاما أتمنى أن أكون قد لامست بعض النقاط التي يجب إثارتها في الدراســـة فهذا ما أنشده وأبتغيه، وإن لم يكن ذلك فحسبي أنني قد اجتهدت وحـــاولت أن أصيـــب وإن لم أصيب فلي أجر الاجتهاد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثم بحمده وفضله ومنه تعالى.





-القرآن (ترتيل الشيخ محمود الخليل الحصاري).

1- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، تخريج الحافظ، العراقي، دار الغد العربي، ط2، 1986م.

2- الإتقان في علوم القرآن،الحافظ جلال الدين السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، 1480هـ-199 9م.

3- الأسماء والصفات: أبو بكر احمد بن الحسين ابن علي البهيقي، حقق نصوصه وخوج أحاديثه عبد الرحمن عميرة دار الجيل بيروت ، ط1، 1417هـ/ 1997م.

4- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة عبد المجيد أحمد يوسف هنداوي المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط: 2، 1401هـ- 2001 م.

5- الإمتاع والمؤانسة أبو حيان التوحيدي، تح: توفيق حسين، دار الأدب بيروت،ط1 1998م.

6- الإيضاح في علل النحو: الزجاجي تح: مازن المبارك القاهرة.

7- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت مكتبة القاهرة ط3، 1980م.

8-البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

9- البلاغة والأسلوبية عبد المطلب مكتبة لبنان ناشرون،1994م.

10- التصريح بزوائد الجامع الصحيح - سنن الترمذي- كتاب الدعوات، أبو الحسن بن سورة، إعداد محمود نصار، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1424هـ/ 2001م.

11- الخطابة من كتاب الشفا: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سناء، تح: محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية القاهرة 1954م

12- الشعرية العربية بين الاتباع و الابتداع: عبد الله حمادي، منشورات دار الكتاب الجزائري، ط:1 - ديسمبر 2001 م.

13- الشعرية: تزفيطان طودوروف: تر شكري المجنون ورجاء بن سلامة، تم نشر هذا الكتاب ضمن السلسلة الأدبية : ط1، 1987.

14- الفتوحات المكية: أبو بكر محي الدين بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاكمي والمعروف بابن عربي، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان ، ط1/ 1420هـ/1999م.

15- الكتابة الثانية وفاتحة المتعة : منذر عياش، الناشر المركز الثقافي العربي، ط1، 1988م.

16- اللسانيات وأسسها المعرفية عبد السلام المسدي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الدار التونسية للنشر تونس، 1986م.

17- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، نهضة مصر، دار الرفاعي -الرياض ط2، 1404هـ-1984م.

18- المعجم الوسيط: قام بإخراج هذه الطبعة: إبراهيم أنيس، عطية الصوالحي، ع/ الحليم منتصر، محمد خلف الله أحمد. واشرف على الطبع حسن عطية ومحمد شوقي أمين، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط1.

19- الملفوظية: جان سيرغوني، تر: قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1419 هـ/1998م.

20- الموسوعة العربية العالمية (و)، مؤسسة الموسوعة للنشر والتوزيع(ح)، ط2، 1914هـ، 1999م.

21- بلاغة الخطاب وعلم النص صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 164صفر 1413هـ أغسطس، آب 1992م .

22- تحليل الخطاب: ج.ب براون وج يول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، 1418 هـ/ 1998م.

23- تدريس أدب استراتيجية القراءة والقراء، محمد حمود، منشورات ديداكتيكا، الدار البيضاء، 1993م.

24- تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور الدار التونسية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

25- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي دار الفكر بيروت ط1304/3هـ/1974م.

26- تناسق الدور في تناسب السور، حقق ونشر بعنوان: أسرار ترتيب القرآن ع/الرحمن جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق ع/القادر أحمد عطا، سلسلة نوادر التراث دار الاعتصام مصر، 1978م..

27- دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تر، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، 1981.

28- دينامية النص (تنظير و إنجاز) محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط2، 1990م.

29- روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي، دار الفكر بيروت، 1403هـ/ 1983م.

30- سنن النساء، شرح الحافظ جلا ل الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، حققه ورقمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة:بيروت-لبنان، ط1 1411هـ-1991م.

31- شرح العقيدة الواسطية: شرح محمد صالح العيثمين، اعداد فهد بن ناصر ابراهيم السليمان، مؤسسة الرسالة، دار الثريا للنشر والتوزيع. المملكة العربية السعودية، ط:1419/1هـ/ 1998م.

32- صحيح البخاري أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بوردزيه البخاري الجعفي، طبعة جديدة مرقمة- الكتب والأبواب الرقاق، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

33- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1985م.

34- علم اللغة والدراسات الأدبية (دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي). برند سبيلنر، تر: محمود جاد الرب، كلية الآداب جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1987م.

35- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) سعيد حسين بحيري لونجمان، القاهرة، ط1، 1997م.

36- فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب في الأدب : فولفغانغ ايزر، تر: حميد لحميداني والجلالي الكدية منشورات المناهل، فاس.

37- في تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة، ع القادر الرباعي، منشورات الأهلية/ ط1، 1988م.

38- في ظلال القرآن سيد قطب، مصر، ط16، 1 هـ /1990م.

39- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م .

40- مبادئ ألسنية عامة، أندري مارتيني، ترى ريمون رزق، بيروت، دار الحداثة، 1990م.

41- مبحث في القضية الرمزية الصوتية: البداروي زهران، دار المعارف ط:1، 1986 م/ 1987 م.

42- مدخل إلى علم اللغة النصي: فولفجانج هاينيه من، وديتر فيهيفجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، الناشر العلمي، والمطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1419 هـ/1999م

43- معاني النحو: فاضل صالح السامرائي دار ابن حزم بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م .

44- معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي الرومي تحقيق: إحسان عباس، دار العرب الإسلامي بيروت / لبنان، ط1/1993م.

45- منهاج البلغاء، و سراج الأدباء: ابو الحسن حازم القرطاجني، تح: محمد الحبيب بن الخوجة،دار العرب الإسلامي، بيروت،ط3، 1986م.

46- نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا): الأزهر الزنادي، المركز الثقافي العربي 2000م.

47-الأدب في العصر العباسي من بداية القرن الرابع الهجري إلى نهايته محمد زغلول السلام، الناشر منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1999م.

48-الأسماء والصفات: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البهيقي، حقق نصوصه وأخرج أحاديثه ع الرحمن عميرة دار الجيل بيروت، ط 1417هـ/ 1997.

49-الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح: ع الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات: الكويت دار القلم بيروت، لبنان، ط: 1، 1981م.

50- الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدي، تح: وداد القاضي، بيروت-لبنان، ط2، 1402هـ-1982م.

51-البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح، محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل بيروت، 1408 هـ، 1988م .

52-البيان والتبيين: عمر بن بحر الجاحظ، تح، حسن السندوبي دار الفكر بيروت.

53-التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر- تونس، ج:1، 1984م.

54-التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند ع/القاهر الجرجاني، ع/ الفتاح لاشين، دار المريخ، المملكة العربية السعودية.

55-التشابه والاختلاف (نحو منهاجية شمولية) محمد مفتاح الناشر المركز الثقافي العربي، ط1، 1996.

56-التصريح بزوائد الجامع الصحيح- سنن الترمذي-ابو الحسن ابن سورة، إعداد محمود نصار، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1، 1424هـ/2001م.

57-التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج وهبة الزحيلي دار الفكر المعاصر بيروت لبنان دار الفكر دمشق، سورية، ط1/1401 هـ/1991م.

58-التكرير بين المشير والتأثير عز الدين علي السيد عالم الكتب، ط2، 1407هـ/1986م.

59-الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، مقدمة نظرية، دارسة تطبيقية: عبد الله الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1985م.

60-الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية: أبو ع/الرحمن جيلان بن خضر العروسي، مكتبة الرشد- الرياض، ط:1، 1417هـ /1996م.

61-الدعاء ومنزلقة من العقيدة الإسلامية : أنواع الرحمان حيلان بن حفز العروسي.

62-الرسائل (رسالة في العلوم) :أبو حيان التوحيدي، عني بتحقيقها ونشرها إبراهيم الكيلاني دمشق، 1985 .

63-السؤال والجواب في آيات الكتاب، عطية محمد سالم، دار الكلم الطيب-دمشق بيروت، ط1، 1422هـ-2002 م.

64-الصناعتين: الكتابة والشعر الحسن بن ع/الله بن سهل أبو هلال العسكري تح: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم دار الفكر العربي، القاهرة ط2، 1971م.

65-الصوفية والسريالة: أدنيس، دار السافي بيروت- لبنان، ط:1، 1992م.

66-العبودية: تقي الدين أحمد بن ع/الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي، المكتب الإسلامي، تقديم ع/الرحمن الباني، بيروت، ط:5، 1399هـ.

67-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقد، أبو علي حسن بن رشيق القيرواني، تح:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط1، مج(1،4)، 1422هـ، 2001م،.

68-الفعل زمانه وأبنيته: ابراهيم السامرائي، مطبعة العاني بغداد 1386هـ / 1986م.

69-القول المفيد على كتاب التوحيد: شرح محمد بن صالح العيثمين، دار ابن حزم الجوزي، ط:3، 1419 هـ / 1999م.

70-الكتاب :سبويه (عمر بن بحر بن قمبز)،تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية بيروت القاهرة ، ط3،1804هـ، 1988م.

71-اللغة والمعنى والسياق جون لاينر، تر،عباس صادق الوهاب طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية" ط1، 1987م.

72-المدخل إلى التفسير الموضوعي: ع/ الستار فتح الله سعيد، دار الطباعة والنشر الإسلامية، ط:1 1406هـ/1986م.

73-المزهر في علوم اللغة وأنواعها: العلامة ع/الرحمن جلال الدئن السيوطي شرحه وظبطه صححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد حاد المولى على محمد البخاري محمد أبو الفضل ابراهيم -دار الجيل بيروت، دار الفكر.

74-المعجم الفلسفي جميل صليبا، مكتبة لبنان بيروت 1987.

75-المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تح: محمد توفيق حسن، مطبعة الرشاد بغداد، 1970م.

76-المنتجب العاني وعرفانه ؟أحمد علي ، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان،ط2، 1400هـ-1982م.

77-المنزع البديع في تحسين أساليب البديع ابو القاسم السجلماسي تح، علال الفازي مكتبة المعارف الرباط، 1980 م.

78-الموسوعة الفلسفية: ع/الرحمان بدري المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1، 1984م.

79-النص والخطاب والاجراء: روبيرت دي بوجراند تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، 1418هـ/1988م.

80-النظرية الأدبية المعاصرة: رامان سلون، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1996م.

81-تاريخ الفلسفة العربية جميل صليا دار الكتاب اللبناني بيروت ط2، 1982م.

82-تجليات في بنية الشعر العربي المعاصر؛ محمد لطفي اليوسف، سراس للنشر©،1985م.

83-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، دار التعاون للطبع والنشر، 1995م. .

84-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبى الأصبع المصري، تقديم وتحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة دار التعاون للطبع والنشر 1995 م.

85-تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي-لبنان، ط:1، 1992م.

86-تعريفات على بن محمد الشريف الجرجاني مكتبة لبنان بيروت 1985م.

87-تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل علاء الدين بن محمد بن إبراهيم ايغدادي الشهير بالخازن ضبطه وصححه ع السلام محمد على شاهين دار الكتب العالمية بيروت لبنان ط1، 1445هـ/ 1945م .

88-تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: محمد الرازي فخر الدين العلامة ضياء الدين عمر دار الفكر لبنان بيروت، ط1 / 1401 هـ/ 1981 م.

89-تفسير القرآن الكريم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا دار المعرفة بيروت، لبنان، ط2، (أعيد طبعة بالأوفست).

90-دراسات في الأدوات النحوية، مصطفى النحاس، شركة الربعيان للنشر والتوزيع ط1،1997م.

91-دراسات في النحو واللغة العربية الوظيفي أحمد المتوكل دار الثقافة البيضاء ط1، 1406هـ/ 1996 م.

92-دلائل الإعجاز عبد القادر الجرجاني، تح: عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة 1980م.

93-دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد حسين أبو موسى، منشورات قار يونس بنغازي، ط1، 1399 هـ- 9م .

94-دينامية النص (تنظير وإنجاز) محمد مفتاح المركز الثقافي العربي، ط2، 1990.

95-شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترابادي، تح: يوسف حسن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت.

96-شرح المفصل ابن يعيش، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان.

97-شعرية النوع الأدبي (في قراءة النقد العربي القديم)، رشيد يحياوي،إفريقيا الشرق،ط1، 1994م.

98-صحيح الأحاديث القدسية أول موسوعة تستوعب الأحاديث القدسية الصحيحة مشروحة مبوبة، ابو عبد الرحمن عصام الدين الصبالطي، دار الحديث القاهرة، ط4، 1415هـ/1494م،

99-صحيح مسلم، الإمام أبي الحسن المسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري، وقف على طبعه وتحقيق نصوصه، وتصحيحه، وترقيمه وعد كتبه وأبواب وأحاديث، وعلق عليه ملخص شرح الإمام النووي مع زيادات عن أئمة اللغة خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه- توزيع دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

100-صفوة التفاسير محمد على للصايوني دار الضياء قسنطينة قصر الكتاب الجزائر.

101-صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني دار البيضاء قسنطينة قصر الكتاب البليدة، الجزائر .

102-عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني ضمن كتاب المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية : محمد حمود دار طوبقال، المغرب.

103-فقه اللغة، وعلم اللغة نصوص ودراسات، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1995م.

104-قضايا المنهج في اللغة والأدب م مفتاح / ألمتوكل/ ب الأخضر/ ب العطار / ت الراجي / أ الطريسي / ب حميس. دار طوبقال للنشر ط1، 1987م.

105-لحظة المكاشفة الشعرية (إطلالة على مدار الرعب): محمد لطفي اليوسفي، الدار التونسية للنشر.

106-لسان العرب، ابن منظور، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي. أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط، دار صادر، الجيل -بيروت، ودار لسان العرب بيروت ، ط1، 1408هـ - 1988م.

107-مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار أنور البار، مج:1،توحيد الألوهية والربوبية، ج:1، دار الوفاء- دار إبن حزم. ط:2، 1419 هـ/ 1998م .

108-محاضرات في السيميولوجيا، محمد السرغيني ، دار الثقافة للنشر والتوزيع لدار البيضاء.

109–مدارس البلاغة المعاصرة، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1995 م.

110–معاني النحو: فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1/ 1420هـ/ 2000م.

111–مفتاح العلوم (السكاكي (أبو يعقوب يوسف ابي بكر بن علي) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 535 هـ/1937م.

112–منهاج البلغاء وسراج الأدباء أبو الحسن حازم القرطاجي تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار العرب الإسلامي بيروت، ط2، 1981م.

113–موسوعة أخلاق القرآن الكريم، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، ط 1، 1401هـ/1981م.

114–نظام الربط والارتباط في ترتيب الجملة العربية، مصطفح حمودة ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجدمان، بيروت ، لبنان ،ط1، م.

115–نظرية الأدب في القرن العشرين إلرود إيبش، د.وفوكيما، قارن ديك، جان كوهين، كبدي قاركا، جان ستاروبانسكي، تر: محمد العمري إفريقيا الشرق 1996م.

116–نظرية التلقي: روبيرت هولب، تر: عزالدين إسماعيل، النادي الأدبي جدة.

المجالات والدوريات

1– مجلة فصول/ القاهرة، مج: 15، ع1،ربيع 1996.أبو حيان التوحيدي: ج3.

2–مجلة فصول، مج15، ع2، صيف 1996م.

3–مجلة فصول مج العاشر، العددان الأول والثاني، أغسطس 1991م ..

4–مجلة المدى، سورية، ع: 26، شتاء 1999م.

5–مجلة النوافذ، ع10، س 1420 هـ/شعبان –ديسمبر 1999م..

6–مجلة عالم الفكر العدد1–2 الكويت 1994 م.

1-Cohesion in English : Halliday M.K.A/and Ruqaya Hasan, Longman landon 1976.

2-Discourse markers: deborah schiffin, cambridge unversity press, Cambridge newyork,

3-Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage :J. Dubois imprimerie " latipografica S.P.A " I lalie depot légal septembre 1999.

4-Dictionnaire Encyclopédique , Quillet, Paris, 1990.

5-Essais Critiquer, R.Barthos, Edition Du Seuil, 1964.

6-Interpreting Anapbaras in Natural Language Texts - David Carter :, Ellis Horwood Limited, England, (1987).

7-Introduction to text linguistics : robert de Beaugrand and wolfgrang dressler, longmon london 1981.

8-La Marque du Titre dispositif sémiotique d'un pratique textuelle, Léo H.Hock, Mouton, Editeur à La Haye, Paris, new york ©, 1981

9-Longmon Dictionary of applied linguistics , Jack Richard, et al.1987.

1988..

10-Langage, context and texte: aspects of perspective Halliday and hasan. axford université presse (1989).

11-Plaisir Du Texte, R.Barthes, Edition Du SeuiL, 1973.

12–Seuil. Gérard GENETTE, © Edition du seuil, 1987

13-Structure du langage poétique. J.Cohen: achevé d'imprimer de l'imprimerie bussiere, Saint-amond (cher).

14-Vocabulaire de l'analyse litteraire ,D. Bergez-V.Geraud-J.J.Robreux,Paris, Dunod, 1994.

وتعتبر هذه الفقرة تمهيدا لفكرة المعرفة للوصول إلى عمق هـــذه الحقيقـــة عـــبر عناصر النص.

الفقرة الثانية

فقد امتد واتسع فيها التركيب اللغوي لاتساع المعنى فيها، لذلك غير المتكلم العاطف من الواو إلى الفاء مقترن بأداة "أما" لإشعار القارئ بتغير المعنى.

فالجملة في هذه الفقرة مركبة طرفين "الشرط والجزاء" ووظيفة هذه الأداة الشـــرط والتفصيل.

فالملاحظ على هذه الفقرة أنها تتبني بناء منسجما من خلال ورود جملها على بناء واحد حيث يتهم التناغم بين المعنى واللغة فيتسع المعنى باتساع اللغة ويتنوع بتنوعها ويتـم البناء في هذه الفقرة على النحو التالي:

[أما + جملة الشرط (جملة اسمية) // + جملة الجزاء : فلأنه + جملة فعلية].

- فأما بلاء العلم يهوي بصاحبه إلى لجج الفكر.
- وأما عناء الجهل فلأنه يقحم صاحبه في شعاب النكر.
- وأما رياء العمل فلأنه يجلب على صاحبه جميع الكد.
- وأما داء القول فلأنه يصب العجب على أهله في كل قبول ورد.
- وأما هباء السكوت فلأنه يعري صاحبه من كل فائدة.
- وأما عداء النظر فلأنه يعود على صاحبه بكل آبدة. [1]

فالربط بين الفقرتين يتم بواسطة علاقة سببية التي تفسرها الجملة الشرطية التــــي تتضمن علاقة تلازمية سببية بين طرفي الجملة (الشرط وجوابه) بواسطة الرابط (فـــلان) ومن جهة فهي تقوم بتفصيل جملة الشرط التي تضمنت عناصر الفقـــرة الأولـــى وذلـــك بإدخال الجانب الذاتي (ذات غائبة) وهو يتمثل في تكرار لفظ (صاحب) في نسيج الفقـــرة الثانية. فيصبح بلاء العلم ناتج عن العالم نفسه لا العلم لاعتماده علـــى الفكـــر (العقـــل)،

1 -المصدر، ص: 120.

والعقل مرتبط بالحس. وعناء الجهل ناتج عن الجاهل نفسه. وداء القول ناتج عن القائل نفسه. وهباء السكوت ناتج عن الساكت نفسه. فهذه النتائج كلها كامنة في الذات الفاعلة التي تعمد على العقل في إدراك الحقائق. ومبرر الجمع بينها بعاطف الواو يشير إلى وجود جامع خيالي يتمثل في وجود مبرر بسمات مشتركة بين العناصر السابقة يمكن التعبير عنه بالعجز الذي يعيقها للوصول إلى المعرفة المقصودة (المعرفة الباطنية/الحدسية). وهذا ما تؤكده الجملة الختامية : "وأما سواء كله فلأنه علم لذوي النهى باحتمال كله".(1)

فالتسوية هنا تؤكد عجز العقل للوصول إلى المعرفة التي تعني الإدراك الجزئي أو البسيط . ومن هنا يقال "عرفت الله دون علمته". (2) ومن صفات هذه المعرفة أنها "لاثبات لها أي لا نهاية لها وهي معرفة ترفض المسبق والجاهز والمطلق هي معرفة بقدر ما تتسع تشعر أنها ما تزال ضيقة وكلما ظننا أننا اقتربنا لها من الطمأنينة ازددنا حيرة".(3)

والمعرفة الإلهية مظهر من مظاهر العبادة المتعلقة بالألوهية فهي مختصة بأمور التكليف.

- مواضع الفصل والوصل في المتن

يرد المتن مفصولا عن الفاتحة لاختلاف الجملتين خبرا وطلبا وإنكسار بنية الخطاب. ففي الفاتحة يحاول المتكلم إعطاء صورة للمعرفة، وأما في المتن فيركز المتكلم على المخاطب بوعظه ونصحه بالتوجه إلى خالقه لإدراك آلائه ونعمه وفضله عليه. فمن خلالها يصل إلى معرفة الله.

يتكون المتن من ثلاثة مقاطع تقوم على تكرار الملفوظ (يا هذا!) في بداياتها فيحقق في النص التوازي "والتوازي يقتضي استعمال صيغ سطحية تملأ بتعابير مختلفة".(4) وتكمن أهميته في مساهمته في تنامي النص بإضافة عناصر جديدة له.

1 -المصدر ،ص120.
2 -المعجم الوسيط ،(مرجع منكور)ج1،ص624.
3 -الصوفية و السوريالية،أدونيس،ص:116.
4 -لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي،ص:230، .

المقطع الأول

"يا هذا ! إلى كم أستميلك إلى حظك، وأتقلب معك إلى مرادك؟! لست منك إن لم تعني على ذلك ولست مني إن سلكت طريق المهالك".[1]

يتكـــون المقطع من جملتين وكل جملة تتكون أكثر من عملية إسناد. فالجملة الأولى (إلى كم ...مرادك) تقوم على مبدأ الإشراك؛ أي أن العاطف الواو يفيد العطف والإشراك في الحكم والمعنى. والفعلان: أستميل وأتقلب مسندان إلى ذات واحدة (ذات المتكلم) وقـــد أنجزهما في زمن واحد باعتبار الزمن النحوي (الحاضر).وتتضمن الجملة معنى المبالغـــة في توجيه وهداية المخاطب من خلال قرائن لغوية تتمثل في تصدير الجملة بكم التي تفيـــد التكثير بالإضافة إلى صيغة الفعلين (المبالغة) (استفعل / تفعل). ويتلو هذه الجملة، جملـــة منفية يتصدرها فعل ليس والجملتان مفصولتان لأنهما اختلفتا طلبا وخبرا (وجوب القطع). فالجملة الأولى طلبية والثانية خبرية.

والجملة الثانية تقوم بالوصل بين عناصرها بواسطة علاقة تضاد (جامع وهمـــــي) بين الفعلين لست /لست فهما مسندان إلى ذاتين مختلفتين: ذات المتكلم وذات المخـــــاطب، وهما يعبران عن حالة استحالة تحقيق الكينونة بينهما (المتكلم والمخاطب).

المقطع الثاني

"يا هذا ! قد وصفتك غيرك معك وأنا غيرك؛ ففي وصفــك وصفــي وفــي وصفــي وصفك حتى نتعاون على نيل هذه الخيرات بالمبالغة في الطاعات والمداومة على العبادات والمبادرة للساعات والحذر من الآفات والهرب من العاهات والثبات على رفض الشــهوات والإعراض عن اللذات والتوجه إلى خالق الحيوان والنبات".[2]

يختلف هذا المقطع عن سابقه في بنائه التركيبي. فهو يتكون من سلسلة من الجمــل المتتالية داخل جملة كبرى وهي: قد وصفتك /و/ وصفت غيرك /و/ أنا غيرك تقوم هـــذه

1 -المصدر، ص: 112.
2 -نفسه، ص :123.

الجمل على الوصل لوجود العاطف الواو فالجمع بينها يشير إلى وجود مبرر للجمع وهو الجامع العقلي وذلك لاتحاد في الخبر عنه؛ أي أنها مسندة إلى ذات المتكلم واتحاد في الخبر بتكرار فعل وصف ولفظ غيرك مرتين في الجمل. وهذا يشير إلى إثبات وتأكيد الوصف للمتكلم وللمخاطب. فالمتكلم هو الواصف والمخاطب هو الموصوف، فالوصف تبيان والموصوف غاية الواصف.

وأما الجملة الثانية "ففي وصفك وصفي وفي وصفي وصفك" إن تغيير العاطف من الواو إلى الفاء يشير إلى تغيير موقف المتكلم. ففي حالة إثبات الوصف اعتمد على الفعل (التجدد) وفي حالة إثبات تماهي ذات المتكلم مع ذات المخاطب اعتمد على الاسم (الثبوت).

وتقوم هذه الجملة على التقديم والتأخير فتقديم الخبر يهدف إلى تأكيد المقدم ذلك أن "تقديم المتحدث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيق له".[1] فالجملة الأولى (ففي وصفك وصفي) تشير إلى تضمن وصف المتكلم لوصف المخاطب. وأما الجملة الثانية (ففي وصفي وصفك) تشير إلى تضمن وصف المخاطب لوصف المتكلم. والغاية من هذا التقديم إقرار السامع حقيقة التماهي بين الواصف والموصوف من خلال الجمع بينهما بالواو. ويبرر هذا الجمع الجامع الخيالي نظرا لوجود سمات مشتركة بينهما لينتجا في النهاية صورة النحن لتحقيق غاية تتمثل في هذه الجملة (حتى نتعاون على نيل هذه الخيرات بالمبالغة في الطاعات والمداومة في العبادات و...). فالعاطف حتى يفيد الترتيب والغاية وتكمن هذه الغاية في المشاركة (نتعاون = تفاعل) التي تتضمن معنى القوة للاستعانة بها في إنجاز أفعال التي يجسدها هذا التركيب: (اسم + حرف جر + اسم). وقد تكررت هذه الصيغة الاسمية سبع مرات بواسطة العاطف الواو الذي يفيد العطف؛ لأنها في محل حال وهي كالتالي: المبالغة في الطاعات/ المداومة والمبادرة للساعات/الحذر من الآفات/ والهرب من العاهات /والثبات كعلى رفض الشهوات/ ولإعراض عن اللذات/والتوجه نحو خالق الحيوان والنبات .فتساهم هذه المعطوفات المتوالية في تقديم

1 -التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند ع/القاهر الجرجاني؛ ع/ الفتاح لاشين، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، ص 152.

صورة للعبادة التي تتطلب القوة والقدرة للقيام بها.

المقطع الثالث

" يا هذا! ارحم غربتي في هذه اللغة العجماء بين هذه الدهماء الغبراء، وتعجب من بدائي في هذه الفلاة الغبراء بين الأرض والسماء".[1]

إن الوصل بين الفعلين ارحم وتعجب يشير إلى وجود جامع عقلي يجمع بينهما يتمثل في تضايف بين اللغة التي ارتبطت بفعل (ارحم) والمجمع الذي ارتبط بفعل (تعجب). فهناك علاقة تلازم بينهما باعتبار أن اللغة معطى اجتماعي وهذا التعبير يشير إلى رغبة المتكلم في خلق التواصل مع السامع / المتلقي.

إذن فالمتن يتمحور حول فكرة التواصل مع السامع / المتلقي وهدايته إلى الصواط المستقيم رغبة في المعرفة للإخلاص في العبادة لله تعالى وحده .

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

إن التماسك بين المتن والخاتمة يقوم على الفصل لأنهما في حالة تقتضي القطع لتماثل الجملتين (الطلب) وانكسار بنية الخطاب. ففي المتن يركز المتكلم على ذات مخاطب حاضرة في التعبير (يا هذا!) و الخطاب (الحوار) حضور قوي مستمر. وأما في الخاتمة فالخطاب. فيها يركز على ذات غائبة في التعبير وحاضرة في الخطاب.

تتكون الخاتمة من ست عشرة جملة في شكل بنية تقوم على نمط واحد على النحو التالي: "أين العقول الصاحية؟ أين الآذان الصاغية؟ أين الألباب الثاقبة؟ أين القرائح الصافية؟ أين الأذهان المتوافية؟ أين الألسن الفصيحة؟ أين الأخلاق السجسة؟...". [2]

الملاحظ على هذه الجمل أنها وردت مفصولة كونها نزلت منزلة التأكيد من المؤكد وهي تفيد التأكيد المعنوي بين الجمل المتتالية، وهو ما كان بالاختلاف المعنى الوضعي المراد المقصود منها مع إفادة التقرير".[3] لمؤكد محذوف يتمثل في ذات غائبة وهي تحيل

1 -المصدر، ص: 124.
2 -نفسه، ص: 125.
3 -ينظر: هامش (1) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، ج3، ص: 116.

إلى مخاطب عام، يهدف المتكلم استحضاره في الخطاب من خلال تكرار لاسم الاستفهام (أين) في الفقرة ستة عشرة مرة، مع ذكر هذه الأسماء (العقول، الآذان، الألباب، القرائح، الأذهان، الألسن، الأخلاق، الأيدي، التواصي، الاقبال، ملازمة الأساطين، الخوف في استبانة المعارف، محاسبة الأسرار، الأعين، الندم (الأكباد)، الحرق المتوالية) فالجمل هنا تقوم بعملية استقصاء واسعة حتى تحيط بكل الكيان البشري والعناصر التي يطلب المتكلم حضورها تشمل جوانب الإنسان المادية والروحية التي اعتمد في ذكرها على الترتيب وهي تمثل آليات المعرفة للإنسان فكان أن سيطرت على هذه الجمل بنية عميقة منسجمة مع العبودية الغائبة.

وفي الجملة الأخيرة يثبت المتكلم العبودية بقوله "اللهم فسلمنا من هذه الكرابات المتصلة بالكربات يا ذا الجلال والإكرام".[1]

هذه الجملة (دعاء) وردت مفصولة عن سابقتها لأنهما في حالة توجب القطع لتماثلهما (طلبا) وانكسار بنية الخطاب. فهي تمثل الحاجة الإنسانية الدائمة إلى الله في رحمته ومضمون الجملة يتمثل في طلب تجنب الشر؛ طلب السلامة .

والجملة (نداء) " يا ذا الجلال والإكرام" أيضا قطعت عن سابقتها وهي إثبات للألوهية بتوحيد الأسماء والصفات. والعلاقة بينهما تتمثل في إخراج العبد من حالة الضعف البشري إلى حالة القوة.

إذن الرسالة تقوم على ثنائية الألوهية التي تتمثل في المعرفة والعبادة والربوبية التي تتمثل في طلب الاستعانة وهذا ألزم الإشعار بالعبودية. والعلاقة بينهما علاقة روحية تشير إلى علاقة المخلوق بخالقه فهذا البناء يضفي الانسجام على الرسالة.

الرسالة (يج)

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يتمحور موضوع هذه الرسالة حول مفهوم المعرفة الإلهية التي تتجلى من خلال العبادة ومعرفة الفضل والفاضل التفضيل ومحاولة اكتساب الفضل.

1 -المصدر، ص:125.

والبنية السطحية لهذه الفاتحة تشير إلى اعتمادها على الربط المباشر، ويبدو هذا من خلال ورود جمل النص مفصولة ويعود الفصل بين الجمل إلى وقوعها في حالة تقتضي كمال الاتصال الذي يحقق بين الجمل علاقة تأكيد وإقرار لمفهوم العبادة. ويتجسد هذا المفهوم من خلال تكرار لجملة من العوامل اللغوية منها: تكرار الأداة "ألا؟" في بدايات الجمل (العامل). ويقتضي العامل المعمول وهو اسم الفاعل الذي يتعلق بلفظ الجلالة (الله) في نهايات الجمل وقد بلغ تكرار هذه العوامل اللغوية في النص خمسة وأربعين مرة.

ويعكس هذا التكرار رغبة المتكلم في إحضار ذات غائبة؛ لأن حضورها متعلق بتحقيق غاية وهي العبادة. وكما يتجسد مفهوم العبادة في هذه البنى التركيبية المتوازية على النحو التالي: "ألا قارع لباب الله؟ ألا قاصد إلى الله؟ ألا راغب فيما عند الله؟ ألا عائف لنهي الله؟ ألا قابل لأمر الله؟ ألا هائم في الله؟ ألا واجد بالله، ألا متوكل على الله؟ ألا مناجي لله؟ ألا باذل لروحه في الله؟ ألا ناظر لنفسه مع الله؟..". (1)

الملاحظ على مجموع هذه الجمل أنها تقوم على مبدأ التدرج نحو المعاني الأكثر عمقا معا يضيف في كل جملة دلالة إلى النواة الأصلية (العبادة) شمولية أكثر تتجاوز قرع باب الله والقصد إليه والرغبة فيما عنده والعيف لنهيه والقبول لأمره والهيام فيه والوجد به والتوكل عليه ... إلى البسط للرجاء في عفوه. ومن جهة فإن هذه البنى التركيبية تضفي على النص الانسجام والتناغم بين المعنى واللغة؛ ذلك أن العبادة تتضمن العابد : (اسم فاعل) يقتضي التجدد والاستمرار (قارع، قاصد، راغب...) وهو يشير إلى الرغبة في الارتقاء إلى مقام العبودية؛ فالعبودية لله. والمعبود المقصود:(لفظ الجلالة - الله تعالى - فهو يتصف بالحي والقيوم..﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾". (2)

1 - المصدر ص:126.
2 -سورة البقرة،الآية:255.

وكما يشير إلى هذا الوصف هذه المجموعة من الأسماء: (النهي ، الأمر، الحق التوحيد (الواحد)، الوعد الوعيد، الكلمة، النعمة، الكتاب، الرضوان، الطاعة، القضاء القدرة، العفو). وهي تمثل تجليات للقدرة الإلهية التي تشير إلى توحيد الألوهية (الألوهية له).

إذن يمكن القول أن الفصل هنا يشير إلى تأكيد هذه الحقيقة؛ العبودية لله والألوهية له والعلاقة المعنوية (التعليق) بين الاسمين تشير إلى العلاقة الروحية بين المخلوق وخالقه.

- مواضع الفصل والوصل في المتن

يقع المتن والفاتحة في حالة القطع (الفصل) لتماثيل الجملتين (طلبا) وانكسار بنية الخطاب؛ ذلك أن المتكلم في الفاتحة يركز على إعطاء مفهوم عميق للعبادة. أما في المتن فيقوم المتكلم بالتعريف بالفضل والفاضل وحث المخاطب / السامع على اكتساب صفة الفضل وتنبيهه إلى العلاقة بين العبادة والفصل. فبالعبادة يرتقي العبد إلى الفاضل. وتتمظهر هذه الفكرة عبر هاته المقاطع النصية الخمس.

المقطع الأول

"يا هذا! خلت العراص من ناس كانوا إذ تنفسوا أحرقوا الحجب بينهم وبين الله: تيها به وثقة بوعده ورضا بفعله وحظا في اختياره وتسليما لحكمه. كانوا إذا برزوا لك صفحات وجوههم رأيت تباشر الخير عليهم وروائد الصدق معهم وكانوا إذا ذكروا الله تقلقلت ضمائرهم بألوان الشوق إلى المصير إليه و إلى القيام بين يديه".[1]

يتكون هذا المقطع من جملتين، جملة النواة:(قلت العراص من ناس) التي تتفرع إلى ثلاث جمل ثانوية يتصدرها فعل كان. وهي عبارة عن جمل مركبة (شرطية)، وهي تتضمن وصف حال ناس، فالتنكير في ناس يشير إلى الخصوص؛ أي أن هذا الوصف يخص الخاصة؛ وهي تعني الجماعة الصوفية (خاصة الخاصة). والملفت للانتباه في هذه

1 -المصدر، ص: 126- 127.

الجمل الثانوية أنها ترد مفصولة (الأولى والثانية) وموصولة (الثالثة)، يجب على القارئ استنباط هذه العلاقات.

الفصل بين الجملتين: (كانوا إذا تنفسوا ...) (كانوا إذا برزوا ...) يشير إلى أن الجملتين في حالة تقتضي الأبدال، والعلاقة بينهما علاقة تفسير، بحيث تعطي وصفا شاملا لحال هؤلاء الناس يشمل ظاهرهم وباطنهم. والجملة الثالثة ترد معطوفة على سابقتيها باعتبار أن البدل والمبدل منه ككلمة واحدة، وذلك لغرض استئناف الوصف الذي يبرره الجامع الوهمي لوجود علاقة تضاد بين الفعلين: تنفسوا وذكروا لأنهما متحاقلان يقتسمان مقوم التواصل مع الله تعالى إلا أنهما متفاوتان في الدرجة؛ أي أن الذكر أعم من المناجاة إذن المقطع هو تصوير لأخلاق الصوفية.

المقطع الثاني

"يا هذا ! عد من ذكر قوم بانوا بأشخاصهم وأرواحهم وإن كانوا قد أبقوا عندنا من تراثهم ما يشوقنا إلى اللحاق بهم، وأسمع ما أخصك بذكره وأريد نفسي أيضا معك في غرصة. إذا نفحت في صدرك نفحة من نفحات روح الأنس من العالم الأعلى فرقد عليها وتلذذ بطعمها وإستدم نسيمها من معدنها وشم مزنتها من سمائها ولا سبيل لك إلى ذلك إلا برفض الرذائل كلها: قليلها وكثيرها وتحلي بالفضائل بأسرها: دقيقها وجليلها".[1]

تقوم جمل هذا المقطع على الوصل لوجود جامع يبرر الجمع بينها ويتمثل في جامع عقلي باعتبار أن هذه الأفعال (عد وسمع وتلذذ واستدم وشم) مسندة إلى ذات واحدة هي ذات المخاطب وجامع خيالي باعتبار أن هناك مناسبة بين هذه الأفعال الطلبية في التحلي بالأخلاق الفاضلة (الارتقاء) وأما العاطف الواو بين الجمل الفعلية (الطلبية) والجملة الاسمية (الطلبية) فيفيد العطف لاتفاقهما طلبا لفظا ومعنى. وأما العطف بين الجملتين الفعلتين : "برفض الرذائل (...) وتحلي بالفضائل (...)" فتبرره علاقة تضاد بين الفعلين (رفض /تحلي) والاسمين (الرذائل / الفضائل).

1 -المصدر، ص؛127.

إذن المقطع عبارة عن تشويق المخاطب / السامع التحلي بالأخلاق والفضائل.

المقطع الثالث

"يا هذا ! إن الله عم بنعمه وخص بفضله وجعل العام فوضى لا تزاحم عليه ولا تنافس فيه وجعل الخاص مصروفا إلى أهله".[1]

يتكون المقطع من جملة كبرى طرفها الأول (إن الله) مسند إليه وطرفها الثاني (عم ... وخص ... وجعل ... وجعل ...). فهذه الجمل الفعلية المعطوفة بعاطف الواو تمثل المسند. وهي عبارة عن أخبار متتالية تتضمن معنى التجدد ذلك أنها تفيد معنى الاستئناف و"لما كان المعنى على استئناف الإثبات احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى فجيء بالواو".[2]

والغرض من هذا الوصل بالواو وهو إثبات وتأكيد أن المنعم هو الله والنعم بيده وهي عامة والفاضل هو الله والفضل بيده وهو خاص يؤتيه لمن يشاء. وتمثل النعم(الأفضال) والفضل تجلي للقدرة الإلهية وللرحمة الإلهية.

المقطع الرابع

" يا هذا ! أنت ربما فضلت حمارا على حمار وبغلا على بغل وفرسا على فرس وهرة على هرة وكذلك الحيوان كله-فلم تفضل إنسانا على إنسان؛ وإذا فضلت إنسانا على إنسان فلم لا تفضله بالفضائل والأخلاق والعادلات والأفعال، ولكن تفضله بالدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية؟". [3]

ركز المتكلم في هذا المقطع على تكرار فعل فضل أربع مرات وتكمن وظيفته في الحضور التي تؤدي إلى أن يكون موضوعا حاضرا في الذهن. فالتكرار يؤدي إلى زيادة

1 –المصدر، ص:129.
2 – دلائل الإعجاز: الجرجاني،ص: 202.
3 –المصدر، ص:130-131.

الحضور وهو عام من الوجهة البرهانية (...) ويمكن للتكرار أن يمارس فعاليته بشكل مباشر".[1]

يتمحور هذا المقطع حول فكرة التفضيل بعد ما عرف المخاطب / السامع الفاضل والفضل. يتصدر الفعل فضل أداة ربما التي تفيد التقليل، وفعل فضل متعلق بالتعدية بهذه الأسماء (حمارا وبغلا وفرسا وهرة) فالواو هنا تفيد العطف والترتيب أي أن التفضيل في الحيوان يقوم على النوع وهو قليل. يتغير العاطف من الواو إلى الفاء لإشعار القارئ بتغير الموضوع. فالجملة الثانية تركز على التفضيل بين إنسان وإنسان. وهو يعتمد على شروط لذا اعتمد المتكلم الشرط (إذا) فتفضيل إنسان على إنسان يتطلب معايير معنوية تتمثل في هذه الأسماء المعطوفة بعاطف الواو: (الفضائل والأخلاق والعادات والأفعال)؛ أي التفضيل في الإنسان يقوم على الجانب المعنوي ويعطف على هذه الجملة جملة "ولكن تفضله بالدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية؟ يتصدر هذه الجملة أداة ولكن التي تفيد معنى المقابلة (العطف)؛ أي أن هناك مقابلة بين الجملتين. فالجامع بينهما وهمي والجملة المعطوفة تشتمل على التفضيل القائم على الجانب المادي والذي يتمثل في هذه المعطوفات (الدراهم والدنانير والثياب والضياع والغاشية والحاشية). إذن التفضيل يقوم على الجانب المعنوي والفضائل والأخلاق والعادات والأفعال).

المقطع الخامس

"يا هذا ! صارف نفسك في أنفاسها وفي خواطرها، فإن لم تقدر ففي نياتها فإن لم تقدر ففي مقاصدها ومراصدها فإن لم تفعل ففي أفعالها واختياراتها فإن لم تقدر ففي أبدالها وفيما يقوم مقامها ..".[2]

ففي هذا المقطع يستأنف المتكلم الحديث عن التفضيل بتعميق مفهومه بالتركيز على موضوع النفس. وهي تمثل جوهر الإنسان من خلال جمل طلبية مفصولة عن بعضها لغرض إقرار وتأكيد كمال التفضيل بين إنسان وإنسان. وهي مرتبطة بدلالة واحدة تسير

1 -بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، ص:203.
2 -المصدر، ص:133.

على نمط واحد (جملة شرطية). ففي هذا المقطع يتدرج معنى التفضيل نحو المعاني الأكثر عمقا ودلك من خلال هذه المترادفات الواردة في جواب الشرط (الأنفاس والخواطر/ المقاصد والمراصد / الأفعال والاختيارات/ الأبدال) فهي كلها تمثل العالم الروحي للإنسان.

وبهذا يكون الفاضل والفضل والتفضيل قائما على الجانبين المعنوي والروحي وللإنسان ثلاثة أبعاد (بعد معنوي وبعد مادي وبعد روحي) والغاية من تحقيق الفضل التقرب إلى الله تعالى؛ لأن الأكرام عند الله هو الأتقى والقرب والتقرب يعني مقام العبودية.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

تترابط الخاتمة بالمتن ترابطا مباشرا باستغنائها عن الرابط اللغوي كونهما في حالة تقتضي القطع (الفصل) لتماثلهما طلبا وانكسار بنية الخطاب.

يركز المتكلم في المتن على ذات المخاطب الحاضرة في التعبير وفي الخطاب بتقديم لها مفهوما عميقا عن الفضل والفاضل والتفضيل، وتشويقها باكتساب هذه الصفة. وفي الخاتمة يوجه المتكلم الخطاب إلى ذات عليا (الله تعالى) : دعاء لطلب منها النصرة والتأييد وبدون حدود. وهو تعبير عن النقص الذي يسعى الإنسان إلى استكماله من خلال تكراره لهذه الألفاظ (إلهنا /إلهنا /اللهم) عبر النص وهي إثبات للعبودية.

وبناء عليه يمكن تقسيم النص إلى ثلاث فقرات، وهي مرتبطة ببعضها ارتباط مباشرا؛ لأنها في حالة تقتضي كمال الاتصال وهي تفيد إقرار وتأكيد الرغبة في التقرب إلى الله تعالى. وعبر تراكم هذه التراكيب المتجانسة لغويا (تكرار الطب) التي تتمحور حول مفهوم المعرفة الإلهية وهي مظهر من مظاهر الألوهية يهدف المتكلم من خلاله تعميق مفهوم الألوهية بحيث تتجلى حقيقة عجز الإنسان في معرفة الله تعالى؛ لأنها معرفة لا نهاية لها (معرفة المطلق) انطلاقا من القول " إن الله لا يعرف إلا بالله أو القول لا يعرف الله إلا الله. فإن معرفة الإنسان بالله تظل في حاجة دائمة إلى تجاوز نفسها و إلى التجدد".[1]

1 -الصوفية والسوريالية؛ أدونيس،ص:139.

الفقرة الأولى

تمثل المستوى المادي ومفرداته المرجعية هي (الأبصار) والمستوى المعنوي ومرجعيته (الألباب). فهي تحيل إلى آلية المعرفة التي تهب للعارف المعرفة لذا وجب الوصل بينهما بعاطف الواو" إلهنا زاغت الأبصار حين سرحت نحوك وارتدت خاسئة حين رامتك وحارت الألباب حين فحصت عنك وانكفأت على أعقابها فرقة منك".[1]

فالجمع بين الجملتين (زاغت الأبصار ...وحارت الألباب ...) يبررها الجامع الخيالي لوجود مناسبة بين الأبصار والألباب باعتبارهما وسيلتا العارف في المعرفة وأما الجمع بين عناصر الجملة الأولى فتبرره علاقة تضاد بين الفعلين (زاغت وارتدت) (جامع وهمي) وجامع عقلي بإسناد الفعلين إلى الأبصار (اتحاد في المخبر عنه). وأما الجمع بين عناصر الجملة الثانية فتبرره علاقة تضاد بين الفعلين حارت (حركة) وانكفأت (سكون) فهذه صورة تعبر عن عجز الأبصار والألباب ويفسره المتكلم بتعبيره "فالأحساس تنزه عنها لأنها أحسن من أن تكون توجد بها والألباب تحيرها فيك لأنها على كل حال خلقك ولست تأذن لخلقك إلا في لزوم حده وطاعته لك".[2]

فالفاء تفيد العطف والتفسير؛ تفسير سبب العجز الذي يكمن في الأبصار والألباب وهو يتمثل في الجمع بين التنزه والتحير؛ أي أن الله منزه على أن يدرك بالأبصار (لا تدركه الأبصار). وتحير الألباب، لأنها خلق الله وأمر بيد الله خاضعة لإذن الله. وينتج عن هذا العجز الضرر "فقد أضربنا تنزهك في الأول وتحيرك في الثاني (ربط السبب بالنتيجة). وترتبط هذه النتيجة ربطا سببيا بالجملة الأخيرة بواسطة لفظ (ولذلك)(*) ما قدر منا بهذا الشوق الدائم وبهذه الحركة المتصلة وبهذا النزاع القائم".[3] ومنه يكون الشوق الدائم إلى معرفة سببه العجز في المعرفة.

---

1 - المصدر، ص: 131.
2 -المصدر، ص: 131-132.
*-لقد انتبه علماء النصية إلى أن العطف يتم بواسطة العبارات أيضا وهي تتفرع إلى هذه المعاني "إضافي additure وعكسي adverdutive وسببي casual وزمني temparal والأول تمثله and والثاني تمثله yet والثالث تمثله so والرابع تمثله them. COHESION IN ENGLISH, HALLIDAY & HASAN,pp: 242/243
3 -نفسه، ص: 132.

إذن الفقرة تتضمن موضوع المعرفة، وهي تقوم على ثنائية: العجز/ القدرة وهي تجلي لثنائية:العبودية/الألوهية.

الفقرة الثانية

تتكون من جمل مركبة (شرطية) ومجموعهما يشكل جملة كبرى (شرطية) وهي على النحو التالي: "إلهنا! فإن لم يكن محالا من أحد هذين الوجهين فجد علينا بذلك، وإنا لديك شاكرون وله مستحقون. وإن كان محالا فنحن أعلم بك من أن نسألك المحال ونطلب ما لا يجوز أن يطلب، فابرد أكبادنا من حر الشوق إلى ذلك بالقناعة بالتسليم حين نثبت لك على الصراط المستقيم راضين بما قسمت شاكرين لما وهبت متقبلين لما تفضلت مفوضين إليك راغبين فيك عالمين بأنك المنعم الأول والمحسن الأفضل".[1]

يتكون الطرف الأول في كل من الجملتين من فعل (كان)، ففي الجملة الأولى ورد منفيا (فإن لم يكن...) الذي استلزم جوابا (الطرف الثاني): فجد علينا ... ؛ فالجود مرادف الفضل؛ أي أن حصول المعرفة تستلزم التفضل من الله (الإذن) والشكر والاستحقاق ويعطف على هذه الجملة جملة أخرى "وإن كان ... فنحن أعلم ..." فهذه الجملة يرد فعلها مثبتا؛ أي إثبات استحالة حصول المعرفة وهذا يستلزم ثبات العلم به والجمع بين الجملتين تبرره العلاقة الضدية بين الفعلين (لم يكن / وكان) "النفي /الإثبات" ومجموع الجملتين يستلزم جوابا يتمثل في:

" فأبرد أكبادنا ..."؛ أي أن إثبات استحالة حصول المعرفة يستلزم طلب برد الأكباد من حر الشوق إلى ذلك بالاستعانة بالقناعة والتسليم والرضا والشكر والتقبل والتفويض والترغيب والعلم بأنه المنعم الأول والمحسن الأفضل. وتمثل هذه الأسماء المذكور تجليات لثنائية: الألوهية/ الربوبية.

1 –المصدر، ص132..

الفقرة الثالثة

"اللهم احذف عن ألسنتنا فضول القول معك خاصة في وقت مسألتك. واجعل هيبتنا لك بقدر توكلنا عليك. ولا تجعل بعض أقاويلنا وبالا إلا ما أنت أولى به يا ذا الجلال والإكرام".[1]

فهذه الفقرة أيضا تقوم على ثنائية: الألوهية/ الربوبية فتمثل الأفعال (احذف واجعل ولا تجعل) مرجعية بالنسبة إلى علاقة المخلوق بخالقه فرغبة المخلوق في تحقيقها إنما هي تثبيت له حتى يكتمل أخلاقيا وروحيا ليؤهل للتقرب إلى الله تعالى. والوصل بين هذه الجمل تبرره علاقة تضاد بين أفعالها (احذف // اجعل // لا تجعل)، وهي تعبر عن حقيقة واحدة هي أن العبودية لله والألوهية والربوبية له. والجملة الأخيرة "ياذا الجلال والإكرام" إثبات الأسماء والصفات لله تعالى ونفي المماثلة له.

وبهذا تكون ثنائية: الألوهية/ الربوبية هي محور الرسالة باختلاف مظاهرهما وهذا ما يحقق لها الانسجام.

الرسالة "يه"

- مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يتمثل موضوع هذه الرسالة في مفهوم المعرفة والمحبة باعتبار أن ثمرة المعرفة المحبة. وهذا ما يتمظهر عبر أجزاء النص.

تنهض الفاتحة على بنى تركيبية تحكمها علاقات الوصل الناتجة عن وجود العاطف الواو الذي يقوم بالجمع بين جمل النص لوجود جامع تجمع بينها وحسب تركيبها اللغوي يمكن تقسيمها إلى فقرتين.

الفقرة الأولى

تتكون من جمل بسيطة هي على النحو التالي: "أشرقت الأكوان بالأشباح وشرفت الأعيان بالأرواح وتجلت أسرار الحق فيها بين الإفتراح والارتياح وتناجت النفوس على بعد

---

1 – المصدر، ص132 .

الديار بما تتخافت فيه الأفواه على قرب المزار وردت على الناظرين خوائن الأبصار والتقت في الغيب سوانع الإقرار والإنكار".(1)

فالفقرة صورة من صور المعرفة، وهي تتمثل في معرفة القدرة الإلهية من خلال تجلي آيات القدرة في الخلق من خلال هذه الجمل المعطوفة التي تجسدها علاقات لغوية تتمثل في وجود جهة جامعة بينها يبررها الجامع العقلي لوجود مناسبة بين هذه الأفعال(أشرقت وشرفت وتجلت). وهي تتمثل في العلاقة السببية بين الأفعال والفاعل فالأفعال تعبر عن حقيقة مطلقة (القدرة / الإلهية)، والفاعل الذي صدرت عنه وهو الله تعالى فهو القادر والقدير والمقتدر. ومنه فالأفعال تعبر عن صورة العالم المنفعل عن الفاعل (الله) ومعرفة المطلق تتسم بالعجز الذي تعبر عنه هذه الأفعال (تناجت وردت والتقت) والتعبير بصيغة المبالغة في هذا السياق إشارة إلى ثنائية: القدرة / العجز.

والمعرفة المراد إيصالها (المتكلم) إلى السامع / المتلقي هي معرفة المطلق التي تقوم على الذوق وثمرتها المحبة التي تقوم على الذوق. وينتج عنه اللذة الروحية وهو ما تتضمنه الفقرة الثانية.

"وقيل لصاحب الشوق: هج ولها وغب علها؛ وقيل لصاحب الوجد زد ثمدا أو مت كمدا؛ وقيل لصاحب العيب: إخسأ مهينا وأنا مشينا، وقيل لصاحب الحب: هات بيانا وبرز برهانا".(2)

تختلف البنية التركيبية في هذه الفقرة عن سابقتها لاشعار القارئ بتغيير المعنى. وهي تتميز بتكرار عبارة (وقيل لصاحب) في بدايات الجمل الذي يضفي الانسجام والتناغم في الفقرة بحيث يتخذه المتكلم مسوغا لتنبيه السامع / المتلقي بانتقاله من موقف إلى آخر وهو ما يعرف في البديع بحسن التخلص وحقيقة التخلص إنما هي الخروج من

1 -المصدر ص: 139.
2 -نفسه.

كلام إلى كلام آخر غيره للطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه والكلام الذي خرج إليه".[1]

وبالنظر إلى محور الفقرة الأولى الذي يتمحور حول فكرة المعرفة و إلى محور الفقرة الثانية الذي يتمحور حول فكرة المحبة كان الواجب الوصل بينهما ذلك أن كلا الفقرتين تعبران عن حقيقة واحدة بصورتين مختلفتين لغرض تأكيد عمق مفهوم الألوهية.

وبالنظر إلى العلاقة اللغوية بين الفقرتين التي تتمثل في وجود جامع وهمي يجمع بينهما وذلك لورود أفعال الفقرتين في صيغتين مختلفين (المبني للمعلوم / المبني للمجهول) و الجمع سبينهما تبرره علاقة تضاد.

ويتجسد مفهوم المحبة من خلال بنى تركيبية تتمثل في جمل مركبة. ينهض الطرف الأول على تكرار عبارة (قيل لصاحب) في بدايات الجمل، وهو متعلق – فعل قيل- بهذه الألفاظ المضافة (الشوق والوجد والحب والعيب) إلى لفظ صاحب. وهي تعبير عن أحوال يعيشها الصوفي. وأما الطرف الثاني فهو يتضمن طلب إنجاز هذه الأحوال و إنجازها يتم بالعلم والعمل ومصدرهما القلب واللسان القائم على توحيد الألوهية. وهذا ما تجسده العلاقة اللغوية التي تتمثل في الجامع العقلي الذي يبرر الجمع بين الجمل.وذلك من خلال تكرار فعل قيل (اتحاد في الخبر) المسند إلى ذات غائبة (مجهولة) في التعبير وحاضرة في الخطاب (اتحاد في المخبر عنه).ومن خلال تعلقها بالطلب الذي يتضمنه الطرف الثاني. والتوحيد يستلزم الإيمان ومنه "فإن علم القلب وحاله متلازمان فعلى قدر العلم والمعرفة يكون الوجد والمحبة والحال".[2]

والغاية من المعروفة والمحبة هو القرب بهذا تكون المعرفة والمحبة مظهرا من مظاهر عبادة الله تعالى المتعلقة بتوحيد الألوهية ومن جهة فهي تعبير عن رغبة العبد في الارتقاء إلى مقام العبودية.

---

1 -المثل السائر: ابن الأثير، ج3، ص: 28.
2 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور): ابن تيمية ، ج2، ص: 289.

-مواضع الفصل والوصل في المتن

يعتمد المتكلم الربط المباشر بين الفاتحة والمتن (الفصل) لوقوعهما في حالة تقتضي القطع بينهما نظرا لاختلافهما خبرا وطلبا وانكسار بنية الخطاب. ففي الفاتحة يركز المتكلم على إقرار (خبرية) مفهوم للمعرفة والمحبة التي بها يرتقي العبد إلى مقام العبودية. وأما في المتن (طلب) فيركز المتكلم على استحضار الذات الغائبة في الفاتحة ومخاطبتها حتى يكون حضورها قويا متناسبا مع الغرض الذي يتمثل في نصحها ووعظها وهدايتها إلى سلوك الطريق الموصل إلى هذا المقام؛ مقام العبودية ويتمفصل هذا المفهوم عبر خمسة مقاطع تنهض على تكرار الملفوظ (يا هذا !) في بداياتها كعامل لغوي يؤكد على استمرار حضور الذات المخاطبة وخلق التواصل بين المتكلم / الكاتب والمخاطب / القارئ لتحقيق التماسك النصي مما يضفي على النص الانسجام باعتباره (التماسك) مظهرا من مظاهر الانسجام.

المقطع الأول

" يا هذا! افحص عن ودائع الحق فيك وانفض خزائنه قبلك واشهد آلاءه عندك وأطلب مزيدة بالشكر على نولك".[1]

يتكون المقطع من أربعة جمل معطوفة بعاطف الواو الذي يقوم بوظيفة الجمع بين الأفعال (افحص وانفض واشهد وأطلب) الذي يبرره الجامع العقلي بوجود مناسبة بين الأفعال، وهي تتمثل في الإقرار بأن الآلاء والنعم صادرة من الله تعالى﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ .[2] الذي يجب تخصيصه بالعبادة والتوكل عليه وذلك عليه وذلك بالتوجه إليه بالشكر، فالشكر يستلزم الزيادة في النعم. وهذا التعبير يحيل إلى عبودية العبد وألوهية الله تعالى.

1 -المصدر، ص: 140.
2 -سورة النحل، الآية:53.

المقطع الثاني

"يا هذا ! انظر إلى زينة مستطرفا وفكر في دواوين ملكوته مستغرقا وانتبه عن رقدتك متخوفا ثم انتبه في انتباهك متوقفا ثم احكم على نفسك مترفرفا".[1]

يتضمن هذا المقطع مفهوم المعرفة، معرفة الله تعالى التي تتضمنها العبادة ذلك أن أكثر الناس عبادة الله عبادة لله أعرفهم به فهناك تلازم بين العبادة والمعرفة.

ومحور المعرفة في هذا المقطع يتمثل في هذه الأفعال (انظر وفكر وانتبه) المعطوفة بعاطف الواو الذي يقوم بوظيفة الجمع بينهما والذي يبرره الجامع الوهمي ذلك أن الأفعال تقتسم مقوم المعرفة، وهي متفاوتة في الدرجة؛ أي أن العلاقة بينهما علاقة تضاد. وهذه الأفعال تشير إلى أصل المعرفة: النظر ← التفكير ← الانتباه.

فالأفعال السابقة (المعطوفة) يشير العاطف الواو فيها إلى أنها حدثت في لحظة زمنية واحدة. وأما تغيير العاطف من الواو إلى ثم يشير-(ثم انتبه ... ثم أحكم ...)-إلى تغيير الموقف؛ أي أن هذين الفعلين يعبران عن لحظة تالية ترتبت عن حدوث الأفعال السابقة.

وبهذا يكون أصل المعرفة هو العلم بالله والعمل لله، لأن صلاح العبد يكمن في معرفة ربه وعبادته.

المقطع الثالث

"يا هذا إن عاقك العجز المبذور فيك عن تناول الجوهر المنثور عليك فارع زهرة الأماني متعللا وتشبث بعلائق التوحيد مسترسل ونح على نفسك نوح الثكول وكاشفها مكاشفة النصوح والعقول وافتتح أمرها بأن نفطمها عن عادتها وتكظمها عن حرتها وتخدمها مستخدما لها".[2]

---

1 - المصدر، ص141.

2 - نفسه.

يتضمن المقطع موضوع النفس باعتبارها الأصل الذي يفرع عليه والأساس الذي ينبني عليه. فالمتكلم يجمع بين الفلسفة والتصوف باعتبارهما متكاملين باهتمامهما بجوهر الإنسان (النفس) بمجاهدتها من خلال ترويضها بالقيام بأعمال أخلاقية.

الملاحظ على هذا المقطع أنه عبارة عن جملة كبرى طرفها الأول: جملة الشرط (إن عاقك..) وطرفها الثاني: جواب الشرط (فارع ... وتشبث ... ونح ... وكاشفها ... وافتتح ... وتخدمها ..) فالربط بين الطرفين يتم بفاء الشرط، وأما الوصل بين جمل الطرف الثاني بعاطف الواو. فهي تقوم على التناظر من حيث زمنها (أمر (طلب)) مسندة إلى ذات واحدة أنت (المخاطب). ومن جهة أخرى فهي متناظرة في المستوى النحوي ولكنها مختلفة معنى. فالفعل (تشبث). يسند إلى المخاطب صفة القوة وأما الفعل (نح) فهو يستند إلى الفعل صفة الضعف، وأما الفعل (كاشفها) يتضمن صفة اللين وأما الفعل (افتتح): يتضمن صفة القوة وأما الفعل (تخدمها) تتضمن صفة القوة.

ومن خلال هذه الصفات (القوة / الضعف / اللين / القوة / القوة) فإن العلاقة بين الأفعال تتمثل في علاقة تضاد التي تبرر الجمع بينها. فهذا الجمع يشير إلى أن المخاطب في حالة مفارقة ينتقل من حال إلى حال في مجاهدة النفس و توجيهها إلى الطريق السليم لعبادة الله ومعرفته.

المقطع الرابع

" يا هذا !ارفق قليلا والحق معنى جليلا: احتجب عن الجهل بالعلم وغص عن الفهم بالوهم وانقر الذكر بالفكر وأطلب المزيد بالشكر وأخف المكر في الأمر وأمزج الصحو بالسكر وألف ما بين العذل والعذر وشرف القول بالفعل وتردد بين الفصل والوصل ثم ارق على الكل في الكل فإن محقق الكل فوق الكل".(1)

يكمن مدار هذا المقطع حول محور مفهوم المحبة الذي تجسده جملة كبرى؛ طرفها الأول: (ارفق ... والحق ...) والطرف الثاني: (إحتجب ... وغص ... وانقر ... وأطلب ... وأخف ...وأمزج ... وألف ... وشرف ... وتردد ... ثم ارق ...).

1 -المصدر ،ص: 141-142 .

فالعلاقة بين الطرفين (مجموع الجمل) علاقة أبدال تقوم بوصف المحبة. فالطرف الأول الذي يتكون من جملتين معطوفتين بعاطف الواو الذي يبرر الجمع بين الفعلين لوجود علاقة تضاد بينهما (جامع وهمي)؛ ذلك أن الفعل (ارفق) يوحي بالسكون وأما الفعل (الحق) فهو يوحي بالحركة. فالسكون والحركة هما صورتان مختلفتان لحقيقة واحدة هي الاستعداد الذي يسبق إنجاز الفعل وهو يعني المبدل منه. والطرف الثاني هو البدل الذي يقوم بتفسير المبدل منه وهو يتمثل في الأفعال الطلبية المعطوفة بعاطفين : الواو وثم ، ومنه فإن الأفعال المعطوفة بعاطف الواو فهي تتضمن معنى السكون/ والحركة. فالسكون يشمل هذه الأفعال (أحتجب وغص وانقر وأخف) ،وأما الحركة فتشمل هذه الأفعال (أطلب وأمزج وألف وشرف وتردد). ومنه فإن الجمع بين الأفعال تبرره علاقة تضاد (جامع وهمي). وهي صورة عن حالة اللاستقرار للذات بانتقالها من حال إلى حال؛ لأن المحبة حال يرد عليها المحب (العبد) للإقبال على الله بمحبته عن محبة ما سواه.

ويختم بقوله (ثم ارق على الكل في الكل) فتغيير العاطف من الواو إلى ثم هنا يشير إلى الانتقال إلى حال أخرى. وهي الارتقاء على الكل في الكل. وفي هذا الارتقاء الاستقرار والثبوت في الكل. وهذه إشارة إلى تحقيق (لا إله إلا الله).

وهي تعني الإيمان الذي يجمع بين علم القلب وحال القلب.

المقطع الخامس

" يا هذا ! هذا لسان التصوف والتصوف اسم يجمع أنواعا من الإشارة وضروبا من العبارة وجملته التذلل للحق بالتعزز على الحق".[1]

فهذا المقطع يتضمن مفهوم التصوف وقد اعتمد المتكلم في هذا السياق على الجملة الاسمية التي تعبر عن إقرار المتكلم بهذا المفهوم الشامل الذي يعبر عن حقيقة التصوف وفق منظور إسلامي.

الملاحظ على هذا المقطع إدراج عضو اللسان ضمن العناصر اللغوية:(الاسم،

1 -المصدر، ص:142.

العبارة الإشارة والجملة) وفق علاقات لغوية يجسدها العاطف الواو بالجمع بين اللسان والتصوف الذي يشير إلى الكلام (الحوار) والذي يستدعي ذاتا متكلمة وذاتا مخاطبة/ مستمعة والعلاقة بينهما علاقة مجازية يبررها الجامع الخيالي، والعطف بين الإشارة والعبارة (مفعول به) للفعل يجمع فيشير إلى نوع الكتابة؛ أي الكتابة الصوفية التي تعتمد الإشارة والعبارة في التعبير عن الحقائق المطلقة التي يلائمها.التعبير بالإشارة (الإيماء). ومنه يكون الاسم والعبارة والإشارة تعبير في عن النص الذي تتجسد فيه هذه الكتابة والجمع بين النص واللسان يشير إلى أن النص بالنسبة للصوفية هو بمثابة الجسد "يتحدث الصوفي مع المطلق عبره صار الحديث حوارا مباشرا بين الأنا و الأنت الإنسان والله".[1]

والجملة الأخيرة "وجملته التذلل بالتعزر على الحق جملة معطوفة على سابقتها وهي تمثل امتدادا نصيا لسابقتها ويتمثل في إثبات وإقرار مفهوم التصوف الذي يكمن في العبادة التي تقتضي المعرفة والمحبة.

وهي تستلزم وجوب اختصاص الله تعالى بها لتحقيق غاية وهي أن "سعادة العبد تكمن في كمال افتقاره إلى الله واحتياجه إليه".[2]

ومما سبق فإن مظاهر العبادة التي اشتمل عليها النص (المتن) (الشكر والمعرفة والمحبة) التي يسعى العبد إلى تحقيقها رغبة في الارتقاء إلى مقام العبودية.

- *مواضع الفصل والوصل في الخاتمة*

يتم التماسك بين المتن والخاتمة بالفصل الذي يقتضي القطع لاختلافهما خبرا وطلبا، وانكسار بنية الخطاب. ففي المتن يقوم المتكلم بتقديم مفهوم عميق للعبودية وترغيبه للمخاطب في اكتسابه، وأما الخاتمة فإن الخطاب فيها موجه إلى الله تعالى تعبيرا عن عبوديته لله تعالى فهو محتاج دائما إلى حصول النعمة ودفع الضرر والشر ولا يحصل هذا إلا برحمته الواسعة ومغفرته الشاملة.

تقوم جمل النص على الوصل؛ ذلك أن الجمل كلها تعبر عن حقيقة واحدة وهي تتمثل في طلب الرحمة والمغفرة. وهي تتضمن معنى القوة والضعف. كما يبدو من

---

1 -الصوفية والسوريالية؛أدونيس ، ص116.

2 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور):ابن تيمية ، ج1، ص34.

النص: "اللهم وقونا بعزيمة الراجعين إلى بابك، وبيض وجوهنا عند مناجاتك، واغمرنا بمواد مواهبك ومنحك، وآونا إلى كنف أمنك بالأمن منك، أمطر علينا سحائب جــودك وعطفــك، ووفقنا لأقصد السبيل إليك، وخفف علينا في كل الأمور التوكل عليك وسهل علينا طــلاب مــا أعددته لأوليائك لديك، اسلبنا منا، وشردنا عنا، وخذلنــا، وبقنــا علينــا، ولا توالنــا بــالنعم استدراجا ولا تمهلنا بالتطاول احتجاجا، وجد علينا إذا صدر الناس أشتاتا إليك وكلنــا كلنــا، وعليك طرحنا كلنا يا من هو أرحم بنا منا، أنظر لنا من أنفسنا، والطف بنا من آبائنا وأمهاتنا أمح عنا صفاتنا باستلائك، ثم خلنا عليك فيك بولائك".[1]

إن الجمع بين هذه الجمل المعطوفة بعاطف الواو (وقونا ... وجد علينــــا) تــبرره علاقة تضاد وذلك أن أفعال هذه الجمل تمثل تجليات الضعف البشري من خلال إدخــــال الجانب الذاتي في نسيج العبارة الذي يتمثل في تكرار الضمير (نا). ومن جهة فإن تكــرار الضمير (ك) يمثل تجليات القوة الإلهية التي تحيل إلى رحمة ربانية وعناية إلهية للعبد.

و كما ترد في الجملة التالية (إليك وكلنا وعليك طرحنا كلنا) مفصولة عن ســابقتها، "لإقرار وتأكيد كمال وغنى الله وهو –سبحانه – بالغ أمره فكل ما يطلب فهو يبلغه وينالــه ويصل إليه وحده لا يعينه أحد ولا يعوقه أحد لا يحتاج في شيء منا أموره إلى معين ومــا له من المخلوقين ظهير وليس له ولي من الذل".[2]

وكما ترد أيضا هذه الجملة (يا من هو أرحم بنا منا أنظرنا من أنفسنا والطف بنــــا من آبائنا وأمهاتنا) مفصولة عن سابقتها لتأكيد صفة أخرى له –ســبحانه – وهــي ســعة رحمته. فهو سبحانه وتعالى "يعلم مصالحك ويقدر عليها ويريدها رحمة منه وفضلا وذلــك صفة من وجهة نفسه لا شيء آخر جعله مريدا راحما بل رحمته من لوازم نفسه فإنه كتب على نفسه الرحمة ورحمته وسعت كل شيء".[3]

1 -المصدر، ص:144.
2 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور):ابن تيمية ،ج1،ص32.33 .
3 -نفسه، ص:33.

ويختم بجملة مفصولة عن سابقتها أيضا: أمح عنا صفاتنا باستلائك ثم خلنا علينا فيك بولائك، وهي تفيد تأكيد وإقرار فناء العبد بتعلقه عن تعلق ما سوى الله رغبة في فناء صفاته عنه لبقاء استلاء التوحيد والإيمان في قلبه ويشير العاطف ثم إلى غاية يهدف المتكلم /الكاتب الوصول إليها وهي مقام الولاية .

وفي هذه الحالة يكون العبد محققا للبقاء مع الله والقرب إليه بحلول نور الإيمان في قلبه بل عموم النور في العبد.

ومما سبق تكون القوة والرحمة والولاية إقرار بالألوهية، ويكون الضعف والخضوع والافتقار إثبات للعبودية.

وبناء عليه يكون مدار الرسالة كلها حول محور ثنائية: الألوهية/ الربوبية باختلاف مظاهرها . وهذا ما يضفي على الرسالة الانسجام.

الرسالة زمج

-مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

يتضمن نص الفاتحة فكرة العبادة وهي عبارة عن دعاء؛ والدعاء مخ العبادة وهي على النحو التالي: "اللهم اغرس أشجار كلامنا في خطط قلوبنا، ثم اسقها بصوب تأييدك عند رقدتنا وانتباهنا ثم استخرج أوراقها وأزهارها في تصاريف أحوالنا، ثم حمل ثمارها بصبرنا ووفائنا على اختلاف سرائنا وضرائنا فإنك إذا دبرتنا هذا التدبير شمرنا من قصدنا أشد التشمير".(1)

تمثل الأفعال المعطوفة بثم (اغرس ثم اسق استخرج حمل) تجليات لطلب القوة الموحي بالضعف الذي يعتري الذات وطلب القوة في هذا السياق يعكس قصور الانسان وضعفه الذي يسعى إلى استكماله بالعبادة. وهي الغاية التي من أجلها خلق الخلق؛ ولكن القيام بفعل العبادة يتطلب القوة.

والغاية من الأمر بالعبادة تحقيق كمال النفوس وصلاحها وغايتها ونهايتها.

1 - المصدر، ص:355.

والعبادة مخصوصة لله تعالى وحده لا شريك له فهو المستحق لها لذاته. ومنه فإن العبادة تحيل إلى العبودية على وجه الافتقار (العبد) وكما تحيل إلى الألوهية على وجه التعظيم أي أنه المخصوص بالعبادة لأنه المألوه المعبود الغني عن العالمين.

-مواضع الفضل والوصل في المتن

ترد الفاتحة والمتن مفصولان لتماثلهما طلبا، وانكسار بنية الخطاب. ففي الفاتحة ركز المتكلم/ الكاتب على إقرار مفهوم العبادة من خلال الدعاء. وأما في المتن فركز على وعظ ونصح المخاطب بالفناء في الدنيا الفانية وتشويقه بالمبالغة في العبادة. فهي الطريق الموصل إلى الحي القيوم الدائم والبقاء مع الله بالله.

المقطع الأول

" يا هذا! أعلى الدنيا تعرج وفي طلبها تلجج ونيرانها تؤجج؟ لم هذا؟ وكيف به؟ أين حصافتك وبصيرتك؟ وأين نظرك واختبارك؟ وأين استنباطك وفطنتك؟ وأين معرفتك بالدقيق والجليل ؟ وأين تحصيلك للقليل والكثير؟ وأين حسك الصادق الصحيح والعليل؟..."[1].

في هذا المقطع تقديم صورة الدنيا من خلال الجمع بين الأفعال (تعرج وتلجج وتؤجج) يبرز الجامع الوهمي باعتبار أن هذه الأفعال تقتسم مقوم حب الدنيا والاستغراق فيها. والاستنكار إشارة إلى صفتها (الغرور) وفيها هلاك الإنسان ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(16)وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[2]

ويؤكد هذا المعنى تتال الجمل الاستفهامية التي وردت مفصولة عن سابقتها وهي تفيد تأكيد واقرار استنكار حب الدنيا الغرور.

1 -المصدر، ص:355.
2 -سورة الأعلى،الآية:17/16.

المقطع الثاني

" يا هذا ! إنما أذكر لك معايب الدنيا حتى تطهر نفسك من أنجاسها وتتباعد جهدك من أدناسها وتفرد حالك من أحوال ناسها".[1]

يرد المقطع مصدرا بأداة إنما لغرض إيجاب وتأكيد معايب الدنيا، ووجوب الانصراف عنها لغاية تكمن في هذه الأفعال المعطوفة بعاطف الواو (حتى تطهر نفسك ... وتتباعد جهدك ... وتفرد حالك ...) فالجمع بين هذه الأفعال يبرره جامع وهمي ذلك أن الأفعال تتقاسم مقوم الارتقاء –بتفاوت في الدرجة – فالعلاقة بينها علاقة تضاد. ويعتبر هذا المقطع امتدادا للمقطع السابق.

المقطع الثالث

" يا هذا ! إنما أشوك إلى هذا المحل نظرا لك وأذلل لك السبيل إليه شفقا عليك".[2]

إن تكرار الأداة "إنما" في هذا المقطع يشير إلى تأكيد رغبة المتكلم/الكاتب في تحويل المخاطب من حال الدنيا الفانية بالموصوفة بدار الغرور إلى حال الآخرة الباقية الموصوفة بالنعيم الدائم، فهي خير للإنسان وأبقى له.

وهذا لا يحصل إلا بالتشويق إليها (الحياة الآخرى) بذكر محاسنها ونعمها ... ويتمثل هذا من خلال عطف فعل أذلل على فعل أشوق بعاطف الواو الذي يوجب انجاز الفعلين معا لتأكيد رغبة المتكلم في هداية المخاطب إلى الطريق المستقيم الموصل إلى النعيم الدائم والأنس الدائم ...

المقطع الرابع

"يا هذا! الزم باب الافتقار إليه بالدعاء فإنك ما دمت على هذا الالتزام رجوت لك الفوز وقد قيل:

أخلق بذي الصبر أن يحضى بحاجته		ومدمن القرع للأبواب أن يلجا.

1 –المصدر، ص:356.
2 –المصدر، ص:358.

وثق بالله ما أو لعك بذكره إلا وقد رشحك لوصله ولا أوحشك من خلقه؛ إلا وقد هيأك بأنسه".[1]

يتضمن المقطع المفهوم العميق للعبادة من خلال ملازمة العبد الافتقار بالدعاء إلى الله والثقة به. وهي مدار الربوبية من خلال علاقة العطف بين الفعلين (الزم وثق) التي توجب إنجاز الفعلين معا وتلقهما بلفظ الجلالة (الله) يعني تخصيص الله تعالى بالعبادة (الدعاء) والثقة به للتعبير عن أعظم افتقار العبد إلى الله ليكون أقرب إليه للتنعم بالسعادة؛ لأن أسعد الخلق أعظمهم عبودية.

وإقرار العبد بافتقاره إلى الله هو أمر فطره الله عليه. والمقصود بالافتقار هو "أن الإنسان وكل مخلوق فقير إلى الله بالذات وفقره من لوازم ذاته يمنع أن يكون إلا فقيرا إلى الله خالقه وليس أحدا غنيا بنفسه إلا الله وحده فهو الصمد الغني عما سواه وكل ما سواه فقير إليه فالعبد فقير إلى الله من جهة ربوبيته ومن جهة إلاهيته".[2]

المقطع الخامس

"يا هذا ! اسمع رطانة أخرى ولغة ليس فيها نحوي وكن من قبولك لها ونبوك عنها بين تقوى فإن العبارة قد طالت في وصف الدنيا والإشارة قد توالت في الخبر عن أصحاب البلوى".[3]

يشير المقطع إلى نهاية الكلام السابق وبداية الكلام اللاحق ويبدو هذا من خلال الجمع بين الفعلين (اسمع وكن) -بالواو – ومبرر الجمع بينهما الجامع العقلي الذي يشير إلى وجود علاقة سببية بينهما؛ أي أن ما يكون عليه المخاطب / السامع ناتج من ما سمعه من المتكلم/ الكاتب وهذا يوحي بتأثير فعل (اسمع) على السامع. والجملة الاسمية المؤكدة (فإن العبارة ...والإشارة...) تشير إلى تأكيد وإثبات حقيقة الاعتبار بصورتين مختلفتين من خلال الجمع بين لفظ (العبارة) الذي يشير إلى وصف معايب الدنيا ولفظ (الإشارة)

1 -نفسه،ص؛360.
2 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)؛ابن تيمية ،ج1، ص:35.
3 – مصدر، ص؛360.

الذي يشير إلى خبر أ؟صحاب البلوى، ومبرر الجمع بينهما علاقة التضاد والهدف من هذا اعتبار المخاطب / السامع.

المقطع السادس

" يا هذا ! كنت كونا بائدا من أنت به فكأنك كونك مطلقا ثم تكونت بإمداد من كنت له فصار تكوينك امتدادا لكونك فلما بلغت آخر التكوين بنت وإنما بنت لمن كنت به فلما بنت تبينت، أعني ظهرت خالدا بعدما كنت غبت بائدا إلا أن بيدودتك كانت بالحس وخلودك كان بالقدس".[1]

يكمن مدار هذا المقطع حول الإقرار بالربوبية من خلال تضمنه لمشاهد القدرة والخلق والفضل؛ أي أن الألوهية له (الله) (كنت كونا بائدا ... ثم تكونت بإمداد ...) ثم تفيد معنى التحول؛ تحول الإنسان من حالة العدم﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.[2]

إلى حالة الوجود أن خلق الله تعالى الإنسان في أحسن صورة. فلما بلغت آخر التكوين ...كنت به وفي هذه الجملة إشارة إلى قدرة الله تعالى وفضله على الإنسان أن أخرجه من ظلمات العدم إلى نور الوجود وكما تفضل عليه بالخلود (خلودك كان بالقدس) أي عودة الإنسان إلى الجنة.

المقطع السابع

" يا هذا ! من عرف في الشاهد لم يخلو بالغائب ومن اعتنق الغائب لم يلتفت إلى الشاهد ومن تذبذب بينهما فهو الساقط".[3]

1 -المصدر، ص: 360.
2 -سورة الإنسان، الآية: 1.
3 -نفسه، ص: 361.

يتكون المقطع من ثلاث جمل طلبية مركبة معطوفة على بعضها بالعاطف الواو الذي يفيد الترتيب والجمع، فالجمع بين الفعلين (عرف واعتنق) تبرره علاقة تضاد من خلال تعلق الفعل عرف بالشاهد والفعل اعتنق بالغائب، وأما الجمع بين الفعلين اعتنق وتذبذب فتبرره علاقة شبه تضاد (جامع وهمي) والأفعال الثلاثة الواردة في المقطع تشير إلى حال المعرفة. وهي مظهر من مظاهر العبادة المتعلقة بالألوهية.

المقطع الثامن

" يا هذا ! أتريد أن تصيب الهدف ولم تسدد! أتريد أن تبلغ المنزل ولما تجتهد! أتريد أن تلحظ الأعلى ولما تحدق! أتريد أن تجالس الملوك ولما تتأدب! أتريد أن تسعد جزافا وتنال مرادك اختلاسا".[1]

ترد جمل هذا المقطع مفصولة كونها تقتضي كمال الاتصال. فهي تفيد تأكيد وإقرار (الوصول) البلوغ إلى الحقيقة بالعلم والعمل لا بالرغبة.

- مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

ترد الخاتمة مفصولة عن المتن لتماثلهما طلبا وانكسار بنية الخطاب ففي المتن يقدم المتكلم/ الكاتب صورا للعبودية والألوهية رغبة في إبلاغ مفهومهما للمخاطب. وأما في الخاتمة فيوجه المتكلم خطابه إلى الله تعالى رغبة في رحمته ورأفته (إثبات العبودية) وإقرارا بالربوبية له.

الملاحظ على هذه الرسالة (زمج) أنها بدأت بلفظ اللهم (دعاء) وختمت بها -الدعاء-؛ أي تكرار لفظ اللهم في بداية الرسالة (الفاتحة) ونهايتها (الخاتمة) ولهذا التكرار دور في "اتصال أول الكلام بآخره اتصالا جيدا".[2]

يكمن مدار هذه الرسالة حول محور العبادة والغرض منها ارتقاء العبد إلى مقام العبودية رغبة في التقرب إلى الله.

1 -ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل ع/ المجيد، ص:101.
2 -المصدر، ص:362.

والخاتمة تتضمن مفهوم الرحمة الذي يتجسد عبر جمل هذا النص :" اللهم رحمتك نرجو ورأفتك نتمنى وإليك نضرع إذا صفونا، وإلى فنائك نسير إذا خطونا وإياك نطلب إذا عطونا وبك نستجير إذا نبونا وباسمك نلهج إذا صفونا وآلاءك ننشر إذا صبونا و إلى بابك نقصد إذا حبونا وعفوك نلتمس إذا هفونا وبجنتك نتقي إذا زهونا فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والإكرام".[1]

يشير الخطاب في هذا السياق إلى خطاب دعاء المسألة والاستعانة بالله تعالى وحده. فالداعي يسأل الله الرحمة فهو الرحمن الرحيم؛ أي أنه رحمان الدنيا و الآخرة ورحيمها. وأما الرأفة فهي متضمنة في الرحمة وكما توجد إلى جانب الرحمة القدرة يتسع مفهوم الرحمة وتتعدد دلالاتها من خلال الجمل المعطوفة بعاطف الواو، الذي يؤدي معنى الجمع بينها. والأفعال التي تتضمنها الجمل: (نرجو، نتمنى، نضرع، نسير، نطلب، نستجير، نلهج، ننشر، نقصد، نلتمس، نتقي) فهي تكاد تكون بمعنى ارحمني برحمتك الواسعة "

ومبرر الجمع بينها علاقة شبة تضاد بين الضميرين (ك / نحن) ويؤكد سعة رحمته (الله) في كتابه العزيز ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ(7)﴾ .[2]

وشمول الرحمة وسعتها تحيل إلى أن الله تعالى هو الرحمن الرحيم الذي يستلزم إلى جانب هذه الرحمة القدرة "وهو سبحانه قادر بنفسه وقدرته من لوازم ذاته".[3]

ويختم بالجملة تختلف عن سابقتها في التركيب والدلالة. فهي توحي عن استنفاذ الدلالة "فكن لنا ولا تكن علينا" فهي ترتبط بسابقتها برابط الفاء التي تفيد السببية. والجملة

1 -صحيح الأحاديث القدسية، (مرجع مذكور)، كتاب التوبة ،باب(4)، وا**سعة** رحمة الله تعالى ، رقم الحديث 2108 أبو ع/الرحمان عصام الدين الصبابطي ،ص:2751.

2 -سورة غافر،الآية:7.

3 - مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)، ابن تيمية، مج1، ج1، ص:32.

تتضمن معنى طلب العون والاستعانة بالله فهو المعين و المستعين لقوله "وإياك نستعين" وهي إشارة إلى أن "آخرها اقتض عبوديته التفويض والتسليم وترك الاختيار وجميع العبوديات داخلة في ذلك".[1]

ومنه يكون طلب الاستعانة بالله تعالى لأنه رحيم ورحمن وقادر. وتأتي الجملة الختامية "يا ذا الجلال والإكرام!" خاتمة موحية بانتهاء النص واستنفاذ دلالته، وهي ترد مفصولة عن سابقتها. فهي تمثل دعاء بالأسماء الحسنى (الجلال والإكرام) والفصل بينهما يشير إلى كمال الانقطاع لأن مضمون الدعاء يتمثل في طلب الرحمة والقدرة (دعاء مسألة) والجملة الأخيرة تشير إلى دعاء العبادة (توحيد الأسماء والصفات)

الرسالة (لح هـ)

-مواضع الفصل والوصل في الفاتحة

تتمحور هذه الرسالة (لح هـ) حول مفهوم العبادة، العبادة بالعلم. والعمل وهي متعلقة بالألوهية، والاستعاذة بالله متعلقة بالربوبية. ويتجلى الإقرار بالربوبية من خلال تجليات القدرة في الخلق وتتجسد هذه المفاهيم عبر بنى تركيبية تقوم على الفصل كما تبديه البنية السطحية للنص. والفصل بين جمل النص يشير إلى تأكيد وإقرار كمال العبادة التي تقوم على الاخلاص للمعبود بحق.

ويبرز هذا من خلال تركيز المتكلم / الكاتب على تكرار جملة من العوامل اللغوية كتكراره للأداة (حرام) في بدايات الجمل سبعة عشر مرة وتكرر لفظ الجلالة (الله) في النص أربعة وثلاثون مرة كما يبدو في هذه الجمل المتتالية "**حرام على قلب استنار بنور الله أن يفكر في عظمة غير الله! حرام على لسان تعود ذكر الله أن يذكر غير الله! حرام على نفس طهرت ما أدناس الدنيا لله أن تدنس بشيء من مخالفة الله ! حرام على عين نظرت إلى مملكة الله أن تحدق إلى غير الله ! حرام على كبد ابتلت بالثقة بالله أن تطمئن إلى غير الله !**".[2]

---

1 -مجموع الفتاوى (مرجع مذكور)، ابن تيمية، مج1، ج1. ص70.
2 -المصدر، ص374.

يعكس تكرار هذه العوامل رغبة المتكلم في استحضار الذات الغائبة التي وجه لها الزجر في أن تستقيم في سلوكها لتحقيق الغاية التي خلقت من أجلها ألا وهي العبادة. وهي تقوم على الإخلاص والتوحيد؛ توحيد الألوهية.

تشير الألفاظ (القلب، اللسان، النفس، العين، الكبد) إلى الجوارح والجوارح من الشعائر الدينية فالقلب هو مصدر الايمان والتوحيد واللسان مفوض بالذكر والدعاء. فالبذكر تطمئن القلوب، والأمر بعبادة الله كان بالقلب واللسان. والنفس تعني الروح، وهي منبع اللذة التي تحصل بعد استيلاء المحبة على القلب. والعين تنعم بالنظر إلى النعيم. والكبد هو منبع الثقة.وجملة هذه الجوارح تؤكد افتقار العبد إلى ربه وحاجته الدائمة إليه. فلا ملجأ إلا إلى الله.

تعتبر الجمل اللاحقة امتدادا معنويا للجمل السابقة، لأنها تؤكد على لزوم العبد الافتقار والحاجة الدائمة إلى المعبود بحق، لأن غنى العبد في طاعة ربه.

فقد استبدلت الألفاظ السابقة باسم الموصول "من" للعاقل وهو يدل على العموم.

"حرام على من لم ير الخير إلا من الله أن يحدد طمعا! حرام من شرف بخدمة الله أن يتضع بخدمة غير الله! حرام على من ألف فناء الله أن يعرج إلى غير الله! حرام على من تلذذ بمناجاة الله أن يناجي غير الله! حرام على من رتع في نعمة الله أن يعبد غير الله! حرام على من سكن حرم الله أن يتعرض لحرم الله! حرام على من دعا إلى الله أن يجيب غير الله ! حرام على من عبد الله أن يتخذ مولى سوى الله! حرام على من أنس بالله أن يأنس بغير الله ! حرام على من عرف قدرة الله أن يتعرض لسخط الله! حرام على من عرف عفو الله أن يغلب اليأس من الله! ".[1]

إن تكرار اسم الموصول (من) اثنتا عشرة مرة في هذه الفقرة الذي يحيل إلى ذات غائبة في التعبير وحاضرة في الخطاب رغبة في ترغيبها وترهيبها في العبادة إقرارا بالألوهية فالنص كله يقوم على نواة العبادة المتعلقة بالألوهية.

1 -المصدر، ص:375.

-مواضع الفصل والوصل في المتن

يتم التماسك بين الفاتحة والمتن بالفصل لاختلافهما خبرا وطلبا، وانكسار بنية الخطاب ذلك أن الألوهية تقتضي الربوبية التي تمثل نواة المتن الذي يرد الخطاب فيه مركزا على ذات المخاطب بحيث يقوم المتكلم/الكاتب بتعريف الربوبية بما تقتضيه من استعانة ودعاء. وتتمفصل هاتين القضيتين عبر مقطعين نصيين.

المقطع الأول

" يا هذا ! إنما أنت بجوارحك وجوارحك بك فإذا رتبتها في مراتبها كانت لك وكنت لها فإذا فسد نظامها كانت عليك لا لك. أعني أن لك قلبا فرتبه على الفكر في أفعال الله وسرا فاحشه بمحبة الله؛ وضميرا فقلبه في تيه حسنة لوجه الله، ونفسا فوكلها بالرضا عن الله وروحا فسرحه في رياض نعم الله؛ وعينا فسددها في اعتبار خلق الله، ويدا فمرنها على تناول الواجب من ملك الله، وقدما قصرها على الخطوات إلى باب الله، وعقلا فاجعله رائدا لك عند الله، وعلما فأقصره على العمل لوجه الله؛ وكلا فابذله فدى لمرضاة الله؛ وبعضا فقفه على سلوك في سبيل الله".[1]

يمثل هذا المقطع امتدادا نصيا للفاتحة. فهو يتضمن مفهوم العبادة التي تقوم على العلم والعمل؛ أي العلم بالله والعمل لله، وهو يركز على رياضة الجوارح وتوجيهها إلى الله؛ لأن وظيفة هذه الجوارح خدمة الله.

فالجملة الأولى مؤكدة بـ"إنما" فهي تشير إلى علاقة تلازم بين الإنسان وجوارحه. فصلاح الجوارح سيستلزم صلاح الإنسان والعكس صحيح. تلي الجملة الأولى جملتان شرطيتان مفصولتان. فالفصل بين الجملة الأولى والثانية لاختلافهما خبرا وطلبا وأما الفصل بين الثانية والثالثة فيشير إلى تأكيد إصلاح هذه الجوارح لتأثيرها على الإنسان.

1 -المصدر، ص375.

وأما الجملة (أعني أن لك قلبا ... سبيل الله) فهي عبارة عن جملة كبرى امتد فيها الطرف الثاني بواسطة العاطف الواو. وهي تقوم بتفسير الجمل السابقة من خلال هذه الجمل المعطوفة بالواو. وتكمن وظيفة الواو على هذا السياق في العطف والترتيب.

وتتمثل الجوارح في هذا المقطع في هذه الألفاظ (القلب والضمير والنفس والروح والعين واليد والقدم والعقل) كلها خاضعة لله طوعا في القيام بالعبادة؛ لأنها ستسأل يوم الآخرة وتحاسب على عملها. وهذه إشارة إلى كمال خضوع الإنسان لله تعالى الذي يحقق له كمال صلاحه وعبوديته.

المقطع الثاني

" يا هذا ! أما ترى حدثان الدهر أما تحس مصائب الدنيا؟ أما تشعر بأحكام الوقت؟ أما ترى دوران الشمس؟ أما تحس باختلاف الليل والنهار؟ أما تؤمن بغيب هذا الشاهد؟ أما تثق بشهادة هذا الغائب؟ أما تبصر بعين الراس تصاريف القدرة؟ أما تضطر إلى الإقرار بربوبيته؟ أما تلتجئ إلى القيام بديونته؟...".[1]

ترد جمل هذا النص مفصولة ويتصدرها أداة (أما؟) التي تفيد معنى التحضيض؛ تحضيض المخاطب والفصل هنا يشير إلى إقرار الربوبية من خلال تجلى آيات القدرة في الخلق وهي تتمثل في (حدثان الدهر، مصائب الدنيا، أحكام الوقت، دوران الشمس، اختلاف الليل والنهار، الإيمان بالغيب، الثقة في الشاهد). وهذه إشارة إلى أن "الرب سبحانه وتعالى هو المالك وفيه أيضا معنى الربوبية والإصلاح والمالك الذي يتصرف في ملكه كما يشاء".[2]

وبناء عليه فإن الفاتحة والمقطع الأول من المتن فيهما إشارة إلى التحقيق بالنهي والأمر العبادة لله تعالى وحده لا شريك له. وهذا كشف عن الألوهية، وأما المقطع الثاني فإنه يتضمن معنى الربوبية من خلال تجليات القدرة في التصرف في الكون فهو المالك.

1 -المصدر، ص:375.
2 -مجموعة الفتاوى:ابن تيمية، مج1، ج1، ص:69.

وهنا تظهر للعبد سر الربوبية أن الملك والتدبير بيد الله تعالى وحده لا شريك لـــه تصديقا لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(1)﴾.[1] ومـــن خلال المشهدين السابقين يمكن التوصل إلى نتيجة تتمثل فـــي الإقـــرار بالألوهيتـــه لـــه والربوبية له (الله).

وبهذا يكون الواصل إلى هذه النتيجة فقيها في عبوديتـــه؛ لأن لـــهذين المشـــهدين الألوهية والربوبية – عليهما يكون مدار الدين الذي عبر عنه المتكلم/الكاتب بقولـــه "أمـــا تلتجئ إلى الإقرار بدينونته؟" فاللجوء إلى الإقرار بديونته (الله) تعبيرا عن غنى العبد عـــن الخلق ومن جهة فهو تعبير عن كمال عبوديته لله سبحانه وتعالى.

وخلاصة القول فإن كشف سر الكلمات الكونيات هو علم صفة الربوبية وكشف سر الكلمات التكليفيات هو علم صفة الألوهية. والواصل إلى كشف هذه الأسرار يكون محققا لمقام العبودية.

– مواضع الفصل والوصل في الخاتمة

يقوم الربط بين المتن والخاتمة على الفصل لاختلافهما طلبا وخبرا، وانكسار بنيـــة الخطاب. والخطاب في المتن مركز على ذات المخاطب الحاضرة في التعبير والخطاب. وهذه إشارة إلى حضورها القوي المستمر الذي يوحي برغبة المتكلم/الكاتب في ارتقائـــها (ذات المخاطب) إلى مقام العبودية من خلال كشف سر الألوهية وسر الربوبيـــة، وأمـــا الخطاب في الخاتمة فهو موجه إلى مخاطب خاص وهو يحيل إلى الملاحدة الذين يؤمنـــون بالاتحاد والحول. وقد رد عليهم المتكلم /الكاتب بالاستعاذة بالله.

تـــمثل الجملة"هـــذا الواصل إلينا مـــن إشارتك" الجملـــة الختاميـــة فـــهي توحـــي للسامع/المتلقي بالنهاية وإشعاره باستنفاد الدلالة واكتمال المعنى؛ أي مفهوم التصوف مـــن منظور المتكلم/الكاتب. وتتلو هذه الجملة جملة مركبة (شرطية) هـــي "فأما ما إختـــاص والتوى من مثل قولك:

---

1 – سورة الملك، الآية: 1.

تباركت خطراتي في تعالالي فلا إلـه إذا فكرت إلاّني

وقولك فيه:

لآية الهو في هويه الأنـي مثل الدواء الذي تبغيه للداء

فإليك بيانه وعليك برهانه ولسنا نشاحك فيه ولا ننافسك به؛ لأن اللفظ به كدر، والمعنى عسر، والإرادة في شق، والعبادة في شق، وبهاؤه منتزع، وتصحيحه ممتنع".[1]

وفي هذه الجملة إشارة إلى استفتاح كلام جديد يتمثل في جملة الشرط التي تتضمن جملتي مقول القول (البيتين) المعطوفتين بعاطف الواو الذي يفيد معنى الجمع وتبرره علاقة تضاد (جامع وهمي) بين الاتحاد والحلول الذين يشيران إلى اتحاد العبد والرب وهذا القول هو شرك بالله، وهو مرفوض عند المؤمن.

وتمثل الجمل المتتالية المعطوفة "فإليك بيانه وعليك برهانه ولسنا نشاحك فيه، ولا ننافسك به، لأن اللفظ به كدر، والمعنى عسر، والإرادة في شق، والعبارة في شق، وبهاؤه منتزع وتصحيحه ممتنع".[2] جملة جواب الشرط والفاء رابط بين الشرط وجوابه؟، وهي تتضمن موقف المتكلم/الكاتب (التوحيدي) الرافض لهذه الفكرة -الاتحاد والحلول- والرد بالاستعاذة بالله" ونعوذ بالله من ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ(4)الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5)مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ(*) (6) ﴾.[3]

الواو في هذا السياق واو ابتداء، ابتداء غاية وهي إشارة إلى إبطال ورفض فكرة الاتحاد والحلول؛ لأنها من عمل الشيطان الموصوف بالوسواس الخناس، ذلك أن التقرب إلى الله تعالى ليس تقربا بالذات، بل هو تقرب بالإيمان، والإيمان هو نور يقذفه الله تعالى في قلب عبده فيكون الله في قلب عبده بالمعرفة والمحبة.

---

1 -المصدر، ص: 388.

2 - نفسه.

* - سورة الناس، الاية: 6/7.

3 -نفسه .

وخلاصة القول فإن تحليل الرسائل وفق قانون الفصل والوصل اثبت تماسكها وانسجامها ذلك أنها جميعا تقوم في بنائها على ثنائية: العبادة/الاستعانة بمختلف صورهما. وهما متعلقتان بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات. وهذا يستلزم الإقرار بالتوحيد الشامل الذي ألزم الإشعار بالعبودية.

وبناء عليه تكون رسائل الكتاب كلها عبارة عن رسالة واحدة تقوم على فكرة تتمثل في ثنائية: الألوهية /الربوبية وهذا يؤكد مدى اتساق وانسجام رسائل الكتاب حتى أصبح ككلمة واحدة تتمثل في عقيدة التوحيد الشامل.

ثانيا: المنظور البنيوي.

يعتبر المنظور البنيوي وصفا للبنية الإحالية في النصوص ويهدف إلى إقامة نموذج يضبط الطرائق التي تتماسك بها أجزاء النص بالاعتماد على العناصر الإحالية (شكلية/دلالية) التي تؤدي بتفاعلها دور التواصل بين عناصر النص.

وبناء عليه تقوم شبكة من العلاقات بين العناصر المتباعدة في فضاء النص فتنضام وتتعلق حتى تصبح كلا موحدا متآخذا. ويمكن أن نطلق على العلاقات الاحالية في اللغة مبدأ الاقتصاد اللغوي في اللغة. وتتمثل عناصر البنية الإحالية في النص في العنصر الإشاري والعنصر الإحالي (المرجعية) باعتبار أن اللغة نفسها نظام احالي إذ يحيل على ما هو غير لغوي؛ أي ما وراء اللغة (Métalinguistique).

ولهذا فإن علماء النص يهتمون بالإشارة والإحالة في تحليل النصوص وربطها بالمقام لمساهمتها في التماسك النصي وانسجامه.

أ- العنصر الإشاري (Déictique).

ينطوي العنصر الإشاري على مجموعة من العناصر اللغوية وهي تتمثل في الضمائر وأسماء الإشارة واسم الموصول والظرف (الزمان / المكان).

-مفهومه.

العنصر الإشاري Deictic Element "يشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة فيمثل العنصر الإشاري معلما (index) لذاته لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره .وتتمثل العناصر الإشارية فيه جملة

الذوات التي تكون العناصر الأساسية الدنيا في عالم الخطاب؛ وتتصل هذه الذوات مباشرة بالمقام دون توسط عناصر إحالية أخرى. فهي ترتبط بالحقل الإشـــاري (Deictic Field) ارتباطا آنيا محددا مباشرا لا يتجاوز ملابسات التلفظ التي يتقاسمها طرفا التواصل".[1]

ويمثل العنصر الإشاري عند النصابين رابطا احاليا مضمرا يقوم بتنظيم الفضـــاء النصي انطلاقا من عناصرها اللغوية.

-عناصره(العنصر الإشاري) .

تلجأ العربية إلى الربط بواسطة ألفاظ لأمن اللبس في الفهم بين معنيين أو اللبـــس في فهم ارتباط المعنيين. وتتمثل هذه الواسطة اللفظية في العنصر الإشاري الذي يشـــتمل على الضمير بأنواعه(البارز، المنفصل، المتصل، الاســم الموصـــول، اسـم الإشـارة) فالإضافة إلى الربط "وليس الربط بالضمير كالربط بالأداة فوظيفة الربط بالضمير ناشـــئة مما في الضمير من إعادة الذكر وهذا تعليق وائتلاف وربط" [2]

- الضمائر .

وهي تعبر عن الإضمار كما يعبر عنه سيبويه(ت 180هـ) بقولـــه" إنمـا صــار الإضمار معرفة وما تعني وانك تريد شيء بعدما تعلم ان ما يحدث قد عرف ما تعني وما تعني وأنك تريد شيئا يعلمه" [3].

تنقسم الضمائر حسب قرينة الحضور في المقام أو الغياب إلى قسمين هما: ضمائر الحضور وضمائر الغياب. فهي تقوم مقام ما يكنى عنه بقول شارح كتاب المفصل أنه " لا فرق بين المضمر والمكنى عند الكوفيين فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناهـا واحد وإن اختلفا من جهة اللفظ.أما البصريون فيقولون أن المضمرات نوع من المكنيـــات فكل مضمر مكنى وليس كل مكنى مضمر"[4]

وعند المحدثين" تعتبر الضمائر في الناحية التقليدية بدائل عن الاسم (كما يوضحـــه

---

1 -نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا)؛الأزهر الزنادي،ص:115- 116.

2 -نظام الربط والإرتباط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حمودة ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، بيروت ، لبنان ،ط1، 1997م،ص155.

3 -الكتاب:سيبويه (عمر بن بحر بن قمبز)،تح ، عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية بيروت القاهرة ، ط3،1804هـ، 1988م، ج1،ص278.

4 -شرح المفصل ابن يعيش، عالم الكتب ، بيروت ، لبنان،ج1،ص184.

المصطلح Pronoun القائم مقام الاسم)، لكن أغلب فروع الضمائر (عدا ضميري الوصل Who الذي للعاقل Wich الذي يغير العاقل) لها أيضا وظيفة مختلفة تماما يمكن أن يقال أنها أكثر أهمية من النيابة عن الاسم الذي يسبقها أو العبارة الاسمية التي تسبقها وهذه هي الوظيفة الدليلية أو التشخيصية* ".[1]

ومن الضمائر التي تشكل عمدة النصوص ضمير المتكلم (أنا) وهو الشخص الذي يتكلم وله دور إيجابي وهو المرسل في الخطاب ويقابله ضمير الخطاب (أنت) في المقام وهو الشخص المتحدث عنه أي المرسل إليه ويعني هذا أن الضميرين: أنا / أنت يمثلان شخصا التبادل الخطابي ويقابلهما ضمير الغائب (هو) "وله دلالة عامة وحيدة وثابتة تكمن في أنه يدل على موجه الرسالة ومتلقيها أنت".[2]

ويسمى عند بعض اللسانين بشبح الحقيقة آلان بيرندونيه A.Berrendone أو شخص العالم جورج موانيه G.Moignet وهو "يشكل مجة إشارية تحيل إلى مشترك ما هم في عملية الاتصال مثله في ذلك مثل تلك الكائنات المشار إليها بـ: أنا ضمير المتكلم وبـ: أنت ضمير المخاطب".[3]

من خلال ما سبق فإن الضمير قد جعل أصلا للروابط وهذا يوضح إدراكا لأهمية الضمير النصية الشيء الذي يلتقي اهتمامات التحليل النصي المعاصر.

وتعد الضمائر عند النصانيين من بين الوسائل التي تحقق التماسك الداخلي والخارجي في كونها تحيل إلى عناصر سبق ذكرها في النص(مرجعية سابقة). والغموض في الإحالة لا ينفك إلا باللجوء إلى السياق الخارجي" وذلك لأن سياق المقام في الخطاب يتضمن(سياق الإحالة) وهو تخيل ينبغي أن ينبني انطلاقا من النص نفسه بحيث أمن الإحالة داخلية يجب أن تكون نصية"[4]

* – إن المصطلحين التشخيص والدليلية ينشآن عن مفهوم الإشارة الايمائية أي ايمائة جسمية يقوم بها المتحدث عند تعريف المقصود" ينظر اللغة والمعنى والسياق جون لاينز، تر،عباس صادق الوهاب طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة "أفاق عربية" ط1، 1987م، ص 253.

1 – نفسه،ص: 252.

2 –ينظر، الملفوظية،جان سير فوني،تر،قاسم المقداد، ص:17.

3 –نفسه،ص: 22.

4- COHESION IN ENGLISH ,HALLIDAY & HASAN ,P,50.

وقد أكد علماء النص على أن المرجعية " علاقة دلالية تربط المثال من اللغة بالبيئة" [1].

وبناء عليه تدرك أهمية الضمير في الإحالة وفي الربط بين أجزاء الجملة الواحدة أو النص ومن ثم أهميتها في التحليل النصي.

-اسم الإشارة

لا تختلف أسماء الإشارة في كونها فارغة المحتوى إن لم ترتبط بالمشار إليه وهي تقوم بتحديد المشار إليه وتضفي عليه الزيادة في الإيضاح والتقرير فاسم الإشارة "بطبيعة دلالته يحدد المراد منه تحديدا حسيا ظاهريا وتميزه تمييزا كاشفا وهذا التحديد قد يكون مقصدا هاما للمتكلم لأنه حين يكون معينا بالحكم على المسند إليه بخبر ما فإن تمييز المسند إليه تمييزا واضحا يمنح الخبر مزيدا من القوة والتقرير" [2] .

فالإشارة تساهم في خلق النص وتحديده سياقه فهي "تمثل العلاقة القائمة بين المتحدثين" [3].

ومنه فالأسماء الإشارة لا تقل أهمية عن الضمير في تحقيقها التماسك النصي بين عناصر المشيرة إليها لهذا ركز عليها التوحيدي في نسجه لمتن الرسالة.

- اسم الموصول

يعد اسم الموصول من المضمرات التي تقوم بالتعريف والوصف وذلك بإضافة اسم الموصول إلى صلته لأنهما متلازمان، وبوصف الصلة (صلة الموصول) مبهمة فهي محتاجة إلى صفة تفسرها، لأن "الصلة ينبغي أن تكون معلومة للسامع في اعتقاد المتكلم قبل ذكر الموصول".[4]

1- COHESION IN ENGLISH , HALLIDAY AND HASAN ,P,50.
2 -دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد حسين أبو موسى، منشورات قار يونس بنغازي، ط1، 1399 هـ- 1979م ص169. 170.
3- اللغة والمعنى والسياق جون لاينز،تر،عباس صادق الوهاب، ص 243.
4 - شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الاسترابادي، تح، يوسف حسن عمر،دار الكتب العلمية بيروت،ج2، ص9.

- **وظيفة العنصر الإشاري**

تكمن وظيفة العنصر الإشاري في تنظيم الفضاء النصي انطلاقا من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة أو الأنا وتقوم بضبط المقام الإشاري وذلك بربط الملفوظ (النص) بالمقام لإعطائه المعنى. ويضفي على النص الترابط وذلك بالوصل بين أجزاء النص المتباعدة، ويغني عن التكرار بحيث يصبح النص متماسكا باعتبار أن "الضمائر مع غيرها من الوسائل تكون نسيجا نصيا عاليا ...لذا إذا ظهرت الضمائر مثل Them,They , These فإنها لا تشير إلى أناس أو أشياء فقط بل ترجع أو تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق".(1)

ب- العنصر الإحالي (المرجعية) "Deisci"

تتمثل العلاقة بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في علاقة الجزء بالكل؛ ذلك أن العنصر الإشاري يشكل جزء من العنصر الإحالي فهي "لا تشير إلا بوجود مرجع ما فبين أنا وبين فرد يتحدث عن نفسه في لحظة معينة تكون العلاقة حقيقية Relation De Fait هي العلاقة الناتجة عن لفظ هذا الفرد للكلمة : أنا".(2)

يقابل مصطلح الإحالة مصطلحات غربية أشهرها:"Anaphora" و"Reference" وهذا الاختلاف يكمن في المصطلح، وهو مرتبط بعامل الترجمة وتتحقق الإحالة بواسطة الضمائر واسم الإشارة واسم الموصول.

-مفهوم الإحالة

ومن التعاريف المطروحة يمكن الأخذ بتعريف كيتاي Kittay الذي يؤثر استعمال مصطلح Anaphora و"تطلق تسمية العناصر الإحالية Anaphora على قسم من الألفاظ لا يملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب فشرط وجودها هو النص. وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر وهي لذلك تتميز بالإحالة على المدى البعيد ويرجع إلى هذه الصفة اسم الموصول Crosse Refence".(3)

1- LANGAGE, CONTESCT , AND TEXT: .HALLIDAY AND R.HASAN , P 28.

2 -الملفوظية:جان سير فوني ، تر، قاسم المقداد، ص:18.

ON ANAPHORA AND ANTECEDENCE: SEMIOTICA: KITTAY, J, 1998, P 198-207.

3 -نقلا عن نسيج النص،الأزهر الزنادي،ص:118.

من خلال التعريف يتبين أن مجال الإحالة هو النص. فهي تساهم في تماسكه حتى يكون كلا موحدا.

-أنواع الإحالة

تتقسم الإحالة حسب العلاقة الإحالية إلى نوعين كما حددهما الباحثان هاليداي Halliday ورقية حسن R.Hasan وهما : "الإحالة المقامية والإحالة النصية وهي بدورها -الإحالة النصية- تحيل إلى السابق أو اللاحق".[1]

-الإحالة النصية

تسمى الإحالة داخل النص أو الإحالة داخل اللغة endophora وهي تعني "العلاقات الاحالية داخل النص سواء أكان بالإحالة إلى ما سبق أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي (يلحق) داخل النص".[2] فالإحالة النصية تتقسم إلى نوعين من الإحالة هما:

-**الإحالة القبلية (السابقة) anapHora** وهي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص".[3]

- **الإحالة البعدية (اللاحقة) cataphora** وهي "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى ستستعمل لاحقا في النص ".[4]

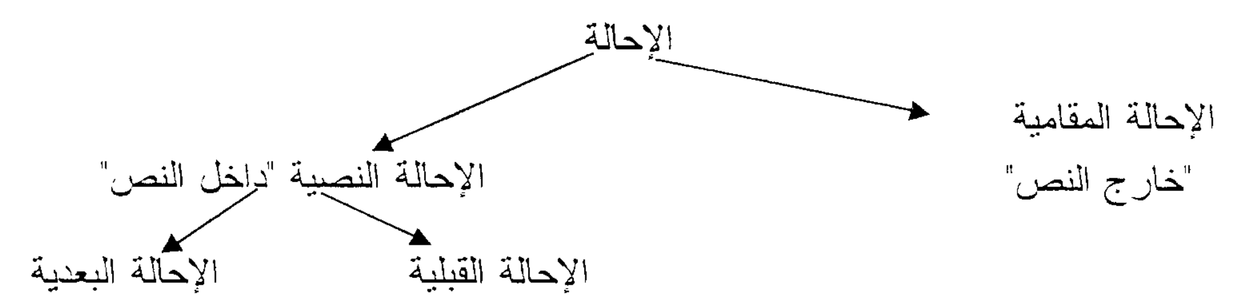
-الإحالة المقامية

تسمى الإحالة خارج النص أو الإحالة خارج اللغة "exophora" وترتبط بالسياق المحيط بالنص لمعرفة المحال إليه من بين الأشياء أو الملابسات المحيطة بالنص وهي تعني "إحالة عنصر غير لغوي احالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم حيث يرتبط عنصر

1- SEE: COHESION IN ENGLISH, HALLIDAY & R.HASAN, P33.
2- INTERPRETING ANAPHORA IN NATURAL LANGUAGE TESCTES, ENGLAND, L.DAVID CARTER, 1987, P119.
3- IBID, P 31.32.
4-LONGMAN DICTIONARY OF APPLIED LINGUISTICS, JACK RICHARDS ET AL,P36.

لغوي احالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيل أو مجملا ويمثل نائبا أو مرجعا موجودا مسؤولا بنفسه فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم".(1)

رغم تنوع العنصر الإحالي (الإحالة النصية والإحالة المقامية) إلا أنه يقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع ويمكن التمثيل للإحالة بهذا الشكل:



- **وظيفة الإحالة**

يعد العنصر الإحالي والإحالة النصية من الوسائل اللغوية التي تحقق التماسك النصي وذلك من خلال الضمائر وأسماء الإشارة التي تقوم بوظيفة الربط؛ ربط اللاحق بالسابق فهو بذلك يتجاوز الربط بين الجمل والعبارات إلى الربط بين المقاطع والفقرات داخل النص ومنه فإن الربط الإحالي يحقق الاستمرارية بمعنى المفردات داخل النص وفق علاقات شكلية ودلالية فتحقق نصية النص.

ومن جهة فإن الإحالة المقامية فإنها تساهم في خلق النص وذلك بتفسيرها للعناصر الغامضة في النص بإرجاعها إلى سياقاتها حتى يتمكن القارئ من فهم التعبيرات المحيلة في النص باعتبار أن صيغة العبارة المحيلة في النص تتضمن مقصد المتكلم في ذلك المقام لخلق التواصل بين المتكلم والسامع/المتلقي. فهي بذلك تساهم في تماسك النص بشكل غير مباشر وكذلك انسجامه باعتبار أن التماسك عنصرا من عناصر الانسجام.

ومما سبق يتبين أن الإحالة المقامية تعتمد على عناصر غير لغوية تتمثل في السياق والقارئ الذي يقوم بملء الفراغات وتفسير الغامض في النص. وهذا ما يسمح

1 -نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزنادي، ص:119.

للإحالة المقامية بالمساهمة في خلق النص وإضفاء الانسجام عليه ويتضح هذا من خـــلال التحليل النصي لبعض نماذج من الرسائل.

ج-الترابط الإحالي في الرسائل

ففي هذا الجانب التطبيقي سيكون التركيز في الترابط الإحالي على بعض نماذج من الرسائل؛ لأن الرسائل تقوم على بناء واحد فمرسل هذه الرسالة هـــو المتكلـم/ الكـاتب (التوحيدي)؛ أي أن الذات المرسلة لهذه الرسائل تتمثل في شخص التوحيدي، والمخـاطب في الرسائل هو شخص واحد رمز له التوحيدي باسم الإشارة "هذا" وكل الرسـائل تقـوم على ثنائية العبادة / الاستعانة باختلاف صورها وهي تتضمن عقيدة التوحيد الشامل.

- الترابط الإحالي في الرسالة "و"

تتمثل البنية الاحالية في خاتمة هذه الرسالة "و" في اشتمالها على عــدة إشـاريات هي:

ضمير الخطاب في فعل سكنتم "تم" واسم الموصول "الذين" الذي يتصـدر الجملـة الفعلية "الذين ظلموا .." وضمير المتكلم في فعل "فعلنا" (نا) وضمير الغياب فـي الجـار والمجرور "بهم".

إن الجمع بين هذه الإشارات في النص يتضمن عدة أغـراض ومعـان فضمـير الخطاب أنتم (سكنتم) والسكن المراد منه الحلول لذا فهو بحث إحالة نصية سابقة على أمم سالفة وردت أسماؤها في بداية السورة فقد عوض الضمير (أنتم ذكر أسماء هـذه الأمـم (قوم موسى وعاد وثمود، وكما انه حقق الترابط النصي ن آيات السورة (45/9/8) التي تضمنت إحدى هؤلاء الأمم. إلا أن هذا الخطاب يخص قو العرب باعتبار أن المتلقـي الأول للخطاب هو الرسول - *صلى الله عليه وسلم*- الى كلف بتبليغ رسالة الإسـلام إلى كافة الناس.

إذن فالضمير أنتم يحيل إحالة مقامية على كافة الن والعلاقة بين الأمم السـالفة والعرب هو العامل المشترك في صفة الكفر والمعصيةدم التصديق بالرسل) وقد عـبر عن هذا قوله تعالى "الذين ظلموا أنفسهم" فالشرك ظلمس.

صدق فكرة المتكلم وهي تتمثل في رغبة المتكلم في التمسك بالعقيدة الإسلامية. للفوز بسعادة الدارين.

واسم الإشارة (هذا) الوارد في الملفوظ (يا هذا !) والمتكرر أكثر من مرتبين بحيث يأخذ في كل مقطع حكما. خاصا يتنوع بتنوع التراكيب اللغوية التي تتبعه. فهو يتضمن عدة معان منها أنه يدل على القرب الذي يشير إلى موقف المتكلم من المخاطب فهو "في موقع العناية والاهتمام عند المتكلم".[1]

ولهذا قد خصه بالنداء (التنبيه)، ومن جهة فإن السر في القرب يتمثل في أن المخاطب قريب من قلب وضمير المتكلم الذي يريد هدايته إلى الصراط المستقيم بإذن الله تعالى لإخراجه من ظلمات الظلالة إلى أنوار الهداية.

وفي الخاتمة يتضرع المتكلم بالدعاء إلى الله تعالى وتخصيصه بالدعاء؛ لأنه هو السميع العليم المجيب لكل الدعوات والدعاء عبادة فتكرار العبادة إثبات لموقف المتكلم ويحيل اللفظ اللهم إحالة نصية بعدية على مضمون الدعاء وهو يتمثل في العبادة والاستعانة متعلقة بروبيته فهنا توحيد للألوهية (العبادة) وتوحيد للربوبية (الاستعانة) وبهذا تكون الخاتمة تحيل إحالة مقطعية أو نصية وهي "تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي). [2]

والعبادة والاستعانة تحيل إحالة مقامية على علاقة بين العبد وربه وهي علاقة خضوع وتذلل وهي تعني العبودية.

وبهذا تكون الإحالة قد حققت وحدة الموضوع ثنائية الألوهية / الربوبية ووحدة المتكلم ضمير المتكلم (أنا)، ووحدة المخاطب، اسم الإشارة "هذا".وهذا يضفي على نص الرسالة التماسك والانسجام.

الترابط الإحالي في الرسالة "يا"

يقدم الترابط الإحالي في هذه الرسالة على ثنائية ضمير الشخص المتمثلة في ضمير المتكلم وضمير المخاطب المتضمنة في ملفوظ (سألتني): فصوت المتكلم ورد في

1 –دلالات التراكيب، محمد حسين أبو موسى، ص:176.
2 –نسيج النص (بحث في ما يكون له الملفوظ نصا)الأزهر الزنادي،ص:119.

هذا السياق ضميرا متصلا (ـي) وضمير المخاطب يظهر في الضمير المتصل (ت) فالضميران يحيلان على المتكلم المتلفظ لهذا الملفوظ ومن جهة فإن الضمير المتصل (ت) يحيل على المخاطب حسب القرائن النحوية والجامع بينهما يتمثل في هذا الملفوظ المنجز (النص) الذي تضمن ثنائية السؤال / الجواب.

الواردة في سياق لغوي (مضمون السؤال) وبهذا تصبح العناصر الإشارية المتضمنة في الرسالة عوامل الملفوظية التي تشكل "تعددية أصواتية Polypgonie أي بإضافة عامل السياق لكنه لا يمتلك الكلام، أي لا يتحدث مثل الآخرين فهو يعني مشاركا وليس بقادر على أن يكون متحدثا مثلهما".[1]

وتمتد هذه الترسمة إلى متن النص باستمرار ضمير الخطاب إلى جانب ضمير المتكلم يخلق حوارا خلاقا يحقق التواصل بين أجزاء النص.

وفي هذا مناسبة للتخاطب والحوار الذي يقتضي المباشرة والحينية ذلك أن الأصل في ضمير المخاطب أن يكون لحين يريد مخاطبا معينا، وقد يراد به الخطاب العموم فيكون موجها إلى كل من يتأتى منه الخطاب وهذا يضفي على الأسلوب قوة ومزية من حيث يشعر هذا العموم بأن الأمر جدير بأن يكون ذائعا وأنه لا يختص بمخاطب دون مخاطب ".[2]

ومن خلال هذه الثنائيات المتكلم / المخاطب والسؤال / الجواب يتحقق التماسك النصي نظرا للعلاقة الدلالية الثاوية ورائها (علاقة تلازمية) والتي تتجسد في علاقة إحالية نصية تشير إلى مذكور لاحق إحالة نصية بعدية من خلال التتابع بين عناصر الثنائيات المتكلم ⇄ (الجواب / السؤال) المخاطب. والسؤال طبيعة نفسية في كل فرد همه المعرفة.

تتواصل الاستمرارية في نص الرسالة من خلال استمرار التواصل بين المتكلم المجيب والمخاطب السائل بتفعيل الخطاب بينهما بتحويله إلى حوار خلاق بينهما واستعاضة ضمير الخطاب (أنت) باسم الإشارة (هذا) فهو أيضا يفيد العموم والحينية بالإضافة إلى الحضور القوي فاسم الإشارة (هذا) يحيل إحالة نصية قبلية إلى المخاطب

1 -الملفوظية:جان سيرفوني ، تر، قاسم المقداد ص:23.
2 -دلالات التراكيب:محمد حسين أبو موسى، ص:162.

السائل فيتحقق الربط بين الفاتحة والمتن؛ لأن المذكور السابق (أنت) يواصل حضوره بقوة في المذكور اللاحق بحيث أصبح المخاطب السائل ذا دلالة أكثر شمولية واستمرارية يشمل مخاطبا ضمنيا مع سائل في العصور القادمة لأن "أسلوب السؤال والجواب يعتبر في المرتبة الأولى في مناهج التربية والتعليم لقوة وضوحه وشدة تأثيره وتحديد مدلوله.فهو يثير الشعور ويسترعي الانتباه ويركز الفكر ويوقظ الذهن بتصور المسؤول عنه وبتلقي الجواب خاصة للعالم بتصاريف الكلام ومقتضيات المقام".[1]

والغرض من السؤال هو تعليم السائل، ومن جهة يفرض على السائل أن يكون في حالة تسمح له بتلقي الإجابة وقد عبر المتكلم بأسلوب النداء (يا هذا !) التنبيه الذي يستلزم تركيز الفكر وإيقاظ الذهن وتكراره -هذا- في بدايات المقاطع يجعله يكتسب صفات جديدة. فهو في كل مرة يميز المشار إليه، وهو في هذه الرسالة الغريب. وكما أنه في كل مرة يحيل على سابق مذكور يستحضره في صورة دلالية جديدة يتصف بها المشار إليه.

وبهذا تخلق الإحالة النصية (سابق /لاحق) وحده المتكلم ووحدة المخاطب. وفي هذه الوحدة تنمو وحدة الموضوع؛ وهي تتمثل في موضوع الغربة والغريب وهي محور ثنائية السؤال / الجواب .

ولما كان اسم الموصول وصلته وسيلة من وسائل التعريف فقد اعتمد عليها المتكلم في تعريفه للغربة والغريب وهو يتمثل في تكرار اسم الموصول "من" وهو من الأسماء المبهمة (للعاقل). والتعريف بالموصول هنا مكنت المتكلم من ذكر صفات يحرص على إبرازها في الغربة والغريب وهي ما في معانيهما مما يشبه علاقة الاسم بالمسمى أو علاقة الشيء بنفسه؛ أي أنه لا يمكن الفصل بينهما تماما هو موجود بين الموصول وصلته وقد تكررت صلة الموصول في المقاطع : (2-4) وصلته تختلف من مقطع لأخر: جملة فعلية كما في قوله (الغريب من غربت شمس جماله..). [2]

1 -ينظر مقدمة الكتاب السؤال والجواب في آيات الكتاب عطية محمد سالم، ص 5.
2 -المصدر ص 114.

فالمراد من الصلة (جملة فعلية) إثبات صفة التجدد التي تشير إلى تغيير صفات الغريب لأن الغريب يعيش غربة عادية (حسية). وكما ترد جملة اسمية بقوله : "الغريب في الجملة من كل حرقة وبعضه فرقة ..". [1]

فالجملة الاسمية تفيد الثبوت؛ ثبوت صفة الغربة في الغريب وهي بيان لحال الغريب الذي يعيش غربة معنوية، أي أن الغريب انتقل من حال الغربة الحسية إلى حال الغربة المعنوية.

وهذه الصفات يؤكدها التركيب اللغوي الذي اعتمد فيه المتكلم اسم الموصول من وصلته لأنها "موحية لتحقيق الخبر حتى تكون الصلة كالسبب له أو دليل عليه". [2]

وتكمن أهمية اسم الموصول وصلته في تحقيق التماسك النصي كونها تحيل على السابق واللاحق؛ أي أن الإحالة طويلة المدى تشمل حال الغريب في غربته العادية (حسية) وحاله في الغربة المعنوية؛ أي أن من صلته إحالة نصية سابقة إلى الغريب الذي غربت شمس جماله (غربة حسية). وتحيل إحالة نصية لاحقة إلى الغريب الذي كله حرقة (غربة معنوية).

وبهذا تتحقق وحدة الموضوع ألا وهي الغربة المعنوية وفي الوقت نفسه تمثل الإحالة عن السؤال؛ التي تحققها الإحالة المقامية من خلال تصنيف الغربة المعنوية إلى غربة الحال التي يعيشها الصوفي الذي يعيش غربة أناه (ذاته) بقوله "أنت الغريب في معناك". [3]

ففي هذه الالتفاتة إثبات الإجابة ذلك أن الضمير أنت يحيل حالة نصية سابقة على المخاطب السائل في الفاتحة. ويمكن القول أن كل من يأتي السؤال عن الغريب والغربة فهو الغريب في معناه (غربة الذات) فهذا التواصل بين عناصر النص (الفاتحة والمتن) يحقق استمرارية وحدة طرفا التواصل ووحدة الموضوع.

ويستمر هذا التواصل حتى الخاتمة وذلك بتكرار الملفوظ (يا هذا !) ""أحجر أنت؟". [4]

---

1 – المصدر ص 116.
2 – دلالات التراكيب، محمد حسين، أبو موسى ص 167.
3 –المصدر، ص:117.
4 –نفسه، ص:119.

فهذا الاستنكار واقع على المخاطب وهو يحيل إحالة نصية سابقة إلى المخاطب السائل عن الغربة والغريب، وتخصيصه بالتحجر كونه لا يعرف ذاته. ومن لا يعرف ذاته لا يعرف خالقه (جحود) فالمخاطب في هذه الرسالة (يا) يحيل إحالة مقامية على المخاطب في الرسالة السابقة (و) وذلك باشتراكهما في صفات معنوية هي الكفر والمعصية والجحود.

وأما اختتام النص بالدعاء "اللهم تفضل علينا بعفوك إن لم نستحق رضاك".(1)

فالدعاء هنا دعاء المسألة وهو يتمثل في سؤال الله تعالى العفو. وبهذا يكون لفظ اللهم والضمائر المتكلم المتصلة (نا) والمستتر في فعل تفضل تحيل إحالة مقامية إلى الداعي (المتكلم) بصيغة الجمع إثباتا لحاجته وافتقاره إلى المدعو الذي تحيل إليه ضمائر الخطاب المتصلة (ك) والمستتر (إحالة مقامية) إقرارا بالألوهية، وأما الافتقار والحاجة إلى المدعو هو إثبات للعبودية. والعلاقة بين معرفة الذات (الغربة المعنوية) والعبودية هي معرفة نعم وفضل الله على عبده التي تستلزم عبادته ودعاءه وحده لا شريك له إقرارا بألوهيته وربوبيته وإثباتا لعبودية العبد.

وبهذا تتحقق وحدة الموضوع ثنائية: الألوهية/الربوبية ووحدة المتكلم (المرسل) التوحيدي ووحدة المخاطب "هذا".

الترابط الإحالي في الرسالة "يب"

يكمن مدار هذه الرسالة حول محور المعرفة الإلهية بعدما عالجت الرسالة السابقة (يا) معرفة الذات. والقارئ لهذه الرسالة لا يكاد يمسك بالموضوع (المعرفة).

ففي الفاتحة يلاحظ القارئ غياب المرسل، لأن المتكلم اعتمد جملا اسمية تقريرية "العلم بلاء والجهل عناء والعمل رياء والقول داء والسكوت هباء والنظر عداء ...". (2)

فالجمل لا تتضمن محيلا إليه ظاهرا في بنيتها التركيبية بل هو ثاو راءها فالصيغة الاسمية هنا تحيل إحالة مقامية إلى المتكلم الذي أنجزها (المرسل) وأما موضوع المعرفة الإلهية فهو يحيل إحالة نصية سابقة لمرجع مذكور يتمثل في عنوان الرسالة "أركان المعرفة من

1 –المصدر ،ص119.
2 –نفسه،ص120.

الإشارات الإلهية".

وقد أحدثت الأداة الإشارية "الآن" تمفصلا في الصيغة فقد أفصحت عن ظهور المخاطب قرين المتكلم في الخطاب (المتلقي). والخطاب تحول من صيغة التقرير إلى صيغة الطلب؛ لأن طبيعة هذه المعرفة آنية ترفض المسبق وهي في تغير مستمر، لأنها حال. والطلب هنا يشير إلى كيفية تحصيل حال المعرفة "وهي والله حال علت عن الصفات والرسوم كما نزلت الصفات والرسوم عنها".[1] فطبيعة هذه المعرفة مرتبطة بالمطلق، والمطلق يعرف بالحدس.

وتلقين حال المعرفة للمخاطب اتخذ شكل الحوار الذي يجسد وحدة الموضوع المعرفة الإلهية ووحدة المتكلم ووحدة المخاطب؛ لأن اسم الإشارة يحيل إحالة نصية قبلية إلى المخاطب في الفاتحة ويختم بالدعاء بلفظ اللهم الذي يحيل إحالة نصية سابقة إلى المتكلم (المرسل) وهي إثبات للعبودية والجملة "يا ذا الجلال والإكرام".[2]

فهي تتضمن ضمير الغائب (هو) الذي يحيل إحالة مقامية على المدعو (الله) وهي إشارة إلى الإقرار بتوحيد الأسماء والصفات.

وبهذا تكون وحدة الموضوع في هذه الرسالة تتمثل في معالجة قضايا عقائدية تتمثل في المعرفة الإلهية المرتبطة بالعبادة والدعاء المرتبط بالاستعانة. وهي تحيل إحالة مقامية إلى توحيد الألوهية والربوبية. ووحدة المتكلم (المرسل) للرسالة (يب) ووحدة المخاطب (اسم الإشارة هذا) وهو يحيل على مخاطب عام يرغب في الارتقاء إلى مقام العبودية.

من خلال التحليل تبرز مساهمة الإحالة بنوعيها: النصية والمقامية في تحقيق التماسك النصي في الرسالة (يب) وذلك من خلال خلق استمرارية بين عناصر النص. وتتمثل هذه الاستمرارية في تحقيق وحدة المرسل ووحدة المستقبل ووحدة الموضوع. وهذه العناصر تتلاحم فيما بينها لتشكل كلا موحدا يتمثل في قضية عقيدة التوحيد الشامل الذي تعددت صور التعبير عنه بتعدد الرسائل.

1 -المصدر، ص120.
2 -نفسه، ص125.

ثالثا: المنظور التداولي .

إن النص الأدبي ذو طبيعة نحوية ودلالية وتداولية تقوم على التفاعل بين هذه البنيات فيصبح النص بذلك منسجما. وهو في النظرية التواصلية يجسد التواصل بين ثلاثية تلازمية بحسب ترسمة جاكبسون R.Jakobson التي رصدها للنص بوصفة رسالة لغوية تشتمل على هذه العناصر الأساسية :

السياق

الخبر

المرسل ———————— ◄ المستقبل

الشفرة (النظام اللغوي)

فالتواصل هنا يتوقف على "فعالية الخطاب وسلطته وإحداثه التأثير المرغوب على معرفة منطلقات المتكلم (المرسل)، والمخاطب (المرسل إليه) ولهذا كلما كانت المنطلقات المشتركة كثيرة موحدة كانت فرصة التفاهم أكثر، وفعالية أعمق ".[1]

وانطلاقا من ترسمة جاكبسون(R.Jakobson) ارتأيت أن أتناول في هذا الفصل الجانب التداولي في النص الأدبي؛ لأن أي نص أدبي إن لم يتداول يبقى أسودا على أبيض ومن ثم لا يحصل الأهمية التي يستحقها ولا يستثمر المجهود الذي بذله المنتج (المتكلم) في إنتاجه للحكم على المنتج (المتكلم) بالصدق أو الكذب.

ولهذا كان من مهام المحلل أو القارئ أن ينشئ حوارا خلاقا بين بنيات النص محاولا استنطاق النص لكشف ترسباته الجغرافية وسبر أغواره للوصول إلى المغزى من إنشاء النص.

وها هنا تلمس محاولة منظري التداولية pragmatique لوضع قواعد وشروط ليصل الخطاب إلى مبتغاه وأبرزها المؤلف والقارئ الذين يجمعهما فضاء موسع يتمثل في السياق. ومحاولة إبراز دور كل واحد منهما باعتبار "القارئ يرغب في التأليف والمؤلف

VOIR: SEMIOTIQUE ET SCIENCES SOCIALES, AGREMAS LE CONTRATENONICATIF PARIS 1976, P24.

1 – نقلا عن دينامية النص؛محمد مفتاح؛ص:132.

يدرك هذه الرغبة أن ما يتضمنه المؤلف يستطيع المخاطب به أن يقوم به ويرغب في ذلك. وصاحب التأليف يدرك ذلك وإذا ما كان هذا الاتفاق حاصلا فإن الكلام يبلغ إلى كل مقاصده".[1]

إن تحليل النص الأدبي في المستوى التداولي يعني تحليل فعل اللغة انطلاقا من أن التداولية تعتبر النص كفعل لغة متلفظ في سياق ما ينجز أفعالا لغوية تشكل متتاليات من الأفعال اللغوية تحكمها علاقة تلازمية تهدف إلى تعليل أو تفسير لتلك الأفعال اللغوية.

وفي هذا المستوى يكون تحليل النص منصبا على المستويين : المستوى الدلالي والمستوى التداولي " وفي هذين المستويين يركز تحليل النص على دراسة انسجام النص بوجه خاص بالنظر إلى محتواه ووظيفته معا".[2]

بينما انسجام النص تحققه عناصر غير لغوية تكمن في السياق والقارئ. والهدف من التركيز على هذين العنصرين "التطلع إلى فهم أدق على الاشتراك الفعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعية عمليات استلزمتها غايات تفسيرية لا محدودة تتجاوز الأطر الظاهرة والنظرة السطحية وترنو إلى استمرارية التفاعل بين النص ومتلقيه في حركة تحافظ على دينامية النص من جهة وعلى تعدد القراءة الذي تنتجه نصوص خلافة ... في الربط التلقي اللغوي والجمالي من جهة".[3]

وهنا تجدر الإشارة إلى التعريف بالعنصرين والتعرض إلى دورهما في تحقيق انسجام النص.

I-1- السياق contesct وعلاقته بالمعنى

لقد عرف علماء العرب والغرب السياق فخصوا له فصولا وابوابا في أبحاثه نظرا لأهميته في إبراز المعنى. وصاحب النظرية السياقية في هذا المجال الباحث فيرث (Firth) وقد أفاض هؤلاء الباحثون في دراستهم المعنى عن طريق السياق.

VOIR : LA TRANSPARENCE ET L'ENONCIATION POUR INTRODUR A LA PRAGNATIQUE, FRNCOIS RECANATI, 1999, p 178.

1 –نقلا عن دنيامية النص (مرجع مذكور)، محمد مفتاح، ص: 133 .

2 –ينظر : نظرية الأدب في القرن العشرين: دو. فوكيما، فان ديك، جان كوهين ، كبدياقاركا، جان ستاروبانسكي، تر، محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1996م، ص: 77.

3 – علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص: 13.

وإلتفاتة إلى التراث تتراءى للباحث أو القارئ جهود القدامى في تعريفهم للسياق؛ لكن الملفت للانتباه هنا تضافر المصطلحين المقام والسياق، فهما مرتبطان بدراسة المعنى. فالمقام يمثل الجانب الاجتماعي من السياق الذي درسه البلاغيون.

وفكرة المقام تمثل اليوم مركز الدلالة الوظيفية من حيث إبرازها إلى جانب الاجتماعي الذي تظهر فيه العلاقات والظروف المقتضية لإيراد الكلام. وهذا يعني أن علماء العربية تعرضوا لقضية السياق وناقشوا جوانبها قبل أن تصبح نظرية قائمة بذاتها حيث وضحوا أن افتقار المقام يؤدي حتما إلى ورود مفردات متناثرة جلا تمثل مقالا بالمعنى اللغوي أو بالمعنى البلاغي لأنها لم توضع في سياق يربط بين أجزائها بحيث تؤدي في النهاية معنى معينا.

ومن القدامى من اهتم بالسياق إلى جانب البلاغيين الذين يعبرون عن هذا المصطلح بالعبارة المشهورة "لكل مقام مقال" نجد الأصوليين الذين اعتمدوا على قرائن السياق المتنوعة بالإضافة إلى المفسرين الذين وضعوا شروط للمفسرين يمكن من خلالها تفسير القرآن تفسيرا سليما. وهذه الشروط يمثل مجملها أركان السياق الحالي.

من خلال التعرض بخصوص اهتمام علماء العربية بالسياق بنوعيه، وفهم دوره في توضيح المعنى والذي من خلاله يتحقق التناسق بين أجزاء النص وانسجامه. فقد كانت مبادرتهم في هذا المجال ذات أهمية لعدم إهمالهم لأي جانب من جوانب السياق. وأرى أن الفضل لوضع اللبنة الأولى لنظرية السياق التي نجد نسبتها إلى الباحث فيرث فيما بعد.

-مفهومه

السياق هو لفظ يتكون من "سابقة (con) تعني المشاركة؛ أي وجود أشياء مشتركة في توضيح النص وهي فكرة تتضمن أمور أخرى تحيط بالنص والبيئة المحيطة التي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص والحال".[1]

ففي هذا التعريف إشارة إلى تأكيد العلاقة بين النص والسياق فهو بمثابة مفتاح في البحث عن المعنى في النص وقد أشار إلى هذه العلاقة علماء النص "فالنص والسياق يتمم

1- LANGUAGE , CONTEXT AND TESCT : HALLIDAY AND HASAN , P 5.

أحدهما الآخر".[1]

وكما أشار أيضا إلى هذه العلاقة الباحثان هـــالداي halliday وحســـن hasan فـــي كتابهما "اللغة السياق والنص" بقولهما "أن كل ما النص والسياق يمكن تأويله بالرجوع إلى الآخر".[2] فهذا التعريف يؤكد على العلاقة التلازمية بين النص والسياق.

ونظرا لأهمية السياق في البحث عن المعنى في النص فقد أصبح يشكل "نظريـــة – إذا طبقت بحكمة– تمثل الحجر الأساسي في علم المعنى وقد قادت هذه النظرية بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن".[3]

ونتيجة لذلك فإن تعليق النص بالسياق يجعله متماسكا ومنسجما بالنســـبة للســـياق المتلفظ فيه.

- أنواع السياق

انطلاقا من اقتراح الباحث آمر k.Ammer في تقسيمه للسياق إلى أربعة أقسام تتمثل في: "السياق اللغوي والسياق العاطفي وسياق الموقف والسياق الثقافي".[4]

-السياق اللغوي

لقد أولت نظرية الأسلوب اهتماما بالسياق اللغوي. فهي تهتم به من جانب تحقيقـــة للتواصل بين المرسل والمستقبل. وقد أكد ريفاتير M.Riffaterre علـــى أهميـــة الســـياق اللغوي في إنتاج النص وتلقيه بوصفه يقوم على المقابلات والمتطابقات والتي تلعـــب دورا هاما في تلقي النص، أي أن المتلقي يتخذها كوسيلة لفهم لرسالة المنتج. ومن الواضـــح أن هذه الأسس الأسلوبية –التقابل والتطابق– ترتبط ارتباطا وثيقا بجنســـين رئيســـيين مـــن الجمال وهما الانسجام والاختلاف. ويسود التطابق في التراكيب على حين يكون التقـــابل هو السائد في القاموس".[5]

فهذه النظرية تهتم بالسياق كونه يحقق التواصل والجمال في النص.

---

1 –اللغة والمعنى والسياق جون لاينز، تر،عباس صادق الوهاب، ص 225.

2- LANGUAGE , CONTEXT AND TESCT : HALLIDAY AND HASAN , P 70.

3 – دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، تر، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط12، 1981، ص 73.

4 – علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ط1، 1985م، ص 69.

5 –علم اللغة والدرسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، شبيلربرند، تر: محمود جاد الرب، ص117.

- **السياق العاطفي**

فهو "يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيد أو مبالغة أو إعتذالا".[1]

فالسياق العاطفي يستعين بنظريات علم النفس اللغوي والغاية من معرفة السياق العاطفي هو معرفة استراتيجيات المرسل (المنتج) التي تتمثل في التأثير والإقناع قصد تبليغ الرسالة فيركز على الكلمات والوحدات اللغوية وتسييقها.

- **سياق الموقف الاجتماعي**

اهتم به علماء الاجتماع الذين ربطوا السياق بالمجتمع بوصف اللغة معطى اجتماعي وقد أكد فيرث Firth على الوظيفة الاجتماعية للغة؛ لأن اللغة عندهم "نشاط اجتماعي للإنسان وليس مجرد معبر عن الفكر كما كانت تعرف قديما؛ كما أن السياق الاجتماعي مهتم بالمعنى لا يمكن الاستغناء عنه في تفسير اللغة".[2]

فحسب هذا التعريف فإن المنتج متضمن في المجتمع ومنه فإن هذا الأخير هو المنتج للنص وهو المتلقي له. ويؤدي هذا إلى خلق التفاعل بين النص ومتلقيه في حركة تحافظ على دينامية النص.

2- السياق ودوره في انسجام النص

من المؤكد أن للسياق دورا بارزا في إنتاج وتلقي النص وهذا ما أدى بالباحث فان ديك j.kan Dik إلى أن تجعل السياق " يتعلق بقضايا تأويل الإشارة الإيديولوجية في العالم الخارجي".[3]

فهذا تفسير للعلاقة التلازمية بين النص والسياق. فالنص يرتبط بالسياق الذي تحدده ثقافة المجتمع فبانعدام السياق يفقد النص نصيته أي أنه يتحول إلى اللانص.

وبناء عليه يمكن اعتبار السياق شفرة يستعين بها المحلل/القارئ في تأويل النص؛ لأن السياق يستطيع أن يوضح لنا النقطة التي تم التعبير عنها".[4]

1 -علم الدلالة ، أحمد مختار عمر، ص71.
2 -فقه اللغة، وعلم اللغة نصوص ودراسات، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص:237/236.
3 -علم لغة النص(مفاهيم واتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ص: 244.
4- LANGUAGE , CONTEXT AND TEXT : HALLIDAY AND HASAN, P 70.